النمو الروحي والخلقي

دكتور عبد الرحمن عيسوي

أستاذ علم النفس

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار النهضة العربية

للطباعة والنشر

بيروت . ص.ب ١١٠٧٤٩

١٩٩٢

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت . ص.ب ١١٠٧٤٩

* الإدارة : بيروت، شارع مدحت باشا، بناية كريدية، تلفون: ٣٠٣٨١٦ ٣٠٩٨٣٠
برقياً: دانهضة، ص. ب ٧٤٩-١١
تلكس: NAHDA 40290 LE

* المكتبة : شارع البستاني، بناية اسكندراني رقم ٣، غربي الجامعة العربية، تلفون: ٣١٦٢٠٢

* المستودع : بئر حسن، تلفون: ٨٣٣١٨٠

إهداء

إلى السيد الأستاذ الكبير
الدكتور مصطفى سويف
رائد علم النفس في عالمنا العربي
بعضاً من غرسه الطيّب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

لقد استهواني هذا الكتاب فعكفت على ترجمته ونقله للقارىء العربي لما يمتاز به من ايجاز وشمول النظرة لموضوع من أهم موضوعات العصر ألا وهو النمو الخلقي عند الاطفال. والمعروف أن لمرحلة الطفولة أهمية خاصة في حياة الفرد في مرحلتي الرشد والكبر. فشخصية الفرد إنما توضع جذورها الاولى في مرحلة الطفولة ولا سيما ما يتعلق منها بالقيم والسلوك الخلقي.

ولموضوع الاخلاق أهمية بالغة في حياة امتنا العربية الناهضة، ذلك لأن التكنولوجيا الحديثة مهما احرزت من تقدم لا يمكن أن تحل مشكلة الانسان. بل لا بد من العناصر الانسانية التي تحفظ للانسان كرامته وحريته وتصون انسانيته. ولذلك لا ينبغي أن نقع في ما وقعت فيه أوربا حين اهتمت بالتقدم العلمي وتركت النزعات المادية والفلسفات الالحادية لتطغى على الحياة وتجعل الانسان الاوربي يعيش في فراغ بل وفي ضياع. ومن هنا لا بد أن تكون نهضتنا العربية المعاصرة نهضة شاملة، تتناول كافة جوانب الحياة المادية والعلمية والخلقية والروحية. وعلى المؤسسات التربوية في مجتمعنا العربي المعاصر تقع مسئولية تكوين شخصية المواطن المتكامل القادر على الخلق والابداع والانتاج، والذي يرعى ربه ووطنه ويصون عروبته ويعتز بقوميته ويعلو بشأنها الى عنان السماء. وفوق كل شيء المواطن حي الضمير الذي يتمتع بالقيم الخلقية الاصيلة.

والكتاب الذي أشرف بأن اضعه بين يدي القارىء العربي يتناول موضوع الاخلاق من الزاوية النفسية والتربوية ويهتم بتكوين الضمير واصدار الاحكام الخلقية الصائبة والتفكير الخلقي والنمو الخلقي، ولذلك فالمأمول أن يفيد منه

الاخصائيون النفسيون والاجتماعيون والمعلمون والمعلمات ورجال الوعظ والارشاد والدين والاباء والامهات والمراهقين أنفسهم والشباب.

ولقد حرصت علي أن انقل المعنى للعربية بكل أمانة ودقة مراعيا سهولة الأسلوب ويسر العبارة مع الاحتفاظ بالفحوى والمضمون.

ولقد زودت الكتاب بهوامش وحواش تناولت فيها شرح ما ورد في متن الكتاب من ألفاظ وعبارات ومصطلحات فنية وذلك لاعطاء القارىء مزيداً من المعلومات حول ما يعالجه الكتاب وفي النهاية افردت فصلا خاصا تناولت فيه مشكلة الاخلاق نظريا وعمليا وعالجت النمو الروحي والخلقي والتنشئة الاجتماعية في مرحلتي الطفولة والمراهقة وكذلك دراسة حقلية حول الاخلاق عند الشباب العربي قام بها المترجم ووجدت في ذلك اضافة مفيدة للنص الذي عكفت على ترجمته حتى يكون الكتاب في صورته العربية شاملا لشتى جوانب موضوع الاخلاق وحتى أعطى صورة لما قد تكون عليه دراسة الاخلاق ميدانيا مستمدة من واقعنا العربي. والواقع أن هذا العمل المتواضع ليس إلا صيحة أدويها في آذان رجال العلم والفكر والاصلاح والقادة ورجال السياسية للاهتمام بموضوع الاخلاق وتوفير الامكانات المادية والبشرية لدراسة الاخلاق في وطننا العربي دراسة حقلية شاملة بغية التعرف على نواحي الضعف الخلقي في جمهور الشباب المعاصر ووضع البرامج العملية للارتقاء بالسلوك الخلقي والسمو به، ذلك لأن الاخلاق هي الدعامة القوية التي تحمي كافة مشاريع التنمية وهي التي تصون الانتصارات الشعبية، فعلى أساس ما يتحلى به الافراد من قيم خلقية تنمو وتزدهر خيرات البلاد وثرواتها أو تهدر وتبدد. ولست بحاجة أن أستعيد قول الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

والله ولى التوفيق والسداد.

دكتور عبد الرحمن عيسوي

الأسكندرية في نوفمبر سنة ١٩٧٩

ترجمة كتاب

النمو الخُلقي للأطفال

THE MORAL DEVELOPMENT OF CHILDREN

BY

NORMAN AND SHEILA WILLIAMS

الكتاب

يمدنا هذا الكتاب بمقدمة لسيكلوجية النمو الخلقي. أن الموضوع هو موضوع معقد، ولكن سمة المؤلفين الملحوظة في الكتاب هي الوضوح الذي يشرحان به تنوع الاتجاهات التي استخدمها السيكلوجيون المختلفون... هذه الآراء ملخصة بشكل يمكن فهمه بسهولة بمعرفة الطالب الذي يوجد لديه قليل من المعرفة السابقة بالمفردات الفنية، ويوضح المؤلفان أنها آراء متكاملة أكثر منها متناقضة.

ويتضمن الكتاب مراجع كاملة عن الابحاث الجارية وينتهي بوصف عن النمو الخلقي العام أو الشامل للطفل. وهناك ملخصات وقوائم بالقراءات الاكثر استزاده عند نهاية كل فصل، كما يوجد قائمة بالمراجع وفهرست.

الفصل الأول

مقدمة:

إن النمو الخلقي موضوع معقد، ولكن (يمكن) أن يتركه، على هذا الأساس، هؤلاء الذين سوف يعملون مع الاطفال، ويرجع تعقيد الموضوع إلى عدد من العوامل. إن كلمة (النمو[1] الخلقي) نفسها يعرفها الناس المختلفون بطرق مختلفة، والسلوك والنمو الخلقي يحددهما تفاعل عدد عظيم من المؤثرات لم تشرح كلها شرحاً كاملاً بعد أو لم تبحث في الوقت الحاضر.

ليس كل واحد على استعداد لكي يقبل أن موضوعاً كالاخلاق يمكن أن نبحثه بواسطة الادلة والتجربة، والبعض ما يزالون ربما غير معتادين أو غير ملمين بفكرة الادلة السيكلوجية نفسها، ولا يعرفون كم تحمل من الوزن ولا مضمونها الدقيق في حالة معينة، والبعض من الناحية الأخرى، سوف يرغب بسذاجة ان يضفي على الموضوع صفة السيادة (لقد برهن علم النفس على كذا وكذا).

في الواقع، معظم السيكلوجيين قد مالوا نحو تجنب الموضوع لسنوات كثيرة، ولذلك فان الادلة متعارضة في بعض جوانب الموضوع وفي نواحي أخرى يوجد قليل من الأدلة، مجرد وعي بطبيعة المشكلة، ولحسن الحظ هناك جوانب أيضاً فيها الأدلة غير غامضة.

هذا الكتاب إذن يجب أن يكون كتاب سهلا في موضوع صعب، كتابا لا يفترض مقدما كثيراً من المعلومات الفنية من جانب القارىء.

(١) النمو الخلقي: هو جزء من نمو الطفل العام الذي يشمل الجوانب الجسمية والعقلية والنفسية أو الانفعالية والاجتماعية والروحية ويقصد به سلسلة مستمرة من التغير في الكائن الحي تمتد عبر فترة زمنية معينة منذ بداية تكوينه حتى الوصول إلى النضج. وهو عملية مستمرة تسير سيراً تدريجياً من العام إلى الخاص ويتأثر النمو بكل من العوامل الوراثية والبيئية.

لقد بذل كل جهد لتجنب صبغ الموضوع بسلطان غير شرعي فحيثما كان ممكنا، تم وصف نوع الدليل الذي يبرر النتائج المعينة. وحيثما تعارضت الأدلة ثم تقرير ذلك. لقد بذل كل جهد أيضا التأكيد أنه في تبسيط المصطلحات وفي شرح خلفية العمل الجاري فان المسائل نفسها لم تبسط تبسيطا أزيد من اللازم.

إن الحدود التي يفرضها الحجم والهدف من الكتاب تجعل العرض الواسع لكل التجارب المتصلة والدراسات المسحية خارج عن مجال هذا البحث. وعلى ذلك لا بد من عمل اختيار ما هذا الاختيار كان محكوما، جزئيا، بالرغبة في التوضيح للقارىء الجديد على هذا الحقل. مجرد كيف يستطيع المرء أن يتجول في جمع الأدلة في مثل هذا النوع من المجال. ويعكس الاختيار أيضا اهتمامات المؤلفين: يهتم الكتاب بصفة رئيسية بأسس السلوك الخلقي ونموه عند الاطفال الأصغر. إن النمو الخلقي عند المراهق موضوع كبير في ذاته يكفل دراسة لاحقة منفصلة.

القارىء المطلع ربما لا يوافق على هذا الاختيار. عدم موافقته ربما تكون مبررة، ولكن الكتاب حقيقة ليس موجها له، وسوف يجد منفذا للمصادر الأصلية، ومن المأمول أن القارىء الجديد على هذا الموضوع سوف يتابع على القليل بعضا من الموضوعات المقترحة في المراجع كي يجد منفذا، للمصادر الأصلية أيضا بدلا من أن يبقى معتمدا على مجلد تمهيدي مثل هذا.

الحكم الموضوعي والحكم الذاتي:

دعنا نبحث بمزيد من التفاصيل في واحدة من النقاط التي ذكرت في القسم السابق.

إنها علامة من علامات تغيير الاهتمامات تلك التي تحدث من وقت لآخر في أي موضوع من الموضوعات، أن تكتب الكتب التي تتناول الأخلاق من وجهة النظر السيكولوجية، كما هو الحال في مثل هذا الكتاب منذ عشر سنوات مضت. مثل هذه الكتب ربما كان لها تأكيد مختلف مثل هذا التأكيد ربما كان يبدو واضحا في عناوينها ربما كانت تعالج موضوعات مثل النمو الاجتماعي أو التكيف وما إلى ذلك.

وقد كان هناك اتفاق واسع نسبيا أن الأخلاق ليست موضوعا مناسبا للسيكلولوجيين دارسو الاخلاق - بصفة خاصة - ربما أولئك الذين ينظرون إلى الموضوع من وجهة النظر اللاهوتية - ربما كانوا يقولون أن الموضوع نفسه لا يخضع للبحث السيكولوجي.

السيكولوجيون، من ناحية أخرى. مع استثناءات قليلة هامة التي سوف نناقشها فيما بعد، «يميلون للشعور بأن تناول موضوع كموضوع الأخلاق سوف يقلل بطريقة ما من محاولاتهم في (الموضوعية)[1] العلمية.

لقد ساد الشعور بأن القيم الخلقية ترتبط بالأخلاق أو بالأديان[2] والثقافات[3] ولإصدار حكم خلقي، قيل انه اصدار حكم قيمي ذاتي. مثل هذا الحكم سوف يكون غالبا وحتما حكما يرجع للعرق البشري وسوف يفتقر لذلك للدرجة الصحيحة من الموضوعية.

على الرغم من أننا ما زلنا نحترم الحاجة إلى الموضوعية فاننا نميل الآن للتفكير أن هذا الموقف كان مبالغا في صياغته، وأنه تضمن قدرا من الخلط. ففي المكان الأول هناك بالتأكيد فرق بين عمل أحكام قيمية في مجرى عملك وبين تناول هذه الإحكام القيمية كموضوع لدراسة موضوعية. وثانياً إن عمل الأحكام القيمية يقود إلى الفشل لدرجة أننا نستبعده لمجرد تجنب موضوعات معينة.

اعتبر أو انظر، على سبيل المثال، لعناوين كالمذكورة أعلاه: التكيف أو الصحة

---

(١) الموضوعية: ويقصد بها البعد عن التأثر بالعوامل الذاتية كالميول والاهواء والتعصبات والتحيزات والآراء الشخصية، وتعني التحرر من التحيز وتعني الحياد وعدم تأثر الاحكام بالمشاعر وتؤدي إلى تسجيل الحقائق كما هي عليه في الواقع وليست كما ينبغي أن تكون أو كما نريدها أن تكون ومن نتائجها أن وصول الباحثين المستقلين إلى نفس النتائج التي يصل إليها كل منهم منفردا وهي من سمات العلم والتفكير العلمي.

(٢) الدين: يقصد بالدين نظام من الاتجاهات والممارسات والطقوس والاحتفالات والعقائد التي تؤدي إلى اتصال المؤمن بها بالله ويشتق الشخص المتدين قيمه من الدين التي يحكم بها على الأشياء والاحداث.

(٣) الثقافة: يقصد بها مجموعة العادات السلوكية والتقاليد والقيم والمثل والفلسفات والعقائد والحكم والامثال والمنظمات الإجتماعية ومظاهر المعرفة والفنون والاخلاق والنظم التي تسود في مجتمع ما وتؤثر الثقافة تأثيراً بالغافي شخصية الفرد.

العقلية. هل هي حقيقة أكثر موضوعية من النمو الخلقي؟ حقيقة أن الناس الذين يكتبون في مثل هذه الموضوعات يتكبدون كثيرا من الصعاب لتجنب شعوريا التوحد مع الأحكام التقليدية أو الدينية، ولكن إذا نظرت بعناية فيما يكتبون فانك سوف تجد، في كثير من الحالات، أنهم يصدرون افتراضات كبيرة نسبيا حول ما ينبغي أن يكون عليه الشخص المتكيف أو الشخص السليم عقليا مثل هذه الافتراضات، ربما تعكس معايير المجتمعات الغربية التي نشأ فيها الكتاب أو ربما تعكس الاعتبارات النظرية حول الطريقة التي تؤدي بها الشخصية[1] وظائفها.

وفي أي الحالتين فانهم، الأكثر احتمالا، يعملون أحكاما قيمية ضمنية. إن هذه النقطة لا تعني أن هذا يدحض من صدق ما قيل حتى الآن حيث أنها تتصل بالناس الأصحاء عقليا في مثل نوع مجتمعنا، وإنما هي ببساطة بالرغم من أن الباب الأمامي قد أوصد بحزم في وجه الأحكام القيمية، فقد استطاعت أن تزحف إلى الداخل من الخلف.

الموضوعية ـ إذن ـ أكثر من كونها حلا جيدا ـ ربما يمكن أن تتأكد أفضل عن طريق الإشارة المستمرة للأدلة المتاحة، على الرغم من أنه في مثل هذه الحالة، ما زال هناك مجال للمؤثرات الذاتية في تفسير الأدلة.

---

(١) الشخصية: للشخصية معاني كثيرة تختلف باختلاف المجال الذي تستخدم فيه من تعريفاتها في المجال السيكولوجي انها ذلك التنظيم الدينامي داخل الفرد والمكون من تلك النظم السيكوفيزيقية التي تحدد تكيفه الخاص لبيئته وقد تعنى مجموعة الصفات الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والخلقية والروحية والمزاجية التي تميز فرداً معيناً عن غيره من الناس والتي توجد بصورة متفاعلة بعضها البعض.

التعاريف

قبل أن نذهب بعيدا، من الأفضل أن نبحث في كلمة «اخلاقي» لكي نرى ماذا تعني، ولكي نقرر كيف ستستخدم في هذا الكتاب، يمكن تمييز استخدامين رئيسيين لهذه الكلمة. أو لهما المعنى الذي ربما نصفه بأنه المعنى التقويمي[1] الذي يوجد للكلمة في عبارات مثل قولنا «هذا رجل اخلاقي» أو «ذلك كان شيئا خلقيا لتفعله»... هذا الاستخدام يحمل مضمونا بموافقة المتكلم: ان حدثا يحكم عليه بأنه خير أو سماعه صواب أم خطأ. هذا الاستخدام للكلمة يمكن أن يوصف بأنه أحد طرفي البعد الذي يمتد بين الخلقي واللاخلقي غالبا، في استخدام الكلمة بهذه الطريقة، فاننا نصدر ذلك النوع من الاحكام القيمية الذاتية التي فرغنا من مناقشتها توا ولكن ذلك لا يلزم ان يكون دائما كذلك.

ربما نقيد أنفسنا لوصف خصائص ذلك السلوك الذي يمكن أن يقوم كسلوك خلقي طبقا لاكثر الاستخدامات شيوعا لهذه الكلمة ونخلص الى العبارات المتعلقة بالخصائص العامة التي تميل ان تكون متحررة من أثر الثقافة.

والمعنى الثاني للكلمة يمكن أن نسميه الاستعمال الوصفي... هذا عندما نقول اشياء مثل «لقد واجه فلان اختيارا خلقيا» أو قولنا أن هذه مشكلة خلقية في هذه الحالة الكلمة ليست عكس لا اخلاقي، انها تعني، ببساطة، العمل مع الصواب والخطأ يصبح التمييز واضحا عندما نقول إن مشكلة السرقة أو عدم السرقة هي مشكلة خلقية. وان الذهاب سيرا على الاقدام للحانوت المجاور او الذهاب اليه بالدراجة ليس مشكلة خلقية.

---

(١) التقويم: يقصد به إعطاء قيمة أو وزن للشيء أو الشخص أو العمل أو المؤسسة المراد تقويمها لمعرفة مدى ما حققته من الاهداف التي رسمت لها وقومت السلعة أي حدد ثمنها في الاسواق.

وبالطبع، فاننا نعمل الى حد ما حكما قيميا مستترا في ادراج بعض أنواع من المشاكل الى فئة الخلقي ولا ندرج بعض الانواع الاخرى، ولكن التمييز العريض ربما يحتمل أن يكون كافيا لقصدنا الحالي.

ربما يكون الملائم، إذا كان هناك فعليا كلمتان لهذين الاستعمالين ولسوء الحظ لا يوجد. وبقليل من الانتباه إلى المضمون مهما كان، سوف يوضح عادة أي الاستعمالين يقصده اي كاتب أو أي متحدث في ذهنه.

ان عبارات مثل «أصبح خلقيا» أو التحول الى شخص خلقي أو «المستويات الخلقية» تفيد التقويم. وعبارات مثل الحكم الخلقي، التفكير الخلقي، في العادة تكون وصفية حيث انها تعني عمل الاحكام التي تخص موضوع الصواب والخطأ والتي لا تحتاج بالضرورة ان تتضمن عمل الاحكام الصائبة أو بالمثل التفكير حول الصواب والخطأ أكثر من كونه شخصا مفكرا تفكيرا صائبا. ينطبق هذا بنوع خاص عندما نقابل هذه المصطلحات في التراث السيكولوجي أنه من الممكن جدا، وبالطبع، أن نستخدم هذه العبارات استخداما تقويميا، كما سترى إذا حاولت أن تغير التأكيد قليلا عندما تقول هذه العبارات، ولكن مثل هذه الاستعمالات أقل شيوعا في العمل الذي نناقشه هنا.

عبارات مثل «السلوك الخلقي» يمكن أن تستخدم بأي من الطريقتين، ويجب توجيه الانتباه الدقيق للمضمون اينما تظهر هذه المصطلحات.

أنه لا يقترح أن هذه الكلمة يجب أن تنحصر في واحد فقط من هذه الاستعمالات - لأن عمل مثل هذا سيكون تعسفيا جدا، وسوف يقودنا الى صعوبات، لأنه مهما كان ربما ينتج خلط أكثر عن طريق الناس الذين يستخدمون كلمة أخلاقي بمعان يخلطون فيها بين المعنيين الرئيسيين، وتظل الحقيقة ان المعنيين ما زالا هناك وان كلاهما يشير الى أشياء نحتاج أن نتحدث عنها. كلا المعنيين سوف يظهر إذن في نقاط مختلفة في هذا الكتاب.

وسوف يتضح عادة من المضمون أي المعنيين نقصده، وإذا لم يتضح ذلك فان المعنى سيكون مشروطا.

مهما كان، هناك تمييز واحد سوف يبقى باستمرار. وهذا يخص الاصطلاحين: «التربية الخلقية» «والنمو الخلقي» في العبارة الأولى، كلمة اخلاقي سوف تستخدم دائما تقويميا. وهكذا فاننا سوف نفهم الاصطلاح على أنه يشير إلى العمليات التي تحدث بقصد خلق طفل خلقيا كمضاد «لطفل النمو لا خلقي» من الناحية الأخرى سيكون وصفيا. ولسوء الحظ فان بعض الناس يبدو أنه يستخدم الاصطلاح لكي يعنى» جعل الاطفال ينمون بطريقة يعتقدون فيما اعتقد أنا أنه صواب»... في هذا الكتاب، مهما كان، سوف نشير، ببساطة، إلى الطريقة التي يختلف بها اتجاه الطفل نحو الصواب والخطأ في أثناء تقدمه في السن، سواء أكانت أم لم تكن فان المرحلة النهائية في الغالب عادة تكون خلقية بالمعنى التقويمي وبالطبع فان المرء ليأمل أن الشخص يصبح حقيقة أكثر خلقيا من الناحية التقويمية بتقدمه في الكبر.

ولكن هذا لا يؤخذ كقضية مسلم بها، يجب أن ننظر أولا إلى الأدلة.

نقطة عامة تخص هذين التعريفين. وليس من الممكن أن نختار أي من التعريفين كموضوع صحيح لمجال البحث بوضوح، اننا لا نستطيع أن ندرس كيف يصبح الطفل خلقيا دون النظر إلى كل اتجاهاته نحو الصواب والخطأ. اننا لا نستطيع أن نربط دراسة وصفية ارتقائية بأي وسائل عملية للتربية الخلقية دون معرفة اي الهدفين سوف نقيمه كهدف خلقي.

الفصل الثاني

الأبعاد الخلقيّة

لقد بدأنا بعدد من الأسئلة حول الذي نعنيه بالكلمة «أخلاقي» وعلى الرغم من أنها بداية ضرورية، فان تدريبا من هذا النوع هو اهتمام اكثر للفيلسوف منه للسيكولوجي بالنسبة للاخير، مثل هذا النشاط هو جزء ضروري للتوضيح الأساسي احتراس أو تحذير إذا أردت، أن تتأكد أننا في الواقع نبحث في الشيء الذي وضعناه للبحث، وليس شيئا آخر، الذي، نتيجة للخلط في الطريقة التي نستخدم بها الألفاظ أو الكلمات، يبدو أنه يشبهه. هناك أسئلة سيكلوجية مشابهة يمكن أن تطرح في البداية أيضا. وهي تخص صورتنا عن الخواص الفعلية للشخص الخلقي أي نوع من الخواص تلك التي نبحث عنها؟ وكيف يحتمل أن تتوزع؟ وهل نحن نتعامل مع سمات بسيطة أم سمات معقدة أم مع قدرات؟

ولكن قبل أن نستطيع التعامل مع اسئلة كهذه، نحن نحتاج إلى تنظيف عقولنا من عدد من مساوىء الفهم الشائعة في المحل الأول، لدينا ميل إلى تجاهل الحقيقة بأن البشر مختلفون اختلافا مطلقا. ومن الاسهل بكثير ان نتحدث عنها كما لو كان من الممكن أن نضعها بدقة في فئات مستقلة.

في مناقشتنا للأخلاق يميل كثير منا للحديث عن الرجل الطيب أو الرجل السيء أو الشخص الخلقي أو الشخص اللاخلقي كما لو كان هناك نوع من الحد الفاصل بين هذه الفئات[1]. وينبغي إلا نحتاج إلى أي معرفة بعلم النفس، بالمعنى الرسمي،

(١) ـ لقد هجر علماء النفس منذ زمن بعيد فكرة الثنائية في تصنيف الناس أو ـ تصنيفهم في فئات محددة حاسمة كأن نقول بان الشخص لا بد وأن يكون اما منطويا أو منبسطا وذلك لأن الغالبية العظمى من الناس لا ينطبق عليها هذا التقسيم الحاسم إذ أن غالبيتهم تقع في مكانة وسطى بين الانطواء والانبساط وهذا التقسيم الحاسم لا ينطبق إلا على الاقليات المتطرفة من الناس والوضع المقبول الآن هو توزيع الناس في أي سمة أو قدرة على مقياس مستمر متصل يتراوح ما بين الانطواء الزائد والانبساط الزائد.)

لكي نرفض مثل هذا الرأي. ومع ذلك فان مثل هذه الأنواع من التفكير تظل حتى بين أولئك الذين ينبغي أن يعرفوا أحسن من ذلك. لقد كانت في القرن الماضي صياغة عبارة البلاهة الخلقية، ولكننا ما زلنا نسمعها، من وقت إلى آخر، أو نسمع عبارات مساوية لها تلك التي تحمل نفس الصورة عن مجموعة متميزة من الناس، مميزة بوضوح عن بقية أبناء المجتمع.

هذا الرأي المفرط في تبسيطه عن الطبيعة الانسانية يميل إلى البقاء، خاصة في الحقل الذي نتعامل معه. أنه من الصعب أن نرى لماذا يتوقع المرء أن الناس يقعون في فئات قليلة وبسيطة من الطيبة والسوء. أنه بالتأكيد ليس الموقف الذي نجده عندما ننظر في الخصائص الانسانية الأخرى. أننا لا نستطيع أن نصنف الناس ببساطة إلى الطويل والقصير. هذه بالطبع خاصية فيزيقية والخطأ فيها واضح ولكننا نجد نفس الموقف مع المتغيرات غير الفيزيقية.

الذكاء حالة في الموضوع. ونحن يمكننا أن نحاول تصنيف الناس كماهر ومتوسط وغبي ويقدم هذا التصنيف مرشدا تقريبيا لكثير من الأغراض، يمكن استخدام هذا المرشد في حياتنا اليومية. ولكن انظر ماذا يحدث إذا حاولنا تطبيقه حرفيا. أنه يقودنا إلى الافتراض باننا نستطيع أن نمتلك ثلاثة أنواع من المدارس واحدة لكل فئة، وأننا نستطيع أن نضع الناس في هذه المدارس عن طريق اكتشاف الفئة[1] التي ينتمون إليها. لقد جرب هذا النوع من الترتيبات، كما نعلم، وكان من بين صعوباته دائما وجود حالات حدية التي لم تكن تلائم براحة أي من الفئتين المتجاورتين - الضعف[2] العقلي أيضا اعتبر مرة كحالة خاصة. لقد كان يعتقد أن ضعاف العقول مجموعة مميزة محددة من الناس.

---

(١) يعاب تربويا على فكرة عزل التلاميذ من أرباب المستويات العقلية المختلفة كل مستوى في مدرسة خاصة لأنها تشعرهم بالضعف والشعور بالنقص وتحرمهم من - فرص الاختلاط والاحتكاك والمنافسة مع ارباب المستويات العقلية الاعلى ولذلك لا يعزل الاطفال ضعاف العقول إلا في الحالات التي يتعذر عليهم مسايرة زملائهم من التلاميذ الاسوياء.

(٢) الضعف العقلي: ويطلق على كل مستويات ضعف النمو العقلي ومن فئات الضعف العقلي الحالات الحدية ويعتبر الفرد كفوًا من الناحية القانونية ولكنه متخلف قليلا في الذكاء وتتراوح نسبة ذكاء هذه الفئة من ٧٠:٨٠ وفئة الأهوك الذي تتراوح نسبة ذكاءه من ٥٠:٦٩ الابله وتتراوح نسبة ذكاءه ما بين ٢٥:٤٩ المعتوه وتقل نسبه ذكاءه عن ٢٥.

لقد أوضحت دراسة الذكاء على كل حال، أننا نتعامل في الحقيقة مع مقياس مستمر للقدرة العقلية، بادئا من العبقري من إحدى طرفيه ومنتهيا بالمأفون. وكما سنرى فيما بعد حتى هذا الرأي يغالي في تبسيط المشكلة.

هذا النموذج من الخصائص الانسانية لا يمكن بأي حال من الأحوال قصره على خصائص مثل الذكاء، ولكنه ينطبق بالمثل على المزاج أو الشخصية. الانبساط والانطواء[١] مصطلحان يعطيان لنا مثالا لذلك. لقد ادركا في أول الأمر كجزء من نمطية الشخصية. ومعنى هذا، أنهما اعتبرا كل فئات منفصلة جدا يمكن أن نصنف إليهما الناس. وأحدث من ذلك، على كل حال، لقد أصبح ممكنا مقياس هذه الخصائص، ونحن نرى الأن أنهما يعتبران أفضل كنزعات أو نهايات عكسية لمقياس مستمر. بالضبط كما هو الحال في حالة الذكاء أو الطول، إذا استطعنا أن نفحص مجتمعنا كبيرا كبرا كافيا، فاننا سوف نجد أن كل موضع ممكن على استمرار الانطواء والانبساط سوف يملاء.

يمكن اقتباس كثير من الأمثلة المشابهة، ولكن هذه ربما تكون كافية لعمل الفكرة إذا وصفنا السلوك الانساني بلغة الفئات المنفصلة للاخلاقي واللاأخلاقي فان ذلك يوحي أن السمات الخلقية والنمو الخلقي لسبب ما، توزع توزيعا مختلفا جداً عن أي خاصية عقلية أو فيزيقية أخرى من تلك التي تم فحصها.

العمومية «النوعية»:

هناك على كل حال أكثر من ذلك في الموضوع حتى إذا تركنا فكرة الفئات المنفصلة واستعضنا عنها بالمقياس المتصل، ربما نجوز على الحقائق، ليس فقط كما هي موصوفة في تقارير البحوث السيكولوجية، ولكن أيضاً كما نلاحظها في حياتنا اليومية. انها حقيقة، بل ومفيدة أن نقول ان السمة الخلقية مقياس واحد، ولا يهم كيف نقسمها في النهاية تقسيمات فرعية؟

---

(١) الانبساط والانطواء: من الانماط السيكولوجية في الشخصية الانسانية ولقد وضعهما عالم النفس السويسري كارل يونج ويتميز الشخص المنبس بسمات مثل التفاؤل والمرح والروح الاجتماعية والحيوية والنشاط وتوجية اهتماماته نحو خارج ذاته أي نحو الأشياء والناس في البيئة المادية والاجتماعية. أما المنطوي فيمتاز بسمات عكس هذه كالخجل والحياء والتأمل والنقد وتنعكس اهتماماته إلى داخل ذاته.

ومرة ثانية، هناك مجال آخر من النشاط الانساني ربما يقدم تشبيهاً مفيداً. الذكاء كما سبق القول، يوزع توزيعاً متصلاً بين الناس، ويتأيد ذلك حينما نطبق اختباراً من اختبارات الذكاء على مجموعة كبيرة من الناس. ليس هذا هو المكان الذي نحاول فيه أن نضع تعريفاً دقيقاً لمفهوم الذكاء[1] الصعب المضلل، ولأجل عرضنا الحالي يكفي ان نقول انه يرتبط مع بعض الأنواع المعينة من القدرة على حل المشكلات.

وبالطبع فان اختبارا للذكاء هو عبارة عن سلسلة من المشكلات التي اخترعت بطريقة تتفق مع محك جامد الى حد ما. والآن، إذا نحن اعطينا مجموعة من الناس عددا من الاختبارات، مكونة من مشكلات من أنواع مختلفة، واحد يتكون من مشكلات لفظية، وآخر من مشكلات عددية وثالث من مشكلات ميكانيكية، وهكذا فاننا نجد أن جماعة الاختبار ليست مرتبة تماما بنفس ترتيب القدرة في كل اختبار.

هذا، بالطبع هو ما سوف نتوقعه من ملاحظتنا العامة ومن الذوق العام. في المدرسة قد يكون ولد ماهر في التاريخ ضعيف في الكيمياء، ضعيف في اللغة الإنجليزية، وماهر في الرياضيات هذه حالة حيث تباين خبرتنا اليومية واستخدامنا اليومي للغة تتباين مع بعضها. اننا نتحدث عن الناس المهرة والناس الاغبياء كما لو كانت المهارة قدرة واحدة مهيمنة. ولكن إذا كان ذلك كذلك حقا فانها سوف تنتقل من نوع من المجتمعات إلى آخر او تنتقل من نوع من النشاط العقلي الى آخر وعلى الرغم من أن هناك نزعة محدودة لكي يحدث هذا، فان المفهوم لا يناسب الحقائق بدقة جدا.

لقد تم كثير من العمل على سيكولوجية الذكاء، ولقد أصبح واضحا جدا أن هناك عددا من العوامل متضمن، وبالمثل كما أن هناك عامل عقلي عام ومجرد تجريدا نسبيا، أيضا لدينا عدد من القدرات النوعية ـ اللفظية، العددية، المكانية وهكذا...

---

(١) الذكاء - يختلف العلماء في تعريفه ومن أوضح تعاريفه اجرائياً أن الذكاء هو ما تقيسه اختبارات الذكاء - وهي تتضمن مقياس قدرات مثل التفكير وحل المشكلات والتعلم والتذكر والادراك والفهم والتكيف والابتكار.

وعلى الرغم من أن مقياسا واحدا للذكاء يستطيع أن يعطينا آداء الشخص أكثر من المقياس الثنائي الخام أو غير الناضج (مثل ماهر / اخرق)، وإذا أردنا حقيقة أن نكون دقيقين ينبغي أن نستخدم عددا من المقاييس التي تتعامل مع أوجه مختلفة من القدرة.

والآن دعنا نطبق هذا على فكرة الاخلاق. انها تنطبق بطريقتين: أولا: هناك المشكلة التي توصف في التراث بأنها النوعية الموقعية. هل السلوك الخلقي عام أم نوعي؟ هل نستطيع أن نعتبره كقدرة واحدة مهيمنة، أو هل يختلف الناس بنفس الطريقة كما يختلف الاطفال عندما يدرسون موضوعات مختلفة في المدرسة؟ هذا سؤال له أهمية جوهرية، لأنه يؤثر في اتجاهنا كله في مسألة التعليم الخلقي والنمو الخلقي.

بالتأكيد، فان العمومية ليست شيئا نراه دائما في حياتنا اليومية. وكما أن الناس يسلكون سلوكا مختلفا عندما يواجههم أنواع مختلفة من المشكلات العقلية، وعلى ذلك فهناك قدر معين من التباين في سلوكهم عندما يواجههم أنواع مختلفة من المشكلات الخلقية. فالرجل ربما يذهب إلى كل أنواع الممارسات المشكوك فيها خلقيا في اعماله، ومع ذلك يكون كثير الشكوك في سلوكه في المجالات الأخرى. لان شخصا ما سوف ـ يتهرب بما يستطيع الهروب به مع عائد دخله من الضرائب، فاننا لا نستطيع أن نتنبأ بانه سوف يقتني نفس الاتجاه ازاء سداد فواتير استهلاكاته المنزلية. بالطبع أننا نعرف اناسا مشكوك فيهم في كلا المجالين، أو في مجال واحد منها، ولكن هناك ايضا كثير من الناس الذين سوف يعملون في واحد ولا يعملون في الاخر الرجل الحساس جدا لمشاعر اسرته واصدقائه، والذي يسهم بانتظام، مثلا إلى «الاكوسفام» ربما يكون ايضا طاغية لا يعتبر احدا في العمل.

أن فحص الحالات الاكثر تطرفا للفشل الخلقي التي ربما نجدها في سجلات محاكم المجرمين يقود إلى نتيجة متشابهة. أن المجرمين نادرا ما يكونون فاسدي الاخلاق في كل شيء. لقد قرر غالبا ان الشخص إذا اودع السجن لارتكابه جرائم جنسية ضد الاطفال، فانه يقضي وقتا صعبا جدا عن طريق زملائه السجناء ـ الذين في غالبيتهم ادينوا لارتكاب جرائم ضد الاملاك: أنهم ينظرون إلى جريمة المجرم

الجنسي بمزيد من النقمة أو السخط الخلقي وهم بالتأكيد سوف لا يحتمل أن يعملوا مثل هذا الشيء انفسهم. ومن ناحية أخرى فان المجرم الجنسي سوف لا يحتمل أن يذهب للسرقة باستخدام العنف أو أن يتجول مع رفقاء الاحتيال أو المخادعة.

أن ملاحظات من هذا النوع ربما تكون معبرة وذات ايحاء ولكن هناك ظروف كانت فيها مضللة. ولذلك فانه دائما لذلك شيء صالح أن نخضعها للبحث المنهجي واشهر بحث في هذا الموضوع تم منذ نحو اربعين عاما مضت بواسطة فريق من الباحثين السيكولوجيين الامريكيين، وكان يقوده هارت شورن وماي.

Hartshorne and may

لقد قاما ببحث في غاية الدقة في موضوعنا هذا، واستخدما عينة كبيرة جدا من الاطفال ولم يجر عمل يشابه هذا في الحجم منذ ذلك التاريخ، وعملها رغم عدم حداثته ما زال يمثل أهم مجموعة من النتائج أو الاكتشافات التي تتوافر لدينا.

لقد استخدم هارتشورن وماي بطارية من الاختبارات صممت خصيصا. والمقاييس التي صممت لقياس جوانب مختلفة من الخلق، بعضها كان يهتم بالغش والخداع وبالطبع بعكسهما... اي الامانة. وبعضها كان يختص بالسرقة والبعض الاخر يختص بسمات مثل التعاون والضبط الذاتي. كانت الاختبارات في معظمها مصممة بصراحة، وبصفة خاصة، بحيث أن المفحوصين كانوا قادرين على قبولها كجزء من خبراتهم اليومية، أكثر من كونها اختبارات خاصة كما نعلم، في الحالة الأخيرة الناس غالبا، ما يحاولون اعطاء أفضل(١) انطباع ممكن لدرجة أن النتائج ليست دائما دقيقة.

أمثلة قليلة سوف تعطيك فكرة عن الطريقة التي سار عليها هارتشون وماي في هذا العمل. كانا يرسلان الطفل لشراء شيء ما، وعن طريق تدبير سابق، كأن

---

(١) يوجد في الانسان نزعة نحو رياء الذات أو تملقها تجعله يعطي انطباعا حسنا عن نفسه عندما نوجه اليه بعض الأسئلة التي تقيس السمات المقبولة المرغوبة اجتماعيا وخلقيا كالكرم والتعاون فيغالى في تقدير ذاته على السمات الايجابية بينما يقلل من درجاته على السمات غير المقبولة ولذلك ينبغي مراعاة هذه النزعة عند تطبيق اختبارات الشخصية.

يعطيه البائع باقيا من النقود ازيد من حقه. وكان هناك تسجيل لكيفية استجابته لهذا. وفي تجربة أخرى اعطى للاطفال ما يبدو على أنه اختبار عادي للفصل. وكان يسمح لهم بعد ذلك بتصحيح هذا الاختبار بانفسهم دون أن يعرفوا أن هناك تسجيلا قد عمل لاجاباتهم الاصلية وذلك لكي يمكن تتبع واكتشاف الغش في تغيير الاستجابات.

ومنطق هذا البحث كان بسيطا. إذا كانت الامانة مثلا سمة عامة، فاننا سوف نتوقع أن الاختبارات التي وصفت اعلاه وكثير غيرها مثلها سوف يكون بينها ارتباطات[1] عالية وايجابية مع بعضها البعض. هذا يعني أنه سيكون هناك نزعة لهؤلاء الاطفال الذين حصلوا على درجات عالية على واحد من هذه الاختبارات أن يحصلوا على درجات عالية على الاختبارات الاخرى أو للتعبير عنها بطريقة أخرى، انه سوف يكون هناك درجة عالية من التنبؤية بين نتائج اختبار ما واختبار آخر.

أن وصف هذا العمل، عندما نشر، وضع في ثلاثة مجلدات ضخمة وعلى ذلك فليس من الممكن أن نعطي هنا أكثر من مجرد هيكل عام سواء للاجراءات أو النتائج. ولسوء الحظ سيكون من الصعب على القارىء أن يحصل على صورة أكثر تفصيلا، لان هذا العمل قد نفذ من الطبع، ومن غير الشائع إلى حد ما، أن يكون بين ممتلكات حتى المكتبات المتخصصة أن طبعة جديدة أو موجزاً أو ملخصاً قد نفذ من مدة طويلة ومهما كان، هناك نتيجتان تتصلان اتصالا وثيقا بما نحن بصدد مناقشته هنا:

١ ـ أن توزيع درجات الاطفال على الاختبار في كل المقاييس أكدت ما كنا

---

(١) معاملات الارتباط: عبارة عن تعبير احصائي عن العلاقة بين متغيرين أو اكثر وتعبر عن العلاقة بين متغيرين وقد تكون هذه العلاقة طردية بمعنى أن الزيادة في احد المتغيرين يتبعها زيادة في المتغير الاخر وأن النقص يتبعه نقص في الاخر وقد تكون عكسية بمعنى أن الزيادة في المتغير الأول يتبعها نقص في المتغير الثاني وتتراوح قيمة معامل الارتباط بين +، ـ ١ ويختلف الارتباط عن العلية أو العلاقة السببية فاذا ترابط العامل (أ) مع العامل (ب) فليس من الضروري أن يكون أحدهما سببا في وجود الآخر.

نعتقد فيه ليكون التوزيع المحتمل للسمات الخلقية، ونعني بذلك أنها لا تخضع للفئات المنفصلة ولكن يمكن تمثيلها على شكل مستمر ذلك الذي يملء فيه كل موضع.

٢ ـ فيما يختص بمسألة السمات الخلقية العامة أو النوعية فان الارتباطات الداخلية بين الاختبارات، على الرغم من كونها ايجابية تميل أن تكون ضعيفة ولقد عنى هذا أنه لم يكن ممكنا أن نستخدم استجابة الطفل في موقف خلقي واحد لكي نعمل تنبؤا دقيقا لأدائه في موقف آخر. وخلص المؤلفان لذلك بان السلوك الخلقي يتميز بنوعيته.

ومنذ ذلك الحين، اختلف عدد من الناس مع هذا التفسير، بينما قبلوا الاجراءات التي بنى عليها. دراسات التحليل العاملي التي استخدمت تقنيات احصائية اكثر تعقيدا عما كان متوافرا للمؤلفين الاصليين، قد اوحت بوجود عامل عام ضعيف للاخلاق، ذلك الذي يوجد مشتركا في كل الاختبارات. وحديثا وضع ايزنك Eysenck حجة اكثر تطرفا مجادلا أن النوعية الكاملة سوف تقود إلى معاملات ارتباط داخلية قيمتها صفر تقريبا. أن حقيقة كون الارتباطات ايجابية لكافية لنا لكي نرفض فرض النوعية. هذا ربما يبالغ في صياغة القضية.

والآن كثير من قراء هذا الكتاب يحتمل أن يكونوا غير ملمين بالتفسيرات الاحصائية من هذا النوع. أنه يحتمل أن يكون جديرا، اذن أن نشرح في الفاظ غير احصائية ـ ما الذي يتضمنه هذا بالضبط، وخاصة وأن مثل هذا النوع من الادلة كثير من الشيوع في مثل هذا الموضوع، وفي الحقيقة نفس هذه النقطة التي تدور حول معنى معاملات الارتباط الضعيفة سوف تأتي في فصل آخر.

أن المنطق وراء تفسير أو تأويل مثل هذه الارقام انما هو سهل ومباشر الارتباط يقيس إلى أي مدى يرتبط شيئان، أو لنعبر عنها بطريقة أخرى. الدرجة التي نستطيع أن نتنبأ بها بوجود شيء من معرفتك بالآخر.

فاذا كان الجمال والعقل يرتبطان ارتباطا عاليا «تقريبا» فاننا نستطيع أن نتنبأ بنتائج مباراة للجمال عن طريق النظر في نسبة ذكاء المتسابقات. مثل هذه الدرجة العالية من الارتباط قد تذهب أحد المذهبين. فربما تعني أن ـ أولئك الذين لديهم أعلى نسب للذكاء كانوا اكثر الناس جمالا، في مثل هذه الحالة لدينا ارتباط ايجابي

أو أن اكثرهم جمالا ربما يكونوا الاقل ذكاء وفي مثل هذه الحالة الارتباط سلبي. ولكن في كلا الحالتين استخدام مقياس للجمال أو للذكاء سوف يساعدنا في التنبؤ كيف نقدر عددا من البنات على المقياس الاخر، والتنبؤ سوف يكون على درجة معقولة من الدقة. ولكن اذا «كما يحتمل أن تكون الحالة في الحقيقة» كانت الارتباطات تدور حول الصفر، مشيرة إلى عدم وجود صلة بين الخاصتين، لا نستطيع أن نعمل تنبؤات دقيقة من هذا النوع على كل حال وهذه نقطة هامة جدا وغالبا ما يساء فهمها ـ هذا لا يعني أن اجاباتنا خاطئة كلها، مثل هذه الحالة سوف توضح أن هناك درجة عالية من الارتباط ولكننا كنا نعمل التنبؤات الخاطئة ـ مستخدمين مقياسنا بطريقة خاطئة على طول الخط اذا لم يكن هناك ارتباط فاننا سوف نتوقع أن تكون تنبؤاتنا صحيحة بمقدار ـ ما يحدث بالصدفة ـ في مثالنا في حوالي ٥٠٪ من الحالات.

دعنا نطبق هذا على مسألة العمومية والنوعية اذا كان السلوك الخلقي عام كلية، سوف نكون قادرين على التنبؤ بدقة من أي موقف أخلاقي بحدوث الاخر فاذا كان شخص خلقيا أو لا خلقيا في ادارة أعماله، فان معرفتنا بذلك سوف تساعدنا لنقول عما اذا كان سيكون خلقيا أو لا خلقيا في ادارة منزله، ولكننا قد رأينا أن ـ الارتباطات التي قررت، على الرغم من كونها ايجابية، كانت ضعيفة نحن نعرف الان ماذا يعني هذا. إذا كان عليك أن تحاول أن تعمل عددا كبيرا من تنبؤات من هذا النوع فستكون على صواب في اكثر من نصف احكامك. مثلا حوالي ٦٠ إلى ٧٠٪ من الحالات.

نستطيع أن نفهم، اذن، ما الذي قصده ايزنك مثل هذا النوع من الارقام يعني انه بالنسبة لنسبة كبيرة من الحالات فان الفرد يتوقع له أن يسلك تبعا لسماته الخلقية العامة.

ولكن ينبغي ألا ننسى تلك الحالات التي تمثلها الـ ٣٠ إلى ٤٠٪ الباقية على الرغم من أن هذه اقلية، انها اقلية أساسية تدل على أن هناك ظروفا كثيرة من هذا، لا تتفق اعمال الفرد فيها مع سماته الخلقية العامة.

ان المشكلة تكمن في ميل الناس لمحاولة وحل مسائل من هذا النوع بمعاملتها

كما لو كانت تعرض علينا بدائل بسيطة، كما لو كانت موضوعات لمجتمع يتناظر حيث يصبح عليك أن تصوت مع أو ضد الفكرة. في الحقيقة يتميز السلوك الخلقي بكل من النوعية والعمومية.

كيف يكون ذلك ممكنا؟ انه ليس متناقضا بأي حالة من الاحوال إذا افترضنا ان وجود عامل عام ذلك الذي لا يعد وحده المحدد للسلوك الخلقي. وربما نجد ـ على سبيل المثال ان الاخلاق تشبه الذكاء من حيث وجود عامل عام يعمل مشتركا مع عدد من العوامل النوعية ويبدو الفرق في هذه الحالة، في أي تفسير لنتائج هارتشورن وماي، ان العامل العام في الاخلاق اقل تأثيرا بكثير بالمقارنة مع عوامله النوعية عما هو الحال بالنسبة للعامل العام في الذكاء.

هذه الدرجة من النوعية يمكن تفسيرها بطريقتين:

أولا: يمكن أن تحكم استجابة الفرد بمواقف بيئية معينة. انه لا يحصى على سبيل المثال، بعض الأشياء كأمور خاصة بالسلوك الخلقي، ولذلك لا يطبق القواعد عليها يحتمل ان يكون هذا حيث نجد، خلافا لذلك اناسا امناء يعبثون بتقارير ضرائبهم، أو يحضرون زجاجات اضافية من البراندي أو لفافة اضافية من السجائر اثناء عبورهم الجمارك. أو ربما نجد ان الناس لديهم انماط مختلفة من القواعد التي يطبقونها على المواقف المختلفة. فقد يكون للطفل اخلاق معينة في المدرسة واخرى في المنزل وثالثة عندما يلعب مع الشلة.

ثانيا: ربما لا تكون الاخلاق سمة شخصية بسيطة. المقارنة بين نتائج النوعية وبين بناء الذكاء ربما تساعدنا هنا. فاذا كان السلوك الخلقي يتحدد ببعض السمات العامة التي تعمل مرتبطة مع عدد من السمات النوعية، فاننا ربما نتوقع ان المواقف المختلفة اما في الحياة الواقعية او في الاختبارات المعملية، يجوز ان تقرع سمات مختلفة، اما منفردة او مشتركة مع بعضها البعض وفي مثل هذه الحالة فان السمات المختلفة سيكون لها أوزان مختلفة وكما رأينا، يتفق هذا مع الادلة، ولكننا نحتاج لمزيد من المعلومات ومعلومات من نوع مختلف قبل ان تصبح «السمات» أو «العوامل» شيئا وصفيا أكثر من مجرد هويات احصائية.

الفصل الثالث

عناصر السلوك الخلقي

يقودنا هذا الى النقطة الثانية الرئيسية التي نتناولها في هذا الفصل، في الماضي كان هناك نزعة لمناقشة الاخلاق كما لو كانت خاصية مفردة تعبر عن نفسها في الافعال مثل هذا الاتجاه كان في الغاب مرتبطا بمحاولات في التربية الخلقية. ولقد كان يفترض ان الاخلاق تتكون من امتلاك المعتقدات الصواب، أو القيم الصواب، وكان ينظر للتربية الخلقية باعتبارها تهتم اساسا بغرس مثل هذه القيم أو حتى غرس لمعتقدات الصواب.

ولكن هذا يجب ان يكون رأيا ساذجا جدا، انه لا يمكن بأي حال من الاحوال أن يكون صحيحا ان الشخص اذا كان يعتقد في الشيء الصواب فانه ايضا سوف يسلك الطريق الصواب. فان رجلا قد يعتقد مخلصا بأنه من الخطأ ان يلكم شخصا آخر من أنفه، بيد انه ربما يهاجم فيزيقيا الناس في كل مرة يعتدون عليه. ربما يقال عنه انه يفتقر بعض السمات، مثل الضبط الذاتي ذلك الضروري لوضع مبدأه موضع التنفيذ. مرة اخرى ربما يعتقد الشخص انه ينبغي عليه أن يريح الشخص الحزين، وانه واجب خلقي ملح ينبغي عمله وربما، على كل حال يفشل باستمرار أن يفعل ذلك. وربما يكون غير قادر على التعرف على من هم الناس التعساء وربما يكون أحمق اجتماعيا لدرجة تجعل اولئك الناس الذين يحاول أن يريحهم يصبحون اكثر حزنا عما كانوا عليه في اول الامر. ونحن سوف ربما نتردد في وصف مثل هذا الشخص بأنه غير اخلاقي، ولكنه من الواضح انه كذلك على القليل، انه غير فعال اخلاقيا.

اذن السلوك الخلقي مسألة أكثر تعقيداً من مجرد وقوعه في مجموعة من القيم يحتاج الفرد الى خصائص معينة كي يضع اخلاقه موضع التنفيذ، ليست الاخلاق شيئا للاعتقاد فيه ببساطة، ولكنها شيء يجب أن يوضع موضع الممارسة فتسمية

شخص ما بأنه «اخلاقي» لا تكفي للقول بأن لديه نوايا حسنة، ومن ناحية اخرى، ولا يكفي ايضا ان نقول ان الشخص الخلقي هو الشخص الذي يسلك بطريقة خاصة ان النوايا الحسنة ضرورية أيضا.

لقد رأينا من الامثلة السابقة ان السلوك الخلقي ربما يتضمن عددا من العناصر المختلفة. في هذين المثالين فقط يمكن أن نميز: عامل الاعتقاد أو المبدأ، درجة ما من التقمص[1] العاطفي أو البصيرة بمشاعر الناس الآخرين، انها قدره للتنبؤ بنتائج افعال المرء: سمة ضبط النفس ومهارات اجتماعية وشخصية.

لقد وضع «جون ولسون» Jhon Wilson مدير وحدة بحوث التربية الخلقية في فارمنجتون Farmington نموذجا تصوريا لخواص الشخص المتعلم خلقيا، هذا النموذج يصف عددا من العناصر... واحدة من الصعاب التي تواجه مؤلف مثل هذا البرنامج هو ان الكلمات التي تبدو ظاهريا ملائمة مثل «الاهتمام» أو «المعقولية» هي بالفعل محملة بمعان تأتي أو منقولة من استخدامات اناس آخرين لهذه الكلمات لدرجة أنها تصبح عائقا للاتصال بدلا من كونها وسيلة من وسائله. وغالبا جدا ما يوجد عند القارىء مثل هذه الأفكار المختلطة حول ما تعنيه مثل هذه الكلمات لدرجة أنه لا ينتظر لكي يكتشف ما الذي يحاول أن يقوله المؤلف.

ولقد تغلب ولسون على هذه المشكلة بوضع أسماء جديدة لعناصره: كلمات أحادية المقطع يسهل تذكرها مشتقة من جذور يونانية تتصل معانيها بمميزات العناصر المختلفة. العناصر هي: PHIL, EMP, GIG, DIK الـ PHIL تشير الى اتجاه بفضله يعتبر المرء مشاعر الناس الآخرين واهتماماتهم يعتبرها حقيقة أو يعتبر أنها تزن مثل مثيلاتها عنده أو يقبلها كأن لها فاعلية مساوية لفاعلية مشاعره ورغباته. يبدو أنه من الممكن تمييز متغيرين. يمكن أن يختلف الأفراد بالنسبة لعدد الأشخاص أو للجماعات الذي يمكن أن ينطبق عليهم نسبة الشخص في التساوي، أننا نشير

---

(١) التقمص او التوحد: من الحيل او العمليات اللاشعورية التي بموجبها يكتسب الفرد بعض او كل سمات الشخص الذي يتقمصه او يتوحد واياه كما يتقمص الطفل شخصية أبيه وقد يكون التقمص مع فرد أو جماعة أو شعار أو نداء أو فلسفة أو مبدأ أو مذهب سياسي ويظهر التقمص في حالات التصوف وفي حالات الحب العميق حيث تذوب شخصية الحبيب في محبوبه.

إلى هذا باعتباره مدى العنصر الأول أي الـ PHIL ويمكن تمييز الأفراد على البعد الذي يشبه أحياناً «قوة الاقناع أو الإيمان الراسخ» ونحن نشير إلى هذا كقوة لعنصر الـ PHIL في المناقشات الخاصة بهذا العنصر PHIL فان كلمة مساو تعني ببساطة أن الشخص يعتبر الآخرين كما لو كانوا يمتلكون نفس الحقوق التي يمتلكها هو نفسه. ولهم الحق في اعتبارات مساوية. وليس من الضروري منطقيا أن الشخص ينبغي أن يشعر بأي تعاطف خاص تجاه الشخص الآخر «على الرغم من أنه من الممكن أن يكون ذلك كذلك في مثل هذا الشعور»، وكان فعلا، ضروريا لنمو هذا الاتجاه.

يمكن اعتبار هذا العنصر PHIL على أفضل اعتبار كاتجاه أو توجيه نحو الناس الآخرين أكثر من كونه متضمناً بالضرورة وجود مبدأ مكون شعوريا في كل الحالات.

أما عنصر الـ EMP فيشير إلى قدرة، وأعنى بها الوعي أو الاستبصار في مشاعر الشخص نفسه ومشاعر الناس الآخرين... انها القدرة على معرفة ما هي هذه المشاعر والقدرة على وصفها بدقة.

ويشير GIG للتحصيل وأعنى بذلك اتقان المعرفة الحقيقية الملائمة. لاتخاذ قرارات خلقية صحيحة لا يكفي عنصر الـ PHIL والـ EMP. ويحتاج المرء أن يكون لديه فكرة معقولة عما ستكون عليه نتائج أفعاله، وليس هذا كلية من شأن الـ EMP وهكذا فان الشخص قد يكون لديه EMP كافيا لمعرفة أن تجربة الزنجي في الألم تشبه تلك التي يخبرها الشخص الأبيض، و PHIL كافية لتتلائم معه في عمل القرارات الخلقية ولكن من خلال الجهل الخالص أكثر من كونه نقصا في الـ EMP ربما يعتقد، مثلا أن الزنوج لديهم نهايات عصبية أقل أو لديهم جماجم أكبر سمكا وعلى ذلك فانهم لا يشعرون بالإهانة أو الأذى بسهولة وبالمثل فان ماري انطوانيت Marie-Antoinette التي قالت دعهم يأكلون كعكا «ربما كانت تفتقر إلى عنصر الـ GIG أكثر من افتقارها إلى عنصري الـ EMP والـ PHIL.

تشير المهارات الاجتماعية أيضا إلى التحصيل أو الانجاز ولكنه تحصيل يختص «بمعرفة كيف» أكثر كونها معرفة أن «الأخيرة عبارة عن عنصر الـ GIG أننا نهتم

هنا مبدئيا بالكفاءة في لعب الادوار الاجتماعية والشخصية التي ربما يختارها الفرد لكي تفرض عليه. وعلى ذلك بين الناس الذين يمتلكون نفس المقدار من الـ EMP والـ PHIL الخ. سوف يكون البعض أكثر نجاحا عن البعض الآخر في جعل الشخص الآخر يرى أنهم يعتنون ويتعاطفون ويتفهمون... الخ وأنهم يفعلون شيئا فعالا لمساعدة هذا الشخص.

DIK تشير إلى التكوين العقلي لكل من الـ EMP والـ GIG على أساس من الـ PHIL تكوينها في شكل مجموعة من القواعد أو المبادىء الخلقية تلك التي يلزم الفرد نفسه بها، باستعمال كلمات عامة مثل «خير» و «صواب» الخ، حيث أن هذه القواعد تتصل باهتمامات الناس الآخرين. ربما يكون هناك اناس ماهرين في عنصر الـ PHIL والـ EMP والـ GIG الذين رغم ذلك لا يضعون كل ذلك معا لصياغة مجموعة ثابتة ودائمة من مبادىء ارشاد السلوك أو الذين يستقون مبادئهم الخلقية أو مبادئهم الخلقية الزائفة «بطريقة غير عقلية يستقونها من مكان آخر».

والـ Krat تغطي تلك العوامل أو الخواص التي تساعد الشخص لكي يستدعي خواصه الخلقية الاخرى، الـ PHIL, EMP, GIG, etc لكي تنطبق على موقف تلك التي تحذره أولا للموقف وتدفعه للتفكير فيه بطريقة متعلمة خلقيا وثانيا تلك الخواص التي تساعده بالتبعية لكي يترجم قراره إلى فعل مناسب. هذه الخواص يمكن وصفها تقريبا كتلك التي تؤدي إلى الحل.

اذا كان لهذه العناصر ان تساعدنا في فحص النمو الخلقي يجب أن نتأكد تماما أننا نفهم ما تمثله بدقة. سوف يكون مغريا ان ننظر لكل واحد منها كسمة سيكولوجية موحدة، ولكن لحظه من التأمل سوف توضح ان ذلك ليس بالضرورة كذلك ان نموذجا تصوريا كهذا يضع الصفات الضرورية في قائمة الأشياء التي يجب أن يكون الشخص قادرا على عملها ـ لكي نعتبره خلقيا. ولكننا لسنا محقين أن نترجم هذه المتطلبات في قاعدة بسيطة واحد لواحد إلى مميزات سيكولوجية.

ربما مثال أسهل من الأخلاق سوف يوضح ذلك. يمكننا أن نقول أن المتطلبات المنطقية للشخص الدقيق تتضمن: أن يكون قادرا على معرفة الوقت أن يكون قادراً على تنظيم رحلاته، قادرا على احترام مشاعر الآخرين، ولذلك فانه بطريقة أخرى

سوف لا يعبأ ببقاء الآخرين منتظرين، وبالطبع فانه لا بد وأن يكون لديه ساعة يد أو ساعة حائط أو على الأقل أن يكون قادرا على النظر في واحدة عند الضرورة. عندما تأتي إلى ترجمة هذه إلى مصطلحات سيكولوجية سنجد أننا أمام حقيبة مختلطة. الاخبار بالوقت يعد مهارة بسيطة نسبيا، يمكن معاملتها كسمة موحدة من أجل أغراض قياسها، ولكن انمائيا هي ذاتها محملة بمهارات أخرى مثل القراءة معرفة الأرقام ووجود بعض المفاهيم المعينة المتعلقة بالمكان والحركة. هذه المفاهيم الأخيرة يجب أن تلعب دورا في قدرة الفرد لتوجيه نفسه نحو المكان الصحيح وفي الوقت الصحيح.

الاحترام للآخرين، من ناحية اخرى سوف يثبت جيدا أنه سمة خلقية موحدة بالنسبة للمطلب الأخير أنه ليس بأي معنى خاصية سيكولوجية على الإطلاق، على الرغم من انها ربما تكون متصلة بطريقة غير مباشرة بسمة سوسيولوجية.

ويصدق نفس الشيء على عناصر الأخلاق. فان الـ EMP هي بوضوح نسبي مهارة من نوع ما، على الرغم من كونها مهارة معقدة إلى حد ما بالمعنى السيكولوجي PHIL هي اتجاه. أما المكانة السيكولوجية للعناصر الاخرى فمن الصعب تحديدها.

ولكن على الرغم من عدم وجود تطابق واحد لواحد، فان نموذج من مثل هذا النوع يخدم فعلا غرضا مقيدا في توضيح نوع الاشياء التي نحن بصدد البحث عنها.

نموذج متعدد الابعاد:

اننا نتعامل اذن، بالإضافة إلى العامل الفرضي العام الذي لا نستطيع أن نحدده في هذه اللحظة، نتعامل مع عدد من العوامل المقننة التي تتضمن قدرات معرفية وقدرات اجتماعية واتجاهات.

السلوك الخلقي هكذا يحتمل ان يبرهن ان يكون متعدد الابعاد واي تفسير محدود كأن يكون مثلا تفكير الطفل الخلقي او سلوكه الخلقي، يأخذ في الاعتبار فقط جانبا واحداً فقط من الموضوع.

ويحتمل ان يكون ذلك هاما لرأينا في بناء السمة الخلقية ـ الرأي الجامد ـ ولاجل نمو الطفل الخلقي.

ولمناقشة أول هذه: سوف تتذكر انت انه في بداية هذا الفصل فحصنا بأن الراي القائل بأن الاخلاق توزع على طول مقياس مستمر. اذا كان ذلك كله لها، سيكون من السهل مقياس النمو الخلقي أو نتائج التربية الخلقية لان ـ على القليل من حيث المبدأ ـ الافراد يمكن وضعهم في ترتيب حسب رتبهم أو على مقياس للاخلاق. يتراوح او يمتد من الاكثر اخلاقا الى الاقل اخلاقا ولسوء الحظ لا يحتمل ان يحدث ذلك في الواقع العملي.

العوامل التي ناقشناها تختلف في النوع. على الرغم من أن بعضها ربما يميل إلى أن يعمل معا، يجب علينا أن نكون مستعدين أن نجد في حالة الاخرين أنه لا يوجد اتصال ضروري بين درجات الفرد في واحدة ودرجته في أخرى، أن الارتباطات الداخلية للدرجات، بعبارة أخرى قريبة من الصفر هذا، كما رأينا لا يمنع امكانية المصححين المرتفعين بشكل عام أو شامل أنها تعنى ببساطة أن[1] التنبؤ الدقيق لا يمكن عمله. أن العوامل عمودية أو قائمة الزواية أو تقع على زاوية قائمة الواحد منها بالنسبة للآخر.

أن هذا الموقف موقف مألوف في سيكولوجية الشخصية. لقد توضح ذلك بجلاء في عمل ايزنك عن الانبساطية والعصابية «انظر أيصاكاتل» في التعامل مع سمة شخصية مفردة مثل الأنبساطية فان وضع الأفراد في رتب هو عمل بسيط إلى حد ما: أن مكانة الفرد تظهر كنقطة على طول خط مستقيم ولها علاقة واضحة مع كل النقاط الأخرى بقدر ما يخص الترتيب الرتبي. ولكننا إذا قدمنا مقياسا ثانيا مثل العصابية، الذي هو عمودي مع الأولى يجب أن نوضح مكانة الفرد في متغيرين دفعة واحدة.

يمكن أن يتم ذلك فقط عن طريق تمثيله بنقطة وليس على خط، ولكن في المنطقة التي تعرف أو تحدد بواسطة مقياسين مستقيمين موضوع كل منهما على الزاوية المستقيمة للاخر في مثل هذه الحالة فان فكرة وضع الناس في ترتيب رتبي تصبح أقل فائدة. حقيقة، هذه الحالات حيث يسجل نفس النوع من الدرجة لكلا

(١) التنبؤ: طويل المدى يصعب عمله في علم النفس ولكن التنبؤ قصير المدى يمكن تحقيقه فنستطيع اذا عرفنا ذكاء طفل أن نقرر مدى نجاحه في نهاية العام الدراسي فقط.

المتغيرين يمكن أن يوضح بوضوح كاف بالنسبة لكل منهما وبالنسبة لبقية أبناء المجتمع ولكن في الحالات الاخرى حيث يحصل الفرد على درجة أعلى في متغير من المتغيرين - عنها في المتغير الاخر لا يمكن وضعه في رتبه ما لم نصدر حكما قيميا بأن نقول أن أحد المتغيرين أكثر أهمية ما لا نستطيع عمله هو أن نجمعهما معا ونعاملهما كدرجة واحدة. لنفرض الان أننا أضفنا متغيرا ثالثا وأنه عمودي على الاثنين الاخرين، في هذه الحالة، فان مراكز الافراد النسبية الواحد منهم الاخر يمكن أن تمثل كنقاط على فراغ ثلاثي الابعاد - أنه مكعب معرف بالمقاييس الثلاثة هو الذي نهتم نحن به هنا مرة ثانية الدرجات العالمية والمنخفضة على كل المقاييس الثلاثة تكون مميزة بوضوح كلف، ولكن الموقف يظل غامضا بالنسبة لأولئك الذين يحتلون درجات وسيطية أو نتائج مختلطة.

هذا هو الموقف الذي يحتمل أن يواجهنا في محاولتنا الوصول إلى أعتبار عام أو شامل للسلوك الخلقي، فيما عدا أننا يحتمل ان نتعامل مع أكثر من ثلاثة عوامل وسيكون من الصعب لذلك تصميم أو بناء نموذج فعلي يستطيع فيزيقيا أن يمثل المواضع النسبية. هذا يعني انه، فيما عدا عدد صغير من الحالات المتطرفة، لا نستطيع ان نحاول بفائدة ان نميز بين الناس عن طريق مقياس واحد للخير الخلقي ولكن ينبغي ان نأخذ في الاعتبار الطرق المختلفة التي ربما يقع فيها الناس.

ينطبق الاتجاه المتعدد الابعاد على مسألة النمو الخلقي للطفل. كثيرا من الناس عندما ينظرون في هذه المسألة، يضعون تحت عنوان النمو الخلقي جانبا هاما، مثل تفكير الطفل الخلقي، نمو الضمير، الوعي الاجتماعي... أو هكذا، هذه العناوين بالطبع هامة ولكنه من المضلل أن نضعها بطريقة تدعنا نعتقد اننا نتعامل مع كل الموضوع. في النظر للنمو الخلقي، نحن لا نحتاج فقط لكي نعرف كيف يتغير تفكير الطفل الخلقي أو كيف ينمو ضميره، ولكن ايضا نعرف نموه أو نمو اهتمامه بالناس الآخرين، وأي من القدرات تكون ضرورية للتعبير عن اهتمامه ووضع مبادئه موضع التنفيذ.

يقودنا هذا فورا الى صعوبة... فان كل من هذه الاشياء ربما يتوقع أن ينمو بطريقته الخاصة استجابة ربما لعوامل يختلف بعضها البعض ايضا لا تعمل مستقلة،

فان نمو واحد منها يتوقع أن يؤثر على نمو العوامل الأخرى بوضوح، اننا نحتاج أن نعمل ما توصى به كتب نمو الاطفال بان تأخذ وجهة نظر شاملة وعامة اكثر من معاملة كل واحدة كما لو كانت توجد منعزلة. ولكن هذا يحتمل أن يتضمن درجة من التلاعب العقلي التي يستطيعها العقل البشري، ان كل ما نستطيع أن نعمله في الغالب هو أن ننظر الى الابعاد المختلفة للاخلاق منفصلة. بينما نتذكر انه يوجد درجة كبيرة من التفاعل.

هذا، في الحقيقة، سيكون النموذج الذي سنتبعه في هذا الكتاب. سوف نبحث قليل من الجوانب الأكثر أهمية من النمو الخلقي وفي الفصل الأخير سوف نراجع بسرعة على المادة مرة ثانية لكي نقترح برنامجا شاملا للنمو.

ملخص:

اننا لا نستطيع أن نضع الناس في فئات مميزة بحدة للاخلاق الطيبة والاخلاق السيئة ولا نستطيع أن نضعهم على طول بعد واحد للاخلاق. هناك أدلة أن كثيراً من السلوك الخلقي هو نوعي وخاص بمواقف معينة.

لقد اقترح ان أنفع اتجاه هو ذلك الذي ينظر للسلوك الخلقي كشيء يعتمد على عدد من الخواص المنفصلة التي يمكن النظر اليها على انها متغيرات عمودية.

الفصل الرابع

الاهتمام

هناك منظر في رواية جراهام جرين «الرجل الثالث» الذي يحدث في احدى - السيارات الخاصة بالجريت ويل Great wheel في البرشير في فينيا بعد الحرب، يعرف مارتن ان مخادعة هاري لايم كانت موضوع للمزاد في السوق السوداء الخاص بالبنسلين المغشوش.

قال مارتن «هل سبق لك أن زرت مستشفى الاطفال؟ هل رأيت أي من ضحاياك» هاري ألقى نظرة على منظر لعب الاطفال السفلي وخرج من الباب.

«أنا لم أشعر بالامان تماما في هذه الأشياء» قال هو. هو شعر بخلفية الباب بيده، كما لو كان خائفاً انه ربما يطير مفتوحا ويدفع به الى ذلك المكان الحديدي المضلع «ضحايا»؟ تساءل هو لا تكن مثيراً عاطفياً، يارولا. انظر اسفل هنا، استمر هو مشيرا من خلال النافذة على الناس يتحركون مثل الفراشات السوداء تحت قاعدة الطاحونة «هل تشعر حقيقة بأي شفقة اذا كانت واحدة من هذه النقط تتوقف عن الحركة الى الابد؟... اذا قلت انك سوف تحصل على عشرين ألف جنيه عن كل نقطة تتوقف، هل سوف تخبرني ايها الرجل العجوز ان احتفظ بنقودي بدون تردد؟ أم انك سوف تحصى كم من النقط تستطيع أن تستغني عنها؟ خالية الضرائب ايها الرجل العجوز. خالية الضرائب ايها الرجل العجوز... ثم اطلق ابتسامته الصبيانية التآمرية. انه الطريق الوحيد للادخار هذه الايام».

قبل ذلك بسنوات اكتشف تشيسترتون G.K. Chesterton فكرة مشابهة في احدى قصص الاب براون Father Brown في قصة المطرقة الطائرة وهي قصة بوليسية قصيرة، يوجد حل لاغتيال كانت فيه الضحية مقتولة بالضرب على الرأس بالمطرقة بالرغم من انه عقليا لم يكن هناك أي شخص قريب قربا كافيا بحيث

يستطيع أن يعملها. وفي نهاية القصة تم اكتشاف ان القتل ارتكب بواسطة كاهن مجنون حيث جلس على قمة برج الكنيسة والقى بالمطرقة على رأس الشخص أسفله كتعبير فيزيقي لحكمه الاخلاقي.

كلا المؤلفين ضربا على فكرة استخدام الارتفاع كرمز لفصل شخص ما أو عزله عن بقية البشر. عندما ينظر المرء من ارتفاع شاهق يرى أن كل شيء والناس متضمنون يحمل جانباً أقل معنى. الناس السفليين يبدون كما لو كانت حقيقتهم بطريقة ما تتضاءل في كلا المثالين اللذين اقتبسناهما مهما يكن، نستطيع أن نذهب الى ما هو ابعد من ذلك، ان الشخصيات المصورة ترى الناس الاخرين اقل اهمية ليس فقط عندما ينظر اليهم من فوق قمة الطاحونة الكبرى او من فوق برج الكنيسة ولكن في كل الاوقات.

هذان المثلان، يعرضان بوضوح تام، ذلك العنصر الخاص بالسلوك الخلقي الذي وصفناه في الفصل الاخير على انه عنصر الـ PHIL انه ليس حبا للناس الاخرين، أو أي شعور بالدفء نحوهم كشعور بحقيقتهم بالطبع، الشخصيات في هذه القصص عرفت بطريقة ما ان الناس السفليين كانوا حقيقة، ولكن عندما نقول ان الناس تضاءلوا في الحقيقة فاننا نعني انهم قد توقفوا عن أن يكونوا ذو أهمية وان مصائرهم ومشاعرهم قد أصبحت عديمة المعنى وأن حقوقهم كافراد، اذا كانت توجد على الاطلاق، اقل شرعية بطريقة ما عن حقوق المرء.

تقريباً كل الانظمة الغربية في الفلسفة الخلقية، سواء كانت في اتجاهها دينية او انسانية، قد وافقت ان الاعتبار المركزي للسلوك الخلقي هو في تأثير افعال المرء على الناس الاخرين.

وواضح في هذا الاتجاه فكرة ان للناس حقوقا متساوية. ولذلك فمن الممكن أن نجادل هذا الاهتمام للاخرين، الشعور ان لهم وجود حقيقي ومشروع في حد ذاته، هو سمة مركزية من طباعهم الخلقية. اننا نصل إلى نفس النتيجة إذا نظرنا إلى الادلة السيكولوجية: هؤلاء الناس الذين تنقص عندهم هذه الصفة يبدو انهم ضعفاء في كثير من جوانب السلوك الخلقي أيضا.

في هذا الفصل، سوف نناقش بعض الأدلة على أن الاهتمام التقديري كشرط

ضروري للسلوك الخلقي. وسوف ننظر في حالات حيث نعجز عن اكتشاف أسباب هذا الضعف. هذه الاسباب سوف تقودنا لتكوين النتائج حول متطلبات النمو السوي في هذا الاتجاه، واخيرا سوف ننظر الى أدلة أخرى من مجال نمو الطفل.

الحرمان:

أحيانا من الممكن أن نستخدم امثلة من النمو الشاذ كوسيلة للحصول على معلومات حول نمو الشخصية السوية. كل ذلك الجزء من دراسة نمو الطفل الذي اشتق من التحليل النفسي كان قد بنى، في المحل الأول، على اساس من الادلة الاكلينيكية هناك مخاطر في هذا الاتجاه، بالطبع. ولما كنا لا نستطيع في الغالب أن نقول مقداما أي الناس سوف يتطلب معالجة اكلينيكية، فان عملا من هذا النوع غالبا ما يكون راجعا للماضي. انه يبدأ من الاضطراب الحاضر ويحاول ان يلتقط ظروفاً في التاريخ الماضي للمريض التي يمكن ان تفسر الاضطراب وعلى هذا الاساس من الممكن بناء تفسير لكيفية حدوث النمو أو عن كيف حدث النمو. وإحدى الصعاب مع هذا الاجراء انه لا يكشف بالضرورة كم من الناس الاسوياء سوف يخبرون في مرحلة مبكرة ذلك الشيء الذي التقطناه كعامل سببي.

هذه صعوبة حقيقية جدا، ولكن العمل الاكلينيكي سوف يعطينا ارشادات هامة وعلى وجه الخصوص عندما يكون هناك اتصال واضح بين العمليات الشاذة التي يدرسها الاخصائي الاكلينيكي والجانب الخاص من السلوك السوي الذي هو موضوع اهتمام اخصائي علم النفس العام وهذا هو الحال في مثالنا الحالي.

في تراث علم الاجرام والجنوح سوف تجد اشارة مستمرة لحالة تعرف باسم السيكوباتية Psychopathy، لسوء الحظ، تستخدم الكلمة ويساء استخدامها في العديد من الطرق، ولكن هناك اضطراب معين في الشخصية يوصف صاحبه على انه السيكوباتي عديم العاطفة، الطفل عديم العاطفة أو الطفل المتجمد، ذلك الذي توجد حوله اتفاق كبير ان اكثر السمات السطحية اثارة لهذا النوع من سلوك السيكوباتي هي سماته اللاأخلاقية واللاإجتماعية. دعنا نوضح تماما اننا لا نتحدث ببساطة عن معتادي الاجرام. ان الطفل عديم العاطفة غير مبال تماما لمفهوم الاخلاق،

ولقواعد المجتمع، ولحاجات ومشاعر الناس الآخرين وهو بالتساوي لا يوجد لديه أي شعور بالذنب. طبيعيا، ويتبع ذلك انه جانح مصر دائماً، ولكن لا يتبع ذلك أن كل الجناح الدائمين هم سيكوباتيين.

يمكن النظر إلى السيكوباتي عديم العاطفة على انه نقيض الشخص صاحب النمو الخلقي السوي، ولهذا السبب فان دراسة للحالة ربما يتوقع أن تلقى الضوء على النمو الخلقي. ان أوجه الضعف في الشخصية السيكوباتية تتفق كما سنرى وقدرات الشخص السوي... الشخصية السيكوباتية تمثل الصورة السلبية لابعاد السلوك الخلقي. هذا هو الاتصال الواضح بين الحالات السوية والشاذة الذي اشير اليه آنفا.

لقد درس هذا الموضوع من جانب كثير من السيكولوجيين طيلة الثلاثين عاما الماضية، وعلى الرغم من انهم يختلفون دائما على مسائل التفاصيل، يتفق جميعهم تقريبا على النقاط الثلاثة الآتية:

١ - ان السيكوباتي[(١)] عديم العاطفة يظهر ضعفا واضحا في النمو الانفعالي وكان يوصف في الماضي بالضحالة في العاطفة، العجز في الشعور بالحب، عدم التأثير الشغوف في اغاظة اولئك الذين يحاولون المساعدة. عاجز عن تكوين علاقات دائمة مع الغير، وليس لديه أصدقاء بالمعنى الطبيعي للكلمة، فالناس الاخرون مجرد وسائل لاشباع حاجاته هو وسوف يرى القارىء في الحال العلاقة بين هذه الصفة وعنصر السلوك الخلقي الذي هو موضوع هذا الفصل، وسوف تناقش هذه النقطة مرة اخرى فيما بعد.

---

(١) السيكوباتية: اضطراب من اضطرابات الشخصية يعاني صاحبه من ضعف الضمير وعدم الاحساس بالمسئولية وعدم الرغبة في تحملها ويمتاز الشخص السيكوباتي بعدم الاحساس بالذنب أو بتأنيب الضمير بعد ارتكاب الاعمال الغير خلقية كما انه لا يستفيد من تجاربه في الماضي بل حتى لا يستفيد من العقاب ويمتاز بالعدوان والرغبة الجامحة في اشباع دوافعه على حساب الاخرين ولا تؤثر حالة السيكوباتية على ذكاء المصاب ولذلك نجد كثيرا منهم يشغلون مناصب لا بأس بها ولكنهم يتورطون في جرائم تحتاج إلى قدر من الذكاء كالنصب والاحتيال والتزوير والتزييف. وترجع اصابة هؤلاء إلى عدم نمو الضمير نمواً طبيعيا لانعدام الرعاية والاشراف الابوي وغالبا ما نجد هؤلاء بين جناح الاحداث ومحترفات الدعارة ويعجز المريض عن ضبط وقمع الدوافع المضادة للمجتمع والمضادة للقيم الخلقية.

٢ ـ يبدو انه فاقد الضبط الذاتي في هذا المجال، يمكن مقارنة سلوكه بسلوك اطفال ما قبل المدرسة. نحن لا نقصد انه بالضرورة فريسة لكل دافع عابر: ربما يكون هناك اعتبارات للنفعية او للمصلحة الذاتية غالبا ما يبالغ فيها، يميل الطفل عديم العاطفة ان يعتمد على ضوابط خارجية بينما يعتمد الشخص السوي على الضوابط الداخلية.

٣ ـ انه يفتقر إلى مشاعر الذنب. ربما يكون هذا الجانب اكثر الجوانب الفة لنا من خلال التقارير الصحفية عن السيكوباتيين الذين ارتكبوا جرائم التي اثارت انتباها واسع الانتشار. انه قادران يضرب سجينا عجوزا لكي يسرق مبلغا صغيرا من المال دون أي مشاعر بالذنب أو أي شعور بالأسف لأي شيء سوى انه هو نفسه قد قبض عليه ووقع في مشكلة.

كثير من الناس يعتبرون نقص الشعور بالذنب الصفة الاساسية للسيكوباتيين ولكننا سوف نرى في الفصل الخاص بالضمير أن الضعف الأول المذكور، نقص القدرة لاقامة العلاقات كاف لتفسير النقتطين الآخرتين ونستطيع أن نجادل، إذن أن ـ «عديم العاطفة» وصف ملائم، من حيث أنه يشير إلى السمة البارزة في هذا الاضطراب ونستطيع أن نجادل ايضا أن هناك اتصالا وثيقا بين هذه القدرة في الدفء العاطفي الانفعالي وجانب السلوك الخلقي الذي هو موضوع هذا الفصل...

أنه ليس من الضروري أن يتضمن عنصر الـ PHIL علاقة دافئة أو شعوراً بالحب تجاه موضوعاته، والاحرى أن وجود الروابط الانفعالية مع بعض أفراد البشر النوعيين يؤثر في اتجاهاتنا تجاه طبقات أعم من الناس. فالقول باننا نشعر بالاهتمام نحو الاطفال في افريقيا الذين يقاسون من سوء التغذية لا يتضمن أننا نمتلك مشاعر الدفء نحوهم كما نمتلك نحو اصدقائنا. ويبدو أن الأدلة توضح، على أي حال، أننا إذا كنا عاجزين عن تكوين علاقات انفعالية مع بعض الناس فنحن عاجزين عن الشعور بالاهتمام نحو أي شخص. أن البحث الذي عمل حول مصادر أو منابع حالة السيكوباتي عديم العاطفة سوف تقدم لنا مؤشرات مفيدة عن منابع أو مصادر الاهتمام، أن النقص البيئي الذي يسبب واحدا يوضح لنا الحاجة لتكوين الآخر.

أن التجارب التي تؤدي إلى ظهور السيكوباتية تحدث في السنوات القلائل الأولى

من الحياة، قبل تكوين الضمير بزمن طويل أو قبل تكوين القيمة الخلقية الواعية. هذا هو السبب الذي يجعلنا نعتبر الاهتمام بالاخرين ليس فقط تصوريا ولكن نعتبره أيضا بمعنى النمو الحقيقي، فهو مركزي وأساسي لمسألة السلوك الخلقي. أنه أيضاً السبب في نظرنا لهذا الموضوع قبل أن نستمر في النظر لتلك الموضوعات. قبل أن ننظر في تلك التي تخص الاخلاق بمزيد من الوضوح.

أن فكرة النقص من النوع الذي نستطيع أن نسميه نفسي أو اجتماعي ربما يكون لها آثار على نمو الطفل هذه الفكرة جاءت في تقارير تمتد في الوراء إلى عام ١٩١٢ في ذلك الوقت كانت النتيجة العادية هي الموت. لقد تقرر على سبيل المثال، كان هناك مؤسسة حيث كان لا يدخلها الطفل قبل سن عام واحد يظل على قيد الحياة حتى سن الثانية الظروف الفيزيقية والصحية لم يكون يخطأ فيها وكان السبب يظهر لذلك أنه يكمن في الظروف السيكولوجية أو الاجتماعية التي يوضع فيها الطفل. هناك حالة في الحقيقة مسجلة حيث كانت المؤسسة المعصومة والمعقمة صحيا قادرة عادة لجلب الشفاء للاطفال المتألمين بوضعهم في منازل للتبني ليست منظمة ولا صحية جدا ولكنها دافئة عاطفيا، سيدة ملونة.

ويبدو أن الاطفال الذين كانوا يعانون من الحرمان كانوا أولا قابلين بصورة شاذة للعدوى، وبنوع خاص عدوى التنفس وثانيا فلم يكن لديهم حافز ليساعدهم على التكيف مع هذا... والتقدم في العلاج الطبي منذ ذلك الوقت أكد أن هذه الآثار المرعبة قد اختفت، أن الطفل يحيا سواء أراد أم لا. ولكن العمل الحديث قد أوضح أن نسبة عالية من الأطفال الذين تربوا في ظروف المؤسسات قد نما عندهم الاضطراب الخلقي السابق شرحه آنفا.

في أول الامر كان يعتقد ان المؤسسة هي الجانية نفسها. وكان هذا صحيحا بمعنى من المعاني، على الرغم، كما سنرى من ان ذلك ليس دقيقا بما فيه الكفاية والسؤال الذي ينبغي طرحه هو: ماذا في المؤسسات الذي ينتج هذا الاثر المعين؟ عدد من الباحثين والعاملين في الحقل الاكلينيكي جمعوا مجموعة من الادلة التي اشارت إلى الحرمان الاموي كالسبب الرئيسي او الاساسي... فلقد قارن رين سبتس Rene Spits على سبيل المثال الاطفال المجرمين من الاناث اللائي كن في رعاية

امهاتهن في السجن قارنهن بالاطفال الذين كانوا موضوعين في بيت من بيوت الايتام. وينبغي ان يقول المرء ان الظروف الفيزيقية والاجتماعية كانت في صالح اطفال بيوت الايتام، ولكن في الواقع اطفال السجينات كن اكثر تقدما نموا. التفسير الوحيد الذي يبدو ملائما لهذا هو ان وجود ام الطفل كان ـ العامل المسئول او المحدد.

لقد اجريت ملاحظات من هذا النوع على مدى عدد من السنوات، وفي ١٩٥١ نشر جون بولبي John Bowlby تقريراً لمنظمة الصحة العالمية صاغ هذه المشكلة بوضوح جدا وعرضها على اهتمام جمهور اوسع. في هذا العمل المشهور الان هو بان الطفل يحتاج إلى علاقة دافئة ومستمرة وانه اذا غاب أو تحطم هذا فان الطفل يحتاج إلى علاقة دافئة ومستمرة وانه اذا غاب أو تحطم هذا فان الطفل سوف يظهر ذلك النوع من الاضطراب الخلقي الذي نحن بصدد مناقشته... نقتطان ينبغي ملاحظتهما على الرغم من انه في الظروف الطبيعية سوف تشبع هذه الحاجة بمعرفة أم الطفل، التي ستكون في اي حال مثارة بقوة أو مدفوعة بقوة لاشباع هذه الحاجة اكثر من اي شخص آخر لا يوجد ضرورة مطلقة لكي تكون هذه العلاقة مع نفس ام الطفل البيولوجية.

ان حاجة الطفل الى علاقة معينة وليست لشخص معين. في حالات تحطيم الاسرة بسبب الموت او المرض يمكن اشباع الحاجة عن طريق ام بديلة، على افتراض أن هذه الشخصية سوف تكون مدفوعة بما فيه الكفاية لكي تسلك ازاء الطفل مثل امه دفئا وثباتا.

اننا نفهم الان، اذن، ان المؤسسة كانت مهتمة فقط من حيث انها كانت تركز على الحاجات الفيزيقية اكثر من العاطفية. وفي بحث اكثر حداثة قارن بولبي بين اطفال المستشفيات واطفال غير المستشفيات وانتهى الى أنه من الخطأ ان نعتقد ان الاقامة في المؤسسة تؤدي بالضرورة او حتى في الغالب إلى شخصية عديمة العاطفة. وكما رأينا فان الحاجة الاولية هي حاجة عاطفية وحيث ان كل المؤسسات تقريبا تدرك الان العمل الذي أشرنا اليه هنا، فقد تغيرت الظروف بحيث لكي تسمح بتكوين العلاقات التي هي ضرورية.

المثيـر الحسي:

لا يتفق كل السيكولوجيين، على اية حال أن الحديث عن الحرمان العاطفي هو اجابة دقيقة بما فيه الكفاية. يجادل الكثير بالقول بان المطلوب هو المقدار الاقصى أو الاعظم من المثير الحسي النابع من البيئة. هذا، أيضا، يلائم الحقائق كما نعرفها ان الام تقدم اثارة حسية عن طريق رفع الطفل او حمله واحتضانه، والحديث اليه الى جانب المناشط الروتينية الخاصة بالتغذية والنظافة ان المحيط العائلي النمطي يميل الى أن ـ يقدم ايضا قدرا أعظم من تنوع الاثارة الحسية اكثر مما تقدم المؤسسة القديمة، الراشدون والاطفال يروحون ويجيئون وكل واحد تقريبا يقول كلمة للطفل، وهناك ايضا الراديو والتلفزيون. ان العلاقة العاطفية او الانفعالية، تبعا لهذا الرأي هامة من حيث انها تمد الام بالاثارة الكافية لكي تستمر في اشباع حاجات الطفل.

الدراسات التجريبية تميل لتأكيد الحقيقة القائلة بأن الاثارة الحسية ضرورية لنمو الطفل بالطبع، من الصعب تصميم تجارب على هذا الموضوع التي يمكن قبولها خلقيا لا يستطيع أحد في هذه الايام ان يفكر في اخضاع مجموعة تجريبية من الاطفال لحرمان يحتمل أن يكون مدمرا لكي يرى عما اذا كان التدمير ينتج فعلا منه. لقد كان من الممكن أن نوضح على أي حال، ان الاطفال الذين اعطوا فترات قصيرة من الاثارة الحسية قبل اعطاء اختبار في النمو حصلوا على درجات أعلى من أطفال المجموعة الضابطة الذين لم يتلقوا هذه الخبرة «تمت هذه التجربة تحت ظروف تجريبية مشددة التي استبعدت تطفل او اقتحام العوامل الاخرى».

ربما نتريث لكي ننظر نظرة عابرة، اشهر تجربة قادت إلى نتيجة عكسية، لقد تربت توائم الاناث حتى سن الثمانية شهور في ظروف عزلة تامة. أي أنه لم يعط لهن أي انتباه فيما عدا ذلك الانتباه الضروري للتغذية والصحة وفي نهاية هذه الفترة قورن تقدمهن بمعايير اطفال مثل سنهن من ابناء المجتمع ككل ولم يسجل أي فرق ذو دلالة. ولقد استنتج المجرب على اساس من هذا العمل، اننا نقوم بكثير جدا من الافعال في تربية الاطفال التي لا ضرورة لها ان المشكلة هي، بالطبع، ان معايير مثل هذه هي أساسا متوسطات، وان تحصيل ابناء المجتمع ككل في وقت

في عمر معين يتفاوت تدريجيا على كلا الجانبين. في غياب المجموعة الضابطة لا نستطيع ان نقرر ما إذا كانت البنات في هذه التجربة سيكن فوق المعيار اذا كان قد ترين -تربية عادية ويتعجب المرء لماذا «مفترضا ان المجرب يستطيع ان يرضى نفسه. ان مشروع البحث مقبولا على اسسس خلقية» لماذا لم يخضع البنات التوائم لنظم مختلفة، لكي يمكن قياس آثار العزل كفروق ارتقائية بينهن. في ضوء هذه النقاط لا نستطيع أن نقبل هذه التجربة على الرغم من انها تقتبس بتوسع في الكتب العلمية ـ لا نستطيع أن نقبلها كأدلة جادة لتقف ضد العمل الاكثر حداثة والادق بناءا في هذا الموضوع. يجب ان نخلص إلى انه من الواضح ان الاثارة البيئية تلعب دورا في نمو الطفل السوي.

ان ما فشل المجربون في عرضه، على وجه العموم، على اي حال، ان مثل هذا النوع من الحرمان يتصل نوعيا باضطراب خلقي معين. لقد كانت النتائج بصورة عامة في النمو بشكل عام متضمنه النمو العقلي والفيزيقي، اكثر من كونه في ضوء الفروق العاطفية بصورة نوعية ربما نستطيع أن نميز، اذن في ضوء الادلة المتوافرة، حاجتين ارتقائيتين منفصلتين ولكنهما متصلتان بتلاصق: مستوى مناسب من الاثارة الحسية الذي هو ضروري للنمو العام للرضيع، ويوجد، كما سنرى في فصل لاحق، ارتباطات هامة بين النمو العام والنمو الخلقي «وعلاقة دافئة مستمرة التي هي ضرورية او لازمة لتكوين ذلك الاتجاه للاهتمام المعمم نحو الناس الاخرين، الذي هو نفسه عنصر ضروري لكل السلوك الخلقي.

فكرة الذات:

هناك اتجاه آخر للمشكلة، الذي لا يلزم أن يقحمنا في صراع بما قيل آنفا. ويعني هذا التعامل مع نمو الطفل في معنى الذات. الطفل الحديث الولادة يولد مزودا بقليل من انماط السلوك الفطرية الضرورية للبقاء وتتكون هذه من استجابات مثل القبض على الأشياء والمص والبكاء وليس هناك إلا القليل الذي يستطيع أن يفعله انه لا يستطيع أن يركز على الأشياء بعينيه، ولا يستطيع أن يوجه حركات اطرافه، ليس لديه، بعد، ـ احساس بالهوية او الذاتية، وليس لديه تصور بالحدود بين ذاته وغير ذاته. واحد من واجبات مرحلة الطفولة المبكرة هو إقامة هذه الحدود.

وجزئياً بالطبع، يحدث هذا على مستوى النشاط الحسي والحركي لقد رأينا كيف تؤثر مثيرات البيئة على نظام الطفل الحسي وأن هذا يرتبط بتقدمه الاتقائي وبالاتزان أو الارتباط مع هذا يستكشف الطفل بيئته وجسمه يحدث هذا، في أول الأمر، خلال حركات عشوائية وغير موجهة، ولكن تدريجيا يتم التحكم الفيزيقي والاحساس بالذات ينمو ايضا بمعنى حياة الطفل الانفعالية عبر العلاقة الانفعالية الأولية التي تكون في الظروف العادية مع أمه. اذا لم تتكون هذه العلاقة فاننا نستطيع أن نجادل بالقول بان الطفل يفتقر فقط إلى النموذج الاصلي للاتجاهات اللاحقة الخاصة بالاهتمام بل ايضا هناك تضاءل على المستوى الانفعالي الخاص باحساس الطفل بذاته نفسها كهوية أو ذاتية. مثل النقص في مشروعيته يتضمن بالضرورة نقصا أو تقليلا في مشروعية الناس الاخرين.

طور الأنانية أو التمركز حول الذات[١]:

هناك كثير من السيكولوجيين الذين يجدون، عندما يصفون نمو الاطفال يجدون من المفيد أن يقسموا نمو الطفل إلى سلسلة من الأطوار[٢]. لكي تكون هذه الأطوار أكثر من مجرد تجميع للاحداث التي حدث أن كانت متآنية أو معاصرة لبعضها البعض تقريبا، في الغالب ما تترابط الأطوار الارتقائية مع أفكار الاتمام أو التكامل

(١) مراحل النمو: يقسم العلماء حياة الفرد إلى مراحل في النمو كالطفولة والمراهقة والرشد والشيخوخة ولكن في الواقع يسير النمو سيرا تدريجيا متصلا ومستمرا فالطفل لا يصبح مراهقا بين عشية وضحاها ولكنه يتدرج من الطفولة حتى المراهقة. كذلك فان هذه المراحل ليست حاسمة أو فاصلة ذلك لوجود الكثير من مظاهر التداخل فيما بينها فالمراهقة يظل بها بعض سمات الطفولة وفي مرحلة الرشد تظل بقايا من مرحلة المراهقة فالحدود بين المراحل ليست فاصلة ولا حاسمة كذلك فان الاطفال جميعا لا يصلون إلى مرحلة معينة في سن واحدة فهناك فروق فردية واسعة بينهم في السن التي يصلون فيها إلى المراحل المختلفة، ولكن هذه المراحل تفيدنا في الوصف والشرح والدراسة.

(٢) التمركز حول الذات: تعني اهتمام المرء بنفسه حيث يكون الفرد مشغول البال باهتماماته ونسبيا غير حاسس لاهتمامات الآخرين وإن كان ليس من الضروري أن يكون أنانيا فالفرد يكون ذاتي المركز وغير مبال باهتمامات الآخرين ويميل إلى تفسير استجابات الناس الآخرين في ضوء خبراته الذاتية، يمكن للقارىء الرجوع لكتاب المترجم - علم النفس في الحياة المعاصرة، دار المعارف بمصر.

في الاعمال والحاجات الارتقائية. يمكن أن تعتبر الافعال أو الاعمال كالاهداف التي ينبغي أن يحصل عليها الطفل عند مرحلة معينة إذا كان عليه أن يتحرك بنجاح.

ويمكن النظر للحاجات كالشيء الذي ينبغي أن توفره البيئة لكي نصل إلى هذه الاهداف، وسوف نحاول في آخر هذا الفصل أن نعرض لنموذج عام للنمو الخلقي الذي يتضمن هذا الاتجاه، في الوقت الحاضر ربما نحصر أنفسنا في تلك الجوانب الخاصة بالنمو التي تتصل مباشرة بنمو الاهتمام.

ولنفرض أن طفلا كان ناجحا في تكوين هذا المعنى السريع للذات فهل نستطيع أن نقول إن هذا نتيجة كافية للموضوع؟ بوضوح كلا... لان الطفل ما زال عليه عمل رؤية ما هي العلاقة بين هذه الذات والعالم من حوله... وبناء تصورات أو مفاهيم تساعده لكي يفهم مكانه في بيئته. بالنسبة للطفل الصغير جدا مثل هذه العلاقات تحمل جانبا مختلفا بالمرة عن وجهة نظرنا نحن عن العالم. يساء فهم هذا الفرق غالبا ـ أو ربما لا يسري إطلاقا ـ بواسطة الراشد الكبير ومع ذلك فان له أثرا على النمو الخلقي.

أول طور من أطوار الطفولة يوصف غالبا بأنه طور أناني. وتستخدم هذه الكلمة بمعناها الحرفي. ان الطفل يرى نفسه كمركز لهذا العالم فكل الانشطة التي يدركها يبدو أنها تحدث بالإشارة إلى ذاته. هذا الطور أيضاً يوصف أحياناً بأنه الطور الكلي النفوذ في الطفولة. ان الطفل يبكي وغالبا ما يريحه الناس أو ينظفونه أو يقدمون له الغذاء، انه يسقط اللعبة، وهو عاجز عن التقاطها بنفسه ثانية، ولكن شخصا آخر يكون في العادة متوافراً لكي يلتقطها له المرة تلو الاخرى. حتى يتعب شخص أو آخر من هذا النشاط المرضخ ليس فقط مركز العالم ولكن العالم يوجد كلية من أجل مصلحته.

وأن الهدف الارتقائي من هذا الطور هو ذلك الهدف المتعدد الخاص بنقل مركز العالم، أنه العملية التي توصف أحياناً بملل (بعدم التمركز). يحتاج أن يتعلم الرضيع أنه مجرد ذات بين الذوات الاخرى، وأنه ليس مطلق النفوذ وأن للناس الآخرين حاجات ومشاعر أيضاً وكجانب من حياة الطفل الانفعالية، فان هذه العملية قد نوقشت بتوسع في كتب نمو الطفل ـ وخاصة تلك الكتب ذات الوجهة التحليلية

النفسية ـ هذه العملية تحل أو تشرح في ضوء العلاقات الانفعالية بين الطفل وأعضاء أسرته.

انه يحتاج لقدر كبير من الأمن الانفعالي، لأنه سوف يجرؤ فقط على التحرك نحو الاستقلال الذاتي اذا كان لديه أساسا اطار آمن يعمل من خلاله إن عليه أن يكتسب شعوراً أساسيا بالثقة.

هذا التحول في الاتجاه مرتبط أيضاً بتصور الطفل للعالم المادي. يحتاج الطفل ـ أن يكون قادرا على أن يضع نفسه في مكان شخص آخر، وأن يقدر أن الأشياء تبدو مختلفة من هناك. إن ترك هذا الموقف الاناني يمكن تتبعه في الاعمال التصويرية البسيطة نسبيا مثل تعلم أن اليد اليمنى واليسرى لشخص يقف في مواجهتك أنما هما موضوعتان نسبيا بالنسبة للشخص، وليستا بالنسبة لك نفسك، ومرة أخرى، أنها ترى في عمليات إدراك أن ما يمكن رؤيته بواسطة شخص يقف فوق سلم ليس مماثلا تماما لما تراه أنت من هذا المنظر جزئيا، النمو في هذا الاتجاه يأتي عن طريق نمو الطفل في القوى الإدراكية، التي تظهر من الأنشطة الحسية والحركية التي نوقشت توا إذا كان من المقرر أن للاثارة الحسية تأثيراً على نمو الاهتمام، بعيدا عن التأثير الارتقائي العام، هذه هي الطريقة التي نتوقع له أن يعمل بها.

أننا نفهم الان كيف أن النماذج أو الصيغ في علم النفس الارتقائي تتجه إلى محاولة تجميع الملاحظات والنظريات المختلفة حول طبيعة وآثار الحرمان في الطفولة المبكرة أنها تساعدنا أيضاً، لتكوين هيكل للمطالب الأساسية اللازمة لنمو الاهتمام... بيئة ثابتة مستقرة وآمنة التي يقدم مستوى ملائما من الإثارة الحسية، وفرصة ملائمة للطفل لكي يستكشف هذه البيئة، ولهم أيضاً، توفير علاقة عاطفية مستمرة دافئة.

إذا كنا نستطيع أن نصف نموذجا لأطوار النمو الخلقي ذلك الذي يرتبط بكلية السلوك الخلقي أكثر من ارتباطه بجانب نوعي محدد من جوانبه، مثل التفكير الخلقي، فاننا سوف نضع نمو «الطفل» في بداية هذا التسلسل أنه الهدف الارتقائي الأول في الطريق إلى النضوج الخلقي ويعتمد على الحصول عليه بنجاح يعتمد كثير من النمو المستقبلي في أجزاء من السلوك التي لا تبدو ولأول وهلة أنها مرتبطة به بوضوح.

هذا لا يعنى القول أننا نستطيع أن نهمل هذا الجانب من السلوك الخلقي بمجرد الحصول على الاستعدادية للاهتمام، هذا واحد من الخواطر التي قد تنتج من اهتمام أنفسنا أزيد من اللازم بأدلة مؤسسة على ظروف مرضية أن الفرق بين السوي والشاذ ربما يكون قويا جدا لدرجة أننا نهمل الفروق الكبيرة جدا التي ربما توجد بين الافراد الاسوياء. هل نستطيع أن نقول أن امتلاك الاهتمام هو شرط مطلق مثل امتلاك عيون بنية اللون؟ بوضوح كلا يختلف الافراد ليس فقط في درجة الاهتمام التي يخبرونها ولكن أيضا في عدد الناس الاخرين الذين يمدون اهتمامهم اليهم. يختلف عنصر «الطفل» اذا في كل من الكثافة والمدى.

فيما يتعلق بفروق الكثافة، قليل من الحديث النافع يمكن أن يقال في الوقت الحاضر ربما يكون مغريا أن نربط هذا المتغير بنوع خبرات الطفل الطفلية، ولكن تفكيرا من هذا النوع ليس مثمرا حقيقة كمرشد في تربية الأطفال سيكون من الافضل أن ننتظر الأدلة.

تعميم الاهتمام:

يمكن أن يقال شيء على كل حال، حول نمو الاهتمام اذا حصرنا انفسنا في الحديث عن المدى في مسح عن التفكير الخلقي، كان ممولا بوحدة البحث في فارمنجثون سئل الاطفال الاسئلة الآتية:

١ ـ أي الناس تعتقد انك ينبغي أن تساعدهم؟

٢ ـ ومن أيضا؟ (واستمر المقابل مرتقيا حتى لا يستطيع الطفل أن يقدم مزيدا من الأمثلة أو ينهى التتابع بعمل قضية عامة، مثل القول (كل واحد).

٣ ـ هل هناك أي اناس لا تعبأ بمساعدتهم ـ انه لا يعني أن يحصلوا على المساعدة أو لا يحصلوا؟

٤ ـ وهل هناك اناس يكون من الخطأ مساعدتهم؟

ونفس هذه السلسلة من الاسئلة تكررت باستخدام مفهوم الايذاء حالا محل المساعدة: (اي الناس يكون من الخطأ أن تؤذيهم... الخ).

المنطق الذي يكمن وراء هذه الاسئلة واضح جدا... ان سلوك المساعدة والايذاء كلاهما علاقة واضحة بمفهوم، «الطفل» مدى الأفراد أو طبقات الناس الذين ينبغي مساعدتهم، أو الذين لا ينبغي ايذائهم، يوفر مؤشرا لمدى اهتمام الطفل بالاخرين ولكنه لا يقدم الكثافة.

وبدأ الاطفال الذين تتراوح اعمارهم ما بين ٤:١٨ بدأوا في اجاباتهم أن يقعوا في الفئات الآتية التي ربما تعتبر كأطوار في نمو «الطفل» وكما سيتضح، تتميز هذه الاطوار بالنمو في اتجاهين، أي من النوعي إلى العام، ومن قاعدة تقريبية إلى أساس للحاجة، أي، من أساس هؤلاء الافراد او فئات من الافراد، الذين حدث أن قابلهم الطفل إلى أولئك الذين يدركهم الطفل على انهم محتاجين إلى انتباه خاص.

١ ـ يمد الطفل اهتمامه إلى عدد صغير نوعي من الناس الذين يسميهم فرديا بالنسبة لطفل الاربع سنوات كان هؤلاء، بالطبع اعضاء أسرته المباشرة يزيد عليهم في بعض الحالات بعض الراشدين الذين يقابلهم بانتظام ـ الجدة التي تعتني به، السيدة جارته، وهكذا. وكلما تقدم في العمر، يتسع المدى ليشمل الاطفال الاخرين الذين لعب معهم، او الذين يقابلهم في المدرسة، ومعلمه. عدد الافراد المسمين ربما يكون كبيرا جدا، او أن يكون اساس اختيارهم اكثر من كونه نوعيا ومؤسسا تقريبيا.

٢ ـ يصبح الطفل مدركا للافراد أو لفئات محدودة من الأفراد الذين هم في حاجة للمساعدة بنوع خاص ـ الاطفال الصغار، الناس، الشيوخ، الاطفال المصابين بالكساح، في هذه المرحلة على الرغم من أن مفهوم الحاجة موجود وربما يمثل نزعة قوية عن نزعة التقاط المعارف، فان الطفل ما زال غير قادر على عمل تعميمات كاملة.

٣ ـ في الطور الثالث يحصل هذا التعميم، ويوجد لدينا اجابات مثل.

«أي شخص يحتاج إلى المساعدة» ـ «أي شخص مغبون بالمقارنة بالناس الآخرين»... لقد حصل على اجابات من هذا النوع من أطفال في النهاية العظمى للمدرسة الابتدائية.

٤ ـ وكان الطفل قبل المراهق قادرا نمطيا على مزيد من التعميم الأوسع:

«يجب أن تساعد أي شخص يحتاج لمساعدة أي، كل شخص أنا افترض ذلك. اننا جميعا نحتاج إلى المساعدة، في وقت او آخر. لا يوجد أي شخص ينبغي مساعدته» ـ (هذا تعميم كامل إذا استطعت أن تفسر استجابات المفحوص السلبية المعقدة):

(ينبغي عليك أن تساعد كل شخص).

٥ ـ لقد وصل إلى هذا الطور المتقدم عدد صغير من المفحوصين، كانوا كلهم من المراهقين، هذا الطور الذي يتضمن تقديرا اكثر نضجا للصعوبات والصراعات التي تنتج من وضع مثل هذا المبدأ العام موضع التنفيذ. وكان هذا عادة واضحا في اجابات للسؤال الأخير، هل هناك أي إناس يكون من الخطأ مساعدتهم؟ اعطيت له اجابات كالآتي: يجب أن تساعد كل شخص، حتى لصوص المنازل والقتلة ـ انا لا أعني انه ينبغي أن تساعدهم لارتكاب جريمة، ولكن عليك أن تحاول أن تساعدهم أن يكونوا أفضل من ذلك).

هؤلاء القراء الذين يهتمون بعمل بياجية PIAGET على نمو الطفل في التفكير (انظر الفصل الخامس) ربما يرغبون في مقارنة الاطوار الارتقائية آنفة الذكر البرنامج الخاص ببياجيه.

ـ التعصب[1] والاهتمام ـ :

حتى الان، في مناقشة أثر الاهتمام نمو الآخرين على نمو الاخلاق، كنا نميل أن نفكر في قرارات نوعية شخصية. الشخص الذي يفتقر إلى «الطفل» كما رأينا الاكثر احتمالاً أن يكون جانحا، وأكثر ميلا أن يهمل حقوق الآخرين، فيما يتعلق

---

(١) التعصب: يعني التعصب نوعا من العقيدة أو الحكم موال أو مضاد لشيء أو شخص أو جماعة أو لمبدأ أو فلسفة أو جنس معين كالتعصب العنصري على شرط الا يكون على أساس أدلة صحيحة وليس من السهل تعديله او تغييره بتوفير الادلة المضادة وقد يوصف بانه اتجاه او عاطفة تجعل الفرد يميل لفعل او التفكير او الادراك او الشعور ازاء الناس الآخرين بطريقة غير موالية أو موالية، لمزيد من المعلومات عن التعصب يمكن للقارىء الرجوع إلى كتاب المترجم «علم النفس الاجتماعي ـ دار النهضة ببيروت).

بكل من املاكهم وأشخاصهم ولكن له تأثير ايضا على الاخلاق لدى عامة المجتمع، على المسائل الواسعة في عصرنا.

ربما كان اكثر هذه بروزا مسألة العلاقات السلالية. هناك اتصال واضح بين التعصب والاهتمام وبنوع خاص مدى الاهتمام الذي نوقش في القسم السابق. لكي تكون غير متعصب يجب أن تمد ببساطة إلى الناس الذين هم من أجناس أخرى هذا الاعتبار «الطفل»، الاهتمام، الاعتراف، بشرعيتهم التي نمدها لاسرتنا ولاصدقائنا. هناك، بالطبع، عناصر أخرى متضمنة مثل نزعتنا لاستنتاج الحقائق على أساس من ديانة الشخص أو لونه، ولكن إذا كان «الطفل» عندنا معمم تعميما كاملا ربما كان من الصعب أن نفعل ذلك.

هناك رأي منتشر بتوسع أن التعصب هو عرض ليس لبعض سمات الشخصية مثل قصر مدى الاهتمام، ولكن على انه ببساطة علامة عن الاهمال ازاء الاجناس الأخرى، اهمال ينتج جزئيا من خلال نقص الاتصال الاجتماعي. تبعاً لهذا الراي، سوف يكون هناك حاجة قليلة للتربية الخلقية النوعية في هذا المجال، او حاجة فقط للتربية من النوع العملي، لأن التعصب ربما يتوقع له أن يختفي بتضاءل أو تلاشي الجهل عن طريق الاتصال - هذا إذا ضبطنا الأشياء برهة، فان المشكلة سوف تتلاشى.

لسوء الحظ لا يبدو أن الادلة تريد أو تعضد ذلك. العمل الحديث حول مسألة التعصب العنصري في المجتمعات المختلطة والجماعات مفردة الجنس أو السلالة توضح اننا لا نستطيع ببساطة أن نتوقع اختفاء التعصب تحت تأثير التعرف الواسع بجماعات الأقلية.

في الواقع، شيء يشبه العملية العكسية يبدو أنه يحدث في كثير من الحالات: حيث يكون التعصب اكثر في المجتمعات المختلطة، التحرر أو الحرية تكون أكثر شيوعا في غياب الاقليات. هناك دراسة على نماذج التصويت في استفتاء تم منذ قليل من السنوات في استراليا وضح بقوة هذه النقطة. كان الاستفتاء يدور حول مسألة ما اذا كان يحق لجماعة السكان الاصليين أن يمنحوا الجنسية الكاملة بطريقة

آلية أم على أساس الامتياز قوميا، كان التصويب في جانب باكتساح، الاصلاح، ولكن التحليل للتفاصيل أوضح حقيقة مزعجة. ثم ترتيب الولايات تبعا لمحكين / نسبة الأصوات الموجهة نحو الاصلاح ونسبة السكان الأصليين أو الأصليين جزئياً. ولقد تم حساب معامل الارتباط بين الترتيب الرتبي في الاثنين. هذا الارتباط كان ـ ٠,٩ أي علاقة عكسية كاملة بمعنى أنه كلما زاد عدد السكان الأصليين في الولاية أو المقاطعة كلما زادت نسبة المواطنين الذين يميلون إلى التصويت ضد الاصلاح.

ومن الواضح إذا، أن الاخلاق والمساواة في العلاقات العنصرية أو السلالية لا يمكن تركها على أساس من الحرية المطلقة. أنهم سوف لا يخلصون أنفسهم بانفسهم.

أن نمو «الطفل» إلى أقصى مداه يقدم بديلا، ولكننا نحتاج إلى المعلومات ليس فقط حول المراحل في نموه ولكن أيضا كيف يمكن أن تسرع وكيف توحد.

الخلاصة:

أن عنصر السلوك الخلقي الذي فحصناه في هذا الفصل قد أدخلنا اعتبارات عريضة واسعة التي تخدم في توضيح الحقيقة انه هام أو حاسم لكل أشكال الأخلاق.

أنه أيضاً، زمنيا أكثر العناصر الخلقية تبكيراً. وتميل الأدلة المعروضة هنا نحو توضيح القضية بأن النمط والكيفية الخاصة بالعناية التي يتلقاها الطفل في سنواته الأولى ربما يكون لها تأثير قوي على الاتجاهات في الحياة الناضجة وتلك هامة ومعقدة.

ملخص:

توحي دراسة الحرمان والسيكوباتية أن القدرة على الشعور بالاهتمام نحو الآخرين، في النهاية، تترابط على مستوى ما، هي حاسمة للنمو الخلقي.

تخضع هذه القدرة للعمليات الارتقائية المتضمنة: الكثافة والتعميم وتتصل بمظاهر مختلفة لاحقة كالضمير والتعصب العنصري.

٤ ـ الضمير[1]:

مثالان:

ميرى في الخامسة من عمرها. أمها تعد المائدة للشاي، وتضع طبقا من بسكويت الشكلاته على المائدة. ميرى تلاحظ أمها تعود إلى المطبخ. تنظر هي إلى البسكويت وتمشي بعيدا نحو الجانب الآخر من الغرفة، وتركز انتباهها على المنظر من خلف نافذة غرفة الجلوس، ولكن لم يكن هناك شيء أزيد تنظر اليه في الحديقة وعلى ذلك لم تستطع أن تقاوم اغراء بسكويت الشيكولاته... ظلت تدير رأسها لتنظر اليه وعند إذن، وبلا مقاومة جرت متسللة عبر الغرفة وجذبت واحدة من البسكويت وحشرتها في فمها. وبخدود منتفخة عادت مسرعة إلى النافذة وابتلعت البسكويت بسرعة كادت تسبب لها عسرا في الهضم إذا حاولت أن تعيد هذا الفعل لسنوات قليلة قادمة.

وفي نفس الوقت تسمع وقع أقدام امها عائدة من المطبخ. خائفة النتائج الممكنة، جلست جامدة، تحملق في الطائر الأسود أو الشحرور الموجود في الحديقة الخضراء. كل شيء حسن: لم يلحظ أحد البسكويتة المفقودة، والام تعود ثانية إلى المطبخ..

ولكن في الوقت الحاضر بدأت ميرى تبدي علامات من عدم الراحة من نوع آخر لقد أصبحت قلقة وبدأ باب المطبخ في اظهار جذب قوى مثل جذب طبق البسكويت منذ قليل من الوقت. أنها تقترب منه عدة مرات، ببطء كما لو كانت غير مصممة، ثم تقف على مدخل الباب، منتظرة أن تلاحظ أن أمها مشغولة جدا.

---

(١) الضمير: كان يشار قديما للضمير في التراث اللاهوتي كملكة فطرية مغروسة الاهيا في الانسان تمكن الفرد أن يحكم حكما صحيحا على المسائل الخلقية ولكن علماء النفس يعتبرونه قدرة داخلية تتكون عبر حياته الأرضية. فالضمير يشير إلى وظيفة الفرد في المجال الخلقي حيث يوافق أو يرفض على بعض مظاهر السلوك. ويشبه في وظائفه وتكوينه الذات العليا في نظر التحليل النفسي ويوصف بانه نظام الفرد في قبول المبادىء الخلقية أو مبادىء السلوك أو يشير إلى وظيفة هذا النظام ازاء فعل معين ويتضمن عناصر عقلية وانفعالية ويوصف الضمير بانه القاضي الداخلي أو الرقيب أو رجل الشرطة الذي يحاسب صاحبه على ارتكاب الأخطاء والمعاصي ويجعله يشعر بالذنب أو بتأنيب الضمير ويختلف في قوته وكثافته وفاعليته من فرد إلى آخر. وللاباء والامهات دور كبير في تنميته ـ لمزيد من المعرفة يرجع القارىء إلى كتاب المترجم سيكولوجية الحياة الروحية في المسيحية والاسلام، منشأة المعارف بالاسكندرية.

وبوجه يعلوه الأحمرار تكلمت ميرى، (أماه لقد أتيت شيئا مارديئا). وهنا حالة أخرى: المنظر في داخل كنيسة صغيرة ريفية. سائح معزول وحيد يطوف داخل المبنى، باحثا عن أشياء من ذات الاهتمام المعماري ـ ربما اكثر بغير هدف لأنه ذلك النوع من الشخص الذي يحب أن يخبره الناس عما ينبغي أن يعجب به. أنه على وشك أن يترك الكنيسة، مهزوما، عندما لاحظ كومة من الكتب على المائدة: تاريخ مختصر للكنيسة. الثمن ٢,٥.

التقط نسخة ونظر خلالها، ووضع يده على جيبه، فقط لكي يجد أنه لا يملك نقودا فكة: أنه يثور متضايقا أنه يتجهم متضايقا، ثم ينظر حوله مسرعا ما زال لا يوجد أي ـ شخص آخر في المبنى. أنه يعمل حركة أولية كما لو كان سيضع الكتاب في جيب داخلي. أنه يتردد أنه يهز كتفيه استهجانا ثم يعيد وضع الكتاب في الكومة ويذهب إلى الخارج.

معنى الضمير:

في الفصول السابقة قضينا كثيرا من الوقت في جوانب مختلفة من السلوك الخلقي دون أن نعطي حتى الآن كثيرا من التأمل لفكرة الضمير ولكن مع ذلك بالنسبة لكثير من الناس الضمير هو صلب أو عصب الموضوع أو نقطته الحاسمة. كثيرا ما تناقش الأخلاق في الحقيقة، كما لو كان الضمير هو الاعتبار الوحيد، وجهة نظر تقود إلى النتيجة بان كل القيم الخلقية الهامة يتم اكتسابها في السنوات القلائل الأولى من الحياة، وأنه لا يوجد إلا القليل الذي نستطيع أن تفعله حول نمو الطفل الخلقي بعد هذا الوقت.

في هذه الأيام نميل أن نربط وجهة النظر هذه بمفهوم علم النفس التحليلي عن الذات العليا ولكنه في الحقيقة، بشكل أو آخر، فكرة أكثر قدما عن ذلك لقد كان، على كل حال، المعلمون اليهود هم الذين اعتادوا القول أنه إذا ـ امتلكوا العناية بالطفل حتى سن السابعة فانهم سوف لا ينزعجون أبدا عليه طوال بقية حياته وكما رأينا أنه يمكن المجادلة بأن معادلة الضمير بالأخلاق انما هي مبالغة في التبسيط وتضييق لا مبرر له للمفهوم الأخير. ويمكن أخذ الحوار إلى أبعد من ذلك حتى النتيجة بأن مثل هذه المعادلة أو التسوية تنتج من خلط خطير في كلمة الأخلاق

مثل هذه المجادلات قد تصل بالاستخدامات التقويمية لكلمة أخلاقي بالطبع، أنها لا تتضمن أن الضمير ليس عاملا هاما يؤخذ في الاعتبار عندما نصف النمو الخلقي للطفل.

وكما هي الحالة غالبا جدا ينبغي أن نبدأ بالنظر في معنى الكلمة «الضمير» اصطلاح يعرض عددا من الصعوبات الخفية. معظم الناس يستخدمونه بثقة كاملة كما لو كان معناه واضحا بذاته، أو برهن بذاته، ولكن في الحقيقة تستخدم الكلمة بعدد مختلف من الطرق، تحدث بعض رجال اللاهوت كما لو كان الضمير هوية مغروسة الهيا والتي تكشف بالضرورة عن قانون خلقي مطلق، ويعتبره السيكولوجيون كنمط من الأحكام القيمية، التي ترتبط بقيم الآباء وبالطريقة التي نربي بها الطفل وحتى في الكلام اليومي فاننا نستخدم الكلمة بطرق مختلفة «ضمير - مذنب» تتضمن شيئا يثير مشاعر الذنب بعد أن نكون قد عملنا عملا خاطئا ما «أن ضميرك يخبرك...» يتضمن وجود شيء يحذرنا مقدما أن شيئا ما أو آخر لا ينبغي عمله.

الصعوبة الأولى إذا، هي أنه لما كنا نستخدم كلمة واحدة، لكل هذه الطرق المختلفة، فاننا ربما نكون منقادين لكي نستنتج أننا نتعامل مع ظاهرة واحدة مفردة والصعوبة الثانية المتصلة، أننا نميل أن نجعل مفاهيم مثل الضمير مادية وهي معنوية[(١)]. أنه من السهل جدا أن تقع في مثل هذا الشرك أو الفخ من حيث أننا نميل إلى استخدام الكلمة بطريقة انتقالية كما يحدث عندما نقول «ان ضميره يوقفه...»

---

(١) من الخطأ أن نعتقد عندما نتحدث عن بعض المفاهيم النفسية، كالذكاء والقدرات والسمات والضمير أو الذات العليا أننا نتعامل مع أمور لها وجود حسي محسوس ملموس ومجسم أو مجسد في داخلنا بحيث نستطيع أن نلمس بطريقة حسية هذه الكائنات إنما الحقيقة أن مثل هذه المفاهيم إنما هي تجريدات معنوية يقوم بها العقل وإنما كل ما يوجد هو أنماط معينة من السلوك نميل إلى وضع لافتة على كل فئة منها وليست هذه اللافتة إلا من صنع عقلنا كملاحظين للسلوك فنصف مجموعة السلوك الذكي بأنها الذكاء أو ناتجة عن قدرة نسميها الذكاء وبالمثل فان السلوك الذي ينم عن الكف عن فعل الشر وأرتكاب المعاصي والذنوب والشعور بتعنيف الضمير فاننا نرجعه إلى قدرة نسميها الضمير، وكل ما يوجد هو هذه الانماط من السلوك التي نجردها - لمزيد من المعرفة يرجع القارىء - لكتاب المترجم «اتجاهات جديدة في علم النفس الحديث، هواة الكتب بالاسكندرية»

أو «ان ضميره يزعجه»، ونحن لا نتجنب الصعوبة بالضرورة باستخدام اصطلاح في مثل الذات العليا، ليست أفكارنا ساذجة لدرجة اننا نتخيل حقيقة أن كائنا يعيش في مكان ما داخلنا مصدرا أحكاما على ما نفعل، ولكن عاداتنا في التفكير ليست بعيدة بالضرورة عن هذا كما يبدو لاول وهلة.

أن المسألة أننا نتكلم فعليا عن نماذج من الاستجابات أو السلوك التي تكون جزءا موحدا ويمكن ملاحظته في تنظيم الفرد النفسي.

النقطة التالية أننا يجب أن نميز بين الاستخدامات الرئيسية للكلمة ربما الاكثر احتمالا أن أهم تمييز هو ذلك الذي نتمناه آنفا في المثالين المقتبسين لاستعمالنا اليومي للكلمة، أنه من المدهش أن هذا التمييز قد جد طوال حديثنا اليومي (على الرغم من كونه مستتر أكثر من كونه واضحا، بينما لم يظهر إلا حديثا في الأدب التقني أو التراث التقني للموضوع يجب أن تميز، اذا، بين الضمير كمنذر مقدما وبينه كباعث أو مثير للذنب بعد الفعل أو العمل.

أول هذه ربما ننظر اليه على أنه الجانب الكفي من الضمير، أو اقناع أو أعتقاد غير عقلي أن بعض الأشياء صواب أو خطأ. أن كلمة لا عقلي ربما تسبب بعض الصعوبات نحن لا نعنى أنها غير عقلية بمعنى أنها غير معقولة، أن ما نتكلم عنه هو، بالاحرى، الطريقة التي نصل بها إلى النتيجة. أن السرقة خطأ انما هي عقيدة معقولة كلية، ولكن الناس ربما يعتقدون فيها بطريقة غير عقلية أو إذا فضلت أنت ربما يعرفونها حدسيا[1].

ان هذا شيء ينبغي أن نكون كلنا قد خبرناه. معتقدات من هذا النوع يتمسك بها الناس غالبا، حتى عندما تبدو كل الاسباب مشيرة إلى اتجاه آخر ربما يعرض علينا قضية أو مجادلة مستنتجة بعناية فائقة، توهم بأنه لا يوجد شيء خطأ حقيقة

(١) **الحدس**: يشير إلى عملية المعرفة المباشرة أو الرؤية العقلية المباشرة أو المعرفة غير الوسيطية فالانسان يصل إلى المعرفة الحدسية او الحكم الحدس بطريقة مباشرة دون المرور بمراحل التفكير المعرفي المعروفة حيث يهبط الحل على ذهن الفرد كما لو كان نوعا من الوحي - يمكن للقارىء الاطلاع على العمليات العقلية العليا في كتاب المترجم علم النفس بين النظرية والتطبيق، هواة الكتب، اسكندرية.

في الحصول على مزيد من اعفاءات ضرائب الدخل أكثر مما نستحق، أو السفر بالقطار دون تذكره. حتى مع ذلك ربما نكون للحظة غير قادرين أن نجيب على هذا التساؤل اجابة صحيحة بمعنى كوننا قادرين على عمل خطأ فيها، نحن على الرغم من ذلك نحتفظ بشعور قوي على الرغم من المجادلة، أنه عمل من الخطأ عمله فقط. ليس ضمير كل واحد بنفس الشكل، بالطبع. ربما يكون القارىء مستعدا تماما لقبول محاولات في صالح عمل الأشياء التي ذكرت آنفا ولكن هناك موضوعات أخرى كلية تقريبا يستطيع ان يطبق عليها هذه الأحكام غير المنطقية.

مرة أخرى، ربما تنظر في هذا الجانب الكفي من الضمير كشيء يحكم سلوكنا الخلقي، حتى عندما نكون وحدنا. لتضع نفسك في مكان ذلك السائح المذكور في المثال الوارد في بداية هذا الفصل. او تخيل نفسك تشتري جريدة من الصناديق التي تضع فيها بنفسك العملة. معظم الناس، الاكثر احتمالا، لا يستطيعون ان يجعلوا انفسهم يأخذون الكتاب او الجريدة دون ان يدفعوا حتى إذا كانوا في مكان أو شارع مهجور تماما انها ليست مسألة خوفهم من ضبطهم، وليست نتيجة تفكيرهم بانهم سوف يشعرون بالذنب بعد ذلك، ولكن انها لانهم يمتلكون شعورا قويا حدسيا بأنه لا ينبغي عمل ذلك.

الاستعمال الثاني الرئيسي للكلمة يتصل بخبرة الذنب. اننا نعمل شيئا ما خطأ ويزعجنا بعد ذلك ضمير مذنب. ومن حيث يصبح هذا دافعا يؤثر في سلوكنا قبل العمل، فان هذا حادث، بوضوح كاف حادث أكثر عقلانية عن ذلك الجانب الذي كنا توا نناقشه. ولكن خبرة الذنب نفسها ليست بأي حال من الأحوال مسألة عقلية. أننا لا نخبر الذنب بتناسب مع اهمية الخطأ او الجرم المذنب...

الذنب يختلف بين الناس:

بعض الناس يرتكبون اكثر الجرائم فظاعة بلا شعور بالذنب بينما يشعر الأخرون بالذنب ازاء أبسط الأخطاء. في الواقع بعض الناس الذين يعانون من وخز أو الم الذنب بشدة هم اولئك الذين يحيون حياة مثالية يقتدى بها اقترح حتى ان خبرة الذنب تتناسب تناسبا عكسيا مع درجة الشر، انه صحيح ايضا ان هناك اختلافات داخل نفس الفرد. فنحن لسنا ثابتين في كثافة الذنب الذي نخبره ازاء الأنواع

الاطلاق ويحدث ذلك غالباً عندما يواجهنا شخص في مركز السلطة. غالبا ما يبدي الأطفال علامات الذنب عندما يتحدث ناظر المدرسة في اجتماع يتناول فيه الوعظ حول حزمه قواعد المدرسة، حتى عندما يرتكب ذلك طفل آخر. والناس غالبا ما يشعرون بذنب غير ملائم عندما يواجههم موظف الجمارك حتى عندما لا تحتوي أمتعتهم على أكثر من لفافة سجائر تزيد عن المسموح به.

لقد قلنا ما يكفي لتوضيح أنه من الممكن عمل تمييز تصوري بين استعمالين (لكلمة ضمير) هل هناك أي دليل على وجود هذا التمييز، أيضا على مستوى السلوك الفعلي؟ أن - وجهة النظر التقليدية هي كما رأينا فيما هو متضمن باستخدام كلمة واحدة للجانبين، أعني أن كلاهما ناتج من نفس المصدر وسوف يقودنا هذا لأفتراض أن الشيئين مترابطان، وأن الشخص الذي يوجد لديه أقوى كف ضد عمل شيء ما خطأ هو نفس الشخص الذي يشعر بأنه مذنب جدا إذا خضع للاغراء وفعله.

والان نستطيع بالتأكيد أن نفكر في حالات حيث لا يترابط هذان الجانبان من الضمير... هناك كثير من مدمني الكحول، على سبيل المثال، الذين يعانون من ألم أو كرب الذنب من آثار ادمانهم على اسرهم، ولكنهم على الرغم من ذلك عاجزون تماما عن مقاومة اغراء السكر ونحن لا نحتاج أن نعتمد على أمثلة متطرفة من هذا النوع. نحن نعرف جميعا الطلاب الذين يشعرون شعورا أصيلا بالذنب ازاء فوات محاضرات الساعة التاسعة عليهم والذين هم على الرغم من ذلك غير قادرين على الاستيقاظ من الفراش في الصباح في الوقت الملائم لعلاجها(١).

---

(١) يعاب على المدرسة السلوكية في علم النفس اعتمادها على المظاهر السلوكية الصرفة في تفسير شخصية الفرد ودوافعه واتجاهاته وعقائده الخ... ولكن الواقع أن الاتجاه العقلي ليس من الضروري أن يعبر عنه صاحبه في سلوكه الفعلي فكثير من رجال السياسة يتظاهرون في خطبهم السياسية وخاصة قبل الانتخابات بالتعاطف مع الزنوج في أمريكا مثلا... أو قد يتظاهر من يخطب في جمعية نسائية بتعاطفه الشديد مع قضايا المرأة على حين ربما يكون اتجاهه الحقيقي مغايرا تماما لما يبديه من سلوك ظاهري وبالمثل فان السلوك الظاهري ليس أكثر دلالة على شخصية الفرد من اتجاهاته فقد يضطر الفرد الى الاتيان بسلوك يخالف شعوره الحقيقي ويظهر ذلك فيما نصفه باسم الرياء أو النفاق الأجتماعي فقد يحترم الموظف الصغير رئيسه وهو ماثل أمامه لا تعبيرا عن مشاعر الاحترام ولكن خوفا من بطش ذلك الرئيس. يمكن للقارىء الرجوع لكتاب المترجم «معالم علم النفس» دار الفكر الجامعي، بالاسكندرية.

لقد أجرى سولمون Solomon تجربة شيقة توضح هذه النقطة. كانت تجربته تهتم بالطرق المختلفة لتدريب الكلاب الصغيرة. نحن نعرف، بالطبع، أن التحريات التي نعلمها للكلاب ليست نفس الشيء كالسلوك الخلقي، وأنه ينبغي أن نكون حذرين حينما نحاول أن ننقل النتائج التي تتصل بالحيوانات البسيطة فننقلها للحيوانات الأكثر تعقيداً ومع ذلك فان التجربة تشرح كيف، على مستوى بسيط، كيف يظهر ذلك النوع من التمييز الذي هو في ذهننا كيف يظهر في السلوك الفعلي. أنها تعطينا أيضا ارشادا حول الطريقة التي ربما ينبع منها هذان النمطان أو النموذجان من السلوك.

كان واجب التدريب واجبا بسيطا. لقد تعلمت الكلاب انه من «الخطأ» أكل لحم الحصان الطازجة وأنه من (الصح) أكل طعام الكلاب المباح من العلبة «لا تصدق كل شيء يقولونه في التلفزيون» أن الكلاب الصغيرة تفضل لحم الحصان الطازج. وكان منهج التدريب هو المنهج المعتاد الذي يستخدمه كثير من أصحاب الحيوانات الأليفة:

حيث كان يخبط الكلب بجرنال إذا أرتكب فعلا ممنوعا. واستخدم منهجان في التدريب يختلفان اختلافا طفيفا. بعض الكلاب كانت تعاقب للاقتراب من الطبق الخطأ، وبعضها الآخر كان يعاقب بعد أن تأكل فعلا بعضا من لحم الحصان. وهكذا فان الفرق الهام في التدريب كان توقيت العقاب ـ أما أن يحدث قبل أو بعد الفعل الممنوع.

وتؤخذ الكلاب وهي جائعة إلى حجرة «واحدا واحدا» وكان في الحجرة طبق من لحم الحصان في منتصف الأرضية، ولكن لا واحدا من الأطباق من الطعام المسموح به. ولم يكن الكلاب تحت الأشراف ظاهريا، ولكن المجرب كان قادرا على ملاحظتها من نقطة خفية خارج الحجرة. كانت الكلاب توضع هكذا في موقف يشبه مواجهتها بالاغراء.

ملاحظتان ظهرتا من هذه التجربة... أولا: ـ كان هناك مدى واسع من الفروق في طول الوقت الذي انقضى أو مر قبل أن يهجر أو يترك الكلب تدريبه ويأكل

اللحم بعضها دام فقط لبضع دقائق، ولكن واحدا منها صام لمدة أسبوعين قبل أن تتوقف التجربة هذه التجارب ربما تقودنا لافتراض وجود عامل جبلي متضمن حيث أنها لم تتفق مع الفروق في مناهج التدريب.

والملاحظة الثانية تظهر من الطور الثاني من التجربة عندما يحضر المجرب إلى الغرفة أمكن تمييز نمطين متعارضين من السلوك. بعض الكلاب قد أظهرت كل علامة من علامات القلق قبل أكل اللحوم، ولكن ما أن خضعت للاغراء فلم تظهر أي علامة من علامات الاضطراب على الاطلاق. وعلى العكس كانت مسرورة لرؤية المجرب عندما عاد إلى الغرفة وكانت تحييه بهز أزيالها.

والكلاب الأخرى ـ تلك التي كان لديها غالبا مقاومة أقل للاغراء «كما هي مقاسة بطول الوقت الذي ينقضي قبل أكل اللحوم» أصبحت مضطربة جدا بعد أن أكلت اللحوم ولما دخل المجرب كانت تنسلل خلسة بعيدا وأذيالها بين أرجلها وتحاول أن تتجنبه.

هذان النمطان من الاستجابة ـ الاستجابة الكفية واستجابة الشعور بالذنب ـ وجد انهما يرتبطان مع توقيت توقيع العقوبة. فالعقوبة التي مورست قبل اكل اللحوم أدت إلى الكف، اما إذا تأخرت إلى ما بعد ذلك وجدت استجابة الذنب بدلا منها.

وسوف نرى حاليا ان نموذجا بسيطا من المكافأة والعقاب لا يمكن تطبيقه بطريقة مباشرة إلى نمو الضمير في الانسان. وعلى الرغم من ذلك، يبدو أن التجربة توضح أن التمييز الذي عملناه على أسس تصورية ربما لا يظهر فقط في السلوك الفعلي، ولكن أيضا ينتج من الفروق في أنماط التدريب.

لقد تدعم هذا التمييز في دراسة أكثر حداثة دراسة تتعامل مباشرة مع تفكير الاطفال الخلقي. سوف نتعامل مع هذا البحث بطريقة أكمل في الفصل السادس، ولكن هناك نقطة ترتبط مع حوارنا الحالي وهي أن استجابات الأطفال توضح تمييزات واضحة جدا ـ بين الضمير كأداة كف أو منع «أنه فقط صواب، انها لا تحتاج لكي يكون لها سبب، أن ـ أحدا لم يخبرني أنا أعرفها بنفسي، عقلي الخاص يخبرني، والضمير كذنب» سوف أشعر بالفزع حينما أتذكرها، إذا فعلت ذلك

سوف أشعر بالسذاجة في داخلي، لا أستطيع أن أخلص عقلي منها «ومجموعة أطفال الحادية عشر من عمرهم في العينة» ٨٠ طفلاً كانت تعطى لهم الدرجات طبقا للتكرارات التي يعطونها لكل نمط من الاستجابة.

على الرغم من أن ٤٩ منهم أستجابوا أما بمعنى كلا الجانبين من الضمير، أو ليس بأي منها، وكان هناك ٣١ طفلاً الذين أستجابوا في طريق واحد وليس في الجانب الآخر واننا نتعامل في الواقع مع مثال أخر للارتباط الضعيف الايجابي كالذي ناقشناه في الفصل الثاني.

لتلخيص ما قيل في الجزء الأول من هذا الفصل ربما نميز بين الضمير كشعور غير عقلي حدسي بالصواب والخطأ، وبين الضمير كخبرة من خبرات الذنب. على الرغم من أن الذنب أيضا ليس نتيجة لعملية عقلية، بعض عناصر التفكير السببي يجب أن تكون متضمنة حيثما يصبح الذنب سببا لسلوك نفكر فيه مقدما قبل الفعل الخطأ هناك فرق واضح، حتى في غياب النوع الأول من الضمير، بين الشخص الذي يتعقل، «إذا فعلت ذلك سوف أشعر أنني مذنب لذلك فانني لن أفعله» والشخص الذي لا ينظر مقدما بهذه الطريقة ويجد مشاعره بالذنب تهاجمه من مرقدها في مكمن.

منابع الضمير:

يجب أن نعود الآن إلى مسألة كيفية نشوء الضمير... لقد رأينا توا أن التمييز الذي كنا بصدد مناقشته لم يعمل في العادة في معظم التراث الخاص بالموضوع، وأنه ينبغي علينا لذلك أن نقرر بأنفسنا في كل حالة أي جوانب الضمير يشار اليها وسوف ننظر لبعض النظريات وبعض الادلة الملائمة للموضوع ثم نلخصها ونربطها مع المناقشة الراهنة.

وابسط تفسير يحتمل أن يكون الضمير ناتجا من مكافآت وعقاب الأبوين هذا هو الأفتراض الذي يكمن وراء كثير من الأشياء التي يفعلها الوالدان، والتجربة على الكلاب التي وصفت آنفا، ربما تجعلنا نميل للاعتقاد أنه يلعب دورا هاما. يبدو على أي حال، ان الموضوع ليس بهذه البساطة.

في تجربة اجريت قبل الحرب اعطى ماكنون Mackinnon ٩٣ مفحوصا عددا من المشاكل لحلها مع فرصة للغش للوصول إلى الحل، ولم يعرفوا انهم كانوا تحت الملاحظة، من خلال ستارة وكان المجرب قادرا على معرفة من يغش منهم «حوالي نصف المفحوصين» بعد ذلك بوقت ما قوبلوا لاكتشاف ما إذا كانوا سوف يعترفون بالغش ام لا ـ وعما إذا كانوا شعروا بالذنب نحوه. هؤلاء الذين انكروا الغش «سواء حقيقة ام لا» سئلوا عما إذا كان الغش يجعلهم يشعرون انهم مذنبون. وفقط ربع الذين غشوا قالوا ـ انهم شعروا بالذنب، أو كانوا سوف يشعرون بالذنب بينما أكثر من ٨٠٪ من الذين لم يغشوا اعتقدوا انهم كانوا سوف يشعرون بالذنب. على أي حال اوضحت التجربة فقط علاقة معكوسة بين الذنب والامانة. ولكن بعد ذلك بوقت ما أجرى ماك كنون بحثا حول نوع التدريب الذي تلقاه افراد عينة وهم اطفال، وعلى الرغم من ان هذا الجزء من الدراسة المسحية غطى فقط جزءا من العينة الاصلية فان للنتائج اهتماماً بارزاً. أزيد من ثلاثة ارباع الغشاشين استرجعوا عقابا بدنيا في مقابل اقل من نصف غير الغشاشين.

ومن الناحية الأخرى استرجع ازيد من نصف غير الغشاشين المعاقبات السيكولوجية وأقل من ربع الغشاشين أسترجعوها. ونتائج مشابهة قررت بدراسات أكثر حداثة فقد أستجوب سيرز Sears وماكوبي Maccoby وليفين Levin استجوبوا نحو ٤٠٠ أما للحصول على معلومات حول أساليب التأديب التي استخدمناها وسلوك أطفالهن، ولقد صممت المقابلات بطريقة تمكن من الحصول على تقديرات غير مباشرة عن قوة ضمير الطفل. ولقد أيدت هذه الدراسة المسحية نتائج ماك كنون فقط ١٥٪ من الأطفال الذين أستعمل أباؤهم المعاقبات البدنية كان لديهم ضمير قوي.

وحيث لم يستفد الأباء إلا قليلا بالعقاب البدني كانت نسبة الأطفال الذين لهم ضمائر قوية كانت ضعف النسبة السابقة.

ومرة أخرى عدد من الدراسات عن السلوك العدواني في الأطفال أوضح أنه حيث يعطى الأطفال معاقبات بدنية لوقف عدوانهم كانت النتيجة غالبا طفلا عدوانيا أزيد من المتوسط.

فيما يختص بالعقاب والمكافأة، إذن الشيء الهام لتكوين الضمير يبدو أنه ليس في شدة العقاب، ولكن في طبيعته. أو ربما نقدمها بطريقة أخرى: بالنسبة للطفل الصغير شدة العقاب لا تقاس بمعنى ما إذا كان العقاب بدنيا ولكن بمعنى ما إذا كان الطفل يشعر أنه قد فقد وقتيا موافقة الآباء وحبهم. ويتلاءم هذا مع نتيجة أخرى من نتائج دراسة سيرز وأعني بها أن أولئك الأمهات اللائي قدرن على أنهن لديهن أتجاه دافيء نحو أطفالهن كن أكثر احتمالا أن يتملكن أطفالا بضمائر قوية.

أن الصلة الممكنة بين شعور الطفل بفقدان الحب وبين نمو الضمير تقودنا إلى المنهج النظري الثاني. هذا الأتجاه يرتبط بنوع خاص بفرويد[1] والمحللين النفسيين في هذا المضمون فان الأصلاح الذي تقابله هو «الذات العليا» هذا بالطبع جزء من النموذج التحليلي لبناء الشخصية، وتبعا له يمكن مناقشة السلوك الانساني بمعنى التفاعل بين المنظمات الثلاثة للشخصية = الذات الدنيا، التي تهتم بالاشباع الغريزي، الذات العليا التي تقارب ما وصفناه هنا بجانب الذنب من الضمير، والذات الوسطى التي هي الجزء المنطقي العقلي الموجه بالحقيقة والواقع من تكوين العقل الانساني، وهي التي تعمل عمل الوسيط بين العنصرين السابقين وبين البيئة.

يصف فرويد تكوين الذات العليا في ضوء الأمتصاص أو امتزاج Introjection يجب أن نوضح منذ البداية أن أستعمال مصطلحا فنيا من هذا النوع لا يتضمن ولا يقصد أن يتضمن المعرفة بالوسائل الحقيقية التي تتم بها العملية. الكلمة تشير إلى ادماج أو اتحاد في شخصية المرء لبعض الجوانب... ونحن عادة نعتقد أن هذا يحدث في اطار اكتساب القيم الخلقية واستجابات الذنب لدى الأطفال الصغار.

أشهر الصيغ الفرويدية كانت ترتبط مع فكرة عقدة[2] أوديب ارتباط الطفل

---

(١) **فرويد**: هو سيجمند فرويد عالم النفس النمسوي الذي عاش فيما بين ١٨٥٦: ١٩٣٩ وهو مؤسس علم النفس التحليلي وهو أول من أكد أهمية الحياة اللاشعورية في سلوك الأنسان واهتم بالجنس وأستخدمه بمعنى واسع فاللذة الجنسية عنده تعادل اللذة الحسية كما اهتم بمرحلة الطفولة المبكرة واعتبرها السنوات الحاسمة التي توضع خلالها بذور شخصية الانسان الراشد ولقد أثرت أعماله في التراث النفسي تأثيراً كبيراً.

(٢) **عقدة أوديب**: تشير عقدة أوديب طبقا لنظرية التحليل النفسي إلى عقدة لاشعورية في معظمها تنمو في الطفل الذكر وتشير إلى ارتباطه أو التصاقه وتعلقه تعلقا جنسيا بامه وشعور بالغيرة=

بوالده من الجنس الاخر والغيرة من الوالد صاحب نفس الجنس قيل انها تؤدي إلى أزمة انفعالية على الطفل أن يتخلى عن شمول هذا الارتباط، وعند هذه النقطة فانه يمتص جوانب من موضوع حبه التي تخلى عنها.

معظم السيكولوجيين الآن سوف يعتبرون أن محاولة ربط الضمير بهذا القصور أو الشمول بأزمة انفعالية معينة يعتبرونها مقيدة تقييدا غير ضروري، ولكن لجذب الانتباه إلى الرابطة بين تكوين الذات العليا وبين فقدان الحب المخيف. لقد وضع فرويد فكرة، كما رأينا صمدت أمام اختبار الدراسات المسحية الأكثر تجريبية.

ولكن هذا ليس هو الاسهام الوحيد لعلماء النفس التحليليين فقد اقترحت آنافرويد Anna Freud صياغة أو تكويناً بديلاً «أو ملحقاً» تبعا لهذا فان الطفل يتوحد مع موضوع الخوف. إذا كان شخص آخر «مثل الشخص الغاضب» رآه الطفل كشخص يهدد فان هناك رد فعل دفاعي بتوحد الطفل مع هذا الشخص المهدد، مرة أخرى، نحن نتعامل مع اقتراح قائم على أدلة أكلينيكية[1] خالصة التي لها أصداء في عمل أكثر تجريبية سوف نصفه أدنى هذا. ولكن لماذا، ربما تتساءل أنت، لماذا نريد مثل هذه التفسيرات المعقدة؟ أليس كافيا أن نقول أن الأطفال الصغار يميلون إلى تقليد آبائهم؟ على الرغم من أن هذا ربما يقدم لنا اجابة، لأننا نعرف ان الأطفال

= من الأب والرغبة في ابعاده ويؤدي هذا إلى شعور الطفل بالذنب ومعاناته من الصراع الانفعالي نتيجة لحبه لأبيه ورغبته في الاستئثار بأمه وابعاد الاب. وقد يجمد نمو الطفل فتظل هذه العقدة تسيطر على سلوكه حتى سن الرشد وتقابل هذه العقدة عند الأنثى عقدة الكترا ـ وتشير عقدة أوديب إلى رغبة مكبوتة وجنسية نحو الأم وقد تظهر في شكل عدوان تجاه الأب وتظهر سافرة في الطفولة ومقنعة في سن الرشد وتشير عقدة الكترا إلى تعلق الأنثى بأبيها والشعور بالغيرة من الأم والرغبة في أبعادها.

(١) **الطريقة الكلينيكية**: تشير إلى العلاج الذي يقدم في العيادات النفسية أو المستشفيات وما إلى ذلك وتخضع الطريقة الاكلينيكية في جمع المادة العلمية وتشخيص الحالات إلى الخبرة المهنية للمعالج النفسي أو لمن يجري المقابلة حيث تساعده خبراته بالحالات المماثلة الماضية على تشخيص الحالة والحكم عليها حكما ذاتيا لا يعتمد على استخدام الاختبارات والمقاييس المقننة التي تعطي بيانات عددية أو رقمية أو كمية عن الحالة يمكن تحليلها تحليلا احصائيا أكثر موضوعية ـ يمكن للقارىء الرجوع إلى كتاب علم النفس «علم وفن» دار المعارف. مصر.

مقلدين ماهرين لا تستطيع أن تمدنا بالجواب كله. إذا كانت هي العامل الوحيد المتضمن، فان سلوك الأطفال سوف يشبه دائما سلوك آبائهم ونحن نعرف من الملاحظة اليومية أن هذا ليس كذلك بوضوح إذا كان لفكرة التقليد أن تأخذنا نحو أي تقدم أمامي فاننا نحتاج ان نعرف ما هي الجوانب من الوالد التي يحتمل ان تقلد. بعض العمل الذي أقتبسناه قبلا ربما يعطينا مفتاحا لذلك لقد رأينا أن الآباء عندما يضربون اطفالهم للتوقف عن كونهم عدوانيين، فانه من المحتمل ان ينتجوا أطفالا عدوانيين. ونحن نذكر أيضا أقتراح آنافرويد حول التوحد مع موضوع الخوف. الوالد الذي يضرب ابنه ربما يقال انه يتصرف عدوانيا، وملاحظة سلوك الطفل هكذا تظهر ذات معنى. في هذا الصدد، أيضا، نستطيع أن نقتبس عددا من التجارب التي أستهدفت أكتشاف نوع الناس الذين يقلدهم الطفل باندارا Bandura وروس Ross، قد أوضحا في تجارب كان الطفل يعطي فيها فرصة لتقليد أنواع مختلفة من الناس، أوضحا أن القوة الاجتماعية كانت العامل المحدد الرئيسي المفحوص، على سبيل المثال، رأى شخصية كانت المالك لمجموعة كبيرة من اللعب ورأى شخصية أخرى التي أعطيت اللعب لتلعب بها، الأول كان في مكانة القوة الاجتماعية، والثاني كان في موقف ربما يحسد عليه لأسباب أخرى لقد قلد الأطفال بصفة أساسية. الشخصية ذات القوة الاجتماعية.

يبدو، إذن، أنه لا يوجد عامل واحد يمكن أن يفسر نمو الضمير ويحتمل أن كل عملية من العمليات التي وصفت آنفا تسهم بطريقتها الخاصة في تكوين جوانب مختلفة من الضمير، وهنا يجب أن نعود إلى تمييزنا المبكر بين الضمير كمثير للذنب وكحكم حدسي أخلاقي أو غير عقلي.

١ ـ لقد رأينا أن كل من الثواب والعقاب يستطيع في ظروف معينة أن ينتج كل من الذنب والكف. وأن العامل الذي يبدو أنه يحدد عما إذا كان هذا أو ذاك هو التوقيت. سواء تعاقب الذنوب الحقيقية أو المبدئية ان عمليات من هذا النوع ربما تعمل غالبا كالاشتراط الكلاسيكي ـ نمط منظم من الكره الشديد الشرطي يبدو أنه يعطي تفسيراً اقتصادياً للجانب الحدسي من الضمير. لهذا التفسير حدود معينة، على أي حال، ـ وبصفة خاصة، لاستجابة الذنب ـ المعاقبات السيكولوجية

مثل فقدان الحب هي الأكثر فاعلية، ويبدو لذلك أن الضمير ينمو أحسن في إطار البيئة الدافئة انفعاليا.

٢ ـ التفسيرات التي تتضمن الاندماج أو الامتصاص يبدو أنها تترابط أساسا مع جانب الذنب. هذه الاتجاهات يمكن أن تتوافق مع بعض النتائج السابقة.

٣ ـ التقليد يبدو أنه مسئول عن الجوانب الحدسية أو جوانب الضبط، ويميل الأطفال لتقليد الناس أصحاب القوة الاجتماعية.

لدينا فعلا سبب لملاحظة الفرق بين مقاصد التدريب الخلقي ونوع القيم التي يكتسبها الطفل. الآباء، سوف تتذكر الذين استخدموا المعاقبات الفيزيقية لأحباط السلوك العدواني مالوا لانتاج أطفال عدوانيين. هذا يؤكد الحقيقة أن تكوين الضمير هو شيء يستمر ليس فقط بطريقة جد معقدة، ولكن تحت مستوى العقلانية، وحيث تبدو التربية الخلقية كمجرد مسألة غرس الضمير بأي من معني الكلمة، فان البرامج الموضوعة عمدا ربما تستعصي على التنبؤ، لأننا لا نستطيع أن نكون متأكدين دائماً أي من الآليات العديدة الممكنة نحن نتمنى بان ضرب الطفل لكونه عدوانيا مؤسس افتراضيا على منطق المكافأة والعقاب: السلوك الناتج يظهر أنه مؤسس على تقليد راشد قوي أو التوحد مع موضوع الخوف. إذا أنزل العقاب بعد الفعل العدواني، لا نستطيع أن نستبعد امكانية أنه سيكون هناك قليل من كف السلوك العدواني، مقترنا مع مشاعر الذنب حوله عندما نغمس فيه.

كل ما قيل حتى الآن يشير إلى علاقة بين القيم التي اكتسبها الطفل وبين قيم الآباء، ولكن هذه العلاقة، أيضاً تحتاج إلى تفسير أكثر دقة. لعله بات من الواضح الان أننا لا نتعامل بالضرورة مع القيم الأبوية كما يعبر عنها شعوريا. ان الطفل يتأثر بقوة كبيرة عن طريق القيم الحقيقية للوالدين. هذا حقيقة مؤثرة حيث يكون التقليد هو الآلية الفاعلة، ولكنه ينطبق على حالات أخرى أيضا.

لقد رأينا أن واحدا من أكثر المحددات قوة هو عدم الموافقة أو فقدان الحب، هناك أهمية صغيرة للامساك عن عقاب الطفل لبعض الحوادث البسيطة مثل كسر فنجان إذا كان غضبنا المضبوط بشدة وإذا كانت عدم موافقتنا مرئية في كل عضلة جامدة.

لقد اقترح فرويد أن الذات العليا للطفل ترتبط بالذات الدنيا للاب.

الضمير والثقافة:

لقد كنا نناقش الضمير حتى الآن كما لو كان مفهوماً كونياً.

ولكن نحن محقون في عمل هذا الأفتراض؟ من الواضح، أنه من القليل، يجب أن نعمل حدودا معينة. ليس ضمير كل واحد ذا قوة متساوية. ولقد رأينا في الفصل السابق أن السيكوباتيين يبدو أنهم مجردون من الضمير كلية ولكن هناك أزيد من هذا يخص هذه المسألة أزيد من كونها تباين بين الأفراد.

رايزمان Riesman اقترح أننا نستطيع أن نميز بين الأفراد الموجهين بالآخرين والافراد الموجهين داخليا يميل الأخيرون أن يضبطوا سلوكهم بضوابط داخلية ويرتبط الاثم بالذنب والأفراد الموجهون بالاخرين يميلون أن يكونوا محكومين بتوقعات الناس الاخرين، وفي هذه الحالة فان الانفعال المرتبط بالاثم يشار إليه على أنه عار.

الحديث العادي لا يتبع دائما هذا الاستخدام الخاص. فنحن ربما نقول، كنت خجولا من نفسي، عندما نقصد «أنا شعرت بالذنب». ويعتمد الشخص الموجه بالاخرين، مثل بينو كايو على ضمير خارجي، وسلوكه أقل خضوعا للتنبؤ عندما يكون غير خاضع للملاحظة، أو من غير المحتمل اكشافه لقد أثار رايزمان النقطة الهامة وهي أن هذه الفروق تميز ليس فقط أشخاصاً مختلفين داخل ثقافة واحدة، ولكن أيضا الثقافات المختلفة، تميل المجتمعات الغربية أن تكون موجهة داخليا، بينما اليابان غالبا ما تقتبس على أنها مثال للمتجمع الموجه بالاخر.

لهذا التمييز معنى كبيراً. انه يتلاءم مع أهمية فكرة «فقدان الوجه» في كثير من المجتمعات الشرقية.

ولقد جدل أيضا، أن كثيراً من المجتمعات الغربية في مرحلة تحول أو انتقال لدرجة أننا نبتعد من التوجيه الداخلي نحو توجيه الآخرين إذا نظرنا إلى النظم القيمية التي تنسب حاليا إلى الحياة الحضرية الحالية، مع تأكيدها على الأمتثال ومحاكاة الجيران، هذا الاقتراح يبدو أيضاً مرغوباً فيه، ولكن ربما يكون مرغوبا أقل من الآن عندما وضعت القضية أو المناقشة في أول الامر ومرغوب بالتساوي، ولكن

ليس مبرهنا بأي حال من الاحوال «ان عدم الامتثال العدواني والاهتمام ببعض القيم الخلقية المعينة بين الشباب اليوم يدل على العودة لاتجاه أقدم للتفكير الخلقي، الذي يؤكد على الضمير الفردي».

يجب أن نكون حذرين، اذن، في أي تطبيق عبر الحضارات لتلك المجتمعات التي يوجد فيها كثير من السكان الذين لهم أطفال مهاجرون جدد.

ولكن هل نحن محقون، كما فعل بعض الناس، ان نذهب بهذا إلى اقصى مداه وندعي ان الناس في بعض المجتمعات ليس لديهم ضمير على الاطلاق؟

ماك انتاير Mac Intyre قد اوحى بأن هذه هي الحال. انه ليس بغير دلالة جادل هو، ان العالم الكلاسيكي ليس لديه كلمة مساوية لكلمتنا «ضمير» ان المجادلة حول الوجود الموضوعي للظاهرة بمعنى ما إذا كان الناس قد صاغوا مفهوما يتفق او يتمشى معها يبدو انه اجراء مشكوك فيه. يقال ان بعض قبائل الاسكيمو Eskimos ليس لديهم كلمة للتعبير عن كلمة ثلج، والجهاز العصبي الذاتي لم ينتظر في الظهور حتى اخترعنا كلمة له. وكما رأينا، الكلمة التي نملكها لها في مجتمعنا لا تتمشى بأي معنى من المعاني بدقة مع الظواهر الملاحظة.

إذا رجعنا بالنظر إلى الآليات التي ربما تتدخل في تكوين الضمير، لوجدنا انه من الصعب ان نتخيل ان معظمها ينحصر في اعضاء ثقافة معينة. ان امتصاص ثقافة الوالدين بالتأكيد مرتبط بالثقافة، لا نستطيع ان نقول كثيرا حول هذا من حيث انها تترابط مع عملية شخصية اكثر من ترابطها مع آلية مفهومة بوضوح. يبدو من غير المحتمل، على كل حال، ان الاشتراط، أي تأثير الثواب والعقاب، وعوامل مشابهة، هي ثقافياً نوعية.

وليس من المحتمل ان الاطفال في ثقافات اخرى لم يقلدوا الكبار على الرغم، بالطبع، ربما في هذه الحالات لا تكون القوة الاجتماعية العامل المحدد او المسئول الافضل احتمالا ان نقول على الرغم من الحقيقة أن في هذه المناسبة لم يكن لدى اليونان كلمة لها، وان تلك الجوانب من الضمير التي تعتمد على صفات سلوكية بسيطة وعالمية يحتمل ان توجد عالميا ولكنه في حضارات معينة، حيث لا يقدر التوجيه الداخلي كثيراً كمنهج لعمل الأحكام الخلقية، هذا النوع من الضبط يكون أقل احتراماً ويلعب دوراً أصغر في تحديد السلوك.

لنلخص ما فات، نحن قادرون الآن على بناء الصورة الآتية عن الضمير:–

١ – يمكن النظر اليه كظاهرتين: كف أو ضبط، ومثير للذنب.

٢ – انه ليس خاضعا للضبط الشعوري.

٣ – عدد من العمليات ربما يسهم في تكوين جوانب مختلفة من الضمير. من بين هذه الامتصاص، الثواب والعقاب، التقليد.

٤ – أنه يؤسس في المحل الأول على الاتجاهات الأبوية الحقيقية أكثر من الوعظ الأبوي.

٥ – أنه يتغير بين الأفراد وبين الثقافات.

٦ – حيث يوجد، سمة دائمة نسبياً من التنظيم العقلي للفرد.

الضمير واحد فقط من بين عدد من العوامل التي تحدد السلوك الانساني عند ما يواجه المرء بمشكلة اخلاقية، ولكن بالمقارنة مع بعض المحددات الأخرى، مثل القدرة على صياغة الأحكام الخلقية، فانه ثابت ودائم إلى حد كبير. ربما يكون الذنب والكف غير العقلي أكثر الضوابط تكرارا للسلوك الفعلي على القليل في مجتمعنا هذا، على أي حال لا يعطينا الحق في أن نساوي مفاهيم الضمير مع السلوك الخلقي عندما نستخدم كلمة أخلاقي بمعناها التقويمي. ولا يعني كم يلتصق الضمير مع «وصفيا» النمو الخلقي، إذا قومنا السلوك كأخلاقي من حيث أنه يتضمن مسئولية لنتائج أفعالنا، فان عدم عقلانيته يجب أن تجعله غير صالح كسلوك خلقي بأكمل معاني الكلمة.

ويتبع ذلك أن تفسيرنا للنمو الخلقي يجب أن يمتد ليشمل أوجه أخرى من السلوك التي سوف نناقشها أدناه.

الذات المثلى:

حتى الآن اكد هذا الفصل على الجوانب السلبية أو الكفية من السلوك الخلقي كما لو كانت الاخلاق اساسا مسألة الكف عن أشياء معينة خاطئة أكثر من كونها عمل اشياء صواب وحيث اننا كنا مهتمين إلى مدى بعيد بالادلة المتوافرة، هذا

التأكيد يعكس النزعة الخاصة بالعمل التجريبي الذي تم اجراؤه، وهذا بدوره، ربما، يعكس اتجاها شعبيا أكثر انتشارا واكثر قدما بالنسبة للموضوع – الوصايا العشرة، بعد كل شيء تعرض ميلا كفيا مشابها.

الامثلة السلبية مفيدة ايضا لانها تقدم دائماً أمثلة أكثر نوعية وأكثر وضوحاً التي نوضح بها المبادىء السيكولوجية المحيطة بالموضوع. سيكون من الخطأ على، أي حال أن ننتقل من جوانب الموضوع التي نوقشت في هذا الفصل دون أن نلقي نظرة على مثال أكثر إيجابية.

في فصل سابق، ناقشنا نمو الاحساس بالذات. وسيكون من الممكن أن نتقن هذه الفكرة إلى مجموعة نقية من التمييزات ـ صورة الذات، صورة الجسم، الذات المثالية وهكذا ـ التي سوف تنافس تلك الخاصة بلهوتي العصور الوسطى، ولكنه من حسن الحظ من الممكن التركيز من أجل غرضنا الراهن على واحد من هذه، أي الذات المثلى. يمكن أن ننظر لهذا كا يوحي الاسم، كترجمة مثالية للذات ـ نوع من النماذج ـ الداخلي ممثلا ذواتنا كا نحب أن نكون عليه، وفي مقابله يمكن أن يقاس سلوكنا الفعلي والمتوقع أو المستقبلي. أنها ليست مسألة تكوين مسؤل.. (هل أنا ذلك النوع من الشخص الذي يفعل مثل هذا الشيء؟)، على الرغم من أن هذا قد يحدث كا لو كان يمتلك صورة لذات مثلى، التي تؤثر في القرارات، احيانا على مستوى شعوريا ظاهريا.

مثال الذات متضمن في فصل عن الضمير لاسباب واضحة وان اكتساب نظام القيم هذا يشبهن في كثير من الجوانب العمليات التي صفت آنفا ولهذا السبب، سوف لا نناقشها ثانية، ان انتباه القارىء يوجه بنوع خاص إلى العمل حول الامتصاص والتقليد، سيكون من الممل أن نعيد المادة ثانية.

في منافسة عن السلوك الخلقي، فان الحصول على مثل عليا يعد في الغالب محكا رئيسيا وبالطبع، هناك معنى يكون فيه هذا حقيقيا. وفي نفس الوقت على أي حال ينبغي أن نكون حذرين من الاخطار والنقائض المتضمنة مع هذا الاساس للفعل الخلقي، ان مستوى الطموح غير الواقعي ربما يكون انهزام ذاتي.

هذا ربما يشرح بوضوح كبير بالاشارة الى جانب آخر من السلوك، وأعنى به

الطموح المهني. هذه ايضاً من الممكن أن توفر دافعية يعتد بها، ولكن عندما تكون غير مرتبطة بامكانات الفرد الحقيقية، فانها تكون مثبطة وهازمة للذات. لترغب في ان تصبح رجل شرطة أو قاض او طيار كلها طموحات حميدة ولكن اذا كان الشخص صاحب هذه الطموحات طوله أقل من المتوسط، او كان عاجزا عن تحليل القضايا المجردة أو قصير الابصار بشكل مبالغ فيه فان كل مجهوداته ستكون موجهة الى قنوات غير مثمرة. هو سوف، في حالات عديدة، يحرز أو يحصل أقل من صاحب الطموح المتواضع ولكن الاكثر واقعية بالمثل مع السلوك الخلقي اذا لم توجد علاقة معروفة بين المثال والذات الفعلية، الذي يمكن أن يظهر هو درجة من ذنب الشعور بالعجز. وفي الحالات المتطرفة انسحاب كلي.

اذا كانت الذات المثلى سوف تترابط مع الذات الحقيقية، فانه يتبع ذلك انها لا بد وان تمتلك امكانية ما للتوافق. في مجرى نمو الطفل فانه سيكون عليه ان يتمسك بشدة مع – اعادة بعض التنظيمات العاطفية والفيزيقية الموسعة ربما يكون اكثرها، على الاطلاق، تأثيراً، المراهقة. تغيرات في الجسم، «صورة الجسم» وظهور نزعات طبيعية جديدة لا يمكن تقدير هذه في ضوء مثال الذات الذي يجمد نموه عند مستوى طفلي.

صعوبة أخرى هي ان بعض الجوانب المعينة من الذات المثالية ربما لا ترتبط بالاخلاق على الاطلاق. فان بحثا حديثا حول مسألة التدخين واطفال المدارس يوضح هذه الحقيقة. لقد ظهر ان واحدا من الدوافع الرئيسية للتدخين ان العادة كانت مرتبطة، وربما يرمز لها بان سمات خلقية التي قيمها الاطفال الذين كانوا يدخنون – وبعبارة اخرى، كانت مرتبطة مع مثال الذات المثلى للطفل هذه السمات كانت كلها مرتبطة مع – أفكار مثل الخشونة أو الرجولة، افكار ليس لها علاقة بالضرورة مع الاخلاق، بل اذا كان هناك من علاقة، فربما يوجد ارتباط سالب ضعيف بالسلوك الخلقي.

وبالطبع ربما يكون هناك حالات حيث نتعامل مع مثل لا تكون بسهولة غير ملائمة للاخلاق، ولكنها مضادة أو معارضة لها فحيث يربى الطفل في ثقافة فرعية جانحة، فحتى العمليات العادية في التقليد أو الامتصاص ربما تؤدي إلى ظهور مثل

شريرة أو فاسدة. ولقد حدث شيء من هذا النوع على مستوى قومي في المانيا قبل الحرب.

الخلاصة:

كلا الضمير والمثل، اذن، لهما حدود مشابهة كدوافع للسلوك الخلقي حينما لا نستطيع ان ننكر انها تغذي اكثر ضوابط السلوك – ويحتمل اكثرها شيوعا – وربما تعمل على مستوى بعيد عن أفكار العقلانية والمسئولية لكل منها أسسه الموضوعية عندما كان الطفل صغيرا جدا لكي يفهم اي من المسائل الخلقية المتضمنة، وكلاهما يمكن أن يصيبه الفساد لغايات غير خلقية.

هناك حالة شيقة وهامة وقانونية تتصل جزئياً بهذه النقطة تدرس حالياً في الولايات المتحدة الأمريكية رجل شاب اقل من الحادية والعشرين من عمره رفض على اسس من الضمير، وهي مسألة شائعة مع كثير آخرين، رفض أن يسجل اسمه للخدمة العسكرية لان ذلك سوف يورطه، – على اقل القليل – لكي يعطي تأييداً واضحاً للحرب في فيتنام ولقد ادين تحت مشاريع القوانين وعوقب بالحبس – ولقد عارضت أمه هذا الحكم ومن بين أسس هذه المعارضة انه لما كانت الام، وليس الابن، هي المسئولة عن مثله العليا وعن طبيعة ضميره، فانه ينبغي أن تكون الام، وليس الابن، التي تعاني أي عقوبة قانونية ناتجة عن اسباب هذا الصراع.

لن يكون هذا هو مكان مواصلة هذه القضية، ولكن ربما تبرهن عن تمرين شيق وذي قيمة بالنسبة للقارىء لكي يناقش الى أي مدى مثل هذا الادعاء له ما يبرره عن طريق الادلة حول طبيعة ومنابع الضمير المعروضة في هذه الصفحات.

ملخص:

لقد ميزنا جانبين من الضمير: الكفى واثارة الذنب. والعمل التجريبي يربط هذين بانماط مختلفة من الاشتراط. لا يمكن تفسير الضمير في ضوء عامل واحد سببي، مثل الاشتراط المنفر، العقاب أو التقليد، ومن المحتمل ان كل من هذه العوامل يلعب دوراً في نموه.

الفصل الخامس

الحكم الخلقي

في يوم ما، في وسط الشتاء كان الثلج على الارض وكانت بركة القرية متجمدة بصلابة. ولم يشأ جوني جرين أن يذهب لمدرسة الآحاد، لقد أراد أن يذهب إلى التزلج بدلاً من ذلك. وعلم أنه إذا طلب ذلك من والديه فإنهما سوف لا يعطيانه إذناً بالبقاء بعيداً وعلى ذلك فقد أخفى قبقاب التزلج تحت سترته، وحمل انجيله في يديه، حيث يستطيع كل شخص أن يراه، ثم خرج. وما أن ابتعد عن أنظار من في المنزل حتى جرى مسرعاً نحو البركة من أجل التزلج لمدة بعد الظهر. ولكن الثلج لم يكن سميكاً كما بدا، وعندما ذهب جوني إلى وسطه انشرخ ووقع جوني في أعماق المياه السوداء، وكان كل الناس في مدرسة الآحاد ومن ثم فلم يسمع أحد صياحه من أجل النجدة ولقد حملوا جسمانه إلى المنزل حوالي الساعة الحادية عشر، وقت تناول الشاي. لو كان جوني ولداً حسناً، وكان قد ذهب إلى مدرسة الآحاد كما كان ينبغي عليه، فإن هذا ما كان يحدث له أبداً.

هذه القصة الفيكتورية الخلقية للأطفال تتضمن نوعاً واحداً من الحكم الخلقي – أو ربما نوعين، من حيث أن مصير الولد كما كان سيقوله مؤلفها بلا شك «حكم عليه» قارن التفكير الخلقي في القصة بذلك الوارد في اقتباسات القصيدة الآتية:

«انه لم يرد أي شيء سوى ما هو حق وما هو عدل فقط – عندما تريد أن تصنع ما هو عدل فإنه كل شيء يريده هو وليس أي شيء تريده أنت..»

"Hughes: Tom Brown's Schooldays".

العادة معه كانت مقياساً للحق، يجب أن تكون صواب = لقد فعلتها منذ شبابي.

"Crabbe = The Vicar".

إن الفروق التي يمكن رؤيتها في هذه الاقتباسات تختص بأساس الاحكام الخلقية، وإنه مع فروق من هذا النوع سنكون مهتمين في هذا الفصل.

أسس الأحكام الخلقيـة:

ينبغي أن نميز نمو التفكير الخلقي عن نمو القيم. في الحالة الأخيرة نحن نكون قائلين أن شخصاً يعتقد أن هذا خطأ في سن معينة، وأنه يكون خطأ عندما يكون الشخص أكثر تقدماً في السن قليلاً وهكذا.. عند النظر في تفكير الشخص الخلقي نكون مهتمين أكثر بالوسائل التي توصل إلى الخلاصة أو النتيجة فكثير من الناس ربما يوافقون أن السرقة خطأ، ولكن بينما قد يؤسس شخص ما عقيدته على أساس الاذعان للقانون، بينما قد يؤسسه آخر على اعتبار غير تفكيري لضميره الخاص. إن شخصاً قد يكون مهتماً بالامتثال لمعايير الحياة في مجتمعه، بينما آخر قد يطرح مجادلات - حول تأثر السرقة على المجتمع. مثل هذه الأسس المختلفة لاصدار الاحكام تتضمن طرقاً جد مختلفة في التفكير حول الصواب والخطأ.

ولكن لماذا من الممكن المجادلة تعنينا هذه الفروق؟ بالتأكيد ربما يجادل، إن ما يعتقده الشخص أكثر مما لماذا يعتقده هو الهام. ويضاف إلى هذه القضية نتائج البحوث الموضوعية المتباينة التي توضح أن الارتباط بين التفكير الخلقي والسلوك الخلقي ليس عالياً جداً.

هناك عدد من الأسباب تجعل الموضوع هاماً. لا بد أن نعترف، أنه من الأفضل أن الناس بوجه عام يفعلون الشيء الخلقي «وصفياً» لأي من الأسباب هذا أفضل عن عدم فعلهم له على الإطلاق. إنه من الأفضل أن يكف الناس عن قتل بعضهم البعض بسبب ليس خلقياً جداً «تقويمياً» وهو أنهم خائفون من العقاب هذا أفضل عن انتشار القتل وتشويه الأجسام.

ولكن في وصف النمو الخلقي، فإننا نعمل أكثر من مجرد أن نذكر تلك الأشكال من السلوك التي ربما تكون حسنة جيدة بالنسبة للمجتمع. إذا نظرنا إلى الأخلاق على أنها مرتبطة بطريقة ما مع فكرة المسؤولية،إذن فنحن ملزمون أن نميز بين، على سبيل المثال، الشخص الذي يعكف على القتل لأنه يفهم المبادىء المتضمنة وبين الشخص الذي يستجيب للاشتراط المنفر في الطفولة.

ثانياً: -

نستطيع أن نجادل أن بعض أنماط التفكير مرتبطة بثبات أكثر مع القيم المقبولة ومع السلوك أكثر من بعض القيم الأخرى. إن التاريخ الأوروبي خلال السنوات - الوسطى من هذا القرن قد عرض علينا على سبيل المثال، النتائج البائسة التي يمكن أن تنشأ من ربط فكرة الأخلاق ربطً ملاصقاً جداً مع فكرة الطاعة.

ثالثاً: -

والعودة إلى الأدلة المستمدة من الدراسات المسحية السيكولوجية، فإن معاملات الارتباط المنخفضة التي وجدت في مثل هذه الدراسات كعمل هارت شورن وماي التي وضعت في فصل سابق، لا يلزم إذا ما فسرت تفسيراً صحيحاً، لا يلزم أن تقودنا إلى نتيجة تشاؤمية جداً. حول الذي يلعبه التفكير الخلقي، لقد كانت الارتباطات كلها إيجابية، والعلاقة بصورة عامة كانت ذات معنى. نفس نقطة التفسير كانت نوقشت في فصل سابق:

سلوك الشخص يتفق مع أحكامه الخلقية في أكثر من نصف الحالات إذا كانت ٥٠:٥٠، فإن الارتباط سيكون صفراً، وسوف يدل الارتباط السالب على الاتفاق بين التفكير الخلقي والسلوك في أقل من نصف الحالات. لا بد أن نعترف، أن النتائج توضح أن هناك كثيراً جداً من الحالات التي لا يتفق فيها الاثنان ولكن اليس هذا هو الذي سوف نتنبأ به؟ لقد رأينا أن الاخلاق، من وجهة نظر السيكلوجي، مسألة عدد كبير من العوامل المتفاعلة داخل أي فرد والتفكير الخلقي واحد فقط من هذه العوامل بالاضافة الى ذلك، فان سلوك الفرد يتأثر بكثير جداً من العوامل الأخرى، التي لا تختص بالأخلاق على الاطلاق، الجمال، البحث عن الذات، الجنس، وهكذا. وعندما نتكلم في هذا المجال عن عقائد الشخص الخلقية، يجب أن نتذكر أننا نشير حقيقة لتفكير الشخص الخلقي كما تصوره بعض أدوات البحث - استخبار، مقابلة أو مقال، ولا واحد من هذه يعطى صورة نقية كلية. إجابات المفحوص يفسدها خليط من العوامل الغريبة التي هي خاصة بكل أداة، قد تتضمن هذه أشياء متعددة أو مختلفة كرغبة المفحوص في خلق انطباع جيد، في الاختبارات المكتوبة، ذكائه وقدرته، في الاستخبارات، نزعته في أن يتفق أو

يختلف باستمرار مع ما هو مكتوب مهما كان. عندما ننظر إلى عدد العوامل المتداخلة، ربما مندهشين لا لأن الارتباطات ضعيفة جداً... ولكن لأنها استطاعت أن تصل إلى مستوى يزيد عن الصفر زيادة ذات معنى. إن التفسير الصحيح لمثل هذه النتائج، إذا، أنها متمشية كلية مع رأي مؤداه أن التفكير الخلقي والحكم الخلقي لهما دور يلعبانه في السلوك الحقيقي.

الأنماط الارتقائية:

يجب أن نبدأ بالتأكد بأننا نفهم ما يوجد في ذهننا عندما نتحدث عن نمو التفكير أنه من الواضح أن هناك متضمناً ما هو أكثر من مجرد سرد الأفكار والعقائد التي تنمط الأطفال في الاعمار المختلفة. إن مخططاً للنمو يجب أن يحلل بطريقة ما عمليات التفكير المتضمنة، ويجب أن يربطها زمنياً أكثر من مجرد سردها في ترتيب زمني معنى هذا أنه يجب أن يتجه تجاه تعريفنا إلى كيف ينشأ نمط من السلوك من النمط السابق عليه. في العادة يتضمن مثل هذا التحليل تصنيف نوع المفهوم الذي يقدر عليه الأطفال عند مستويات مختلفة من النمو، أو تحليل أنواع العمليات العقلية التي يستطيعون القيام بها. مثل هذه التحاليل سوف تقود طبيعياً إلى صورة شاملة في شكل تسلسل للأطوار أو المراحل.

تسلسل للأطوار يبدو أنه فكرة مباشرة أو واضحة، ولكنها في الواقع تستطيع أن تشير إلى عدد من المواقف الجد مختلفة.

١ - الطور المتعاقب أو المتتابع:

في تتابع من هذا النوع الاطوار يتبع بعضها بعضاً في ترتيب محدد، وبحصول طور معين فإن الطور السابق يترك في الخلف أنه كما لو كان الطفل يمر خلال مجموعة من الحجرات أو الغرف. فعليه أن يعبر الغرفة الأولى لكي يصل إلى الثانية ولا يستطيع أن يكون في غرفتين في وقت واحد. وربما يكون أوضح مثال لمثل هذا التتابع يمكن أن نجده خارج موضوعنا الراهن وفي النمو الفسيولوجي للجنس أن تقسيماً خاماً إلى أطوار للسنوات من ٨/ ٢٠ قد يكون: ما قبل البلوغ، المراهقة، النضوج الجنسي ونحن نعرف أن التتابع أو السلسلة يجب أن نمر بها في ترتيب

محدد وثابت وأن العملية ليست مقلوبة أو معكوسة. فالوصول إلى المراهقة يعني أنك لا تستطيع أن تعود إلى مرحلة ما قبل البلوغ وأنه من المستحيل أن تكون في مرحلتين في وقت واحد. لقد اعتقد في وقت ما أن نموذجاً إنمائياً مشابهاً ربما ينطبق على نمو التفكير بوجه عام وعلى التفكير الخلقي بنوع خاص ولكنا سوف نناقش هذا الاحتمال بتفسير أكثر بعد ذلك في هذا الفصل.

٢ - الأطوار التجمعية:

أنه من الممكن أيضاً، على أي حال أن تقول أن الحصول على أحد المراحل لا يمنع استمرار العمليات الخاصة بالمرحلة السابقة لدرجة أننا نحصل على تتابع تراكمي أو تجمعي فيه يضاف كل نمط جديد إلى ما قد سبق قبل ذلك. ويعطينا نمو الاتصال شرحاً واضحاً إلى حد ما لهذا النوع من النمط. إن تحليلاً مبسطاً للمراحل التي تمر خلالها في تعلمنا الاتصال مع الناس الآخرين من الممكن أن يكون كما يلي:

أ - استعمال الأصوات المعبرة التي ليست كلمات.

ب - استعمال الكلمات المفردة لتحمل أفكاراً أكثر تعقيداً. مثلاً عندما يقول طفل يحبو (خارجاً)لكي يعني أن شيئاً ما ينبغي أن يقذف بعيداً، أو أنه يرغب أن يؤخذ، لنزهة، أو أنه لتوه في نزهة تبعاً للمحتوى أو للمضمون.

ج - استعمال جمل بسيطة.

د - استعمال جمل معقدة.

والآن الراشد المتوسط قد عبر كل هذه المراحل، ولكن على الرغم من ذلك، في أوقات مختلفة يستخدم كل هذه الطرق الأربعة في الإتصال. أنه يقول «أوتش» لكي يعني شيئاً ما يؤذي أو كعلامة تدل على الرضا أو الاشباع. إنه يستخدم كلمات مفردة مثل (خارج) أو بسرعة«لكي تحمل أفكاراً أكثر تعقيداً، ويستعمل كلا من الحيل البسيطة والمعقدة.

وسوف يرى القارىء فوراً أن مسألة ما إذا كان التفكير الخلقي يخضع للنمط الأول أو الثاني سيرى أنها مسألة ذات أهمية قصوى. فإذا كان النمط الأول أو المذكور أولا هو النموذج - الأكثر ملاءمة، فسوف نتوقع أن الطفل في مرحلة

معينة من نموه يمتاز بنمط واحد من الحكم الخلقي، بينما في الحالة الأخيرة فإننا سوف نتوقع أن نرى تنوعاً من النماذج، متضمنة بعضاً من ذات مستويات النمو البدائية.

٣ - الأطوار المتوازية:

بالطبيعة فإن النمو يحدث في كثير من الاتجاهات في وقت واحد وربما يحدث أحياناً أن علامات خطين منفصلين من النمو تظهر لكي تكون تتابعاً منفرداً لدرجة أننا نفشل في ملاحظة أن شيئين مختلفين مستمران في وقت واحد. إنه يبدو كما لو كان علينا أن نلاحظ الأنشطة المختلفة التي تسير مع تعلم الطفل المشي والكلام وأن نكتب تقريراً عنها كتتابع واحد منفرد لأطوار أنه يعمل، ربما نقول أصوات بسيطه، ثم يجلس، يقول كلمات، يقف يقول جمل ذات كلمتين. يزحف وهكذا أو بالطبع سوف لا يرتكب مثل هذا الخطأ أي واحد عندما يتعامل مع نشاطين يختلفان بوضوح عن بعضهما البعض ولكن عندما يتعامل مع موضوع يكون فيه التمييز أقل وضوحاً فإنه من المحتمل أن نهمل وجود تتابع تسلسل الأطوار. كثير من الكتب تعرض وجود تسلسل من الأطوار يتصل بتعلم المشي ومن الممكن بالتساوي النظر إلى هذه كتسلسلين متوازين لاكتساب موقف مستقيم والقدرة على التحرك أو التنقل هذه هي الاحتمالية التي ينبغي أن نتذكرها عندما نناقش النمو الخلقي وأن نموذجاً من هذا النوع سوف يوصف في الواقع في الفصل القادم.

التسلسلات المزيفة:

إن المظاهر قد تخدع كلية ربما يكون لدينا ما يظهر على أنه تتابع مستقيم لاطوار على النمط الأول الذي ناقشناه الذي ينتهي عند فحصه بأن يكون ناتجاً عن النضج. مرة أخرى يفيد مثال من مجال آخر أن مراحل الطائر في تعلم الطيران تشبه تتابع عادي للمراحل في عمل تعليمي، ولكن في الواقع إذا كان الطائر مقيداً بحيث أنه لا يملك أي فرصة أن يمر بالمراحل المبكرة، فإنه يستطيع على الرغم من ذلك أن يطير عندما يطلق سراحه أن المرحلة التي وصل إليها محكومة بمستواه في النضج الفيزيقي أكثر من حكمها بتسلسل الأنشطة التي قام بها. نفس الشيء قد تبين أنه يحدث في النمو الانساني باشارة خاصة للأنشطة الفيزيقية، كتسلق درج

السلم يلعب النضج دوراً أكثر وضوحاً في النمو الفيزيقي أكثر منه في نمو التفكير، ولكننا لا نستطيع أن نتحمل إبعاده كإمكانية.

هناك لذلك سؤالان ينبغي طرحهما حول نمو التكفير الخلقي: نريد أن نعرف، ليس فقط الأطوار التي يمر بها الطفل، المفاهيم والعمليات التي يقدر عليها عند أي نقطة معينة ولكن أيضاً كيف تترابط هذه الأطوار مع بعضها البعض أو أي من الأنماط أعلاه تخضع لها.

بياجية: مراحل في النمو العقلي:

إن السيكلوجي الذي كان أكثر تأثيراً في دراسة تفكير الأطفال وتكوين المفاهيم هو جان بياجيه[1] Jean Piaget. على الرغم من أنه ظل يعمل في هذا الحقل لمدة تزيد عن أربعين عاماً فإنه ليس إلا حديثاً نسبياً قد أصبح عمله بصورة مباشرة مؤثراً في اتجاهنا في هذا المجتمع (انجلترا) ومناهجه تختلف في عدد من الطرق عن المناهج التي ظهرت عند السيكولوجيين في العالم المتحدث باللغة الانجليزية أنه لا يهتم بالمنهج التجريبي بالمعنى الدقيق للكلمة ولم يستخدم المناهج المعقدة والتحليل الاحصائي التي أصبحت شائعة في المجتمعات الأخرى. من بعض الطرق، يشبه

(١) **جان بياجيه**: كان يعمل بجامعة جنيف في معهد جان جاك روسو وهو عيادة كبيرة للأطفال وكان بياجيه شغوفاً في اقامة نظرية ووصف وتفسير لكل عمليات النمو من الميلاد حتى النضج. وكان شغوفاً بوضع علم نفس عام لعقلية الطفل ولقد صدر أول كتاب له ١٩٢٣ وغيره من الكتب كانت محاولة لتفسير السلوك ولقد ابتكر بياجيه عدداً من المناهج لدراسة سلوك الطفل منها مناهج منتظمة لملاحظة لعب الأطفال وكذلك المقابلات الاكلينيكية إلى جانب اختبارات وامتحانات ذات صيغة فردية وخلص إلى أن الأطفال الصغار لا يستطيعون التمييز الواضح بين خبراتهم والحقيقة الخارجيةأنهم يسقطون أمزقتهم ورغباتهم وخيالاتهم على البيئة.
والأطفال في نظره ينسبون الحياة أو سمة الحياة إلى الموضوعات الجامدة في كل شيء يتحرك فهو واع مدرك كالكره أو الحجرة المتدحرجة وتضيق هذه الدائرة بعد ذلك فينسب الطفل الحياةإلى أشياء مثل الشمس والسيارات والحيوانات ولقد وجد أيضاً مراحل متتالية في نمو استخدام المبادىء الخلقية والقواعد الاجتماعية واعتقد أن عقل الطفل الأقل من الحادية عشر يختلف تماماً عن عقل الراشد فهو ينمو من البدائية الصرفة إلى الذاتية إلى الأنانية إلى الاتجاهات غير المنطقية إلى الاتجاهات الأكثر موضوعية وواقعية ومنطقية حتى التوجيه الخارجي للذات وللبيئة. (المترجم).

اتجاهه اتجاه الاكلينيكي، حيث أن عمله يتضمن تحليلاً دقيقاً وتفصيلياً لمعطيات تخص عدداً صغيراً من الأطفال، وفي نواحي أخرى يشبه اتجاهه، في ملاحظته الدقيقة اتجاه عالم الطبيعة الحقلي الجيد. في تحليله التصوري للمادة التي اعطاها الاطفال لهذا صلة كبيرة مع عمل المنطق.

التجارب عادة بسيطة بصورة خداعة. يعرض على الطفل كمية من الماء في ابريق طويل ورفيع وبينما هو يلاحظ ذلك تصب المياه في ابريق قصير وواسع يسأل المجرب إذا كان هناك الان مزيد من المياه عن ذي قبل أم أقل، وتعطى إجابة الطفل معلومات حول مفاهيمه المتصلة ببقاء المادة. ويسأل البنت الصغيرة «هل لكي شقيقه؟ الاجابة نعم لها شقيقه تدعى ميري. ويسأل المجرب عما إذا لميري شقيقه، وتجيب البنت الصغيرة كلا. لقد علما شيئاً شيقاً جداً حول إدراك الطفل للعلاقات. في مثل هذا العمل لا يتبع المجرب مخططاً محدداً تحديداً جامداً في الأسئلة، ولكنه بالأحرى يستكشف طبيعة استجابات الطفل للمادة وعمليات التفكير التي تكمن ورائها. لقد أسس بياجيه وزملاؤه في جنيف Jeneva نظرية موسعة حول أساليب نمو عمليات التفكير عند الطفل. وتؤكد هذه النظرية جانبين من تفكير الطفل اللذين ربما يبدوان لأول وهلة على أنهما متعارضان.

أولاً: يمثل نمو استدلال الطفل عملية مستمرة.. ثانياً.. اطوار الطفل المبكرة في التفكير مختلفة في النوع وليس فقط في الدرجة مختلفة عن عمليات التفكير عن الراشد الكبير. إن الطفل لا يفعل نفس النوع من العمليات كما يفعل الراشد، ولكن بأقل كفاءة أن العمليات نفسها مختلفة من النوع.

تتضمن النظرية فكرة عدد من الأطوار المتعاقبة.

ترجمة مبسطة لهذه معروضه فيما يلي:

١ - المرحلة الحسية الحركية (من حوالي سن صفر إلى سن سنتين):

هنا يتعلم الطفل التعامل مع وظائفه الادراكية والحركية الخاصة، وأن يلائم هذه مع بعضها، لكي، مثلاً عندما يرى قطعة من البسكويت، فإنه يعرف أولا أنها موضوع في العالم الخارجي، وثانياً يستطيع أن ينسق بين رؤيته وحركات يده

وذراعه بحيث يلتقط البسكويت وأن يضعها بدقة في فمه..إن أنشطة من هذا النوع، على الرغم من كونها غالباً ظاهرياً عشوائياً هي الاستكشافات الأساسية لطبيعة الذات والعالم الخارجي إنها المادة الخام التي يبنى منها المفاهيم الأكثر تعقيداً الخاصة بالحياة المتأخرة.

٢ - مرحلة ما قبل العمليات أو مرحلة التمثيل (من حوالي سنتين إلى ست سنوات):

يتعلم الطفل تمثيل العالم عن طريق الرموز، وخاصة الرموز اللغوية، ولكن ليس لديه بعد مفاهيم حقيقية ولا فهماً حقيقياً لمثل هذه الأمور كعلاقات سببية، التي يميل إلى تمثيلها بطريقة إحيائية فإن الأمطار تسقط لأن السحب تبكي، وتظلم الدنيا لأن الشمس تذهب إلى الفراش. ولا يكون قادراً على فصل الأهداف عن الوسائل.

٣ - مرحلة العمليات المشخصة أو المجسمة (من حوالي سبعة إلى إحدى عشر سنة).

ويبدأ الطفل في استخدام مفاهيم أصلية أو حقيقية وأن يطبقها على مواقف ومشاكل ولكن فقط من حيث ارتباطها بالعالم كما يمكن إدراكه مباشرة هناك قليل من التعميم أو التجريد.

٤ - مرحلة العمليات الصورية (من حوالي ١٢ سنة):

التعميم الحقيقي والتفكير المجرد والاستدلال الفردي تصبح لأول مرة ممكنة.

سوف يتضح أننا نتعامل هنا مع تتابع للأطوار كذلك الذي كنا نناقشه في مستهل هذا الفصل.. ولكن أي نوع؟ أنه ليس دائماً واضحاً أي النماذج يفضله مؤلفو البرنامج أنه يعتبر عادة كتتابع بسيط غير قابل للانعكاس أو للقلب وأحادي الاتجاه أو واحد الاتجاه من النوع الأول الذي ناقشناه ولكن حديثاً قد بدا أنه قد اعتبر كتتابع تجمعي أو تراكمي هذه النظرية العامة في النمو العقلي قد طبقت بتوسع على مسائل عملية تتصل بالنمو العقلي للأطفال وتعليمهم للموضوعات المدرسية. عدد من التعقيدات قد ظهر من هذا، كما سنرى، هذه التعقيدات لها تطبيقات تخص تلائم برامج النمو على أي وسائل عملية كائنة ما كانت التي تتخذها لتحسين أو

للتقدم بنمو الطفل الخلقي. إذا كان من الضروري للطفل أن يمر عبر مثل هذا التتابع في ترتيب ثابت جامد اذن، مع ذلك إن أعلى المراحل ربما تكون غايتنا القصوى فإننا يجب أن نهمل هنا حتى يصل الطفل إلى المرحلة قبل الأخيرة الذي نستطيع أن نأمل في عمله هو أن نوحد خبرته على مستواه الخاص وربما عن طريق اعطائه خبرات مناسبة تسرع من حركته نحو المرحلة التالية ولنفرض أن غاياتنا مساعدة طفل في معالجة المفاهيم المجردة والعامة وأن يكون قادراً أن يقوم بالعمليات المضادة كلية لها. وإذا كان الطفل في حوالي الخامسة ويعمل عند مستوى ما قبل الاجراء أو العمليات فسيكون مضيعة للوقت محاولة تعليمه مباشرة القيام بالعمليات الصورية.

يجب أن نركز بدلاً من ذلك أن ننقله إلى المرحلة التالية الخاصة بالعمليات المشخصة أن المسألة ليست في أن العملية لا يمكن الاسراع بها على العكس يمكن الاسراع بها إلى حد كبير ولكن يمكن عمل ذلك فقط عن طريق التركيز على الخطوة التالية المقبلة[1].

كل هذا قد أخذنا بعيداً عن المناقشة المباشرة للتفكير الخلقي ولكنه تدريب أولي ضروري.

لقد تعامل عمل بياجية في التفكير الخلقي مع موضوعين منفصلين: — فهم الطفل للقواعد وأسلوب الطفل في التفكير الخلقي.

فهم القواعد:

لاستكشاف هذا الموضوع استخدم بياجيه منهجاً في البحث بسيط مثل الذي

---

(١) كثير ما يتعجل الآباء والامهات نمو أطفالهم مدفوعين بحماسة زائدة لوصول أبنائهم إلى مراحل نمو متقدمه ولكن أظهرت التجارب ومن بينها تجربة جيزيل على التوائم والتدريب المبكر على تعلم تسلق درج السلم أن التبكير في التدريب لا يفيد الطفل بل قد يعوق نموه ولذا فلا بد من الانتظار حتى يبلغ الطفل مستوى معيناً من النضج الجسمي والعقلي والنفسي يسمح له بممارسة ما نريد أن نعلمه إياه. إن تكليف الطفل بما يفوق طاقته من شأنه أن يعوق نموه وأن يشعره بالعجز والنقص والفشل والاحباط. ومن ناحية أخرى فإنه لا ينبغي أن نهمل متطلبات النمو في كل مرحلة حتى لا تضيع الفرصة على الطفل ويفقد الاهتمام في التعلم. راجع كتاب المترجم «معالم علم النفس».

استخدمه في بحثه في الموضوعات الأخرى. المعدات الوحيدة التي كانت مطلوبة كانت مجرد قليل من البلي. لقد أعطاها المجرب للطفل وطلب منه أن يعلمه كيف يلعب بها متظاهراً الجهل لدرجة أن الطفل كان مضطراً لتكوين وللتعبير عن القواعد. ربما يعتقد، أن هناك اتصالاً بسيطاً بين مباراة للعب البلي والسلوك الخلقي.. إن هذا الأسلوب يوفر على أي حال اختراعاً مفيداً لفهم كيفية معالجة الأطفال للقواعد وكما أشار بياجية للمباراة نظاماً معقداً جداً من القواعد...

إنها تشبه مجموعة قوانين أو اجتهادات محاكم الاستئناف ذاتها ولهذا المنهج ميزة كون المجربون قادرين على مقارنة ما يقوله الطفل حول طريقة عمل القواعد مع ما يعمله حقيقة عندما يأتي تطبيقها على المباراة.

كان الأطفال في البحث الأصلي حوالي عشرين طفلاً تترواح أعمارهم بين ٤، ١٣ سنة ولقد كان هذا أحياناً موضوعاً للنقد. أن العدد الكلي للمفحوصين (الذي لم يدون اطلاقاً بدقة) صغير ليكون أساس نظرية عامة ويحتمل أنهم كانوا مستمدين من جماعة اجتماعية، محدودة جداً. إن الاستهزاء بأن العمل يمثل فقط دراسة قواعد مباراة البلي كما لعبها أطفال سويسريون من الطبقة الوسطى يبدو غير مبرر لأن التجربة قد تكررت وأتت بنتائج مشابهة تقريباً فقد أعيدت في عدد من البلدان. وإن من أكثر المناسبات حداثة كانت على التلفزيون البريطاني.

إن تحليلاً لسلوك الأطفال في التجربة قاد إلى تكوين تسلسل من أربعة مراحل في نمو استخدام الطفل وفهمه للقواعد وفي بعض الطرق ربما تستدعي هذه الأطوار نفس المراحل العامة للمؤلف في النمو العقلي التي شرحت آنفاً، هذه المراحل هي:

١ - المرحلة الحركيـة:

تتفق هذه المرحلة أو تماثل المرحلة الحسية الحركية في النمو العام وتشغل نفس المدى الزمني تتحرك البلى على أساس من رغبات الطفل الزائلة أو العابرة أو على أساس من عاداته الحركية. إن لعبه، على أي حال، ليس عشوائياً كلية، أنه يكون عدداً من أنماط السلوك الثابتة، ولكن هذه ربما لا توصف على أنها قواعد وصفاً صحيحاً. بالتأكيد حيث أن الطفل لم يبدأ بعد التعاون مع الاطفال الآخرين، فإنها

لا يمكن أن تكون قواعد بأي معنى جمعي أو اجتماعي، وعلى الرغم من ذلك فإنها تعدل أو تقيد سلوكه.

٢ – مرحلة الأنانية:

في السن ما بين الثانية والخامسة، يبدأ الطفل في تقليد القواعد التي يراها في سلوك الأطفال الآخرين، ولكنه لا يحاول بعد التعاون بأي معنى حقيقي. عندما يلعب عدد من أطفال هذه السن معاً فإنهم لا يقومون بأي محاولة للوصول إلى مجموعة موحدة من القواعد. فعلى الرغم من كونهم معاً بالمعنى الفيزيقي، وعلى الرغم من التقليد، فإن كل طفل يلعب منفصلاً.

٣ – مرحلة التعاون الأولى:

وتتداخل هذه مع المرحلة الثانية. الاطفال الآن يلعبون معاً بمعنى حقيقي. إنهم يحاولون أن يكسبوا وعلى ذلك فينبغي أن يبدأوا أن يعيروا انتباههم إلى مسألة مجموعة من القواعد الموحدة. ولكن أفكارهم عن القواعد بوجه عام ما زالت غامضة. إنهم يستطيعون عادة أن يحلو شيئاً ما في مباراة حقيقية ولكن عندما يسأل الأطفال الذين اشتركوا يسألوا فرادى فربما يعطون تفسيرات متناقضة للقواعد التي كانوا يتبعونها.

٤ – مرحلة التقنين:

في وقت ما فيما بين الحادية عشر والثانية عشر يبدأ الأطفال في تثبيت القواعد بالتفصيل لدرجة أنها تحصل على الصورة التي أشار إليها بياجية على أنها «مجموعة قوانين محاكم الإستئناف». مجموعة القواعد تكون معروفة ومقبولة عند مجتمع الأطفال العام.

هذا المخطط تفسير لكيفية معالجة الأطفال للقواعد أو اتباعهم لها، عند الاعمار المختلفة. ولكن هناك جانب آخر لفهم الطفل للقواعد وهو أكثر أهمية نعني به استبصار الطفل إلى جوهر القواعد.

في الجزء الثاني من البحث عومل مع هذا عن طريق عدد من الأسئلة، مثل كثير من بحوث بياجية التي كانت عابرة أو خداعية بسيطة وبارعة. لقد سئل الطفل، على سبيل المثال، أن يصنع قاعدة جديدة من عنده، وعندما فعل ذلك سئل أسئلة كالآتي:

هل سيكون من الصواب أن تلعب مثل هذا مع الأطفال الآخرين؟ هل هذه قاعدة عادلة؟ هل هي قاعدة حقيقية؟.. هل تستيطع قاعدتك أن تصبح الطريقة التي يلعب بها كل واحد، هل تعتقد أن أباك استخدم هذه القواعد عندما كان طفلاً صغيراً؟... إن الاجابات على هذه الأسئلة وحتى لسلسلة أخرى من الأطوار. وحيث أننا لا نتعامل الآن مع نفس الجانب من فهم القواعد مثل ذلك الجانب الذي كان موضوعاً لمخطط النمو الموصوف آنفاً، يجب أن نكون مستعدين أن نجد أن السلسلة الجديدة لا تتفق تماماً مع السلسلة السابقة. هذا بالطبع لا يتضمن أن هناك أي صراع أو تصارع بينهما. في هذا المخطط كان هناك ثلاثة أطوار مميزة:

١ – المرحلة الأولى تتطابق تقريباً مع المرحلة الحركية ومع الجزء الأول من مرحلة الأنانية في المخطط أعلاه في البداية، بالطبع، فإن الرضيع ليس لديه تصور أو مفهوم للقواعد قبيل نهاية هذه المرحلة، عندما تبدأ في التأثير على لعبة فإنها ترى كأمثلة شيقة أكثر من كونها واجبات أو التزامات ليس لها قوة ملزمة.

٢ – الثانية أو المرحلة الترنسندنتالية[١] أو الجوانية وتبدأ قبيل نهاية مرحلة التمركز حول الذات أو الأنانية وتدوم حتى منتصف مرحلة التعاون الأولى. الطفل يعي بشغف القواعد التي تعتبر، على أي حال، كمقدسات ولا يمكن لمسها، نابعة من الكبار الراشدين وتدوم إلى الأبد. وكل تغيير مقترح يصدم الطفل كإنتهاك أو مخالفة.

٣ – في المرحلة الثالثة ينظر إلى القاعدة كترتيب نابع من الموافقة المتبادلة. الآن اصبح من الممكن تعديل القواعد على افتراض أن اللاعبين الآخرين في المباراة يوافقون بياجية يعتبر هذه المرحلة الأخيرة لكونها مؤسسة على الاحترام المتبادل والتعاون

---

(١) الترنسندنتالية Transcendental: فلسفة تشير إلى الوقوع وراء نطاق الخبرة أو الشيء الفائق أو الذي تجاوز الحد أو المتعالى أو الكائن فوق الوجود المادي ولكنه ليس وراء نطاق المعرفة البشرية فهي شيء سام ومتعال وتعتمد هذه الفلسفة في الوصول إلى المعرفة عن طريق دراسة عمليات الفكر وليس عن طريق الخبرة أو التجربة فاللفظة تشير إلى التفوق أو السمو أو الاستعلاء أو الرفعة وهي حركة ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية فيما بين ١٨٣٠ – ١٨٦٠ بتأثير الواقعية الألمانية والرومانسية الإنجليزية «المترجم».

وعلى تقدير حقوق الآخرين، يعتبرها القاعدة التي تمثل اكتساب الفهم الحقيقي لطبيعة القواعد وهي القاعدة الملائمة للنمو الخلقي الأصيل أو الحقيقي.

أسلوب التفكير الخلقي، أخلاقان للطفولة:

نحن نرى إذن، في نمو فهم الطفل للقواعد انتقالين اساسيين في الاتجاه الثاني من هذه يقع بين المرحلة الجوانية والمرحلة الأخيرة النهائية يعتبر الأكثر تشويقاً واهمية. وهذا لسبب أنه يمثل تغييراً في كل من التفكير والاتجاه والذي يظل يظهر في أجزاء اخرى من الدراسة المسحية والذي له تأثير على جوانب أخرى من حكم الطفل الخلقي.

ويستمر بياجية في استكشاف افكار الطفل عن العدل والعدالة، عن العقاب وعن مفاهيم مثل قول الكذب. المنهج هو أساساً قص قصص للأطفال وتوجيه اسئلة اليهم حول المواقف الموصوفة الزوج التالي من القصص يشرح كيف يعمل هذا:

١ - كانت هناك بنت صغيرة اسمها ماري ارادت أن تعمل لوالدتها مفاجأة ظريفة، وارادت أن تحيك لها بعضاً من أعمال الحياكة ولكنها لم تعرف كيف تستعمل المقص على الوجه الصحيح، وقطعت وعملت فتحة كبيرة في القماش.

٢ - فتاة صغيرة تسمي مارجريت ذهبت وأخذت مقص والدتها في يوم ما عندما كانت والدتها خارج المنزل، ولعبت به لفترة ما، إذن لأنها لم تعرف كيف تستخدمه على الوجه الصحيح فقد عملت ثقباً كبيراً في فستانها.

سوف يرى القارىء أن هذا الزوج من القصص يتضمن توازناً عند الشخص الذي يسأل عن الأهمية النسبية للدافع في مقابل مدى التدمير.. ومرة أخرى لم يكن هناك برنامج رسمي من الأسئلة. لقد استمع الأطفال ببساطة إلى القصص واخبروا المجرب أي البنتين كان أكثر «شقاوة» أو الذي ينبغي معاقبته بشدة أكثر، أو ماذا كان مجرى الأفعال الأكثر عدالة.. ولقد كانت تتبع اجابات الطفل باستكشاف حر لعمليات التفكير التي بدا أنها متضمنة، بالمثل كما حدث في بحوث القواعد.

لقد درس مفهوم الكذب عن طريق الأسئلة والاجابة، مثل هذه الأسئلة كانت توضع للطفل«هل من الأسوأ أن تخبر راشداً كبيراً بكذبة عما تقوله لطفل آخر»؟.

أو هل الأكاذيب الكبيرة لدرجة أن أحداً لن يصدقها هل هي أحسن من الأكاذيب الصغيرة التي يمكن أن تصدق؟.

ولقد ظهر عدد من النتائج المترابطة. ظهرت من هذا الجزء من البحث، كلها انعكاس للفرق بين المرحلة الجوانية ومرحلة التعاون في فهم القواعد، إن الأطفال في مرحلة القواعد الجوانية كانوا يميلون إلى توكيد، على سبيل المثال، الخسارة الحقيقة دون النظر إلى الدافع. في زوج القصص المقتبسة آنفاً الأطفال الصغار قالوا أن الفتاة التي احدثت ثقباً كبيراً ينبغي لومها أكثر على الرغم من الحقيقة أنها كانت تحاول أن تساعد«... الفتاة التي أرادت أن تساعد أمها قليلاً كانت هي الأكثر شقاوة، لأنها عملت ثقباً كبيراً يجب أن توبخ بعنف» ... في قصة أخرى الولد الذي كسر دستة من الفناجين التي كانت فوق صينية خلف الباب كان عليه أن يلام أكثر «على الرغم من أنه لم يكن ليعرف أن الفناجين كانت هناك» يلام أكثر من الطفل الذي كسر فنجاناً واحداً بينما هو يتسلق على سلم الرفوف لكي يسرق بعض المربى.

إن الانتقال من القواعد الجوانية إلى النوع الخاص بالموافقة المتبادلة من القواعد اذن، يقابل نزعة متوازية للانتقال من مبدأ المسؤولية الموضوعية إلى المسؤولية الذاتية أي الانتقال من الأحكام التي تأخذ في الاعتبار ببساطة طبيعة النتائج إلى تلك التي تأخذ في الاعتبار القصد أو النية والدافع أن هذا الانتقال ليس، علمياً، واضحاً كما هو ظاهر في وصف من هذا النوع.. هناك تداخل كبير وبعض النوعية ففي ذلك وجد أنه من الممكن جداً لنفس الطفل أن يعبر عن النوعين من الحكم بالنسبة للمواقف المختلفة.

أحكام الأطفال عن قول الكذب أظهرت نموذجاً مشابهاً للنمو. في المرحلة الجوانية، فإن كذبة تقال لراشد كبير تستحق مزيداً من التعنيف أو اللوم عن تلك التي تقال لطفل صغير. إن خطورة الكذب تتفق مع نسبة «حجمها» مباشرة بصرف النظر عن ضخامة النتائج الغير محتملة. ولا نرى الجدال الأكثر تعقيداً أن الأكاذيب الأكثر بريقاً هي الأكثر سوءاً لا نرى هذا إلا في مرحلة التعاون.

وهكذا أيضاً مع فكرة الطفل عن العدالة في المرحلة الجوانية فإن الطفل يفكر

في العدالة كشيء مطلق حتى شيء حسابي، يراها كمبدأ مطلق. ولا يحدث إلا أخيراً أن فكرة الحاجات الفردية تبدأ في تعديلها.

كل جزء من البحث عرض صورة شاملة كانت تشبه الطراز الثاني والثالث لفهم الطفل للقواعد الجوانية تفسح الطريق للقواعد التعاونية، والقواعد الموضوعية إلى المسؤولية الذاتية، الأفكار الرياضية عن العدالة إلى تلك التي تأخذ في الاعتبار الحاجات الفردية العقاب الجزائي الى العقاب الذي يأخذ في الاعتبار الدوافع. بياجية يدمج معاً النتائج في هذين المجالين المنفصلين عن طريق اقتراح إنهما أمثلة نوعية لمرحلتين طاغيتين في التفكير الخلقي المراحل في تناقض واضح مع بعضها البعض لدرجة أنه وصفها« كأخلاقين».

أخلاق الخضوع أو التبعية:

هذا قانون خلقي دكتاتوري مفروض على الطفل من عالم الكبار أنه غير عقلاني في خصائصه ويتميز بالواقعية الخلقية. ويعني هذا أن القواعد لها قيمة ثابتة وموضوعية بصرف النظر عن الأفراد الذين يطيعونها. وخصائصها إلا بعد من ذلك قد وصفت تواً. لأنها أول أساليب الاستجابة في كل من الأمثلة الواردة أعلاه لتوضيح ظهور الانتقال في الاتجاه.

الأخلاق الذاتية:

هي أخلاق المساواة بين البشر والديمقراطية، قائمة على الاحترام المتبادل والتعاون أنها عقلانية وتنبع من التفاعل بين الطفل وانداده. ولم ير بياجيه شيئاً في الأخلاق الأولى يمكن أن تؤدي إلى الثانية. إن احساس الطفل بالعدالة هو، في الحقيقة، يعد أو يعتبر مستقلاً إلى حد كبير عن تأثير الكبار ولا يتطلب شيئاً لنموه أكثر من الاحترام المتبادل والتماسك أو التكافل الذي يوجد بين الأطفال أنفسهم. أنه غالباً على حساب أبعاد الراشد وليس بسببه أن أفكار العدل والظلم تجد طريقها إلى عقول الشباب.

لقد كان هذا الرأي في نمو التفكير الخلقي مؤثراً جداً قبل الانتقال لفحص الاتجاهات الأكثر حداثة.

ثلاثة نقاط تستحق أن نعلمها: –

أولاً: إن استخدام اصطلاحين متضادين الخاضع والذاتي ربما يكون مضللاً قليلاً «الخاضع أو التابع» تعني الخضوع لإرشاد أو لقواعد الغير. ويعني هذا في هذه الحالة أن القواعد الخلقية والارشاد ينبعان من خارج الفرد، أنهما يفرضان عليه من البيئة «والذاتي» تجعلنا نفهم أن القواعد ليست هكذا مفروضة، وأن مستويات الفرد الخلقية مستقلة عن مثل هذا الغرض.

أنه من المستحيل أن جزءاً من الاتجاه الذي تغير – الذي لاحظه بياجية مستحيل أن يرجع إلى التأثير المتزايد في السنوات الوسطى من الطفولة لجماعة الانداد، أنه شيء كثر تقريره لدرجة أنه أصبح شائعاً في علم النفس الارتقائي إذا كان ذلك كذلك، إذن فعلى الرغم من أننا نستطيع أن نتتبع بعض العناصر للذاتية الأصيلة في جوانب السلوك المتجمعة معاً تحت هذا العنوان، على القليل جزء من هذا التغير ينتج من استبدال الخضوع لجماعة الانداد بالخضوع لعالم الكبار.

ثانياً:

سيكون من الخطأ أن ننظر لهذه النظرية الخاصة بالاخلاقين في الطفولة بصرف النظر عن فائدة التمييز، كشيء يزودنا بصورة كاملة: فإنها لا تذكر دور الضمير وكما رأينا، كثير من العاملين يرون الضمير كظاهرة تسبق التبعية أو الخضوع أنه في الواقع، ربما يعتبر امتصاصاً أو استدماجاً لأخلاق التبعية. إن صورة كاملة لسلوك الطفل الخلقي ينبغي أن تتضمن هذا النوع من الحكم الخلقي، كل من النقاط الانفة قد درسها باحثون متأخرون وسوف نصنف نتائج حالياً.

ثالثاً:

على الرغم من أن الأربعة مراحل في استعمال الطفل للقواعد تبدو أنها تكون نوع من تتابع الاطوار الذي نربطه مع اعمال بياجية الأخرى فإن الأخلاقين لا يفعلان ذلك. وكما رأينا بياجية، بدلاً من اعتبار أخلاق التبعية تمهيداً ضرورياً للذاتية، يقرر بوضوح أنه لا يرى شيئاً في الأولى يستطيع أن يؤدي إلى الثانية. هذه العبارة ربما تكون مثيرة للدهشة لأنها تبدو كأنها تدين بالكثير إلى المناخ السائد للرأي التربوي أكثر من المبادىء المتسعة في مكان آخر من أعمال بياجية مع تأكيده على استمرارية النمو بالرغم من الفروق الكيفية. على الرغم من أن عمل بياجية في هذا الحق كان مؤثراً للغاية سوف نرى أن السيكولوجيين المتأخرين لم يتبعوه في

مسألة الاستمرارية والذين اتخذوا كنموذج لهم نوع نموذج الأطوار الذي يطابق أكثر الاتجاه الخاص بياجية وحتى مع ذلك، فكرة الحركة من التبعية إلى الذاتية هي فكرة ليست فقط مفيدة للغاية ولكنها أيضاً استطاعت أن تعيش حين الوقت الحاضر.

(بيك وهافيجورست Peck and Hauighurst).

تنميط خلقي:

إن أكثر محاولة لتوفير سلسلة من الأطوار التي تمثل التفكير الخلقي هي عمل بيك وهافيجورست حول سيكولوجية النمو الخلقي. على الرغم من أن العمل أوسع في مقصده عن مجرد تحليل بسيط لتكوين المفاهيم، فسوف يرى أنه يهتم أساساً باتجاهات مختلفة للمشاكل الخلقية، وعلى ذلك يشبه التفكير الخلقي بالتصاق أكثر من تشابهة مع عناوين أخرى في هذا الكتاب.

لقد درس بيك وهافيجورست مجتمعاً صغيراً في غرب وسط أمريكا مبدئياً. لقد طبق اختبارات عديدة - الإيديولوجية[1] الخلقية، الاستجابات الانفعالية.

ولقد درس هؤلاء الاطفال بالعديد من التقنيات - اختبارات شخصية اسقاطية[2]-، اختبارات تكملة الجمل، مقابلات، وملاحظات تمت بواسطة باحثين

---

(١) **الايدلوجية:** Ideology تشير الايدلوجية إلى نظام الأفكار والعقائد والاتجاهات والمذاهب والفلسفات والمبادىء التي تكون الفلسفة الكلية لمجتمع معين. ويطلق عليها اسم علم الافكار وتشمل الجوانب الواقعية من حياة المجتمع في حقبة زمنية معينة وكذلك الجوانب المماثلة أي ما يطمع أن يكون عليه مجتمع ما. يراجع كتاب المترجم «الايدولوجية العربية الجديدة ووسائل تحقيقها». «المترجم».

(٢) **الاختبارات الاسقطاية:** من أمثلة هذه الاختبارات اختبار تفهم الموضوع واختبار بقع ألحبر لرورشاخ واختبارات تكملة الجمل اختبارات تكملة القصص واختبارات الاصوات الخاصة وتقوم على اساس أننا إذا قدمنا للفرد مثيراً غير كامل البناء أو التكوين أو المعنى فإنه يفسره تفسيراً ذاتياً يسقط عليه آماله وآلامه وصراعاته وتوتراته وانفعالاته الذاتية ورغباته المكبوتة بحيث يصبح بحق هذا المثير انعكاساً طبيعياً لما يدور داخل الفرد نفسه ويعاب عليها افتقارها للموضوعية في تقويم استجابات الافراد والواقع أن تفسيرها وتطبيقها يحتاجان لخبرة مهنية واسعة بالقياس إلى الاختبارات اللفظية الصريحة ولكنها تفيد بنوع خاص في الحالات التي يرفض فيها المريض الافصاح الصريح عن انفعالاته ويمتاز المثير الاسقاطي بالغموض وعدم اكتمال البناء ولا يفرض استجابة معينة على العميل وتكشف عن عواطف الفرد ودوافعه. لمزيد من المعلومات راجع كتاب القياس والتجريب في علم النفس والتربية. دار النهضة العربية، بيروت. «المترجم».

حقليين الذين عاشوا في المدينة وتعرفوا على الاطفال. المادة التي جمعت هكذا خضعت لعدد من التحاليل على درجة عالية من التعقيد والصعوبة.

الباحثون في حقل معقد كهذا يواجهون حتماً ورطة عندما يأتون إلى تصميم قطعة بحث. وينبغي أن نتذكر أن اتجاه بيك وهافيجورست يمثل حلاً لهذه المشكلة التي تكمن عند أحد طرفي مستمر للاجابات الممكنة تثبت لتحليل ذو قوة عالية لكتلة معقدة من المعطيات عن عدد صغيراً جداً من المفحوصين يجب أن نتذكر أيضاً أنه ليس كل السيكولوجيين راضيين كلية حول(١) ثبات وفائدة بعض هذه المقاييس بنوع خاص اختبارات الشخصية الاسقاطية التي استخدمت في هذا العمل. ومع ذلك فإن أهمية النتائج لا ينبغي بخسها، وكما سنرى فإن البحث يعطينا نظرية تفصيلية مقترحة عن النمو الخلقي أكثر ما رأيناه حتى الآن.

يفرض بيك وهافيجورست خمسة أنماط خلقية التي تدرك على أنها مراحل. متتابعة متتالية في نمو الفرد:

١ – مرحلة الرضاعة ليست أخلاقية: في فصل سابق ناقش الشخصية السيكوباتية كثير مما قيل في ذلك الوقت ينطبق على هذا النمط الخلقي. ان الشخص اللااخلاقي يرى الاشخاص الآخرين كوسائل للاشباع الذاتي وهو اناني كلية. انه يفتقر الى المبادىء الخلقية والضمير في كلا المعنين الذين افترضناهما للكلمة. ان الصورة في كثير من الاساليب هي صورة رضيع لم تبدأ بعد عملية تطبيعه(٢) اجتماعياً.

---

(١) ثبات الاختبار: سمة من سمات الاختبار الجيد التي لا بد من توافرها في الاختبار أو القياس قبل شيوع تطبيقه، ويقصد بها أن الاختبار يعطى نفس النتائج تقرياً كلما اعيد تطبيقه على نفس العينة من الافراد وتحت نفس الظروف الاجتماعية والفيزيقية التي طبق في ضوئها في المرة الأولى وهو بذلك يشبه المسطرة المدرجة تدريجاً جيداً فإذا – احتل طالب المكانة الاولى ين اقرانه فانه ينبغي ان يحتلها في كل مرة يجري عليه الاختبار، ويتحقق الباحث من ثبات اختباره عن طريق القسمة الى نصفين أو إعادة تطبيق الاختبار أو تصميم صورتين متكافئتين من الاختبار يقيسان نفس السمة وعن طريق ايجاد معامل الارتباط ين درجات الافراد على النصف الأول مثلاً ودرجاتهم على النصف الثاني يمكن تحديد كم وكيف معامل الثبات. راجع كتاب المترجم. القياس والتجريب في علم النفس والتربية، دار النهضة العربية بيروت.

(٢) التنشئة الإجتماعية: Socialization وهي العملية التي يكتسب الفرد من خلالها قيم ومعايير وعادات وتقاليد ومثل ومعتقدات وفلسفات ومذاهب ومبادىء المجتمع الذي يعيش في كنفه بحيث يصبح عضواً في جماعته وبذلك يصبح الطفل حساساً للمثيرات الاجتماعية كالضغوط=

٢ – النفعية في الطفولة المبكرة: الشخص النفعي يميل أن يسلك بالتمشي مع معايير مجتمعه ولكن فقط لتجنب العقاب، ومن أجل الحصول على ميزة. إنه لا يهتم برفاهة الناس الآخرين فيما عدا ما إذا كان مثل هـذا الاهـتمام لمصلحته الخاصة.

بيك وهافيجورست اعتبرا هذا النمط أيضاً أساساً ثانياً. اخلاقه بمعنى من المعاني غير ثابتة لأنه إذا كان سببه الوحيد لاحترام القواعد هو ضمان مزاياه الخاصة فإنه مستعد جداً أن يلغي القواعد عند ما لم يعد في مصلحته الخاصة الامتثال لها. هذا النمط من السلوك يقول عنه المؤلفان أنه من خصائص الأطفال الصغار الذين تعلموا أن يكون لديهم احترام لقوة الكبار في اعطاء المكافآت وممارسة المعاقبات والذين يعدلون سلوكهم على هذا الأساس حينما يوجد حولهم شخص كبير. وعندما يكونون بمفردهم، على أي حال، فإنهم يعودون بسرعة إلى الأنانية التي هي أكثر طبيعة لهم.

٣ – أ – الامتثال[١] في الطفولة المتأخـرة:

الشخص الممتثل هو الذي مبدأه الارشادي (ما عمل) وقد يظهر هذا في عدد

= والواجبات اللازمة لحياة الجماعة ومن خلالها يتعلم الطفل كيفية التكيف مع الجماعة ويسلك مثل سلوكهم وتبعاً لثقافتهم وبذلك يصبح الطفل بحق كائناً اجتماعياً. راجع كتاب علم النفس الاجتماعي للمترجم، دار النهضة العربية – بيروت.

(١) الامتثال: Conformity ويشير هذا الاتجاه إلى خضوع الفرد لنمط معين من المعايير أو القيم والمبادىء والفلسفات وكذلك القواعد والأدوار والمستويات التي يعتنقها المجتمع الذي يعيش في كنفه وهنا يشبه الفرد في سلوكه واتجاهاته غالبية أفراد الجماعة ويعد الفرد متكيفاً ومقبولاً إذا قبل هذه الأنماط الفكرية والسلوكية ويعد شاذاً إذا خرج عليها. وينتقد هذا الاتجاه بالقول بأنه قد يؤدي إلى جمود المجتمع وحرمانه من جهود الرواد والقادة المصلحين ودعاة الاصلاح والتجديد والتطوير وينال بعض الشيء من حرية الفرد. وطبقاً لهذا المفهوم فلا يوجد تكيف بالمعنى المطلق وإنما يختلف مفهوم التكيف باختلاف الثقافات أو باختلاف الزمان والمكان فما يعد خيراً في شمال البرانس يعد شراً في جنوبها. والفرد المتكيف في مجتمع ما قد يعد شاذاً في مجتمع آخر وليس من الضروري أن تكون الغالبية الساحقة من الناس دائماً على حق والفرد دائماً على باطل بل قد يحدث العكس فقد يكون الفرد على حق والجماعة على باطل كما هو الحال في مثال المانيا الهتلرية في عهد النازية التي كانت تدين بسمو الجنسين الجرماني على سائر الأجناس ولقد ثبت بطلان هذه النظرة العنصرية فقد دلت الدراسات على أن ما يوجد بين الأجناس من فروق ترجع إلى ظروف ثقافية وليست سلالية. راجع كتاب المترجم علم النفس ومشكلات الفرد، منشأة المعارف اسكندرية.

من الصور – الالتصاق بقواعد الجماعة، تقديس تقاليد مجتمع المرء وخلافاً للنمطين السابقين للتفكير، إنها تقود إلى توجيه ثابت نحو مسائل الصواب والخطأ، ولكن ليس هذا شيئاً من مبدأ خلقي عام... ما لم تعتبر كمبدأ الامتثال لما يفعل الغير.. ويميل الامتثالي إلى أن يتجه إلى كل موقف منفصلاً مطبقاً عليه مقاعدة الملائمة أو العقيدة ولهذا السبب ربما نتوقع أن تحد درجة ما بين النوعية في سلوكه.

ب – حي الضمير اللاعقلاني – في الطفولة المتأخـرة:

هذا الشخص يحكم على المواقف تبعاً لمعاييره الداخلية الخاصة في الصواب والخطأ معيراً قليلاً من الانتباه إلى ما إذا قراره مواقف عليه أم لا قبل الناس المحيطين به.. اللاعقلاني ربما يكون مصطلحاً أكثر وضوحاً من الغير عقلي. لقد ناقشنا توا تعقيدات العمل مثل هذه المبادىء تطبق بطريقة جامدة بصورة ما، فالعمل طيب أو رديء لأن الفرد يشعر حدسياً أنه كذلك، وليس بسبب آثاره على الغير.

هذا النمط، أيضاً، يؤدي إلى ثبات السلوك الخلقي، حتى وإن كان ذلك ثباتاً جامداً.وسوف يتبين القارىء، إن كثيراً من المنافسة في الفصل السابق حول الضمير ملائمة هنا.

٤ – الغيري العقلاني – في الطفولة المتأخـرة:

هذا أعلى مستوى للنضج الخلقي في المخطط بيك وهافيجورست.. هؤلاء الذين يسلكون على هذا الأساس ليس لديهم فقط مجموعة ثابتة من المبادىء الخلقية، ولكنهم يطبقونها أيضاً بمرونة وبموضوعية في ضوء ما إذا كانت نتائج فعل معين طيبة أو ضارة. وكما يوحي الاسم هذه النتائج ترتبط أساساً مع الناس الآخرين هذه الكلمة وينبغي أن تعطي انبطاعاً زائفاً. ينبغي أن نميز على سبيل المثال التضحية الذاتية من أجل غاية مفيدة والتضحية الذاتية العصابية التي لا يوجد لها وظيفة سوى الاشباع الذاتي الغامض أو المبهم.

الشخص الغيري العقلي يدرك معايير مجتمعه وتلقين ضميره الخاص ولكنه قادراً على ملاحظة روح القواعد أكثر من بقائه مقيداً بالتزام جامد بحرفيتها بسبب اعتباره للنتائج.

ربما لاحظ القارىء أن هذا ليس تتابعاً إنمائياً مستقيماً.

المرحلة الثالثة مقسمة فرعياً أو داخلياً ووصف أنماط الامتثال وحي الضمير الغير عقلي سوف تستدعي بلا شك المناقشة السابقة في الفصل الرابع حول الناس الموجهي داخلياً والناس الموجهين من الغير، والتميز بين الذنب والعار. وسوف تتذكر أن هذه كانت معروضة كأنماط خلقية متعارضة، بيك وهافيجورست كانا يدركان هذا العمل واقترحا أن هذه الأطوار ربما تمثل مراحل متوازية أو بديلة على الطريق إلى الغيرية العقلية، وعلى ذلك فإن مخطط النمو الخلقي ربما يمكن تمثيله كالمعروض أسفله[١]:

لا بد أنك تلاحظ أن هذا المخطط الارتقائي يخدم وظيفتين:

انه مرة واحدة تسلسل لمراحل النمو وتصنييف خلقي، معنى هذا، انه لا يخدم فقط في اخيارنا إلى أي مدى قد تقدم تفكير الفرد الخلقي ولكنه أيضاً يصنف الأفراد إلى النمط النفعي والنمط الامتثالي وهكذا هذا النوع من التصنيف جذاب جداً، لأنه يقدم طريقة سريعة ومريحة لتلخيص السلوك الخلقي للناس الذين نأتي للاتصال بهم، ولكن سهولته نفسها ربما تمثل خطراً من حيث أنه ربما يقودنا إلى عمل أحكام سطحية جداً القاء الناس إلى فئات منفصلة - الصعوبات التي تنشأ من مثل هذه العملية نوقشت في الفصل الثاني.

ان التصنيف الخلقي لا يمكن أن يكون أكثر من مجرد إرشاد خام نحو استجابة الفرد السائدة. اننا سوف لا نتوقع أن نرى في الحياة الواقعية، كثيراً من الانماط النقية أو الخالصة كالتي وصفت أعلاه. معنى هذا أن الناس تدفعهم في كل مناسبة اعتبارات النفعية، الضمير، أو الايثار أو الغيرية واكثر انطباقاً هي نزعة سلوك الفرد أن يوصف أو أن يتميز بأكثر من واحد من هذه الانماط في العدالة، يجب أن يشار أن هذا التحذير يقصد به التعامل مع سوء فهم محتمل من جانب القارىء.

---

(١) غيري - عقلاني
حي الضمير - غير عقلي الامتثال
نفعي لا اخلاقي

أكثر من نسبة تفسير مضلل لمؤلفين التصنيف اللذين عملوا نقطة مراعاة الانتابه لاخطار التفكير في ضوء الانماط الخالصة.

بالطبع هناك استثناءات، السيكوباتي على سبيل المثال، يبدو أنه جامد عند أكثر المستويات بدائية من التفكير الخلقي، ولكن هذا يتفق كلية مع الجانب الارتقائي من المخطط إذا افترضنا أن النمط هو نمط تجمعي وبالطبع في المرحلة الثالثة، المتوازية الذي نعيه هذا عملياً أننا نتحدث عن امكانية الفرد على أنماط معينة من التفكير الخلقي أن التقدم على السلم الارتقائي يتضمن زيادة في ذخيرة الفرد الكلية حيث أن السيكوباتي لم يتحرك من المرحلة المبكرة فان لديه نمطاً واحداً متوافراً من التفكير الخلقي.

إن الشخص الذي وصل المستوى العقلي الايثاري، من ناحية أخرى عنده خمسة ويتبع ذلك أيضاً من وجهة النظر هذه الخاصة بعمل بيك وهافيجورث إن النمط الخلقي للفرد أو الشكل النمطي للتفكير الخلقي ليس ضرورياً بأي حال من الأحوال أن يكون هو نفس الشيء مثل أعلى مستوى قد وصل إليه.

يجب أن نكون واضحين، أيضاً، أن افتراض نمطاً ارتقائياً من هذا النوع لا يعني أننا نتوقع أن كل شخص سوف يصل إلى أعلى مرحلة، حقيقة، حتى إذا كان حقيقة أن أقلية من الناس فقط تصل إلى هذه النقطة، فسوف تظل تستحق مكانها على قمة درجات السلم إذا كان الطريق الوحيد للوصول إلى هناك كان عن طريق الدرجات السفلى. في هذه الحالة بيك وهافيجورست؛ أشار إلى أن غالبية المراهقين في دراستهما المسحية لم يصلوا في الواقع المستوى العقلي الايثاري.

كولبرج Kohlberg النمو نحو الذاتية:

وأكثر حداثة ودراسة هامة جداً للنمو الخلقي هو تلك التي قام بها لورانس كولبرج، هذا العمل يتبع مباشرة أكثر تقاليد بياجية، ولكنه يهتم بعينات أكبر، دراسة كولبرج الاصيلة كانت قائمة على ٧٢ ولداً أعمارهم ١٠، ١٣، ١٦ وكانت قائمة على مقابلات مقننة وعلى منهج التفسير النتائج الذي أعار بعض الانتباه لعبض الصعوبات مثل ما إذا كان منهج التفسير متحيزاً عن طريق القاضي أو الحكم الذي قام به.

منهج كولبرج أساساً لاستكشاف احكام الطفل الخلقية عن طريق الأزمة الخلقية. عدد من الازمات أو الورطات وضعت للطفل في شكل قصص: زوجة رجل تموت... وهناك دواء ربما ينقذها، ولكن الزوج لا يستطيع أن يدبر كمية النقود التي طلبها البائع الوحيد، صيدلي استغلالي هل يحق له أن يسرق بعضاً من هذا الدواء وإذا قبض عليه ما الاجراء الذي ينبغي أن يأخذه القاضي ومرة أخرى، رجل مطافي تواجهه هذه الورطة الخاصة بقيامه بواجبه وقيامه بانقاذ بعض الاشخاص الذين تحاصرهم نيران مأسوية أو يذهب لرؤية اسرته التي هي في خطر مساو ما الذي ينبغي أن يفعله؟ لماذا؟

لقد القيت هذه القصص في شكل مقابلة مطولة «كل واحد منها استغرقت ساعتين» في خلالها أعير الانتباه ليس فقط لحل الطفل، ولكن أيضاً للأسباب التي تكمن وراء هذا الحل. أن فحص تسجيلات المقابلة تعامل مع تنوع واسع من الاسئلة مثل مفهوم الطفل عن الحقوق والعدالة، ووجهة نظره في أهمية النية أو القصد كشيء في مقابل النتائج، وهكذا. على الرغم من أن هذا العمل قد شمل جوانب مختلفة من الأخلاق سوف يرى أن الازمات المتضمنة في القصص مالت إلى أن تكون من نوع خاص وأعني الصراع بين طاعة القواعد القانونية والاجتماعية وأوامر السلطة والحاجات الانسانية أو سعادة الناس الآخرين. على الرغم من تعقيدات تحليل هذا العمل، وللعديد من الجوانب المختلفة من التفكير الخلقي والتي نوقشت، نتائج كولبرج كانت تفيد أن الأحكام الخلقية تتميز بنمط إرتقائي عام الذي يتكون من ست مراحل وهي مجمعة في ثلاثة مستويات.

١ – مستوى ما قبل الأخلاق:

(١) مرحلة اتجاه العقاب والطاعة. القواعد تطاع لتجنب العقاب.

(٢) مرحلة مذهب اللذة الساذج الأدوي. يمتثل الطفل لكي يحص على المكافآت.

٢ – اخلاق الدور التقليدي في الامتثال: –

مرحلة (٣): «اخلاق الولد الطيب، الخاصة بالحصول على علاقات طيبة. الطفل يمتثل لتجنب الرفض.

مرحلة (٤): السلطة تصون الأخلاق. الطفل يمتثل لتجنب لوم أو تقريع السلطات والذنب الناتج.

٢ - اخلاق المبادىء الخلقية المقبولة ذاتياً:

مرحلة (٥) اخلاق التعاقد. يعرف الواجب معنى التعاقد، تجنب عام لخرق حقوق الآخرين.

مرحلة (٦) اخلاق المبادىء الفردية للضمير. الطفل يمتثل لتجنب الشجب أو الإدانة الذاتية.

لقد وضح كولبرج أنه يعتبر هذا النمط الارتقائي كسلسلة بسيطة من الأطوار المتعاقبة أو المتتالية، مثل التي وصفناها في جزء سابق من هذا الفصل التقدم خلالها موحد الاتجاه وغير معكوس أو مقلوب.

العلاقة الداخلية لكل الجوانب:

ربما يكون من السهل أن نؤكد نقاط الاختلاف بين هذه الاتجاهات وما يشبهها من الاتجاهات الاخرى، أنه حقيقة أن مصطلحاتها مختلفة وليست على اتفاق كامل فيما يختص بمواضعها النسبية في وقت بعض المراحل الخاصة بالنمو وعلى الرغم من ذلك من الممكن أن نبنى مطابقة تفصيلية للمخططات المختلفة من هذا النوع مع اشارة مستعرضة بين اسماء الأنماط المختلفة من التفكير الخلقي «مثل هذا المخطط - المختلط يمكن أن نجده عند Kay كاي».

لأغراضنا، يحتمل أن يكون كافياً أن نشير أن كل هذه المخططات يشترك فيها فكرة عدد صغير نسبياً من الأطوار، التي ترى إما كتتابعية أو تجمعية. على الرغم من عدم الموافقة الواضحة فإن اتجاه النمو الواحد في كل حالة. فإن الطور الأناني اللاأخلاقي المبكر يحل محله شكل ما من اللاذاتية، التي تعطي بدورها الطريق للذاتية. كل العمل الذي عرضناه هنا، إذن يشير إلى النمو الخلقي كحركة تجاه الذاتية الخلقية، رأى يتفق مع قياس الأنماط الخاصة بالتفكير الخلقي كما يمكن أن يعملها معظم فلاسفة الأخلاق.

لقد بدأنا الفصل بالاشارة إلى التفكير الخلقي، ولكن مناقشتنا للموضوع قادتنا

لاعتبار مجال أكثر سعة. فإن فكرة الضمير والامتثال قد برهنت على أنها ملائمة وبالمثل أيضاً فكرة الاهتمام وبدونها لا يمكن للايثار الأصيل الذي يبدو أنه الطور النهائي، لا يمكن أن يوجد هذا، بالطبع مثال مما قيل في مستهل هذا الكتاب حول استحالة تقسيم النمو الخلقي إلى اجزاء مستقلة. كل جوانب الموضوع مترابطة داخلياً. فمن الممكن، لبعض الأغراض تصنيف تفسيرات النمو الخلقي. يمكننا القول أن بعضها يختص بكيفية تغيير العقاب - وبعضها مع تغيير انماط الدافعية، بعضها الآخر مع تغيير الاتجاهات. على الرغم من أن هذه التمييزات تساعد في بعض المحتويات أو المضامين فإنه أكثر فائدة أن نؤكد العلاقة الداخلية لهذه الأوجه المختلفة. فإن اتجاهاً معيناً يجعل صاحبه ذا حساسية لعقوبات معينة ومن أنه يؤثر في السلوك، ربما اعتباره كدافع عادة ما يوصف مخطط بيك وهافيجورست كمخطط مهتم بالدافعية - في الواقع لقد وصفه المؤلفان أنفسهما بهذه الطريقة، ولكن الملاءمة لا تتضمن دافعاً مختلفاً عن الايثار العقلي - الاتجاه المتضمن نحو الناس الآخرين مختلف أيضاً، أن الأشخاص المتمثلين وذوي الضمير الحي يختلفون فيما بينهم ليس فقط في الدافع والاتجاه ولكن أيضاً للمعاقبات التي يستجيبون لها.

هذه النماذج للنمو الخلقي تشترك كثيراً فيما بينها على القليل في تطبيقاتها على التربية الخلقية.. إنها نجادل إن الذاتية والغيرية ليست أكثر الغايات رغبة، ولكن أيضاً زمنياً هي الظواهر الأخيرة التي تصل في هذا المنظر.. إن إستخدام نمط من الأطوار المتالية يوحي على الرغم من أن الغيرية العقلية والذاتية ربما تكون غايتنا القصوى لا يمكن جعلها الموضوع الواضح للتدريس ما لم يصل الطفل إلى مرحلة معينة في النمو ما لم يكن قد وصل إلى المرحلة قبل الأخيرة بصرف النظر عن كيفية محاولة المعلم جدياً والهدف يجب أن يكون كذلك، الاسراع بالنمو خلال كل المراحل هذا ربما يقودنا للموقف المتناقض أي لكي تعلم طفلاً أن يكون ذاتياً يجب أولاً أن نعلمه أن يعتمد في أحكامه الخلقية على الآخرين.

ولكن لن يوافق كل واحد أن النموذج المتتالي هو أكثر النماذج ملائمة حقيقة أن الأدلة المجموعة بعناية لا يمكن أن تهمل بسهولة، ولكن يمكننا أن نقول أن الاتجاه التتابعي ربما يكون مدهشاً عندما نقارنه بخبرتنا اليومية وحقيقة أيضاً أنه

عندما يصل شخص إلى مرحلة عمل الأحكام الذاتية القائمة على تنبوءاته للنتائج الخاصة بأفعاله على الناس – الآخرين، فإنه يتوقف بالضرورة عن امتلاك مشاعر غير عقلية أو حدسية عما هو صواب وما هو خطأ بالتساوي فإن الاحساسات الغير عقلية بالذنب أو حتى الوعي باحتمالية المكافأة والعقاب؟ تفسيراتنا للخبرة اليومية ربما تكون مضللة جداً، بالطبع ولكن في هذه الحالة لدينا، أيضاً ملاحظات المحللين النفسيين والسيكولوجيين الاكلينيكيين أن سلوكنا العقلي الواعي يشترك في الوجود مع سلسلة من عناصر شخصية أقل عقلانية، التي هي أخلاقية وغير أخلاقية، والتي عاشت من مراحل أكثر بدائية في النمو ومن الدراسات التي نوقشت حتى الآن فقط دراسة بيك وهافيجورست تأخذ في الحسبان تفسيراً ذا معنى لهذا المجال من الدراسة ولنتائجه. إذا بالطبع، أتينا إلى أدلة أن النمو الخلقي عملية أحادية. الاتجاه فإن هذا سوف يغير كل اتجاهنا للتربية الخلقية. أنه من الواضح أن حلا لهذه المشكلة له أقصى الأهمية.

ملخص:

لقد نظر إلى عدد من مخططات النمو. وعلى الرغم من أنها تختلف في التفاصيل، فإنها كلها تتميز برؤية النمو الخلقي كسلسلة من الأطوار المتعاقبة تبدأ من الغيري والملائم إلى الذاتي والغيري أو الإيثاري.

٦ – أساليب التفكيـــر الخلقي:

أربعة أمهات:

– لا ينبغي أن تجذب شعر اختك الصغيرة هكذا!

– ولماذا لا؟

(١) – لأنني أقول ذلك!

– لا ينبغي أن تجذب شعر أختك الصغيرة وهكذا!

– ولماذا لا؟

(٢) – لأنه لا ينبغي!

- لا ينبغي أن تجذب شعر أختك هكذا!

- ولماذا لا؟

(٣) - لأنني سوف اضربك إذا فعلت ذلك!

- لا ينبغي أن تجذب شعر أختك الصغيرة هكذا!

- ولماذا لا؟

(٤) - لأن ذلك يؤذيها ويجعلها تبكي.

في نهاية الفصل الأخير، ناقشنا إمكانية إتجاه بديل لمسألة التفكير الخلقي والنمو. مثل هذا الاتجاه توصي به بعض النتائج المستمدة من دراسة مسحية حول تفكير الأطفال الخلقي«ذكر في فصل سابق» ذلك الذي حول عن طريق اتحاد فار رمنتجون - هذا المسح كان مهتماً بالتفكير الخلقي للاطفال وصغار السن ما بين أربعة و١٨.. أن المنطق وراء هذا البحث سهل، وأعني أن الفروق في التفكير الخلقي يمكن استنتاجها من التبريرات المختلفة التي يقدمها أناس مختلفون لحكم خلقي مشابه. في هذا الصدد، إنه يشبه بعض الجوانب الخاصة بالدراسة التي نوقشت في الفصل السابق وهكذا لنعطي مثالاً غير متضمن في البحث نفسه، إذا كان عليك أن تسأل عدداً من الناس لماذا يكون من الخطأ أن تقترب من معبر مزدحم للمشاة بسرعة ٨٠ ميلاً في الساعة، إذا سألت ذلك ربما تعطي عدداً من الأسباب المختلفة:

(١) - إنك لا تسطيع أن تفقد رخصة قيادتك من أجل مثل هذا الشيء.

(٢) - هذا ضد القانون.

(٣) - ربما تقتل شخصاً ما.

يبدو من العدل أن نفترض أن هذه الأسباب المختلفة تتضمن طرقاً مختلفة في التفكير حول المشكلة... انتبه لنقطة وردت في الفصل السابق، ربما نذهب إلى أبعد من ذلك، ونستنتج اختلافات مصاحبة في الاتجاه والدافع.

في البحث سئل الاطفال، في مقابلة[١] مقننة، حول عدد من المفاهيم الخلقية

(١) المقابلة المقتنة: المقابلة عامة موقف بين شخصين احدهما قد يكون المريض أو العميل والاخر=

البسيطة – حسن، رديء ينبغي، تكون عادلاً، الكذب، السرقة، المشاغبة أو التنمر في كل قسم من المقابلة، كأن يطلب من الطفل أن يشرح ما الذي فهمه من المفهوم ثم يقول إذا كان صواباً أم خطأ؛ أي يصدر حكماً خلقياً حوله. مثال ذلك:

(١) – ما هو معنى المشاغبة أو التنمر؟

(٢) – هل تستطيع أن تخبرني عن شخص يفعل ذلك؟

(٣) – هل المشاغبة صواب أم خطأ؟

كما تتوقع من طبيعة المفاهيم الخاصة المختارة، تقريباً كل الأطفال تحدثوا لكي يروا أنهم على اتفاق مع الحكم الخلقي الذي أعطوه. ولقد سئل الأطفال بعد ذلك لماذا كانت صواباً «أو خطأ» كيف كانوا يخبرون أنها صواب من الذي أخبرهم، وهكذا.. لم تستخدم القصص وأي مادة قدمها المقابل للطفل كان ذلك يتحاشاه المقابل مع اساس إنها ربما تعني نوعاً خاصاً من الاجابة. بالنسبة للاطفال الصغار جداً بدلاً من الاعتماد على المفاهم اللفظية، كان مع المقابل قفاز لعبه هو الذي لعب الافكار حيثما كان ذلك ممكناً.

لقد قاد هذا الى تصميم أداة بحث بسيطة ومرنة يمكن استعمالها مع تشكيله واسعة من الاعمار.

لماذا كان من الخطأ أن تسرق؟ ربما يكون سؤالاً بسيطاً جداً أو سؤالاً معقداً جداً متوقفاً على الشخص الذي تخاطبه. إنه سهولة المقابلة تعني أيضاً أنه يمكن استخدام عينة أكبر عما استخدم في الدراسات المسحية التي نوقشت آنفاً (هذا هو الحل المضاد بكل ما تحمل الكلمة من معاني لمشاكل تصميم البحث الذي فضله بيك هافيجورست) لقد تم مقابلة ٧٩٠ طفلاً من مناطق مختلفة في انجلترا.

أن حجم العينة قد ضمن أيضاً وجود ممثلين لكل مجموعة سن أكثر من الاعتماد

= قد يكون المعالج النفسي أو المرشد وفيها يتم التفاعل والتفاهم المتبادل بينهما ومنها المقابلة الحرة والمنظمة والمقننة وهي التي تحدد أهدافها ووسائلها قبل اجرائها وتوضح الموضوعات التي تشملها المناقشة قبل اجراء المقابلة. لمزيد من المعلومات عن أنواع المقابلات راجع كتاب المترجم علم النفس والانتاج. مؤسسة الثقافة الجامعية.

على – مجموعة سن قليلة. كان العمل الاول هو تقرير مسألة الفئات التي تستخدم في تفسير المعطيات بوضوح هذه مسألة هامة، حيث أن اختيار فئات التصحيح ممكن في بعض الظروف أن تحدد نتائج العمل. مائتان تسجيلاً لمقابلات جمعت بالتتالي تم فحصها، بهدف معرفة تمييزكم من فئات الاستجابات الشاملة بالتبادل كانت ممكنة. لقد قاد هذا إلى وصف ١٧ نمطاً مختلفاً من الاجابة، وهي مدونة أسفله، مع قليل من الامثلة من كل نوع – مأخوذة من التسجيلات الحقيقية للمقابلة:

١ – غير اخلاقي، استجابات غير محكومة أو مضبوطة.

هذه تشبه مرحلة – بيك وهافيجورست الاولى.. أنها تعكس اتجاهاً نحو الصواب والخطأ غير خلقي ومحكوم بالاندفاع، وعامة يعبر عن فكرة أنك ينبغي أن تفعل ما ترغب في فعله.

«لا يوجد شيء خطأ في قول الأكاذيب... أنك فقط تفعلها إذا كانت تناسبك».

هل تستطيع أن تفكر في وقت عندما يكون من الصواب أن تسرق؟

نعم إذا كان شيئاً أنت تحتاجه فعلاً.

متى يكون صواباً أن تشاغب؟

«إذا كنت أنت تكره الشخص فعلاً».

الاستجابات الدكتاتورية:

تختص هذه بالسلطة الشخصية: أن الامر أو الرغبة أو العبارة لفرد ما تقبس على أنها تبرير للحكم الخلقي.. لماذا كان من الخطأ أن تقول الكذب..! ... «المعلم قال كذلك».

لماذا كان من الخطأ أن تضرب الناس؟... والذي قال أنت لا ينبغي أن تفعل ذلك هناك بعض العلامات في تسجيلات المقابلات لخط النمو الذي يقود إلى تغييرات في شخصية السلطة التي تقتبس في الاعمار المختلفة يبدو أنها تتغير من والد أو معلم عبر شخصيات ابعد كرجل الدين، أو القاضي، إلى من هم أبعد مثل البابا أو رئيس الوزراء.

٣ - استجابات الامتثال:

يؤخذ الامتثال لمعايير جماعة اجتماعية كتبرير كاف للحكم الخلقي. لا نشير هنا كثيراً إلى قواعد واضحة مصاغة (انظر إلى الفئة التالية) كاستجابة للضغوط غير الرسمية من جماعة انداد المرء.

«كل الاطفال في فصلنا يقولون ينبغي أن نكسب».

«نحن لا تفعل ذلك في نادينا...

«كل واحد يعتبر ذلك خطأ...

٤ - الاستجابات القانونية:

يتلمس الطفل سلطة عامة ورسمية كأساس للحكم الخلقي.

«السرقة خطأ لأنها ضد القانون».

«التدخين خطأ لأنه ضد قواعد المدرسة».

«القتل خطأ لأن هناك قانوناً ضده».

٥ - الاتصالات الجماهيرية أو الجمعية:

تؤخذ عبارات الصحف، أو في المذياع أو أكثر شيوعاً والتليفزيون على أنها أساس للحكم الخلقي.

- هل من الخطأ أن تسرق؟

- نعم.

- لماذا من الخطأ أن تسرق؟

- حسناً الرجل الذي يظهر على التليفزيون يقول ذلك.

ولماذا من الخطأ أن تدخن؟

- لا أعرف - حسناً، كان هناك برنامج حولها في التليفزيون.

في الواقع اجابات من هذا النوع لم تكن شائعة بأي حال من الأحوال كما كان يقودنا المتفائلون لكي نتوقع.

٦ – الاستجابات العاطفية:

هذا ليس اسماً مرضياً كلية، ولكن البدائل الممكنة مثل الاستجابات الغيرية، يبدو أنها تتضمن مستوى عالٍ جداً من التعقيد. في هذه الفئة نحن نضع تلك الاجابات النائمة على أساس ادراك المشاعر والحاجات عند الناس الآخرين.

– لماذا من الخطأ أن تشاغب الناس؟

– إنك تؤذيهم وتجعلهم يبكون.

– هل تستطيع أن تخبرني بمثال عن شيء جيد يفعل.

– مساعدة سجين عجوز في عبور الطريق.

– لماذا يكون هذا حسناً؟

– لأنهم يحتاجونها – لا يستطيعون أن يدبروا أنفسهم بأنفسهم جيداً.

٧ – التعميمات النظرية:

تحت هذا العنوان تأتي قضايا من أنواع مختلفة قائمة على أساس نظريات ماذا سوف يحدث إذا عم سلوك من هذا النوع الوارد في السؤال.

(يسير المجتمع نحو الأفضل إذا قال كل شخص الحقيقة)...

(سوف تنهار المدينة إذا كانت السرقة مباحة)...

(إذا لم يكن الناس عادلين فسوف تكون هناك حروب طول الوقت).

٨ – الاستجابات النفعية:

عدد صغير من الاستجابات من المفحوصين الأكبر سناً كان يحمل تشابهاً قوياً للموقف الغيري – النفعي، العقلي النفعي في الفلسفة الاخلاقية. هذه الاستجابات ليست دائماً مصاغة بوضوح من وجهة نظر الفيلسوف، لكن من حيث أنها تمتاز بالانتماء للغير فإنها ترى كقاعدة ينبغي أن تحكم السلوك أنها تصنف معاً في هذه الفئة.

ماذا يعني الخطأ؟

فقط حول كل شيء من الممكن أن يكون خطأ إذا كانت اهتمامات أو مصالح الناس الآخرين متضمنة النقطة، إنك لا ينبغي أن تفعل أشياء مدمرة للآخرين.

٩ - الاستجابات الملائمة أو المصلحة الذاتية:

في هذه الاجابات يعني المفحوص أنه يعتقد في سلوكه أنه معدل أو محكوم ولكنه مدفوع باعتبارات مصالحة الذاتية أكثر من كونه محكوماً بأي شيء يمكن أن يوصف كمبدأ خلقي - أنه يفعل ذلك أو لا يفعل ذلك، لكي يحصل على المكافأة أو الميزة أو لتجنب العقاب.

«أنا طيب لأن أمي تعطني حلاوة أكثر».

«المشاغبة خطأ لأنك تضرب بالعصا منها».

«إذا كنت تدير عملاً فإنك تتقدم حسناً على المدى الطويل إذا كنت عادلاً».

١٠ - تجنب الذنب:

يعدل المفحوص سلوكه لكي يتجنب مشاعر الذنب بعد ذلك يمكن اعتبار هذا حالة خاصة لاستجابة المنفعة ولكنها استجابة تتضمن درجة ما من الاستبصار السيكولوجي كبعد إضافي المناقشة في الفصل الرابع حول جانبين من الضمير مناسبة لهذه الفئة والفئة القادمة وأيضاً الكف الغير عقلي:

«إنك لا تسرق لأنك سوف تقلق حولها بعد ذلك».

«سوف تأخذها في عقلك».

«إنك تظل تتذكرها بعد ذلك».

١١ - النفعية الاجتماعية:

لقد نوقش التمييز بين الذنب والعار فيما يتعلق بفكرة الضمير... فإننا نتعامل مع تجنب القلق الموجه من الغير كدافع لحكم السلوك. إن المفحوص يهتم حول «فقدان الوجه».

«سوف لا أستطيع أن أواجه الناس إذا عرفوا أنني كنت أحرق».

«أنا لم أرد أن الأطفال الآخرين يفكرون في كلص...».

«قول الكذب خطأ لأنه يعمل لك سمعة سيئة...».

مثل النفعية، هذا النمط من الاستجابة له جانبه الايجابي.

«مساعدة الناس خير لأنهم يحصلون على رأي جيد عنك».

١٢ - الكف الغير عقلي:

هذا مثال لفئة بيك وهافيجورست الضمير الحي - غير العقلي. إنها تظهر في تسجيلات المقابلة كحكم خلقي واضح، لا يمكن تقديم سبباً له حكم خلقي حدسي.

«إنها فقط خطأ، أنني لا أعرف لماذا».

«لقد عرفت دائماً هذا - عقلي الخاص أخبرني».

- من الذي أخبرك أن السرقة خطأ؟

«لا أحد أخبرني - أنها فقط ذوق عام».

إجابات مثل هذه ربما تنتج، بالطبع، إلى حد، عن عجز المفحوص أن يعبر عن نفسه تعبيراً صحيحاً، ولكنه كان من الواضح للمقابلين أن مثل هذا التفسير سوف لا يغطي كل الحالات.

لقد كان يدافع عن الأحكام الحدسية دائماً بنغمة حاسمة وعنيدة من قبل المفحوصين الذين كانوا قادرين جيداً على تقديم أسباب للأقسام الأخرى من المقابلة.

١٣ - الذات المثلي:

على الرغم من أن هذا المصطلح قد أعير من «مدفن» (فرويدي)، لا ينبغي أن يؤخذ على أنه يتضمن في هذا المجال رأياً خاصاً حول كيفية تكوينه - أنه ببساطة اسم ملائم لفئة خاصة من الاستجابات اسم ملائم لفئة خاصة من الاستجابات يشير فيها المفحوص إلى بعض الترجمات لذاته كمعياره في المقارنة.

«إنني لست ذلك النوع من الشخص الذي يفعل ذلك».

«أنا كبير جداً لكي أفعل ذلك...».

«أنني لا أرغب أن أفكر في نفسي كأفعى...».

لقد تضمنت قائمة الفئات التي نشرت أصلاً أزيد من أنماط الاستجابات عن ذلك.الفئات أعلاه، على أي حال كما سيتضح حالياً وربما تعتبر مخططاً تاماً في ذاته ومتماسكاً.

الفئات الاضافية كانت إما حالات خاصة لتلك التي اقتبست تواً، أو أنها لا تستبعد إمكانية إجابة تقع في واحد من المجموعات التي وصفت تواً...

المثال الآن لهذا النمط الأخير ربما يستحقان النظر فيها نظرة عابرة. هذه هي:

– **استجابات ذاتية:**

لقد بين المفحوص أنه كان مدركاً لقاعدة خلقية عامة تشمل الموضوع المثال مناقشته ولكنه كان مستعد أن يعمل استثناء في حالات معينة كنتيجة لوزن ما أسماه كول بيرج «القيم الانسانية».

«الاكاذيب البيضاء مسموح بها لأنه على الرغم من أن قول الكذب خطأ ربما يكون أسوأ أن نحزن شخص ما عندما لا يكون هناك سبب حقيقي لذلك».

«المشاغبة خطأ، ولكن إذا كان هناك حادثة، وكان هناك شخص ما في حالة صدمة شديدة تجعله عاجزاً عن مساعدة الجرحى ربما يكون حسناً أن نشاغبه أو تتنمر عليه لتخرجه من حالته إذا كانت مساعدته مطلوبة حقيقة.

إن لحظه التفكير سوف توضح لماذا ينبغي أن يعتبر هذه الاستجابة باستقلال عن الأخريات... أنها بالطبع شكل أكثر تعقيداً من الاجابة تتضمن علاقة بين اجابتين بسيطتين بوضوح لا يمكن وضعها في مكانها الارتقائي قبل أن يصبح تحليل – الفئات الأبسط مفهوماً.

الاستجابات الدينية:

هذا ليس تصنيفاً يتصل مباشرة بأغراضنا الحالية «على الرغم أن هذا لا يعني – أن العقيدة الدينية غير متصلة بالأخلاق».

لتصنيف إجابة الطفل على أنها دينية يعني قول شيء حول مصدر الحكم أكثر من كونه حول نمط التفكير. والاجابات الدينية نفسها يمكن أن تصنف إلى الفئات الواردة أعلاه.

«كونك طيباً يعني إعمل ما يرغبه الله».

«... متبعاً الوصايا العشر».

«أنت طيب حتى لا تذهب إلى الجحيم عند الموت».

«أنتم يجب أن تحبوا بعضكم البعض».

«هذه التصنيفات الاضافية ليست متضمنة فيما يلي أسفله. ليس هذا بسبب أننا نرغب في تقليل أهميتها، ولكن لأنها موضوع منفصل يتطلب فحصاً منفصلاً».

نتيجة، إذا استخدم عدد كبير من المفحوصين هي أنها تقود إلى عدد أكبر من فئات الإجابة تتمايز بدقة أو بدقة أكثر حتى إذا حصرنا أنفسنا لتلك الأنماط – من الاجابة المدونة في المجموعة الرئيسية أعلاه، فلدينا ١٣ في مقابل ٤، ٥ أو ٦ استخدمت في التصنيفات السابقة.

نحن مضطرون أن نسأل، على أي حال، ما إذا كانت لا تجمع في مخطط أبسط من حيث بنوع خاص، كما أشير إلى وضعها في قائمة «بعضها يشبه البعض الآخر، حتى على أساس الفحص السطحي.

– مثل هذا التصنيف الأخير قد عمل ويقودنا إلى عدد من التصنيفات التي تساعدنا في ربط هذا العمل مع بعض ما وصف أعلاه في المحل الأول، نستطيع أن نرى أن كل الاستجابات ما عدا واحدة، تتضمن وجود نوع من الضبط أو تعديل السلوك، على الرغم من أن أسباب ذلك ربما تكون مختلفة جداً.هذا يوحي أن الاستجابات القبل خلقية وغير المضبوطة يجب أن تفصل عن كل الاستجابات ما عدا واحدة، تتضمن وجود نوع من الضبط أو تعديل السلوك، على الرغم من أن أسباب ذلك ربما تكون مختلفة جداً. هذا يوحي أن الاستجابات القبل خلقية وغير المضبوطة يجب أن تفصل عن كل الاستجابات الأخرى لكي نميز ين القبل خلقية من ناحية، والخلقية والمحاذية للخلقية من ناحية أخرى، والاثني عشرة فئة الباقية يبدو أنها تقع في أربعة مجموعات... هذه هي:

١ – استجابات المشاركة الوجدانية، التعميمات النظرية، الاستجابات النفعية.

٢ – الاستجابات الملائمة أو النفعية، استجابات تجنب الذنب، استجابات تجنيب العار.

٣ – الاستجابات الدكتاتورية، استجابات الامتثال، الاستجابات القانونية...

– الاتصالات الجماهيرية.

٤ – الكف الغير عقلي، الذات المثالية.

إن وجود أربعة مجموعات من هذا النوع يطرح مسألة ما إذا كنا نستطيع أن نعللها في ضوء تفاعل عاملين يبدو أن هذا ممكناً. العامل الأول، الذي هو شائع في مجموعات (١)، (٢) ولكن ليس شائعاً في (٣)، (٤) يهتم بما إذا كان المفحوص موجه نحو نتائج فعل في عمل حكم خلقي أم لا. يعني هذا ما إذا كان يقيس النتائج، بصرف النظر عما إذا كانت هذه تؤثر فيه نفسه أو في الناس الآخرين – كمقابل لتحويل المسألة لبعض المحكات المطلقة.

لدينا، إذن، بعد التفكير الخلقي، يشبه الابعاد التي أشير إليها في الفصل الأول التي يمكن وصفها بالطريقة المعتادة بتسمية الخصائص الخاصة بقطبيها ربما تفكر على ذلك حول هذا البعد كتتابع أو تسلسل في مقابل توجيه المحك أو التفكير في مقابل الاشارة أو التحويل أو الاعتبار في مقابل الطاعة. ربما يتصل هذا البعد اتصالاً وثيقاً لما يوجد في عقل فلاسفة الاخلاق عند ما يتحدثون عن معقولية السلوك الخلقي.

بعد ثان يعارض المجموعة الثانية والرابعة مع الثالثة يهتم بما إذا كان المفحوص موجهاً نحو ذاته أو نحو الناس الآخرين ويمكن تسميته ببساطة جداً الاتصال الذاتي أو الاتصال بالغير.

مخطط لوصف الشخصية في تنميط خلقي:

لقد رأينا تواً أنه حيث يمكن اعتبار أبعاد من هذا النوع عمودية على بعضها البعض أو مستقلة عن بعضها البعض احصائياً، فيكون لدينا مخطط لوصف الشخصية أكثر شمولاً. إذا كنا نستطيع أن نفترض علاقة مشابهة في الحالة الراهنة

يكون لدينا مخطط ذو أربعة أنماط في التفكير الخلقي مسبوقاً بمرحلة ما قبل الأخلاق مخطط، كما سنرى أسفله، يتفق اتفاقاً وثيقاً لذلك المخطط الذي اقترحه بيك وهافيجورست وهكذا تقدم تأكيداً مستقلاً لنتائجها قائماً على منهج مختلف كلية.

هذا المخطط معروض أسفلة، وأسماء الأنماط الخلقية عند بيك وهافيجورست تظهر بين قوسين.

أ - لاأخلاقي، غير مضبوط (لاأخلاقي):

استجابة الطفل محكومة بالاندفاع، وموجهة نحو اشباع رغباته الخاصة دون النظر إلى الاعتبارات النفعية أو الخلقية.

ب - اعتبار الذات (النفعية):

يقوم الموقف في ضوء نتائجه، ولكن هذه النتائج ترتبط بالمفحوص نفسه ربما تكون مسائل النفعية الساذجة - التفكير في ضوء المكافآت والمعاقبات - أو ربما يكون لها عنصر أكثر تعقيداً وفي مثل هذه الحالة يفكر المفحوص في عدم راحته الانفعالية أو الاجتماعية.

ج - طاعة الذات (حي الضمير - غير عقلي):

لا تقوم المشكلة ولكن ببساطة تحال إلى قاعدة داخلية أو قاعدة امتصاص، أو محك في هذه المجموعة، نحن نضع الجوانب الكفية من الضمير والمقارنة مع الذات المثالية.

د - طاعة الآخرين (الامتثال):

مرة أخرى، لا تقوم المشكلة، ولكن تحال إلى سلطة خارجية، تميز بين أنواع مختلفة من السلطة التي تتروح ما بين شكل للسلطة الشخصية إلى جماعة الأنداد إلى مثال مجرد للسلطة كالقانون.

هـ - اعتبار الآخرين (الغيري أو الإيثاري - العقلي):

هنا تقوم المشكلة في ضوء نتائجها بالنسبة للناس الأخرين في هذه المجموعة نجد عدد من أشكال التفكير الخلقي الغيري أو الإيثاري والنفعي.

يمكن رؤية العلاقة بين هذه المجموعات في الجدول الآتي:

	اعتبار أو «التفكير»	الطاعة أو «إحالة»
ذات	نفعي	كف غير عقلي
	تجنب الذنب	الذات المثلى
	تجنب العار	–
آخرين	مشاركة عاطفية	دكتاتوري
	تعميم نظري	امتثال
	نفعي – عقلي	قانوني
	–	الاتصالات الجماهيرية

على الرغم، كما سبق أن قلنا، هذا النموذج في اتفاق كبير مع معطيات بيك وهافيجورست ولكنه يختلف من حيث أنه يوحى أننا نتعامل ليس مع فئات بسيطة ولكن مع فئات عريضة جداً،كل منها في ذاته مكون من عدد انماط الاستجابة المتميزة وسوف نرى حالياً أن هذه نقطة هامة. هذه التصنيفات العريضة سوف يشار إليها أسفله كأساليب للتفكير الخلقي. المعطيات تؤيد أيضاً وجهة نظر بيك وهافيجورست أن هذه ليست أنماطاً خالصة أو نقية أن استجابات الفرد في العادة تنتشر عبر ثلاثة أو أربعة أساليب أحدهما ربما يكون عددياً أكثر انتشاراً، غالباً هناك فروق واضحة في أسلوب التفكير تفضل في موضوعات مختلفة «سوف تتذكر أن سبعة من هذه الموضوعات كانت متضمنة في المقابلات». هذا سوف يعيد تذكرنا بالعمل الخاص بالنوعية الذي نوقش في الفصل الأول.

مراحل في النمـو:

من وجهة نظر النمو، على أي حال، السؤال هو: في أي ترتيب تظهر أساليب

التفكير هذه؟ أو هل نبحث نحن عن نموذج من نوع مختلف؟

أن إجابة نهائية عن هذه الأسئلة يجب أن تنتظر حتى يجري التحليل الإحصائي التفصيلي للمادة، ولكن هناك بعض الحقائق حول توزيع اجابات الأطفال هي واضحة فعلاً:

(١) هناك نزعة في الأطفال في تطبيق أساليب مختلفة للتفكير على بعض مسائل الأخلاق المختلفة التي أثيرت في المقابلات.

(٢) وكلما تقدم الطفل في السن كلما حصل على عدد أزيد من أنواع الاستجابات المختلفة وحيث أن عدد الأسئلة واحد في كل الحالات، فإن هذا يجب أن يتضمن تداخلاً أكبر في التقدم في السن.

(٣) حتى في أصغر جماعات العمر التي قوبلت، فإن الاستجابات التي تنتمي إلى كل من هذه الأساليب الأربعة كانت حاضرة فعلاً. هذه ملاحظة جداً هامة... أنها تعني على الأقل أنه لا يحتمل أن الأساليب الأربعة هي في شكل تتابع ارتقائي وأنه من المؤكد، حتى إذا كان مثل هذا التتابع موجوداً فإن التوقيت سوف يكون مختلفاً من ذلك الذي اقترحته الدراسات السابقة أن أطفال الأربع سنوات قادرون، كما يبدو على أكثر أشكال التفكير الخلقي تقدماً. بالطبع في هذا السن، توجد في شكل بسيط «وكما سوف تتذكر فإنها الاستجابة الغيرية التي تعتبر عامة أكثر تقدماً زمنياً».

– لماذا من الخطأ أن تسرق؟

طبعاً ربما يكونون يبحثون عنه.

– لماذا من الخطأ أن نتنمر على الناس؟

لأنها تجعلهم يبكون.

ويتقدم الطفل في السن الإجابات التي تعتبر الآخرين تعكس تغييرات مختلفة التي تحدث في إمكانياته. ذكائه قدرته على تكوين المفاهيم وعلى القيام بعمليات معها النمو، ويقود هذا إلى ظهور أشكال من الاستجابة أكثر تعقيداً داخل هذا الأسلوب من التفكير كتلك التي وصفناها ناتجة من التعميمات النظرية أو اعتبارات الغيرية

والنفعية عمل بياجيه على نمو الطفل الخلقي الذي اشير إليه في فصل سابق هو ملائم بوضوح، لهذا نفس النموذج الخاص بزيادة التعقيد والنضج يمكن ملاحظته في اسلوبين آخرين من التفكير الخلقي.

١ - إطاعة الآخرين:

الأشكال الأكثر تبكيراً في استجابات اطاعة الآخرين يبدو أنها تلك التي تهتم مع السلطة الشخصية البسيطة لأن والدي يقول هذا، سيدي قال أنها خطأ وكما رأينا في اعتبارات أخرى للنمو الخلقي فإن هذا يعطى مكاناً للامتثال للمعايير الاجتماعية بينما الاستجابات الدكتاتورية المؤسسة على احترام القانون تمثل درجة من التجريد الغير ممكن إلا فيما بعد ذلك.

٢ - الاعتبار الذاتي:

أكثر الأشكال بدائية الذي يظهر فيه هذا الأسلوب من التفكير هو الذي يتضمن نفعية المكافأة والعقاب الساذج. وكلما تقدم الطفل في العمر تتحسن قدرته لرؤية النتائج السارة وغير السارة لكي نرى ضرورة ظهور استجابات النفعية السيكولوجية والاجتماعية.

إطاعة الذات:

هذا الأسلوب من التفكير ربما يكون استثناء لأنه قد يكون أكثر ثباتاً أو جموداً عن الأساليب الأخرى بالتأكيد فإن عرضنا للأدب الخاص بالضمير لا يعطى أي دليل حول أي نمو مقصود في هذا المجال.

الاقتراح إذن، أننا نتعامل هنا مع تتابعات إرتقائية متوازية، التي تعكس نضوج الطفل المتزايد بشكل عام، أكثر من أي نمو خلقي نوعياً هذه السلاسل المنفصلة معكوسة ومعروضة في بعض ترجمات النمو الخلقي التي وصفت تواً.

بينما تستدعي الأساليب الأربعة الرئيسية التي ظلت ثابتة تستدعي مادة بيك وهافيجورست الأطوار المتتابعة الموصوفة أعلاه يمكن أن تناسب تماماً مخطط كولبرج أو عمل بياجية.

ولكن ليس هذا هو النوع الوحيد من النمو. سوف تتذكر أن الأطفال الأكبر سناً مالوا إلى إعطاء عدد أكبر من الإجابات الخاصة بأنواع مختلفة كتبريرات لحكم خلقي واحد. نستطيع أن نفسر ذلك في ضوء تأثير عام أو معمم والآن ينبغي أن نتأكد ما الذي نعنيه بكلمة (معمم) في هذا الصدد أنها لا تشير إلى الصيغة المجردة للتعميمات أو خلق قواعد مجردة معممة في الواقع هي عملية يمكن أن تحدث في غياب أي عملية من عمليات التفكير العقلي المتقدمة أو الأعلى مستوى على الإطلاق. بالنسبة لغرضنا الراهن تشير كلمة تعميم إلى النزعة نحو استجابة لكي تصبح مرتبطة أوسع أو أكثر تعميماً مع مواقف عن تلك التي أدت إلى نشأتها أصلاً. لقد ناقشنا تواً عملية توضح ذلك عندما فكرنا في نمو الاهتمام نحو الناس الآخرين عند الطفل الصغير اهتمام لعدد صغير جداً من الناس الذين يحدث أن يتصل بهم. ينتقل هذا الاهتمام لدوائر أوسع فأوسع حتى يصبح معمماً لدرجة الأطفال الجياع في أجزاء أخرى من العالم، ضحايا الزلازل الذين لم يقابلهم أبداً وهكذا ممكن أن يحدث الخلط لأن مثل هذه العملية غالباً ما يصاحبها قدرة على تكوين المفاهيم المجردة والعامة من النوع الذي نشير إليه في حديثنا اليومي كتعميمات. ولكن يجب أن يكون واضحاً أن هناك على القليل بعض الحالات حيث تجد الاتجاه دون أن تجد العبارة العامة المكونة بوعي، أو حيث يكون المفهوم «ربما بدون إخلاص»، بدون الاتجاه العام.

ربما مثال آخر سوف يساعد من الممكن أن تعلم كلباً أن يستجيب للأمر (أخرج) عن طريق الذهاب إلى الحديقة إذا كان الأمر يعطي للكلب وهو في منزل غريب ربما يختلط عليه الأمر هذا لأن الاستجابة في المثال الأول مرتبطة بموقف نوعي جداً، وأعني الذهاب من منزله الخاص إلى حديقته الخاصة. وحتماً،بالطبع، سوف يستجيب بترك المبنى أيا كان الذي يتصادف أن يكون فيه عندما يعطى الأمر. لقد عممت الاستجابة لتغطي مجموعة مختلفة من المواقف التي يوجد بينها شيء ما مشترك مع بعضها لا أحد سوف يفترض أن الكلب قد أقام عبارة معممة حول معنى الأمر.

الاقتراح إذن هو أن أساليب التفكير الخلقي خاضعة لعمليات التعميم بهذا

المعنى هذا معناه أنها تبدأ في الأطفال الصغار نوعية جداً وتلتصق المواقف المتشابهة مع بعضها لكي، عند وقت حصول النضج فإن اسلوب الاستجابة يطبق بطريقة عامة.

ولكن في الحديث عن «الاستجابة» فإننا نبسط الموقف. لا يوجد اسلوب واحد للتفكير الخلقي، ولكن أربعة، وكما رأينا الأطفال الأكبر لديهم أسباب للأحكام الخلقية التي تقع في أكثر من واحد، أو حتى فيها كلها.

دعنا ننظر إلى حالة افتراضية لنرى كيف يحل هذا.. دعنا نفحص نمو اتجاهات طفل خيالي نحو المشاغبة أو التنمر.. سيكون من الخطأ أن نفترض أن طفل ما قبل المدرسة عنده مفهوم موحد يتفق مع فكرة الراشد عن المشاغبة هذا شيء ينبغي أن ينتظر المرحلة المناسبة في نمو مفاهيمه. بدلاً من ذلك فإنه يكتسب سلسلة من المحرمات المناسبة في نمو مفاهيمه بدلاً من ذلك فإنه يكتسب سلسلة من المحرمات النوعية التي تتصل مع الفكرة العامة أو الشائعة عن المشاغبة فقط في أعين الراشد.

أن طفل ما قبل المدرسة لا يتعلم حول المشاغبة ولن يتعلم حول ضرب الرضيع، جذب شعر أخته، الشجار مع الولد الصغير الجار، وهكذا يبدو معقولاً أن تفترض أن الأساليب المختلفة في التفكير الخلقي تتصل بأنماط مختلفة من التأديب، لقد رأينا في الواقع شيئاً من هذا النوع في فصل سابق عندما ناقشنا الفرق في توقيت العقاب والظهر التابع إما للاستجابات الكافية أو الذنب. وأيضاً معقولاً أن تفترض أن الكبار المختلفين في حياة الطفل أن يكونوا ثابتين في نوع النظام أو التأديب المستعمل، وربما نجد أن طفلنا الصغير يكتسب كفاً غير عقلي ضد ضرب الرضيع ويتعلم أنه لا ينبغي أن يتشاجر مع الطفل جاره «لأنني أقول كذلك» أو مع ابن عمه «لأنني سوف اضربك إذا فعلت» أو يتعلم ألا يجذب شعر أخته لأن ذلك سوف يحزنها.. يمتلك الطفل الصغير هكذا أربعة أسس مختلفة كلية للتفكير حول مواقف نوعية متصلة مع ما ندركه نحن كراشدين مفهوم عام للمشاغبة كم هي اضطراب بالنسبة له، ربما تفكر، ولكن ليس هذا بالضروري كذلك طالما هو يعاملها كأمثلة نوعية لا يوجد سبب لماذا ذلهم سوف يسبب له الخلط.

الآن رأينا أن الاستجابات تميل أن تصبح عامة لكي تنطبق على مواقف أخرى

تشبه المواقف التي اتصلت بها أصلاً. المثال الحالي حالة تلائم هذا تماماً: استجابة تربط جذب شعر الأخت ربما تصبح عامة لتنطبق على كل فكرة المشاغبة. ولكن، أيضاً بالطبع يمكن أن يكون أي من الآخرين. المرحلة الأخيرة إذن هي التي يمتلك فيها الفرد عدداً من الأساليب المختلفة والموجودة في وقت واحد. أساليب التفكير التي تتصل بموقف معين مثل هذه الصورة للتفكير الخلقي ربما تبدو عند النظرة الأولى معقدة وصعبة بالفهم أو الاستيعاب ولكن هذا بسبب أننا معتادون أن نعتبر مثل هذه النماذج البديلة في التفكير الغير متضمنة بالتبادل ولكن فكرة الوجود المتآني (معاً) لكل أساليب التفكير المختلفة لا تلائم فقط مع النتيجة بأن الأطفال الأكبر سنا يعطون أنواعاً مختلفة من الأسباب لنفس الحكم الخلقي ولكن أيضاً تعكس خبرتنا اليومية معظمنا يعكف عن السرقة من الحانوت. طبيعياً، من حيث أن القارىء شخص حساس وذكي لأنه قد أدرك أن النتائج ضارة بصاحب الحانوت، وإذا اتبع مثاله للمجتمع ككل ولكنها أيضاً لأنه سوف يذهب للسجن إذا انكشف، وأيضاً لأن السلطة ضد ذلك، وأيضاً لأنه سوف يخجل من نفسه إذا عرف أصدقاؤه، وأيضاً لأنه يشعر أنها فقط ليست صواباً. وهكذا يحدث أحياناً بالطبع أن أساليب مختلفة من التفكير الخلقي، عندما تطبق على نفس المشكلة تشتر إلى سلسلة مختلفة من الأفعال. هذه هي الحال بوجه خاص في المجتمع الحديث العام.

عندما نقول أنه لا واحد من هذه الأساليب الفكرية سابق ارتقائياً مع الأساليب الأخرى فإنه ينتج عن ذلك أنها خلقياً متكافئة على العكس كما رأينا معظم فلاسفة الأخلاق سوف يجادلون أن أسلوب اعتبار الآخرين أو الغيري هو الأحسن، وربما الوحيد المناسب أحسن أساس للفعل الخلقي. هذا النمط من التفكير الخلقي، إذن متصل بمسألة التربية الخلقية. هذا يأخذنا إلى واحدة من أهم النقاط العملية الناتجة من استعمال نماذج مختلفة من النمو الخلقي كما رأينا تواً،إذا كانت الغيرية آخر سلسلة الأطوار المتعاقبة، لا يمكن أن تكون موضوعاً لمناهج مباشرة للتربية الخلقية حتى يصبح الطفل مستعداً لهذا الطور.

إذاً، من ناحية، فكرة النمو المتوازي اتضح أنها أفضل، إذن، فإن شكلاً بدائياً من الغيرية يكون حاضراً فعلاً حتى في أصغر جماعات السن، وعمل التربية الخلقية مبسط إلى حد ما لأننا نستطيع أن نصل إلى الهدف الأسمى منذ البداية.

إذا كانت العلاقة بين الأساليب الأربعة الرئيسية للتفكير الخلقي ليس سلسلة متعاقبة لا بد أن يكون هناك نوعاً آخر من العلاقة يمكن أن يلقي الضوء على مسألة النمو الخلقي؟ يجب أن ينتظر الجواب المحدد لهذا التحليل الكامل للمادة التي وصفناها تواً، ولكننا نستطيع أن نضع بدقة الفكرة التالية كفكرة ثابتة مع ما نعرف حتى الآن.

إن التقدم نحو التعميم في أساليب التفكير الخلقي يمكن تلخيصه بوصف ثلاثة مراحل لا يوجد شيء في المعطيات يوحي بالعدد ثلاثة. الذي تم اختياره لأنه ببساطة اصغر عدد للمراحل سوف يوضح على الوجه الصحيح الاتجاه المتوقع للنمو.

١ - مرحلة النوعية:

يصل الطفل كل موقف منفصلاً مستعملاً أي أسلوب في التفكير الخلقي حدث أن يظهر في تعلمه حول الموقف. لا يوجد تعميم، ولكن بالتساوي لا يوجد إمكانية تصارع القيم. لا يرى الطفل شيئاً شاذاً في حقيقه أن سببه لعدم مشاغبة الرضيع لأنها فقط خطأ.

٢ - مرحلة التداخل أو التعميم الجزئي:

عندما بدأت عملية التعميم لم يرتبط فقط كل اسلوب تفكير لمجموعة أوسع من المواقف التي بدأت تشبه مفاهيم الكبار الخلقية، ولكن أيضاً بدأ يتداخل في تطبيقاتها مع بعض الاساليب الاخرى من التفكير عند هذه المرحلة، إذن إمكانية تعارض القيم تظهر لأول مرة.

٣ - مرحلة الثبات:

لتلك المواقف التي يحدث فيها تعارض نشأ نظام التقاط بين أساليب التفكير المختلفة وتم الوصول إلى درجة من الثبات. معظم المواقف ما زالت محددة أزيد من اللازم بمعنى وجود عدد مختلف من اساليب التفكير التي ترتبط بها، ولكن اسلوب منفصل قد ظهر في هذا الوقت لكي نستطيع، بطريقة محددة في هذه المرحلة، أن نستعمل أساليب التفكير كتنميط.

ملخص:

لقد تعامل الفصلان الأخيران مع اتجاهين اساسيين مع مشكلة، نمو الأطفال الخلقي.

الأول منهما يستفيد من نموذج بسيط حيث يمر الطفل خلال عدد صغير من الأطوار، العملية إما متعاقبة أو تجمعية.

الثاني الذي هو رأى الأقلية، يجادل بأن الأنماط الرئيسية للتفكير الخلقي موجودة من سن مبكرة جداً، وأن كل منها خاضع لتسلسله الارتقائي الخاص وتدون أخيراً أن أنماط الاستجابة الاربعة يخضع لتأثير معم، ما الذي يؤدي إلى أحكام خلقية هي محددة أزيد من اللازم أو متعددة الأسباب.

لكل من هذه الاتجاهات تطبيقات هامة للتربية الخلقية ولكن النوع الثاني يتضمن أن المناهج المباشرة يمكن استخدامها بسرعة.

أخيراً،اختيارنا بين هذين الاتجاهين يجب أن يعتمد على تقديم أو توفير أدلة إضافية.

الفصل السادس
النمو الخلقي

في هذا الكتاب استطعنا أن ننظر فقط لتلك الجوانب القليلة من الشخصية التي لها تأثيراً مباشراً وواضحاً على السلوك الخلقي،في كتاب مثل هذا الطول والأفق ليس ممكناً أن – نذهب إلى ما هو أبعد من ذلك بالتفصيل. إن وجود الجوانب الأخرى يجب أن يكون راسخاً في الذهن بثبات على أية حال لأنه حقيقة كون تأثيرها أقل مباشرة لا يقلل من أهمية اسهامها، اما كعناصر للسلوك الخلقي او كمتطلبات بين هذه ربما نلتقط في المجموعة السابقة، نمو المهارات الشخصية والاجتماعية – مثل المشاركة الوجدانية، الاتصال لعب الدور – والمهارات الشخصية مثل ضبط السلوك كمتطلبات، ربما نذكر الذكاء والمهارات المعرفية والإدراكية وخصائص عامة للنمو الشخصي كالصحة العقلية أو النضج[١]. كل هذه موضوعات تحتاج أن تتبع بالتفصيل من قبل الطالب الذي ينوي أن يأخذ مسألة النمو الخلقي والتربية الخلقية فيما وراء مرحلة الاهتمام العام سوف يذكر بعض هذه عابراً في هذا الفصل ولكن هذا سيكون أقل من مجرد هيكل افتتاحي لكل موضوع.

في مستهل هذا الكتاب، اقترح أن النمو الخلقي يستمر في عدد من الاتجاهات في وقت واحد، وأنه على الرغم من أننا ربما نحتاج أن نعتبر هذه اعتباراً منفصلاً لأسباب الملائمة أو الراحة ليس من الممكن أن نكون صورة حقيقية دون فحص العلاقة بين الأجزاء المختلفة. نحن نحتاج أن نحاول هذا العمل ونحاول أن نعطي ملخصاً كلياً إجماليا في خلال فصل واحد، لبعض خصائص نمو الطفل الخلقي.

لقد فحصنا بالطبع، في فصل سابق ما وصف كمخططات النمو الخلقي ولكن هذه كانت في الحقيقة، شيئاً مختلفاً، لأنه كان اهتمام بجانب معين من الموضوع، وأعني أسلوب الطفل في التفكير حول المشاكل الخلقية، أو اتجاهه نحو الأخلاق

---

(١) النضج Maturity: النضج يعني وصول النمو الى مرحلة الكمال أو إلى المرحلة التي تستطيع أعضاء الإنسان المختلفة عندها أن تقوم بوظائفها كالنضج الجنسي أو العقلي أو الانفعالي راجع الكتاب معالم علم النفس للمترجم.

لقد استبعدت تساؤلات عن هذه المهارات الضرورية لأي اتجاه خاص لكي يؤدي إلى سلوك ثابت.

على أي حال، التفاعل بين جوانب النمو المختلفة ليس شيئاً ينطبق فقط على نطاق النمو الخلقي، انه ينطبق بالتساوي على العلاقة بين النمو الخلقي والنمو العام. ان النمو الخلقي ما هو الا جانب واحد من نمو الطفل ويمكن أن يكون متأثراً بقوة بمجريات نمو الجوانب الأخرى – عقلي، انفعالي، اجتماعي، وحتى في بعض الحالات، الفيزيقي كل هذه مرتبطة مع بعضها البعض ارتباطاً لا ينفصم. النمو العقلي على سبيل المثال، ربما يعاق عن طريق الاضطراب الانفعالي الذي يمكن أن يكون بدوره متأثراً بالنقص أو الضعف في النمو الفيزيقي أو أن فرداً قد يركز على التحصيل العقلي لأن تكوينه الفيزيقي الضعيف يجعل من المستحيل عليه أن يتنافس في المناشط الفيزيقية بأي درجة من النجاح وبالضبط بالمثل كالنمو العقلي والاجتماعي والانفعالي يتفاعل مع بعضه بعضاً وعلى ذلك أي منها ربما يؤثر على قدرة الطفل على الفعل الخلقي، كما سترى في بعض الأمثلة النوعية التي ستناقش أسفله.

النمـو العقلي والخلقي:

ربما يكون جذب الانتباه لصلة بين النمو العقلي والخلقي، ربما تبدو كأننا نقول أن أكثر الناس ذكاء هم أكثرهم أخلاقاً أو لنضعها في صورة مرضية أكثر، الماهر فقط هو الطيب أو الجيد. مثل هذه العبارة بالطبع هي مجحفة لكثير من الناس ومع وجه الخصوص أولئك الذين تغريهم فكرة الرجل البسيط ولكن الطيب أو العبد النبيل «ولكن بالطبع مثل هذه الفكرة ليست صحيحة، وليست شيئاً من هذا متضمناً في القضية الأصلية أن – الاثنين متصلان بعد كل ذلك نستطيع أن نفكر كلنا في اناس هم ماهرون وغير اخلاقيين.

وأنها حقيقة، من ناحية أخرى أن فحص الطرف الآخر من المقياس يبدو أنه يشير إلى علاقة ضعيفة من هذا النوع: إذا فحصت معدلات الجنوح[1] على سبيل

---

(١) الجنوح: يشير اصطلاح الجنوح إلى خرق القانون خرقاً طفيفاً نسبياً أو خرق القواعد – الخلقية خاصة عند الأطفال والمراهقين أما جنوح الأحداث فيشير إلى السلوك المضاد للقانون وللأخلاق الذي يرتكبه الأطفال الأقل من ستة عشر أو ثمانية عشر سنة حسب قوانين المجتمع. ولذلك يوصفف السلوك الناتج عن الجنوح بأنه مضاد للأخلاق وللمجتمع.

المثال سوف تجد أن المستوى المتوسط للذكاء للجناح أقل بدلالة عن ذكاء السكان ككل. ولكن هناك عدداًمن العوامل التي ربما تسهم في هذه الحالة. يبدو أن اختبارات الذكاء تتأثر بالطبقة الإجتماعية التي هي بدورها تنعكس في معدلات الجنوح فرص النجاح من نوع مشروع أكثر توفراً للطفل الأكثر ذكاء ومن الخطر أيضاً أن نعمل معادلة بسيطة بين الجنوح وقلة الاخلاق. الأرقام الرسمية تربط بالضرورة تلك الصور الخاصة بالسلوك الغير خلقي الذي هو أيضاً غير قانوني وأيضاً بالطبع بهؤلاء المجرمون الذين يقبض[١] عليهم الذين ربما يكونون أقل ذكاء،على العموم يبدو أنه لا يوجد حالة وجيهة جداً لافتراض وجود علاقة بسيطة بين الاثنين.

ولكن هذا لا يتضمن أنهما غير مرتبطين كلية من حيث يتضمن السلوك الخلقي فكرة التنبؤ بنتائج أفعالنا وكونه مسؤولاً عنها، اي شيء يبدو أنه يقلل قدرة الفرد على عمل مثل هذه التنبؤات تميل أيضاً ان تقلل مسؤوليته وقدرته لعمل الفعل الخلقي. وقدرة الفرد العقلية تلعب دوراً هاماً في مثل هذا التنبوءً القضية، ليست إذن أن هناك علاقة مباشرة بين الذكاء والأخلاق ولكن هناك عتبة[٢] دونها أفكار مثل الأخلاق والمسؤولية لم تعد تنطبق.

ليس هناك شيء جديد في هذا. لقد ضمنت الفكرة منذ أمد بعيد في القانون الجنائي، هؤلاء الذين تنخفض قدراتهم العقلية دون مستوى معين (مع الاعتراف بأنه ليس دائماً من السهل تعريف ذلك) يعتبرون غير مسؤولين عن أعمالهم الاجرامية ينطبق هذا ليس فقط على اولئك الذين قلت مسؤوليتهم عن طريق الضعف الدائم بل أيضاً على أولئك الذين لم ينموا بعد نمواً كافياً لعبور العتبه - الاطفال، بعبارة

(١) المجرمون الذين يقبض عليهم لا يمثلون كل المجرمين اذ لا يدخل ضمنهم بالطبع أولئك الذين يفلتون من قبضة رجال الأمن ولا يتمكنون من القبض عليهم.

(٢) العتبة Thershold هي أصغر نقطة من أي شيء مثير من المثيرات يمكن عندها اثارة الكائن الحي بذلك المثير الذي يمكن للكائن الحي أدراكه منها العتبه الفارق وهي أصغر فرق بين المثيرين يمكن أدراكه وكأن هذا الاصطلاح يستخدم أصلاً مع الأحساسات ولكنه أمتد ليشمل أشياء أخرى كالعتبه الخاصة بالحراك الاجتماعي.فهي الحد الادنى من الكثافة التي يصبح عندها المثير فعالاً.

أخرى الاطفال الذين هم دون سن محددة تعسفياً (التشريع الجديد على سن المسؤولية يبدو، على أية حال، أنه مؤسس على ما يبدو أنه مبدأ مختلف[١].

بعيداً عن القول بأن الذكي فقط هو الذي يمكن أن يكون خلقياً المسألة الحقيقية أن الشخص يجب أن يصل إلى مستوى أدنى قبل أن يحكم على أفعاله كاخلاقية أو غير أخلاقية. وبالطبع في هذا الصدد، عندما نتكلم عن القدرة العقلية، نحن لا نعني ببساطة درجة الفرد على أختبار للذكاء ولكن كل سلسلة القدرات المعرفية والادراكية التي تجعل الاحكام المتضمنة النتائج ممكنة بالنسبة للخبرة اليومية نوع المشكلة الخلقية التي تواجه كل منا هذه العتبه يحتمل أن تكون ضعيفة أو منخفضة جداً أنه فقط عندما تتخذ قرارات على نطاق كبير نتائجها سوف تؤثر كثيراً في الناس والتي ربما تمتد بعيداً إلى المستقبل. أن أمتلاك المستويات العليا من القدرة يلعب دوراً أكثر مباشرة في تقرير ماذا كان الشخص يستطيع أن يأتي إلى الاجابة الصحيحة.

الآن معروف الكثير حول نمو الذكاء،ونستطيع أن نطبق ذلك على النمو الخلقي لأن هذه المعلومات تخبرنا ما هي حاجات الطفل للمطالب الهامة للسلوك الخلقي.

الذكاء محدد جزئياً بالوراثة[٢]، ولكننا إذا تذكرنا التمييز بين نمط الذكاء الوراثي ونمط الذكاء الظاهري، فإننا نجد أن هناك ما زال مجالاً واسعاً لاسهامات هامة عن طريق بيئة الطفل المبكرة لسوء الحظ فئة قليلة من كتاب التربية قد حاولوا

---

(١) الضعف العقلي مسؤول عن ارتكاب بعض الجرائم وخاصة جرائم الجنس وجنوح الاحداث. وكذلك الامراض الذهانية ويعفى من المسؤولية الجنائية المصابون بالذهانات العقلية الحادة، وكذلك الاطفال الصغار.

(٢) تشير الوراثة Heridity إلى كل ما ينقل عن الآباء والأجداد إلى الذرية والذي يؤدي ألى تكوين بعض السمات أو الخصائص وعلى وجه التحديد الكروموزمات في الخلية التي تحتوي على أل genes أي الصبغيات أو ناقلات الوراثة التي تميل الى تكوين سمات تشبه سمات الأم أو الأب وذلك إذا ما وجدت الظروف البيئية الملائمة. ولقد كثر الجدال بين العلماء حول تحديد ما هو وراثي وما هو مكتسب في الإنسان والموقف المنطقي أن الانسان محصلة للتفاعل بين مجموعة العوامل البيئية المكتسبة والعوامل الوراثية الفطرية التي يولد الفرد مزوداً بها أو على القليل مزوداً بجذورها الأولى. وفيما يتعلق بتحديد الأثر النسبي لكل من البيئة والوراثة فإن هناك سمات يغلب عليها الأثر الوراثي كلون الشعر وطول القامة ولون البشرة وأخرى يغلب عليها الاكتساب كالقيم والعادات والتقاليد وأنماط السلوك.

حديثاً أن يحييوا تناقضاً قديماً حول ما إذا كان الذكاء مكتسباً أو وراثياً... أن الادلة التي جمعت معاً عبر السنوات الثلاثين الماضية تشير بوضوح جدا إلى النتيجة أنه ليس من الممكن أن نناقش الأداء العقلي دون الاشارة إلى كل من هذين العاملين بالإضافة إلى ذلك، أذن، إلى أمكانية الطفل الفطرية العقلية، فإنه يحتاج إلى بيئة صالحة إذا كان للاستعدادية أن تصبح حقيقة ينبغي أن تكون البيئة مثيرة (كما رأينا توا عندما كنا نناقش آثار الحرمان ثقافياً ولغوياً وفنياً. لقد أوضح العمل الحديث أن مستوى ونمط للتعبير اللفظي في بيئة الطفل لها آثاراً قوية وطويلة المدى على كل من أسلوب التفكير والآداء التفكيري.

النمو الانفعالي والخلقي:

العلاقة بين النمو الانفعالي والنمو الخلقي لها طبيعة مشابهة لتلك التي وجدناها في حالة النمو العقلي، الصورة العامة هي، على أية حال أكثر خلطاً لأن هناك نقصاً في الوضوح في الطريقة التي يستعمل بها المفهوم ينطبق هذا بالتساوي على الأفكار المشابهة للنضج والصحة العقلية.

هل يستطيع أحد أن يقول أنه كلما زاد نضوج الشخص وتمتعه بالصحة العقلية زاد نمواً إنفعالياً، كلما زاد هذا كلما زاد احتمال كونه خلقياً.

يمكن الاعتراف، بأنه من الممكن أن نجادل بأن الشخص الغير خلقي هو بالضرورة إنفعالياً غير ناضجاً عقلياً غير صحي... هذا، بالطبع، هو الجدل الذي يكمن وراء كثير من اصلاحنا العقلي أنها ترتكن على القضية القائلة بأن كل الناس المتكيفين هم اخلاقيون، التي تستبعد إمكانية أن بعض الناس الاخلاقيين سيئوا التكيف في الواقع، من السهل تخيل مثل هذه الحالة، مثلاً، الرجل الذي ابتلى بالغضب العنيف وغير العقلي، الذي يضبطه رغم ذلك على اسس خلقية - يمكن قياس تكيفه الضعيف، خلافاً لذلك، بطاقته الانتاجية التي هي موجهه لهذه الغاية.

ولكن سواء أمكن الاحتفاظ بهذه القضية العامة أم لا، يمكن توضيح أن معظم أشكال النمو الشخصي أو الانفعالي تقود فعلاً إلى بعض العجز في القدرات الملائمة للسلوك الخلقي. ربما تكون هذه من عدة أنواع ربما رأينا، في حالة السيكوباتي، فإنها تختص باتجاه الفرد نحو الناس الآخرين.في حالات أخرى، ربما تتصل بقدرته

لتكوين صورة دقيقة وغير فاسدة للاحداث في العالم المحيط به وقدرته في التحكم عن دوافعه وهكذا.

وهكذا فإنه من الممكن في هذه الحالة، ايضاً، أن ندعي أن هناك عتبة لمستوى أدنى من النمو الإنفعالي، دونه لا يستطيع أن يقع الفرد دون فساد خطير في قدرته على عمل قرارات خلقية مسؤولة وأن ينفذها.

أن حاجات الطفل الصغير لإطار دافىء وثابت يكون خلاله علاقات وينمي حياته الانفعالية هي لذلك ملائمة،ايضاً لنموه الخلقي.

النمـو الاجتمـاعي والخلقي:

هذا الموضوع واسع، الذي يستحق كتاباً بذاته. الأخلاق، بالمعنى الذي كنا نناقشه في هذا الكتاب، ليست شيئاً يمارس في عزلة ولا هي مسألة حل ميكانيكي لمعادلة النفعية الخاصة بالخير الأعظم لأعظم عدد. الأخلاق بين أشياء أخرى، هي جانب من علاقتنا بالناس الآخرين: وأي شيء يقلل من قدرتنا لعمل مثل هذه العلاقات الناجحة يقلل أيضاً قدرتنا للفعل الخلقي.

بالطبع، بأوسع المعاني، يمكن اعتبار كل العلاقات كجزء من النمو الاجتماعي، ولكن العلاقات المبكرة والأكثر شخصية قد ذكرت فعلاً مرتبطة بنمو الطفل الانفعالي وبأضيق المعاني، نحن مهتمون بنمو عدد من القدرات أو المهارات التي تساعدنا في التعامل مع الناس الآخرين وتتضمن هذه قدرات إدراكية مثل القدرة على إدراك ما يشعر به الناس الآخرون ماذا يحبون وماذا يكرهون، وما هو خير لهم. ربما يكون هذا إما تفسير مباشر لسلوكهم قراءة لتعبيرات وجوههم وهكذا، أو كقضية أكثر تعميماً حول الناس بوجه عام.

هناك أيضاً ما يمكن أن نسميه مهارات الآداء التي تتضمن القدرة للتصرف حيال الناس الآخرين بطريقة تتمشى مع أخلاقنا الشخصية وتتضمن القدرة على الاتصال بهم، والقيام بأدوارنا بملاءمة والتكيف مع القواعد الاجتماعية.

كما هو الحال مع كثير من جوانب النمو، كل هذه الأشياء تبدو أنها ترتكن على الخبرات الأساسية جداً التي ناقشناها فعلاً. ولكن لها حاجتها الأكثر نوعية، التي

تظهر عند مرحلة ينبغي أن يكون واضحاً أن الطفل لا يستطيع أن ينمي المهارات الاجتماعية في عزلة ولكن، بصرف النظر عن وضوح هذا، هناك عدد مدهش من الآباء، لأسباب مختلفة يعوقون الأطفال الصغار عن عمل الاتصالات الاجتماعية مع اندادهم. انظر إلى هذه الحالة الحقيقية «والحديثة» لقد بني منزل حديث وغالي في قرية ونقلت إليه توا أسرة كبيرة «وأسفاه» قالت الأم أنه لا يوجد أطفال هنا لكي يلعبوا فيه كان هناك في الواقع نحو دسته من أطفال هذا السن، ولكن كلهم كانو أبناء عمال مزارع أو أنهم كانوا يعيشون في منازل البلدية[1] في نهاية القرية، وعلى ذلك فإنهم لا يحسبون الطفل الذي وصل حديثاً عاش حياة صغيرة وحيدة في حديقته الخاصة.

يحتاج الأطفال الصغار إذن إلى اتصال ملائم مع اندادهم، وتشجيع كاف وأمان ليساعدهم للتجريب في السلوك الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية. بدون هذا فإنهم سوف ينشأون كذلك الشخص الذي يضمر حسناً ولكنه ليس طيباً مع الناس، كما قلنا من قبل مثل هذا الشخص ربما لا يوصف بأنه لا أخلاقي ولكن مبادئه الخلقية غير فعالية لدرجة أنها لا تعمل خيراً له ولا لأي شخص آخر.

الحاجات والأهداف:

عملنا القادم هو محاولة فكرة عامة أو شاملة التي تلخص وتعرض العلاقات بين العناصر المختلفة التي فحصناها منفصلة. ربما أكثر الأساليب ملاءمة لتحقيق ذلك هو التفكير في ضوء أهداف الطفل الارتقائية عند نقاط مختلفة في الزمن والحاجات المقابلة أو المصاحبة التي ينبغي إشباعها إذا كان لهذه الأهداف ان تتحقق لحسن الحظ هذه يمكن وضعها في قائمة في ترتيب زمني حيث أن كل منها يميل إلى الترابط بفترة ارتقائية معينة. ينبغي أن نكون واضحين جداً على اي حال حول ما يقوله عندما ندون الحاجات والأهداف في مثل هذا النوع من التتابع أو التعاقب إذا قلنا أن فترة معينة تتميز بالحاجة إلى الأمن، هذا لا يعني القول أن الأمن غير ضروري في الأوقات الأخرى. فنحن نقول ببساطة، عند هذه النقطة، أن الأمن

(١) يعيش الناس محدودي الدخل في انجلترا في منازل البلدية.

يحمل أهمية خاصة لنمو الطفل الخلقي انها كما لو كنا، على سبيل المثال علينا أن نصف مهارات القراءة كعمل تعليمي كبير لطفل المدرسة الابتدائية الصغير. من الواضح، تعلم القراءة يستمر بعد هذه الفترة – وبصفة خاصة في حالة المهارات الأكثر تقدماً، مثل القراءة للاكتشاف: هناك رغم ذلك احساس فيه يصبح حقيقة أن نعتبر العمل كعمل حاسم أو قاطع في المراحل المبكرة. إذا فشل الطفل إذن فإن كل وسائل العلاج سوف تصبح ضرورية فيما بعد.

الذي يلي يتصل بنوع خاص بموضوعنا الراهن، ولكن حيث أن عناصر نمو الطفل تتبع نماذج مشابهة في كل جوانبها كثير منها يعكس نظريات عامة في نمو الطفل،رأينا الشامل في النمو الخلقي ربما يعتبر أنه يقع تحت العناوين الخمسة الآتية:

١ – الرضيع:

الواجب: إقامة أساس للاهتمام.

الحاجة: بيئة دافئة وثابتة خلالها تنمو علاقة انفعالية.

إن واجبات النمو في هذا التطور المبكر من الحياة كما رأينا هي أساس يرتكز عليه كل سلسلة النمو ملاحق. لقد جادلنا بأن اهتمامات نحو الآخرين أساس لفكرة الأخلاف الشخصية. إن خبرة علاقة ملائمة ومرضية انفعالية عند هذه المرحلة يبدو أنها ضرورية – للظهور اللاحق الخاص بهذا الحس بالاهتمام. ولا يعني كيف ينتقل هذا ويتسع في المجال في الحياة اللاحقة إذا لم تشبع حاجات الطفل عند هذه المرحلة فإن الآثار على النمو المستقبلي الخلقي تكون في الواقع قوية وواسعة الانتشار مؤثرة على عدد كبير من الجوانب النوعية للسلوك الخلقي أن دراسة السيكوباتيين الذين نقص شخصياتهم يكون عادة معتبراً ناتجاً من فشل بيئي في هذه المرحلة الحاسمة؛ هذه الدراسة توضح ان العجز الخلقي الناتج هو فعلياً كامل.

على الرغم من أن الخطة سوف لا تؤخذ مرة ثانية، يجب أن نتذكر دائماًان امتداد هذا الاهتمام لدوائر متزايدة من الناس هو عملية مستمرة تصاحب كل أفعال النمو التي توصف أسفله.

٢ - الطفل الذي يحبو:

الواجب: هجر الموقف الاناني.

الحاجة: أمن كاف وثبات في بيئة الأسرة لكي يسمح لهذه الخطوة للتقدم للأمام الاهتمام اساسي في الاخلاق الشخصية.لقد رأينا أن هذه القدرة العامة... لقد هذب ويلسون هذه الفكرة ووضعها في عناصر نوعية للسلوك الخلقي والتي أشير إليها على أنها الـ PHIL ولقد عرف هذا على أنه ليس مجرد اهتمام نحو الآخرين،ولكنه أيضاً احساس على الرغم من أنه ليس بالضرورة أن يكون مصاغاً بدقة ان الناس الآخرين لهم نفس الاهتمامات والحاجات والمشاعر التي لها شرعية مساوية لنظائرها عند المرء.

ان الطفل الرضيع والطفل الحابي أنانيان وقادران على كل شيء انهما يوجدان عند مركز عالمهما المدرك، الذي يوجد من أجل نفعهما أن عمل إعادة التوجيه المتضمن في رؤية المرء لنفسه كمجرد فرد بين الآخرين أنما هو واجب صعب. ان المرحلة المبكرة للقدرة على كل شيء التي هي أيضاً تناقضياً واحدة من مراحل الاعتماد الكلي أو التام انما هي بديل مغري وآمن للذاتية. الطفل سوف يخطو هذه الخطوة إذا نال التأييد من بيئة آمنة، التي يعرف أنه يستطيع أن يعود اليها والراشدون الذين هم مستعدون للتخلي عن موقعهم الذي يعتمد فيه الطفل عليهم اعتماداً كلياً.

هنا أيضاً لدينا مسألة تظهر في كل مرحلة والتي سوف لا تتكرر او تتردد انها جانب واحد من القول المألوف ان مشاكل الأطفال هي مشاكل الآباء ونحن غالباً نجد أن لعدد من الأسباب ان الآباء يترددون حول تقدم الطفل نحو الذاتية يميلون الى جذبه الى الخلف لأسباب لا تتعلق بحاجات الطفل ولكن تتعلق بشخصياتهم انفسهم.

انها مشكلة تظهر ثانية عندما يبدأ الطفل الذهاب الى المدرسة وبصورة اكثر افعاماً عندما يصل الى المراهقة والشخص الذي كان مرة رضيعاً معتمداً على غيره يبدأ في تقليد انماط سلوك الكبار نحن لا نستطيع ان نفعل هنا أكثر من اعادة الانتباه

لهذه النزعة واسعة الانتشار وان نؤكد الدافعية[1] التي قد تكمن وراءها مع ذلك جزء آخر الذي يصاحب الواجبات الموصوفية.

٣ - طفل ما قبل المدرسة:

الواجب: اقامة عناصر الضبط.

الحاجة: نماذج مناسبة في عالم الكبار.

ان الطبيعة السيكولوجية للعملية او الحيلة التي يصبح بموجبها فعالاً تظل غامضة من المحتمل وجود عدد من مثل هذه العمليات متضمن في الحالات المختلفة عمل آنا فرويد على حيل الدفاع[2] يشير الى بعض جوانب بالتقليد الذي اشير اليه في فصل سابق مناسب أيضاً. يشير الى بعض جوانب الضبط على مستوى لاشعوري[3] والعمل الخاص بالتقليد الذي أشير اليه في فصل سابق مناسب أيضاً.

الواجب: اقامة أساليب التفكير الخلقي.

الحاجة: الراشدون الذين يتصلون.

وجهة النظر التقليدية في هذه الفترة في النمو الخلقي ترى ان الواجب الرئيسي هو اقامة او تحصيل الضمير بأي من معنييه أن بلا شك حقيقة أن هذا حادث أساسي لهذه الفترة ولكن اساليب أخرى أو عادات فكرية تبدأ في الظهور في هذا

---

(١) الدافعية: Motivation يشير هذا الاصطلاح الى القوة التي تشير وتحكم وتضبط السلوك في كل من الاتجاه والقوة فهي القوة الفعلية أو المفترضة التي تحرك السلوك.

(٢) الحيل الدفاعية أو آليات الدفاع Defense Mechanisms وهي عمليات لا شعورية يقوم بها الفرد على المستوى اللاشعوري لتحقيق تكيفه ومنها التبرير والاسقاط والتعويض والإزاحة والعكسية والتقمص، ويقصد بها أي عملية تساعد الفرد على تحاشي الاحساس بالمشاعر غير السارة أو المثيرة للحصر والقلق.

(٣) اللاشعور Unconscious هو ذلك الجزء من الذات الذي لا يدركه الفرد ولا يعيه ولا يفطن اليه. ويشير الى تلك المناشط اللاشعورية. وعلى الرغم من عدم وعي الفرد لهذه العمليات إلا أن لها تأثيراً دينامياً على حياته وسلوكه وتبعاً لوجهة فرويد، مؤسس مدرسة التحليل النفسي، فإن الشعور يتكون من خبرات الطفولة المنسية ومن الرغبات والدوافع الشاذة التي تعافها الذات الواعية لمنافاتها للاخلاق ولقيم المجتمع.ولكن حبسها لا يعني موتها فهي تظهر على حيز الوجود في فلتات اللسان وزلات القلم وفي اعراض الأمراض النفسية وتظهر في حالات النسيان:

الوقت، ايضاً. لقد رأينا أن هذه تختص بالغير الذاتي، النفعي، والاتجاه الا يثارى نحو الاخلاق انها تخضع تغيرات تعكس قدرة الطفل المتزايدة في التفكير والادراك.

٤ – طفل المدرسة: الواجب:

التوفيق وتعميم اساليب التفكير الخلقي. يبدو مبكراً ان نعمل عبارة حاسمة حول حاجات هذا الواجب لأن ذلك هو موضوع بحوث جارية.

الواجب: تعلم مهارات اجتماعية.

الحاجة: بيئة اجتماعية ملاءمة ومثيرة، التي تساعده أن يجرب ادواراً ومهارات مختلفة بالطبع، كثير من هذا النشاط له منابعة في السلوك الذي تم تعلمه قبيل نهاية الطور السابق ولكن هذه فترة التعلم الأعظم.

لقد قلنا ما فيه الكفاية حول تلاؤم المهارات الأجتماعية لدرجة أنه من غير الضروري أن نتوسع في هذه النقطة.

٥ – المراهقة[1]:

الواجبات أ – اقامة علاقات متبادلة مرنة بين أساليب التفكير الخلقي.

ب – لحم أو طرق هذه إلى مباديء خلقية تتصل بعالم الكبار الحقيقي.

ج – اعادة تقدير المناهج السابقة الخاصة بحل المشاكل الخلقية حيث يكون ضرورياً.

د – تكيفها لكي تصبح قابلة للتطبيق على مشاكل الكبار التي هي جديدة بالنسبة

---

(١) تمتاز مرحلة المراهقة Adojescence بمعاناة المراهق من العديد من مشكلات التكيف الناتجة من ظروف نموه الجسمي السريع والعقلي والنفسي والاجتماعي ومن معاملة المحيطين به ومن فشله في أن يضع نفسه في موضع الكبار. والمراهقة من أهم مراحل النمو وتمتد من بداية البلوغ الجنسي للذكر والانثى حتى مرحلة النضج الجنسي والعقلي والنفسي والاجتماعي وهي مرحلة انتقال بين الطفولة والرجولة ومراحل الانتقال دائماً من المراحل الحرجة فالمراهق يعامل تارة على أنه طفل وأخرى على أنه بالغ وهي مرحلة طويلة ممتدة ص ١٢ – ٢١ بالنسبة للبنت ومن ١٣ – ٢٢ بالنسبة للولد ويصاحبها تغييرات جنسية وعقلية ونفسية تؤثر في سلوك المراهق وفي شخصيته.

للمراهق ليس لهذه علاقة مع الغرائز الجنسية المثارة حديثاً فقط ولكن لها علاقة مع ظهور مهارات الكبار، وبعد ذلك بقليل دخول عالم العمل.

أي تفسير لمشاكل المراهقة في هذا الحقل يجب أن تقرأ في مواجهة الخلقية العامة للفترة التي تتضمن اعادة تنظيم جذرية أو جوهرية في الشخصية على المستوى الفيزيقي والأنفعالي والاجتماعي.

النمو الخلقي والتربية الخلقية موضوعات هامة. إذا كانت الدراسات الملخصة هنا ترينا شيئاً ما فهو أن تقدم الطفل في كل مرحلة وفي كل اتجاه له تأثير على قدرته على الفعل الخلقي في حياة الرشد. هؤلاء الذين عندهم أو لديهم رعاية الاطفال – والمراهقين من أي عمر، لا يستطيعون أن يتملصوا من مسؤولية تقدم الطفل في هذا المجال.

تقليدياً كتاب من هذا النوع ينتهي بنتائج ذات قيمة وقوية ولكن هذا لن نحاوله هنا ولهذا الموضوع أهمية ولسوء الحظ صعوبة لدرجة انه من الافضل أن نفكر في ضوء لانتائج ولكن مقدمة.

ملخص:

لا يمكن النظر إلى الجوانب المختلفة من النمو الخلقي في عزلة بعضها عن البعض، ولا يمكن أيضاً فصل النمو الخلقي عن اطار النمو العام للطفل. النمو العقلي والاجتماعي والانفعالي متصل بها لدرجة ما.

الفصل السابع

النمو الروحي والخلقي والتنشئة الاجتماعية في مرحلتي الطفولة والمراهقة

في بحثنا في النمو الروحي وعملية التنشئة الاجتماعية في مرحلة الطفولة ينبغي أن نؤكد ان الدين لا تقتصر آثاره ووظائفه على مرحلة واحدة من مراحل العمر، وإنما يشمل أثره كافة مراحل النمو الانساني، وإن كان هذا التأثير يختلف من مرحلة إلى أخرى.

وعلى الرغم من أن القيم الدينية والسلوك الديني يؤثران بصوره أو بأخرى في كل جوانب حياة الفرد إلا أن تأثيرهما أكبر في حياة الفرد الانفعالية The Individual's Emotional life وللدين أهمية كبرى في مرحلتي الطفولة والمراهقة حيث يمر الطفل بمرحلة تكوين الشخصية وصقلها وحيث تلعب العوامل الانفعالية دوراً هاماًفي حياته.

والمعروف أن مرحلة المراهقة، كما يزعم بعض علماء النفس، مرحلة شك ونبذ Rejection للقيم والمعايير الدينية التي سبق أن تلقاها الطفل عن الكبار، وقبلها عن طيب خاطر.

وعندما يصل الطفل إلى درجة من النضج العقلي تسمح باعادة النظر في هذه القيم والمعايير فإنه يتناولها بالنقد والفحص والتمحيص، وتنتهي عملية النقد هذه أما بقبول هذه القيم أو رفضها أو تعديلها.

ومن الأهمية بمكان أن تجري الدراسات والبحوث التي تكشف عن الآثار التي يتركها قبول الدين أو نبذة على صحة الطفل النفسية وثباته الانفعالي، بعبارة أخرى هل يضيف الدين الى التكيف أو إلى سوء التكيف النفسي، هل يسهم الدين في تحقيق الصحة النفسية والثبات الانفعالي أم يؤدي إلى مزيد من الشعور بالذنب وإلى تنمية ضمير حاد وخاز يؤنب صاحبه ويلومه على كل كبيره وصغيره.

تفسير ظاهرة التدين في الطفولة والمراهقة:

وفي تفسيرنا لظاهرة التدين نستعرض آراء كل من ف.مري ور. مرى F. Merry and R. Merry حيث يفترضان أن ظاهرة التدين ظاهرة غريزية بمعنى وجود غريزة دينية لدى الفرد[1] Areligions instinct فتبعاً لهذه النظرية يعتبر الطفل طبيعياً متديناً، وإذا أعطى الفرص المناسبة فإنه يكون المفاهيم الدينية الملائمة ذات المعنى والدلالة. ويعتقدان أن الطفل منذ سن مبكرة يعي بطريقة غريزية وجود قوة عليا يلجأ إليها للحماية، ولدية تجاهلها اتجاه غريزي فطري نحو الاحترام والعبادة[2].

ويتعارض هذا الرأي آخر يزعم أن الطفل شرير بطبعه أو بالفطرة لأنه ورث الخطيئة الاصلية التي ارتكبها آدم في جنة عدن. ولذا كان لابد من، أن نستخدم أكثر الاساليب صرامة في تأديب الطفل وقمع هذه الطبيعة الشريرة وجذبه إلى حظيرة الدين والصواب.ولكن كثيراً من علماء الدين المحدثين يرفضون الزعم بأن طبيعة الطفل شريرة بالوراثة ويعتقدون أن الأطفال يولدون وهم لا طيبون ولا اشرار، ولكن يولدون باستعدادات أو أمكانيات عامة هي التي يوجهها المجتمع فيما بعد اما إلى القنوات الصالحة أو الشريرة.

ويؤيد سكنر skinner هذا الرأى بالقول بأن الكائن البشري يولد بحالة حيادية حيال الدين، فالرضيع مثلاً ليس متديناً ولا هو ضد الدين بل إنه يمتلك الاستعدادات Potentialities للتكيف، والتي تجعل النمو ممكناً نحو التدين أو نحو معارضة الدين.

متى يبدأ الشعور الديني لدى الطفل؟

وإذا ما تساءلنا عن السن التي يبدأ فيها الطفل في الشعور بالخبرة الدينية فإننا لا نجد[3] أتفاقاً كاملاً ين الباحثين حول هذه السن، فمنهم من يرى بعض المظاهر

---

(١) لم يعد يستخدم اصطلاح الغريزة في علم النفس وأصبحت هناك اصطلاحات أخرى كالدافع والباعث والحافز وكلها تجريدات لفظية عقلية للدلالة على بعض انماط السلوك علماً بأن السلوك وحده هو الذي نلاحظه.

(٢) Merry, F. and Merry, R., The First two decades of life. Harpers and Brothers, N. Y. 1950. P. 482.

(٣) Skinner, C., Child psychology, the Macmillan Co. N.Y. 1949, p,276.

الدينية في سلوك الأطفال الصغار، ومنهم من يرى أن الطفل لا يقوى على ادراك المفاهيم الدينية الا بعد الوصول إلى مرحلة متقدمة من النضج العقلي.

فطبقاً لرأي الج F.llg يستطيع الطفل التمييز بين الصواب والخطأ، وبين الرديء والحسن في سن السابعة، أما فيما قبل سن الرابعة فهو غير قادر على فهم الآراء الدينية، وعندما يبلغ الطفل سن الأربع سنوات يبدأ في توجيه مثل هذه الاسئلة ذات الطابع الديني والفلسفي:

١ – من الذي صنعك؟
٢ – من الذي صنع هذه الأشجار؟
٣ – من هو الله؟
٤ – ما الذي يشبهه؟
٥ – هل الله رجل طيب ظريف؟
٦ – هل هو يحب الحلوى؟
٧ – هل يشبه الله أبي؟
٨ – أين يقيم الله؟
٩ – وهل يرانا الآن؟
١٠– هل يرتدي جلباباً فضفاضاً؟

ولذلك فلا عجب أن نجد طفلة صغيرة (سن أربع سنوات) كانت تسير في يوم مطير وكانت تمشي مع أمها فنظرت إلى أعلى السماء وقالت: (شكراً لك يإالهي لجعل الطريق جافاً في بعض الاماكن أنك ترى إني أرتدي حذائي الجديد[١].

وخلافاً لهذا الرأي يذهب فالنتين Valentinet إلى القول أن الطفل لا يستطيع أن يدرك معاني المصطلحات The abstract terms كمعنى الشفقة والله والعدالة والاحسان... الخ، قبل سن الثالثة أو الرابعة عشرة[٢].

---

(١) LLg, F., Child Behaviour. Hamish Hamilton. london. 1955. p. 292 - 303.

(٢) Valentine C., The moral child and some of his abnormalities, A Pelican Book. 1962 p. 271 - 275.

ومهما يكن فإن الاطفال ولاشك لديهم بعض الافكار الدينية التي توصف بأنها أفكار مشخصة. ومجسده وحسية.

ومنذ وقت مبكر (١٨٨٠) طلب ستانلي هول G. Stanelly Hall من مجموعة الاطفال الصغار أن يصفوا تصوراتهم عن الله، وفيما يلي بعضاً من أستجاباتهم؟

(الله رجل كبير ربما لونه أزرق يرى عالياً جداً في السماء أو في السحب أو في الكنيسة بل حتى في الشارع. أنه يصبح اللمبات والاطفال والكلاب والاشجار والنقود.. إلخ؛ يعمل الملائكة لحسابه... الخ.

وعندما يموت الناس أنهم يذهبون أو يوضعون في جحر أو في عربة نقل سوداء؛ ويذهبون إلى الجنة أو يصعدون إلى السماء أو يفرقون أو يعلقون في السماء حيث يمسك الله بهم.. وعندما يذهبون إلى الجنة تقدم لهم الحلوى والبنادق واللعب وكل ما يوجد في محلات لعب الأطفال؛ والكتب المصورة وأوراق اللعب، وتقدم لهم الملابس الأنيقة والساعات الذهبية والمثلجات، ولا توجد هناك مدارس ويلعبون البلى والورق).

وفي دراسة أخرى على مجموعة من أطفال المدرسة الابتدائية أظهروا خلطاً بين مفهوم الله ومفهوم (السيد المسيح) وعبروا عن مفاهيم وصفات مشخصة عن الذات الالهية، وغيرها من المفاهيم الدينية، فهم يصفون الجنة بأنها تشبه الدخان أو الماء أو الهواء، ويعتبرون السيد المسيح كحامي حمى الناس، فهو يأخذك إلى الجنة إذا كنت طيباً، ويشفيك إذا كنت مريضاً. ويدرك طفل من سن ٦ سنوات وظيفة الله بالقول بأن «الله شخص ما في السماء أو في الجنة يعتني بكل شيء ويرعاه ويعالج كل شيء حتى لا يعتري الناس أي مشاعر رديئة أو تسود بينهم، ولكن الأطفال هذا السن يعانون من خلط ازاء فكرة (أن الله خلق كل شيء من لا شيء) ويرجع سوء الفهم هذا إلى نزعة الأطفال لارجاع كل الأفكار المعنوية إلى معان شخصية مجسمة تقع في إطار خبراتهم.

ولقد عبر عدد كبير من الأطفال الصغار (٤٦٤ طفلاً) من أطفال الصف الرابع الابتدائي في المجتمع الأمريكي عن فكرة يوم الحساب The jndgmeut Day حيث وافقت نسبة ٣١٪ من مجموعهم على القضية الآتية:

يحتفظ الله بسجل كبير فيه أفعالنا السيئة.

بينما أقر ٤٣٪ منهم أنه تعالى لا يفعل ذلك و٢١٪ كانوا في حالة شك وتردد، بينما وافق نحو ٥٠٪ منهم بأننا إذا صلينا بجدية كافية من أجل سطوع الشمس أو هطول الأمطار فإن الله سوف يغير الطقس من أجلنا»[١].

خصائص الفكر والشعور الديني في الطفولة والمراهقة:

يعبر الأطفال في الغالب عن خيال حر وغير تقليدي في أفكارهم عن الدين: ولقد حلل هارمس Harmes سنة ١٩٤٤ بضعة آلاف من رسوم الأطفال الصغار من (٣ - ٦ سنوات) التي تمثل أفكارهم عن الله، ووجد أن معظم الصور المرسومة تعبر عن الله كنوع من شخصية الأساطير،يرتدي الملابس الفضفاضة[٢] ولقد افترض هارمس ثلاثة مراحل للنمو الديني في الطفولة هي:

١ - مرحلة الصورة الاسورية The Fairy tail stage حيث تسود الأفكار والمعتقدات الخيالية أو الوهمية.

٢ - المرحلة الواقعية Realistic وفيها يرفض الاطفال خيالاتهم السابقة ويعتنقون التأويلات القائمة على أساس الظواهر الطبيعية.

٣ - المرحلة الفردية The individualistic وفيها يبدأ الطفل في اختيار العناصر التي ترضي حاجاته وبواعثه من الدين: أي ينتقي العناصر الدينية التي تشبع حاجاته الفردية[٣].

وعلى الرغم من اختلاف تصورات أو مفاهيم الأطفال عن الله وعن النار وعن الجنة، وما أشبه ذلك عن المفاهيم الثيولوجية التقليدية، ألا أن ذلك لا يعني ان الأطفال لا يشعرون بالرهبة والتقديس والاحترام نحو الذات الألهية،وأن كان كثير من هذه الآثار يتوقف على الطريقة التي يتعلم بها الأطفال المباديء الدينية.

يقول مرى ومرى «وهناك أدلة كثيرة على أن التعاليم الدينية المبكرة من قبل

---

(١) Sully, j., Studies of childhood, Green an co, 1896, p., 279.

(٢) Argyle, N., (cited in) the religious behaviour, Routledge and Kegan Paul, London, 1958.

(٣) And Hall I. psychology of Adolescence, holt rinchart and cole l winston, N., Y. 1960.

المنزل والكنيسة هي العامل الاساسي في تحديد الاتجاهات الدينية اللاحقة. أن المنهج المستخدم في تقديم المفاهيم الدينية للاطفال له أهمية عظيمة»[1].

ولا شك ان مفاهيم الطفل عن الدين تختلف اختلافاً كبيراً عن أفكار الكبار وعن خبراتهم ومشاعرهم، ولذلك فالجوانب الدينية في حياة الطفل أقل خضوعاً لفهمنا عن جوانب شخصيته الاخرى، فالنضج العقلي Mental Maturity يساعد الطفل على أن يستبدل مفاهيم الطفولة الساذجة والمشخصة بمفاهيم أكثر عمومية وأكثر تجريداً، فكلما تقدم الطفل في السن أصبحت علاقته بالله أكثر شمولاً وأقل شخصياً، وتصبح اتجاهات الطفل الدينية أقل تمركزاً حول ذاته Self Centered وأقل أنانية، ويصبح أقل اهتماماً بالحياة الأخرى. ومعنى هذا أن الدين لا يصبح له دور فعال في حياة الطفل إلا إذا تناول تصورات ومفاهيم تدور حول حياة الطفل الدنيوية المباشرة ولم يقتصر على الحياة الأخرى، وإذا ما تساءلنا عما يحدث في فكر الطفل الديني عندما يصل إلى مرحلة المراهقة لوجدنا أن هناك عملية انتقال أو تحول من تلك الاستجابات التي تثيرها الضرورة الخارجية إلى تلك الاستجابات التي تثيرها الضرورة الداخلية، أي من الدوافع الأنانية إلى الدوافع غير الأنانية، ولكن هذا لا يعني أن نستنتج أن الشعور الشخصي بالواجب وبالمسؤولية والإحساس بالمثل العليا والسلوك الغيري ليست معروفة قبل هذه السن، وأنها تظهر فجأة عند البلوغ Puberty، وهناك كثير من الأدلة التجريبية التي تؤكد حدوث النمو التدريجي وليس النمو أو الانتقال الفجائي من مرحلة إلى أخرى.

وتبدو القدرة على التجريد بتقدم الطفل في السن، ولقد وجدت نسبة مئوية كبيرة من الأطفال الصغار الذين وافقوا على القضية الآتية «ان الله عبارة عن شخص ما يراقبك ليرى أنك تتصرف تصرفاً حسناً وهو الذي يعاقبك إذا لم تكن طيباً». بينما كانت هناك نسبة أكبر من الأطفال المتقدمين في السن (١٨ سنة) الذين أبدوا موافقاتهم للقضية الآتية «أن الله قوة غريبة تعمل من أجل الخير أكثر من كونه شخصاً».

---

(١) Merry F, and Merry . R., OP. cit. p. 490.

وبالتقدم في السن تبدو نزعة التسامح نحو أرباب الديانات الأخرى لدى المراهقين[1].

ولقد وجد أن الأطفال الكبار في السن أكثر استعداداً للموافقة على القضايا مثل: «إن الكاثوليك واليهود والبروتستانت متساوون في الطيبة، أو ليس من الضروري أن نذهب إلى الكنيسة لتكون مسيحياً، والمراهقون المتقدمون في السن (١٨ سنة) كانوا أقل اصراراً على أن «الناس الطيبون يؤدون الصلاة بانتظام».

وفي احدى الدراسات التي تناولت عينة من الشباب من (١٦ إلى ٢٤ سنة) تبين أن ارتياد الكنيسة تنخفض بالتقدم في السن.

أما فكرة الطفل عند الدين فإنها فكرة محسوسة ملموسة وينطبق هذا على صورة الملائكة والشياطين، أما العبادات كالصلاة فإنها وسيلة الطفل الصغير في الحصول على مطالبه. ولكن بتقدم الطفل في العمر يدرك أن دعواته لاتجاب كلها، فلابد ان يؤمن بقيمة العمل حتى تجاب مطالبه.

أما المفاهيم الدينية فإن الطفل الصغير لا يفهم معناها لأن قدرته العقلية لا تقوى على إدراك المعنويات المجردة كالخير والشر والصلاح والتقوى، ولكنه يدرك فقط الأمور الحسية الملموسة التي يستطيع أن يشاهدها، وأن يحس بوجودها وعندما يصل الطفل إلى مرحلة الطفولة المتأخرة يستطيع أن يناقش الأمور الدينية. ويأخذ الطفل في الاتيان ببعض الأسئلة التي تدور حول الخلق والموت والحياة والبعث واصل العالم... وهكذا وفي أول الأمر يقبل ما يلقي عليه من اجابات ثم بتقدمه في العمر يعيد النظر فيه.

وفي بداية مرحلة المراهقة يميل المراهق الى الشك في القيم الدينية التي تعلمها في مرحلة الطفولة، ويعجز عن فهم المعاني الدينية والفلسفية العميقة، ويظل يشك في هذه القيم حتى أواخر مرحلة المراهقة وعندما يبلغ المراهق حوالي سن السادسة عشرة فإنه يتحول نحو الدين مرة أخرى، ولذلك تعرَّف هذه الفترة اليقظة الدينية.

تدل مناقشات المراهق وجدله العنيف على وجود اليقظة الدينية، حيث يميل إلى

---

(١) Kahlen, R., The psychology of adolescence; Harpers and brothers, N., T, 1952, P. 439.

مناقشة أمور مثل الثواب والعقاب، أو الجنة والنار والبعث والخلود والقضاء والقدر والجبر والاختيار. وقد تزداد وطأة الشك الديني عندما يموت أحد آباء أو أصدقاء المراهق المقربين. وعندما يقترب الفرد من مرحلة الرشد يتحول من الشك إلى اليقين، فيفكر تفكيراً هادئاً في الأمور الدينية، ويظهر عندئذ الشعور بالتسامح نحو أصحاب الديانات الأخرى[1].

وبالرغم من أن كثيراً من علماء النفس يزعمون أن فترة المراهقة تمر بحالة ارتباك خلقي وتطرف سياسي، وتغير في القيم، وقبول القيم الدينية أو رفضها، ولكن هذا لا يحدث إلا بالنسبة لقلة بسيطة من المراهقين، أما الأغلبية الساحقة فإنها تظل محتفظة بالاتجاهات الدينية التي يعتنقها الوالدان، ويعتنقون مبادىء تشبه مبادىء الوالدين في الفلسفات السياسية والأخلاق والجنس وما أشبه ذلك.

ففي إحدى الدراسات وجد أن ٨٤٪ من المراهقين أعضاء في الكنيسة، وأن ٥٪ يرتادون الكنيسة بانتظام وأن ١٪ لم يذهبوا للكنيسة وأن ٧٥٪ يعتقدون اعتقاداً راسخاً في وجود الله[2].

ويتقدم الطفل في العمر ينمو عنده الشعور بالتسامح الديني، وبالحرية الدينية Religious liberalization ويحدث التحرر الديني فيما بين سن ١٢ و١٥ سنة وعلى ذلك تزداد نسبة عدد المراهقين في هذه السن الذين يوافقون على عبارات مثل:

(١) ليس من الضروري أن تذهب للكنيسة لكي تبقى مسيحياً.

(٢) الكاثوليك والبروتستانت واليهود كلهم متساوون في الطيبة. بينما تقل نسبة الموافقة على عبارات مثل:

١ - كل لفظة في الأنجيل صادقة.

٢ - الله يراقبنا ويعاقب فاعل الشر.

---

(١) د. فؤاد البهي السيد، الأسس النفسية للنمو من الطفولة الى الشيخوخة دار الفكر العربي سنة ١٩٦٨.

(٢) Mussen. P.H The psychological developement of the child, prentice - Hall. U.S.A. 1963.

اثر الخبرة الدينية في عملية التطبع الاجتماعي او التنشئة الاجتماعية:

هناك عوامل متعددة تلعب دوراً هاماً في عملية التطبع الاجتماعي او التنشئة الاجتماعية Socialization من ذلك جماعة الانداد أو الزملاء والأسرة والمدرسة والراديو والتلفزيون والصحف والمجلات والاندية والمعسكرات والمؤسسات الدينية وثقافة المجتمع ككل.

منذ إهتمام ستانلي هول وتلميذه دانيليز Daniels (١٨٩٣) واستاربوك Starbuck (١٨٩٩) الذين كانوا يعتقدون أن التحول الديني جزء هام من خبرة المراهق منذ ذلك التاريخ، أهتم علماء النفس بأثر الدين على النمو. حقيقة لا نعرف الا القليل عن التأثير المباشر للدين على السلوك لأن وضع محكات تعتبر مسألة صعبة. فكيف يمكن فصل الشخص المتدين عن غير المتدين لتحديد أنهما يختلفان في السلوك والقيم؟

من بين المعايير المستخدمة عبارات الفرد نفسه، هل يزعم هو انتمائه الديني أو عدم انتمائه؟

ولقد أسفرت الدراسات التي تناولت مئات الجانحين انهم يقررون في المقابلات على الاختبارات النفسية أن لديهم بعض الارتباطات الدينية، ولكن استخدام مزيد من الاسئلة يوضح أن معظم الجانحين لا يدخلون الكنيسة ولو مرة واحدة في السنة. وهكذا فإن انتمائهم الديني. Their religious affiliation هو «انتماء لفظي وليس سلوكياً، وعلى ذلك فيلزم محك آخر غير محك الانتماء. بل أن ارتياد الكنيسة Church attendence كما استعمل في كثير من الدراسات لا يصلح كمؤشر حقيقي لتدين الفرد الأصيل، فهناك بعض الاشخاص الذين يرتادون الكنيسة لأسباب غير دينية كالذهاب نتيجة لصغوط الآباء أو لمجرد العادة، أو حباً في الظهور أو الطموح الاجتماعي، أو للشعور بالسمو أو للتمتع بالصحبة الاجتماعية، أو لمجرد قضاء وقت الفراغ أو التخلص من الشعور بالوحدة والعزلة. وهناك دراسات استخدمت اختبارات لقياس المعرفة الدينية كما فعل مالديول، ولكن حتى هذا المنهج لا يكشف عن الاعتقاد الديني الحقيقي، وعلى ذلك فإن النتائج التي نحصل عليها من هذه الا بحاث يجب أن تؤخذ بكثير من التحفظ، فمعظم المعطيات تعطي معلومات عن

بعض الجوانب «الصورية» من الدين أو الرسمية ومن السلوك كالعلاقة بين ارتياد الكنيسة والسلوك، ولا تعطي صورة عن الرابطة بين الانغماس العميق في الدين وفي السلوك. أننا نتوقع أن الخبرة الدينية تؤدي إلى تغيير كل الاتجاهات الاجتماعية العريضة كالاعتقاد في الاخاء بين بني الانسان، وتغير السلوك النوعي المحدد كما يقاس على الاختبار للغش مثلاً(١).

اليقظة الدينية في مرحلة المراهقة:

ومن الظواهر الدينية البارزة في مرحلة المراهقة ظاهرة التجول الديني The religious conversion ولقد افترض استاربوك Starbuck منذ وقت مبكر (١٨٩٩) أن هناك علاقة وثيقة بين بداية المراهقة وبين التحول الديني(٢) ولكن الدراسات الحديثة لا تؤيد وجود يقظة دينية فجائية في المراهقة، وتؤكد مثل هذه الدراسات أن نمو الافكار الدينية عملية تدريجية مستمرة تحدث بدون طفرة تصاحب سن البلوغ، أو تدفق أو انفجار فجائي يصاحب مرحلة البلوغ. ويتأثر الاتجاه الديني في المراهقة بما تلقاه الطفل في المراحل السابقة من تعاليم دينية، فكلما كانت هذه التعاليم أكثر ضيقاً أو أكثر رسمية أو صورية كان المراهق اكثر ميلاً للابتعاد عن حظيرة الدين.

وليس هناك أدلة لتأييد الفرض القائل بأن التغييرات البيولوجية في البلوغ تؤدي إلى حدوث أزمة انفعالية تؤدي بدورها إلى اليقظة الدينية religious awakening.

وتكشف الدارسات المبكرة التي اجريت في حوالي سنة ١٩٠٠م كدراسة استاربوك أن التحول الديني يحدث في السن ما بين خمسة عشر وعشرين عاماً، إلا أن الدراسات المتأخرة نسبياً(٣) كدراسة كلارك Et Clark سنة ١٩٢٨ حول سيكولوجية اليقظة الدينية أوضحت أن متوسط سن حدوث هذه اليقظة هو ١٢ سنة، وهي سن مبكرة قليلاً عن بداية البلوغ، والأكثر احتمالاً أن حدوث أي

---

(١) Ibid, P. 488.

(٢) Carmichael, L. Manual of child psychology, J. Wiley. N. Y. 1954; P. 699.

(٣) Ausubel, D. Theory and problems of adolscent developement Grune and stratton, N.Y., 1954. P. 270.

تكثيف Intensification في الميول الدينية أو الخبرة الدينية يرجع إلى النضج العقلي Intellectual maturation أكثر من البلوغ في حد ذاته. فلقد وجد هولنجوورث L.S.Hollingworth سنة ١٩٣٣ أن تكثيف الميول الدينية يحدث في الاطفال الموهوبين عقلياً في سن الثماني سنوات لأولئك الذين يصل عمرهم العقلي إلى اثني عشر عاماً.

أن استعراض التراث السيكولوجي يعكس وجهات نظر متباينة حيال مسألة زيادة أو نقص الشعور الديني في مرحلة المراهقة،فتبعاً لوجهة نظر جارسون K. Garrison يؤدي نمو دائرة معرفة المراهق،ونمو عادات أفضل في التفكير إلى تساؤل المراهق وتشككه في كثير من الأشياء أو الأفكار التي قبلها سابقاً دون نقد أو تمحيص.

أن شك المراهق يثار عن طريق بعض المبادىء والمعلومات العلمية، وعن طريق رغبته[1] في اكتشاف نفسه بنفسه ومحاولته ربط العالم مع خطة الحياة العامة وذلك بتفكيره الخاص. ويؤيد جيرسيلد هذه الفكرة بالقول بأن الأطفال يصبحون قادرين على التفكير في الأفكار المجردة عندما يصلون إلى المراهقة أنهم يكتسبون فهماً أكثر عمقاً عن معنى دينهم، وسوف تزداد قدرة المراهق على أختيار وفحص معاني الافكار والعقائد والمباديء والقيم التي سبق له أن قبلها عن طيب خاطر بلا نقد أو تمحيص، قبلها من الآباء أو الكبار او المعلمين.

وخلافاً لهذا الرأي يقول كول Cole (سنة ١٩٦٤) ان الطفل يبدأ في التشكك في كل مظاهر السلطة ورموزها Au horiy figuresعند بلوغه مرحلة المراهقة وربما يبتعد عن دور العبادة ويثور على سلطات الأسرة والمدرسة، وأن هناك عدد كبير من المراهقين ما يزال يعتبر الدين مصدراً ممكناً للرضا والانارة النفسية والانفعالية والعقلية(*)، ففي نظره يأخذ كثير من الاطفال بعد سن الخامسة عشرة في التفكير النقدي في المسائل الدينية وعند وصول مرحلة الرشد يستقر بهم الحال إلى وضع

---

(١) Garrison K., Psychlolgy of adolescence, Prentice - Hall, 1955 p. 162.

(*) يعتبر الدين بالنسبة لكثير من الكتاب والعلماء والا مثيراً عظيماً لعبقرياتهم وابداعهم ونبوغهم الفني.

غير مبال نسبياً، وان كان اتجاههم[1] هو اتجاه تسامح نحو الديانات الأخرى وأربابها[2].

أما أوزابل B. Ausubel فيرى أن التناقض الديني تثيره الاكتشافات العلمية في ذهن المراهق، وهو تناقض سطحي، ولا يؤثر في جوهر الايمان الديني Religious faith ولقد درس فورستر J.F. Forrester الاتجاهات الدينية لدى مجموعة من المراهقين تتراوح أعمارهم من ١٣ إلى سنة. ووجد أنهم يرغبون في أن يصبح الدين عملياً، وأنه من الأفضل أن نسلك سلوكاً حصحيحاً عن أمتلاك العقائد الدينية الصحيحة، وأن الخدمات الاجتماعية أكثر أهمية من العبادة، ووجد أن العناصر الصوفية في الدين Mystical elements ليس لها إلا جاذبية قليلة بالنسبة للمراهقين.

ويمر النمو الديني في الفرد بمراحل مختلفة تختلف باختلاف عمر الفرد، لأن فكرة الطفل عن الدين تختلف عن فكرة الراشد الكبير. ففكرة الطفل الصغير عن الله فكرة مادية مجسمة مشخصة. وعندما سئل عدد من الأطفال الصغار عن فكرتهم عن الله قالوا: «أنه رجل عجوز له لحية بيضاء، ويلبس ملابس بيضاء فضفاضة، أما التفكير الديني في مرحلة المراهقة فيمتاز بأنه تفكير نقدي. حيث يلجأ المراهق إلى نقد الأفكار التي تلقاها من الآباء والمدرسين والكبار في مرحلة الطفولة، وكان قد قبلها عن طيب خاطر. وللدين أهمية خاصة في مرحلة المراهقة،حيث يلجأ المراهق للدين لكي يجد فيه مخرجاً من مشكلاته، ولكي يجد فيه السند الذي يحقق له الشعور بالأمن الذي فقده بسبب الصراعات التي تدور في نفسه.

ويفترض بعض علماء النفس أن مرحلة المراهقة مرحلة كفر والحاد، ولكن يبدو أن التفكير النقدي هو الذي يدفع المراهق لإعادة النظر في العقائد التي سبق له أن تلقاها، ويساعده على ذلك زيادة نضجه العقلي وتحرره الفكري ولقد أجرى جليلاند Gilliland بحثاً على الشباب في سن المراهقة، وتناول بالأسئلة موضوعات مثل وجود الله والخلود والمعجزات التي قام بها الأنبياء والحياة الأخرى، والاعتقاد في وجود

---

(١) Cole, L. and Holl LK, OP. Cit. P. 477.

(٢) Ausubel D, OP. Cit P. 270.

الجنة والنار وفي وجود الشياطين، وتبين له أن غالبية الشباب يعتقدون[١] في صحة هذه المبادىء الدينية، ولكن هناك نسبة قليلة لا تعتقد، ونسبة أكثر منها في حالة تردد وعدم يقين.

وهناك من المفكرين من يعتقد أن فترة المراهقة ليست فترة اضطراب خلقي أو ديني. «وعلى النقيض من الفكرة التي كانت تشيع سابقاً نجد المراهقين لا يمرون بفترة ثورة الاضطراب الاخلاقي والديني، ولكن المراهقين بالطبع على درجة كافية من الفهم والحكمة بحيث أنهم يرون ذلك التناقض الذي يقوم بين المعتقدات المتزمتة من ناحية، والجانب العقلي من ناحية أخرى وهم يتلمسون للحياة معنى وقيمة. وقد تمتلىء نفوسهم في بعض الأحيان تحمساً وشوقاً زائدين إلى إعادة تنظيم الكون. ولكن هذه المثل العليا لا تتعارض أو تتصارع مع الواقع تصارعاً يؤدي إلى الارتداد عن الدين أو الاضطراب الخلقي. أن النزعات الخلقية إذا ارسيت قواعدها في الطفولة تستمر إلى المراهقة ثم في مرحلة الرشد عند غالبية الشبان[٢].

النمو الخلقي في مرحلتي الطفولة والمراهقة:

مفهوم الأخلاق:

ينبغي تحديد المقصود باصطلاح «الأخلاق» Morality فهل الاخلاق هي ما يقرره المجتمع حتى ولو كان خطأ؟ أم أن الأخلاق هي ما يعتبره الفرد عدلاً Justice وشفقه Kindnes وايثاراً Alturism وما إلى ذلك من القيم الخلقية المطلقة؟

لاشك أن مفهوم الأخلاق كمفهوم نابع عن المجتمع هو مفهوم دينامي في طبيعته، بمعنى أنه يتغير من جيل إلى جيل، ومن مجتمع إلى آخر، وينمو ويتطور أو يتعدل.

ويعرف هادفيلد J.Hadfield الأخلاق فيقول:

«وهناك معنيان عريضان لمصطلح «الأخلاق» أحدهما بمعنى الامتثال Conformity

---

(١) Gilliland, A.R., Changes in religious bellefs of college students., in J. Soci. psycli, P. 37.

(٢) جان مايرزبلير، ستيوارت جونز ترجمة د. أحمد عبد العزيز سلامة د ضياء الدين أبو الحب، سيكولوجية المراهقة للمربين، دار النهضة العربية... القاهرة.

لمعايير المجتمع Norms or mores وعاداته، والمعنى الآخر هو اتباع الغايات والأهداف الصحيحة»[١].

النوع الأول: يجعلنا آلياً نتبع العادات ونمتثل السلوك الجماعي،ونرعى التقاليد الاجتماعية. وطبقاً للمعنى الثاني فإن الغايات الصحيحة كالكرم والولاء والأمانة تعد خيرة في ذاتها وينبغي اتباعها بصرف النظر عن عادات المجتمع ومعاييره[٢].

والأخلاق بمعنى الامتثال لقيم المجتمع وأنماط سلوكه تختلف من مجتمع إلى آخر.

ويستخدم أحياناً اصطلاح الخلق Character ليعني السلوك الخلقي Moral behaviour ولكن اصطلاح الخلق يشير إلى درجة التنظيم الخلقي الفعال لكل قوى الفرد. ويشير إلى الاستعداد «النفسيفيزيقي» الدائم الذي يقمع البواعث تبعاً لمبدأ تنظيمي معين. ومعنى هذا الاشارة إلى الأخلاق morality كخلق داخلي يكمن في داخل الفرد نفسه. وهكذا نرى أن اصطلاح الخلق يشير إلى سمات الشخصية أكثر من إشارته إلى الأخلاق التي تتضمن قوة إرادية كافية لتوجيه السلوك نحو نوع ما من القيم. وتهتم الأخلاق بنوع خاص بقوى الفرد الارادية وأهداف كفاحه واتجاهاته[٣].

ويقصد بكلمة الأخلاق Morality من الناحية السلوكية العادات والتقاليد والآداب والمثل المرعية في مجتمع ما،وعلى ذلك فالقيم الخلقية تختلف من مجتمع إلى آخر، كما تختلف في نفس المجتمع من عصر إلى آخر، وتختلف في نفس المجتمع وفي نفس العصر باختلاف الطبقات الاجتماعية. فالمبادىء التي تصلح للمجتمع الاشتراكي لا تصلح للمجتمع الرأسمالي. كذلك اخلاقيات المجتمع الديمقراطي تختلف عن اخلاقيات المجتمع الديكتاتوري، فالفرد الذي يعيش متكيفاً في مجتمع

---

(١) Hadfield, j., Child hood and adolescence, penguin Books, 1964 P., 141.

(٢) راجع كتاب «علم النفس ومشكلات الفرد» للكاتب، منشأة المعارف بالاسكندرية، لمعرفة الاتجاهات المختلفة في تحديد السواء والانحراف.

(٣) يختلف معنى الأخلاق بالمعنى السلوكي كعادات فردية وجماعية عن الاخلاق بالمعنى الفلسفي ethrics أو كعلم الأخلاق.

رأسمالي يصبح غير متكيف إذا ما نقل إلى مجتمع شيوعي مثلاً. وطبقاً لوجهة النظر «الامثالية» ما على الفرد إلا أن يقبل قيم الجماعة التي ينتمي إليها حتى يعيش في سلام ووئام معها، ولكن رغم وجود هذه الفروق الثقافية في مفهوم الأخلاق إلا أن هناك بعض المباديء الخلقية «المطلقة» العامة التي تصدق في كل مكان وزمان، ومنها الصدق والأمانة والولاء.. إلخ.

ويعرف الخلق بأنه تكامل العادات والاتجاهات والعواطف والمثل العليا بصورة تميل إلى الاستقرار والثبات،وتصلح للتنبؤ بالسلوك المقبل[1]. فالنمو الخلقي لدى الطفل يسير من مجرد الرغبة في تحقيق اللذة والسعادة إلى التقيد بالمبادىء الخلقية والاجتماعية السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه الطفل.

وبتقدم الطفل في العمر تتحول القوى الرادعة من كونها قوى خارجية أي صادرة من الخارج، من الأباء والأمهات والمدرسين، إلى أن تصبح قوى ذاتية داخلية هي ضمير الطفل، ويتكون هذا الضمير عن طريق امتصاص قيم الآباء واكتسابها، وبذلك تصبح معايير الطفل نفسه.

ويقودنا هذا الموضوع إلى التساؤل أيهما تصبح له القيمة العليا والمطلقة: الفرد أم المجتمع؟

في ضوء الخبرات المستمدة من المجتمعات الديمقراطية والدكتاتورية يتضح أن الأمل الوحيد في الإصلاح والتقدم يكمن في النشاط الحر لأعضاء المجتمع. وليس هناك ضرورة لإتخاذ موقف دون آخر في أيهما تكون له السيادة: الفرد أم المجتمع، إذ الواقع أنهما يعتمدان على بعضهما البعض، وهناك علاقة تفاعل قوية بين الفرد والمجتمع. فصلاح المجتمع من صلاح أفراده وصلاح الأفراد يؤدي إلى صلاح المجتمع برمته.

ومن الناحية السيكولوجية فان مفتاح الأخلاق هو شعور الفرد بالواجبات والإلزام في كل من الفكر والعمل.

---

(١) دكتور فؤاد البهي السيد، الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة، دار الفكر العربي بالقاهرة/ ١٩٦٨.

وعلى ذلك فان السلوك الذي يقوم به الفرد خوفاً من عقاب المجتمع ليس خلقياً بالمعنى السيكولوجي، ويصبح خلقياً عندما يصدر عن شعور الفرد بالواجب أو بالولاء أو العطف أو الشفقة أو الرحمة أو الحب أو الشرف وغيرها من الانفعالات المشابهة. ولكن هذه الانفعالات ليس من الضروري أن تكون صحيحة اجتماعيا، ذلك لأنها قد تنشأ أصلا من الأخطاء التي يرتكبها المجتمع ضد أفراده.

ولا يمكن قبول الافتراض أن الانسان خير محض أو شر محض، إنما تسود آراء الكثرة من العلماء بأن في الإنسان الشر والخير معاً، وتفتح هذه الفكرة الآفاق واسعة أمام المجتمع ومنظماته التربوية لتنمية الجوانب الخيرية في الانسان وسيطرتها على جوانب الشر فيه. وتلعب الأساليب التربوية دوراً هاماً في توضيح مفاهيم الخطأ والصواب، وخاصة لدى أولئك الذين يعتريهم الخلط وعدم القدرة على التمييز بينهما فكثير من الناس، وخاصة الشباب يقفون موقف الحيرة إزاء الوعظ والإرشاد من قبل الكبار من ناحية وسلوكهم الفعلي والعملي من ناحية أخرى. على أن مجرد المعرفة النظرية بالخير أو الشر لا تتضمن بالضرورة عمل الخير. المهم هو الإرادة التي تفعل الخير وتتجنب الشر إلى جانب ضرورة توافر الإمكانيات البيئية والانفعالية والجسمية لممارسة الخير، فلقد وجد أن قوة الإرادة تتأثر بتعاطي الفرد بعض العقاقير(١).

الأنماط الخلقية:

يصنف الناس أحياناً إلى أنماط خلقية مختلفة تبعاً لنوع الأخلاق الذي يتبعونه:

١ – النمط النفعي The expedient type وفيه يسلك الفرد فقط سلوكاً خلقياً للحصول على أغراضه الذاتية.

٢ – النمط الامتثالي Conforming type وهو النمط الذي يفعل صاحبه ما يفعله الآخرون، وما يقولون أنه ينبغي عليه أن يعمله.

٣ – النمط العقلي أو النمط ذو الضمير الحي The rational or conscientious type وله معاييره الخاصة الداخلية في الصواب والخطأ.

---

(١) Johnes, V., Character development in children: an objective approach, in Manual of child psychology, ed. by, Carmichael, L. P. 821.

وتبعاً لهذه المعايير يحكم على تصرفاته. وهو نمط إيثاري Altriustic ويمثل أعلى مستويات الأخلاق وله مجموعة من المبادىء الخلقية الثابتة المستقرة والتي توجهه. إنه عقلاني وواقعي Realistic في تقويمه لما هو خير له ولغيره من الناس(١) وهو غير مضطر لعمل كثير من التفسيرات أو التأويلات الخلقية لأنه يتبع «حرفية» القانون الخلقي، أما الشخص النسبي في مذهبه الخلقي Relativist فانه يأخذ في الحسبان النوايا والدوافع والاصرار أو التعمد والنتائج العملية لعمله، وكما يقول فروم E. Fromm في ضوء الأخلاق السلطوية تضع السلطة(٢) ما هو خير للانسان، وتضع القوانين والمعايير للسلوك أما في الأخلاق الانسانية فالانسان نفسه هو موضوع المعايير وهو الذي يضع هذه المعايير، أنه مصدر المعايير والمسئول والمنظم، وهو أيضاً الموضوع الذي تنطبق عليه هذه المعايير(٣).

خصائص الفكر والسلوك الخلقي في الطفولة والمراهقة:

يضاف إلى المشاكل السابقة مشكلة عمومية المبادىء الخلقية أو خصوصيتها بمعنى هل يكون الطفل الأمين في البيت أميناً في المدرسة وفي النادي وفي العمل وفي الامتحان وفي اللعب وفي جميع المواقف والأماكن أم أن الأمانة تتوقف على الموقف الذي يوجد فيه الفرد ومقدار حاجاته إلى «الغش» مثلا؟ وعلى دوافع الفرد وحاجاته؟ لقد دلت دراسة هارتشورن وماي (١٩٢٨) Hartshorne and May على عدم وجود ارتباط ذي دلالة بين الغش في المدرسة والغش في المنزل Cheating at home and at school ولكننا إذا أخذنا الأخلاق بمعنى الشعور بالذنب لتجنبنا الصعاب الناتجة من الاتجاه الامتثالي السلوكي، إذ من الممكن أن يخضع الفرد للاغراء Temptation ومع ذلك يشعر بالذنب نتيجة لامتلاكه معياراً داخلياً.

يسير الطفل في بدء حياته بمنطق «اللذة» أي أنه يميل إلى تكرار السلوك الذي

---

(١) Jersild, A., The Psychology of adolescene, P. 368.

(٢) راجع أنواع القيادة وأثر كل منها على السلوك الشخصية في كتاب المؤلف «علم النفس الاجتماعي» دار النهضة العربية – بيروت.

(٣) Fromm, E., Man for himself: an inquiry for the psychology of ethries, Rinehart, N. Y. 1947.

يجلب له اللذة المباشرة ويجنبه الألم. ويتكون ضمير الطفل عن طريق مجموعة الأوامر والنواهي التي يتلقاها من الوالدين اللذين يقومان بوظيفة الضمير في بدء حياة الطفل. فالطفل الصغير لا يسرق لأن «ماما» تقول لا تسرق، ولأن السرقة تغضب «ماما».

وهنا ينبغي أن نتساءل عن العوامل التي تؤثر في مجرى النمو الخلقي في حياة الطفل؟

العوامل المؤثرة في النمو الخلقي:

لقد تساءل كثير من الكتاب: هل يرجع السلوك الخلقي الى الوراثة أم إلى البيئة والاكتساب؟ يحتوي التراث السيكولوجي على كلا الاتجاهين أي الاتجاه الوراثي والاتجاه الاكتسابي. ومن بين الدراسات العديدة التي تؤيد العوامل الفطرية في الأخلاق The innate factors دراسة الأسر التي انتشر الجنوح والاجرام بين أعضائها بكثرة كبيرة عبر الأجيال المتعاقبة(١). ولقد افترض قديماً بعض العلماء وجود حس خلقي داخل الانسان، ولكن إذا كان للاخلاق حس مستقل فأين يقع هذا الحس من الجسم؟ وفي غضون القرن الثامن عشر سادت حركة طبية تفترض أنه نتيجة لاصابة الفرد بمرض ما فانه يفقد حسه الخلقي، بينما تبقى قواه العقلية سليمة، واطلق على هذه الحالة المرضية اصطلاح الجنون الخلقي Moral insanity(٢) ويفترض هنري مودسلاي Henry Maydsley أن معظم المجرمين الصغار ضعاف أخلاقيا في القوة الخاصة بتكوين الحدس الخلقي، وكان يعتقد أن الطفل قد يكون ماهراً عقلياً ولكنه أعمى خلقياً، وأن هذا الضعف الخلقي الموروث يبدو أنه ينتشر في أسر معينة عبر الأجيال المتعاقبة. ومن ناحية بناء الشخصية وجد أن كثيراً من الأعراض السيكوباتية والعصابية ترتبط بالجنوح(٣) وكان لمبوروزو Cesare Lombroso يعتقد بوراثية الإجرام. ويعتقد بعض الناس بأن الطفل يولد مزودا بضمير معين يساعده على التمييز بين الصواب والخطأ، بل يزعم البعض أن الطفل يرث بعض السمات

---

(١) Kanner, L., Child Psychology; Charles C., Thomas, U.S.A. 1957, P. 679.

(٢) Burt, C., The Young delinquent, univ. of London, Press, 1957 P. 34-40.

(٣) Ibid.

الخلقية المحددة كالأمانة والصدق، ولكن هذه الفكرة تخلص الآباء والمعلمين من مسئولياتهم إزاء تربية الطفل تربية خلقية سليمة حيث لا يعزون السلوك غير المرغوب إلى فشلهم وإنما إلى نقص وراثي أو فطري لا يمكنهم التغلب عليه.

ولكن الضمير في واقع الأمر يتكون خلال الشعور بالالتزام أو بالواجبات الاجتماعية، تلك العمليات التي تحول الضبط الخارجي إلى ضبط داخلي[١]. يقول وليم مكدوجل Mcdougall مؤيداً الاتجاه الوراثي للعقل البشري: أن هناك نزعات فطرية أو موروثة هي المنابع الأساسية أو القوى الدافعة لكل من الفكر والسلوك، وهي الأساس الذي تنمو عليه خلق وإرادة الأفراد والأمم بالتدريج تحت توجيه الملكات العقلية[٢].

أما فرويد Freud فيرى أن غريزتي الجنس والمحافظة على الذات هما العنصران الأساسيان في الدافعية الانسانية Human motivation وتتضمن غريزة المحافظة على الذات، من بين ما تتضمن حماية معايير الفرد الخلقية والاجتماعية ويفترض آدلر Adler وجود نزعتين مسئولتين عن ارتباط الانسان بأخيه الإنسان، وهما:

١ – الرغبة في القوة الشخصية والسمو.

٢ – الشعور الاجتماعي.

ولكن مثل هذه الاتجاهات التي تختزل الدافعية الإنسانية في شكل عامل أو عاملين تبالغ في تبسيط التنظيم الدافعي في الإنسان.

وتدلنا الدراسات الأنثروبولوجية التي تناولت بعض المجتمعات البدائية على أن القيم الخلقية ليست عالمية، ومن ثم ليست موروثة، وعلى سبيل المثال فان مجتمع الأرابيش Arapash ليس في حاجة إلى كثير من الوسائل التربوية التي تروضه على ممارسة السلوك الخلقي، وإنما يظهر هذا المجتمع كثيراً من مظاهر الإيثار والتضحية[٣] تلقائياً.

---

(١) Hawkes, G. R., Behaviour and development from 5 - 12 Harpers and Brothers, N. Y. 1962, PP. 122.

(٢) لم تعد فكرة الملكات مقبولة في الفكر السيكولوجي الحديث وأصبح ينظر للعقل البشري على أنه وحدة.

(٣) Mead, M., Sex and temparament in three primitive societies, Routledge and Kegan Paul, 1948, P. 137.

وفي مجال تأييد وجهة النظر الوراثية في نمو القيم الخلقية ربما نشير إلى الفروق الملاحظة بين الذكور والأناث في الأخلاق. فلقد وجد أن الاناث أكثر تأثيراً بالنداء الإنفعالي في الحياة الدينية، بينما الذكور أكثر جذباً بالشرف والعقاب الخلقي والنشاط الاجتماعي. وبالنسبة للعدوان فلقد أعطى بايز وماريكارد Bize and Maricard (١٩٣٧) حقناً من الهورمون المنشط للذكور لعدد من الصبيان الصغار ووجد زيادة واضحة في العدوانية في كل العلاقات الاجتماعية. كذلك أعطى كلارك وبرش Clark & Birch هرمونات ذكورة وأنوثة لقرد ذكر، ووجد أن الهرمون الذكري يؤدي إلى زيادة السيطرة الاجتماعية عند الحيوان وأن الهرمون الانثوي يؤدي إلى خضوع الحيوان، ويؤكد هذا فكرة زيادة النزعات العدوانية في الذكور عنها في الاناث. وفي مجال الفروق الجنسية في الأخلاق أيضاً هناك ما كشفت عنه دراسة تيودور – هارت Tudo - Hart حيث وجد أن الإناث يلقين أكثر من الذكور كثيراً من الأكاذيب التقليدية مثل: أمي ليست في المنزل(١).

أنا سعيدة لرؤيتك.

لقد قضيت وقتاً ممتعاً في حفلتكم؟

مثل هذه الأكاذيب اعتبرتها نسبة أكبر من البنات عن البنين «ضرورية» كذلك اعتبرت نسبة أكبر من البنات الأكاذيب الاجتماعية «ضرورية» (نسبة ٣٢٪ في مقابل ١٨٪ من الذكور) ومن أمثلة الأكاذيب الاجتماعية «الكذب للاحتفاظ بالأسرار» و «الكذب حماية من الغرامة» وما إلى ذلك. وفي دراسة شيلي Sheelly (١٩٣٨) التي تناولت ٨٠٠ طفل تتراوح أعمارهم من ٩ إلى ١٦ سنة وجد أن الذكور أكثر عدواناً وسيطرة وأقل خوفاً وأكثر تفاخراً عن الإناث اللائي كن أكثر شكاً وخيالاً وأكثر خضوعاً وطاعة للضوابط الاجتماعية، ولقد وجدت نسبة الذكور إلى الاناث في الأحداث الجانحين الامريكيين تساوي ٦ – ١.

ولكننا يجب أن نلاحظ أن هناك فروقاً كبيرة في نوع الجرائم التي يرتكبها أفراد كل جنس، كذلك هناك فرق في المستويات الخلقية التي يضعها المجتمع على

---

(١) Jenes, V., OP. cit.

أفراد كل جنس. فالمعروف أن الأسرة أكثر تسامحاً في قبول المخالفات التي يرتكبها الولد الذكر. كذلك فانه يفترض أن الأب - أكثر من الأم - هو الذي يمثل السلطة الخلقية الرئيسية في الأسرة. وأنه ايضاً الموضوع الخلقي الذي يتقمصه الولد والبنت على حد سواء. أن الأب أكثر تمثيلاً للمعايير الاجتماعية وهو أكثر قدرة على القيام بعملية الضبط والربط في الأسرة.

وفي هذا الصدد افترض فرويد أن الذات العليا أو الضمير في النساء أضعف منها في الرجال، ويرجع السبب في ذلك إلى بقاء البنات مدة أطول من البنين في مرحلة جمود عقدة الكترا Electra[١].

وخلافاً لوجهة نظر فرويد هذه يعتبر تيرمان وتيلور أن البنات يمتثلن أكثر من البنين لقواعد الآباء والسلطة. كذلك تعاني البنات من مشاكل مدرسية ومنزلية أقل من البنين، وأن نسبة جنوح الأحداث بينهن أقل من مثيلتها عند البنين. وفي دراسة ثرستون وكيف Thurstone and Chave عن الاتجاه نحو الكنيسة وجد أن النساء أكثر استعداداً للذهاب للكنيسة عن الرجال[٢].

ويرى فرويد Freud أن الاحساس بالعدل وغيره من القيم الخلقية أقل في النساء منه في الرجال، ويرجع ذلك في نظره إلى طرق تكوين الذات العليا عندهن ويقول فرويد: «أن السمات الخلقية التي أثارها النقاد في كل الأزمنة ضد النساء - أي أن احساسهن بالعدل أقل من احساس الرجال، وأنهن أقل استعدادا للخضوع لضرورات الحياة الهامة، وأنهن أكثر تأثيراً في أحكامهن بمشاعر الحب والعداوة - كل هذا يفسر بالرجوع إلى التعديلات التي تحدث في تكوين ذواتهن العليا».

ويبدو أن تعاطف الإناث ينتج من جوانب شخصية أكثر من المبادىء والقيم المجردة. وفي هذا الصدد يقال أن النساء يتأثرن في الأحكام الخلقية والجمالية بالأسلوب وبالشعور أكثر من التأثر بالعقل.

(١) تشير هذه الحالة إلى ارتباط الفتاة بأبيها مع كراهية الأم والشعور بالغيرة نحوها، وتقابل عقدة أوديب في الطفل الذكر التي تشير إلى ارتباط الطفل جنسياً بأمه والغيرة من الأب وما يصحب ذلك من شعور بالذنب والصراع الانفعالي لدى الطفل.

(٢) Thrustone, L. and Chave. E; The measurement of attidutes. The University of Chicago Press 1951.

ولقد وجهت انتقادات عديدة لفكرة وراثية الأخلاق، فعلى سبيل المثال وجد هارتشورن وماي أن الأمانة تختلف باختلاف المواقف. فالطفل قد يكون أميناً في المدرسة خائناً في المنزل. ويؤكد الاتجاه البيئي في نمو الأخلاق دور الأسرة والمدرسة والمسجد والكنيسة أو الجماعات البشرية، كجماعة الاصدقاء والزملاء والحركة الاجتماعية ووسائل الاعلام والاتصال الجماهيري كالراديو والتلفزيون والسينما والمسرح والصحف والمجلات مما يؤكد أثر المنزل على الأخلاق، وما وجد في إحدى الدراسات من أن ٨٧٪ من الإناث الجاناحات أتين من بيوت محطمة، حيث يقل تأثير المنزل، وتقل فرص تدريب الطفل على السلوك الخلقي.

وفي دراسة أخرى وجد أن ضعف التدريب والتأديب كان سبباً في ٩٠٪ من الانحرافات السلوكية. ولا شك أن الطفل يبنى مفهومه عن الصواب والخطأ من الأمثلة التي يتلقاها من الكبار الراشدين. ولقد وجدت معاملات[1] ارتباط كبيرة نسبياً بين فكرة الأطفال عن الصواب والخطأ وبين أفكار الكبار المحيطين بهم وكانت معاملات الارتباط كما يلي:

	معامل الارتباط
الأطفال والآباء	٠,٥٥
الأطفال والأصدقاء	٠,٣٥
الأطفال ومعلمو الأندية	٠,١٤
الأطفال والمدرسون	٠,٠٦
الأطفال ومعلمو مدارس الآحاد	٠,٠٠٢

ويبدو أن الآباء لهم أكبر قدر من التأثير في تكوين مفهوم الطفل عن الخطأ والصواب. ولقد تبين أنه كلما زاد اتصال الطفل التصاقاً بالكبار زاد تأثيرهم عليه وعلى سلوكه، وتلعب علاقات الحب والعطف والحنان والدفء دوراً هاماً في تنمية الضمير القوي في الأطفال.

فأسلوب التربية القائم على أساس الحب هو الذي يؤدي إلى تنمية الضمير أما

(١) يعرف معامل الارتباط بأنه تحديد احصائي لكم وكيف العلاقة بين متغيرين أو أكثر.

الحماية الزائدة أو الخضوع لرغبات الطفل المبالغ فيها فانهما يؤديان إلى زيادة نزعات الطفل نحو العصيان والطغيان والمبالغة في المطالب. أما الأطفال الذين خضعوا لسيطرة الأمهات والتحكم الزائد والتأنيب المبالغ فيه والذين كانوا يمنحون المكافأة لخضوعهم، أصبحوا منسحبين وخجولين(١).

ويعتبر المنزل من أقوى المؤسسات الاجتماعية في نقل ثقافة المجتمع للطفل أنه يكمل وظائف المؤسسات الاجتماعية الأخرى كالحكومة والمدرسة والمسجد بل أنه يبدأ في «عمله هذا» قبل أن يبدأ الطفل في الإحساس بدور هذه المؤسسات. كذلك تلعب المدرسة دوراً هاماً في نمو السلوك والقيم الخلقية في الطفل، فلقد لوحظ أن السلوك الخلقي للاطفال يتدهور عندما تضعف الإدارة المدرسية.

ولكي يمارس الطفل السلوك الصواب لا بد من معرفة الصواب والخطأ والتمييز بينهما، وليس هذا التمييز أمراً سهلاً، إذ يختلف الأفراد في تقدير الصواب والخطأ. ففي احدى الدراسات قررت ٩٠٪ من مجموعة من الاطفال الصغار أن ٩ مواقف من مجموع ٦٤ موقفاً مدرسياً هي مواقف صحيحة أو صواب، وعندما حكم المدرسون على هذه المواقف قرروا أن ١٢ موقفاً صحيحاً فقط، وقرر هذه النتيجة ٩٠٪ من المدرسين، وعلى الرغم من أن المعرفة النظرية بالصواب والخطأ لا تضمن بحد ذاتها ممارسة الصواب وتجنب الخطأ إلا أن المعرفة مهمة، لأن الفرد لا يختار الصواب في موقف لا يعرفه؛ اللهم بمحض الصدفة البحتة(٢).

ومن العوامل المؤثرة في السلوك الخلقي ارتياد أماكن العبادة، فلقد وجد أن للخبرة الدينية أثراً كبيراً على النمط القيمي للأطفال وللشباب. ولقد وجد «هارتشورن وماي» أن مقدار الغش يقل بارتياد الكنيسة. كذلك وجد أن الأطفال الذين يرتادون الكنيسة يحصلون على درجات أعلى في اختبار «مساعدة الغير» أو النزعة نحو مساعدة الآخرين.

وبالنسبة لأثر المجتمع أو الحياة الاجتماعية ككل يقول عالم الاجتماع الفرنسي

---

(١) Mussen, P.H., Op. Cit; P. 356.

(٢) Ibid.

دور كايم Durkheim، أن الحركة الاجتماعية العظيمة هي التي تخلق الجريمة. ففي الماضي كان الناس يرتبطون بروابط وثيقة بأسرهم التي كانت توحد وتضبط سلوكهم[1].

ولقد أدى النمو الإجتماعي إلى النزوح للمدن الكبرى وتحطيم الروابط الأسرية القديمة، وأصبحت الوظيفة أو المهنة تمارس بعيداً عن دائرة الأسرة ولقد تحللت القيم القديمة دون أن يتكرر غيرها، فأصبح هناك فراغ قيمي يحتوي الفرد المعاصر. لقد أصبح أبناء المجتمع الحديث أكثر عزلة وانسحاباً ومن ثم ضعف التأثير الاجتماعي عليهم.

كذلك تؤثر الطبقة الإجتماعية على نوعية الاخلاق التي تنمو في الطفل، فلقد وجد أن أطفال الطبقات الإجتماعية والاقتصادية الدنيا تسلطا في اتجاهاتهم، فقد طالبوا بانزال العقاب، كعلاج لعمل الخطأ أكثر من أطفال الطبقات العليا. ولقد وجد أن أطفال الطبقات الدنيا ينظرون للسلوك في ضوء الصح والخطأ، بينما يحكم أطفال الطبقات العليا على السلوك طبقاً لنتائجه العملية. كذلك وجد أن أطفال الطبقات الإجتماعية الدنيا كانوا أكثر قبولاً وتسامحاً إزاء الأفعال الخاطئة، وذلك بالمقارنة بأطفال الطبقات العليا وعلى سبيل المثال عندما سئلوا عما إذا كان «السكر» خطأ، كانت هناك النسب المئوية الآتية التي أقرت أن السكر خطأ:

أطفال مناطق نصف قدرة	١١٪
أطفال الطبقة الإجتماعية المتوسطة	٢٠٪
أطفال الطبقة الإجتماعية العليا	٣٤٪

ولقد فسر هذا بأن أبناء المناطق الشعبية التدنية المستوى أكثر الفة مع السكر عن زملائهم من أبناء الطبقات العليا.

ويقترح بريكنردج Breckenridge العوامل الآتية كأساس للنمو الأخلاقي الجيد:

١ - صحة جسمية جيدة لمقاومة الإغراء، وللتحرر من الشعور بالمرارة أو النقص، ومن وجود دوافع الانتقام.

---

(١) Ibid.

٢ – الأمان الأنفعالي لإمكان الشعور بالحب تجاه الآخرين.

٣ – توفر وظيفة مناسبة ومنافذ للتعبير او التصريف.

٤ – تدريب مستمر في التحكم والضبط الذاتي للمساعدة في التخلص من البواعث الطفلية.

٥ – وجود افق اجتماعي مستمر الاتساع لتنمية القدرة على اكتساب المعارف، وعلى التسامح وعلى التعاطف، وعلى الفهم وتنمية الرغبة الأصيلة لتقدير حقوق وواجبات الناس الآخرين.

٦ – الطموح نحو الرغبة القوية في عمل الصواب، بحيث يجد الفرد الشعور بالرضا والسعادة نتيجة لعمل الصواب. وفي الغالب ما ينمو هذا الطموح نتيجة للتعاليم الدينية[١].

ولا يمكن تخيل حدوث للنمو الخلقي بمحض الصدفة، بل انه يحتاج إلى جهود وأساليب مدروسة، ويتطلب تخطيطاً دقيقاً للمواقف متى تضمن التعاون والضبط الذاتي، ونمو روح الجماعة. كذلك ينبغي تشجيع الطفل على تعميم المبادىء الخلقية، وممكن اشراك التلاميذ في مشروعات خدمة البيئة لتنمية الشعور بتحمل المسئولية وتقدير الصالح العام وحمايته. وإلى جانب المؤثرات الخارجية ففي مرحلة المراهقة توجد دوافع داخلية نحو التعاون ونحو تقدير العدالة ونمو الشعور بالولاء للجماعة ولقواعدهم وغير ذلك من المبادىء السلوكية المثالية. ففي المراهقة تنمو النزعات المثالية والنزعة نحو اصلاح العالم ونحو البذل والتضحية الذاتية، وينبغي توجيه هذه المثالية نحو السلوك الخارجي الحقيقي كما ينبغي اشعار المراهقين بانهم مرغوبون ومطلوبون كما ينبغي أن يجدوا المنافذ الايجابية البناءة لتصريف طاقاتهم الزائدة. وأخيراً فاننا في معرض الجدال بين تأثير البيئة والوراثة، ينبغي أن نؤكد بأن الانسان يتأثر بكل من البيئة والوراثة معاً، وأن العلاقة بين البيئة والوراثة هي علاقة تفاعل، أي تأثير متبادل قوي، ولكننا ينبغي أن نضع مزيداً من الأهمية للعوامل البيئية، لأن ذلك سوف يوسع من مقدرتنا على مساعدة الاطفال نحو النمو الجيد،

---

(١) Breckenridge, M. and Vincent, E. Child development, W.B. Senders Co., 1949, PP. 488.

والايمان بامكان اصلاح الاعوجاج. أن ارجاع السلوك الانساني إلى العوامل الوراثية وحدها يضيق من امكانية تعديل السلوك المنحرف وتوجيهه نحو الصواب. ولا شك أن ما يولد به الطفل من استعدادات وامكانيات يمكن صقلها وتشكيلها وتوجيهها وحسن استغلالها عن طريق الخبرات التي يمر بها الطفل، والفرص التي تتاح له، والاشراف الذي يلقاه.

المثال والقـدوة:

كيف يختار الطفل الصغير مثاله الأعلى الذي يقتدى بـه؟

نتيجة لالتصاق الاطفال الصغار بآبائهم فانهم يختارون منهم مثالهم الأعلى. وفي أحدى الدراسات وجهت للاطفال الاسئلة الآتية:

١ – من هو الشخص الذي تعجب به اشد الاعجاب؟

٢ – من هو الشخص الذي ترغب ان تشبهه من هؤلاء الناس الذين تعرفهم أو سمعت أو قرأت عنهم؟

ولقد اختار الاطفال الصغار (سن ٦ – ٧ سنوات) مثالهم الأعلى من بين افراد الدائرة الضيقة لمعارفهم كالآباء والأمهات. وعلى حد قول فالنتين: بازدياد السن تتسع خبرات الطفل، وبذلك يصبح الاشخاص الذين يختارهم الطفل مثالا أعلى من بين الاشخاص الذين قرأ منهم في التاريخ أو في الأدب أو الأنجيل، أو من بين الشخصيات العامة الشهيرة[١].

على كل حال وجد أنه بعد سن الثالثة عشرة يعود الطفل للاختيار من دائرة المعارف المقربين. ومن المعروف انه بالتقدم في السن ينمو اتجاه التسامح نحو المذاهب الدينية المختلفة وأربابها، كما تنمو نزعات الشك والنقد تجاه العقائد الدينية التي تعلمها الطفل من قبل.

ولقد وجد معامل ارتباط سالب بين عامل العمر الزمني وبين قبول المعتقدات الدينية.

---

(١) Valentine, C. The Normal child and some of his abnormalities, Penguin Books, P. 201.

كذلك كلما تقدم المراهق في السن زاد قدرة على التفكير في الأمور المجردة، وكلما قلت نزعته نحو «الاخلاق الموضوعية» أو الواقعية أو المطلقة حلت محلها الاخلاق النسبية ونمت نزعات التحرر والمرونة في وجهات النظر.

مراحل النمو الخلقي:

على الرغم من أننا نستطيع أن نحدد مراحل معينة للنمو الخلقي، إلا أن النمو الخلقي، كغيره من مظاهر النمو الأخرى، يحدث تدريجياً لا فجائياً، وليس هناك انتقال فجائي أو طفرى من مرحلة إلى أخرى، فالطفل لا يتحول من الطفولة إلى المراهقة بين عشية وضحاها، بل انه من الممكن أن يحدث نوع من النكوص Regression أو الأرتداد من مراحل متقدمة إلى مراحل سابقة عندما يتعرض الفرد لصعوبات نفسية حادة، فالنمو لا يسير باستمرار في خطوط مضطردة.

كذلك هناك فروق فردية واسعة Individual differences في الوصول إلى أي من هذه المراحل، ولا توجد فواصل حاسمة فاصلة وقاطعة بين هذه المراحل، ولكنها تتداخل فيما بينها[1] ففي المراهقة تظل هناك رواسب من الماضي الطفولي وفي الشباب تبقى بعض سمات المراهقة. ويصف جيرسيلد Jersild حركة الانتقال من مراحل أقل نضوجاً إلى المراحل اكثر نضوجاً في النمو الخلقي بما يلي:

١ – المفهوم العام لما هو صواب ولما هو خطأ يحل محل القواعد النوعية المحددة.

٢ – المعايير الداخلية تحل تدريجياً محل الطاعة للاوامر والنواهي الخارجية.

٣ – زيادة فهم (قواعد المباراة) نتيجة الاحترام المتبادل والموافقة أكثر من كونه نتيجة لطاعة الاوامر التعسفية.

٤ – نمو قدرة متزايدة واستعداد أكبر لأخذ الظروف المحيطة بالسلوك الخاطىء في الاعتبار بدلا من الحكم الآلي على العمل الخلقي.

وبالنسبة للسلوك الانساني ككل يمكن النظر إليه على أنه يسير تبعاً لمستويات أربع يمكن أن تتخذ دليلاً على النمو الخلقي للطفل، هذه المستويات هي:

---

(١) د. عبد الرحمن عيسوي معالم علم النفس، دار المطبوعات الجامعية – الإسكندرية.

١ – السلوك غير المتعلم أو السلوك الغريزي يتعدل بالنتائج الطبيعية للسلوك، ومن أمثلة ذلك تعلم الطفل تلقائياً الا يصدم رأسه ضد الأشياء الحادة أو الساخنة.

٢ – الثواب والعقاب كما يمارسها الاباء والمعلمون وغيرهم من الكبار، أي الضوابط الخارجية.

٣ – القبول وعدم القبول الاجتماعي وخاصة من قبل الجماعة التي ينتمي إليها الطفل.

٤ – الايثار حيث تحرك الفرد وتسيره الرغبة في عمل الخير العام، ويمثل هذا أعلى المستويات الخلقية.

وفي الطفولة المبكرة يكون سلوك الطفل ليس خلقياً أو لا أخلاقياً. ان حاجات الطفل الرضيع تشبه حاجات الحيوان، بمعنى أنها فيزيقية حسية ومباشرة فيحاول أن يحصل على الإشباع المباشر لحاجاته وأن يتجنب الألم. وفي محاولاته لإشباع حاجاته يكون الطفل الصغير أنانياً متسلطاً ومن خلال شعوره بالدفء والبرد والامتلاء والفراغ يحصل الطفل الصغير على الشعور بالخبرات الجيدة والخبرات[١] الرديئة.

ولقد ميز بياجيه Piaget بين نوعين من الأخلاق:

النوع الأول الذي يظهر مبكراً، أو هو ما أطلق عليه اصطلاح (الاخلاق الموضوعية) Objective morality وهنا تكمن الصحة والخطأ في بعض مظاهر السلوك، ويمكن ادراكهما موضوعياً، وهما بينان أو واضحان بذاتهما، فالطفل الصغير يعتقد أن أي شخص يستطيع أن يدرك خطأ أخذ أي شيء يخص الغير أو يخص شخصاً آخر، وتبعاً لرأي بياجيه فان الأطفال في سن الثماني سنوات يحكمون على أي سلوك تبعاً لنتائجه بصرف النظر عن الدوافع أو النوايا التي تكمن وراء السلوك. وعلى ذلك فالطفل الذي كسر، عرضاً أو مصادفة أو قضاء وقدراً، عشرة أطباق هو أكثر «شقاوة» أو خطأ أو مشاغبة من ذلك الطفل الذي كسر عامداً متعمداً كوباً واحداً، وبمرور الزمن يصبح الطفل قادراً على استيعاب الافكار المجردة حول الخير والشر بوجه عام.

---

(١) Ingleby, A. Towards maturity, Robert Hale, Ltd, London, P. 37, 1966.

ويعتقد بياجيه أن هناك انتقالا من الضبط الخارجي ومن الواقعية الخلقية إلى النسبية الخلقية.

حيث يصبح حكم الطفل الخلقي نسبياً وليس حرفياً. يبدأ الطفل في تكوين فكرته عن الصواب والخطأ عن طريق اكتشافه أن اشباع حاجته في الحب والدفء لا يتأتى إلا عن طريق ارضاء أمه، وعن طريق الحصول على موافقتها وهذا يضع الأسس الأولى نحو التعامل مع الناس، فموافقة او رفض الآباء تمثل الجذور الأولى للمعايير الخلقية. وفي دراسة هارتشورن وماي وجد ان الأطفال من سن تسع سنوات يعملون طبقاً للخير العام ويتعاونون فيما بينهم وتثيرهم دوافع الإحسان.

ويقرر الج Alg ان الطفل عند سن ثماني سنوات يستطيع ان يميز بين الخطأ والصواب والخير والشر، وفي الفترة ما بين ٥،٧ سنوات تحدث زيادة في السلوك التعاوني وفي ادراك حقوق الآخرين.

وعلى الرغم من ان الجنوح يزداد انتشاره في مرحلة المراهقة، إلا ان جذوره الأولى ترجع إلى الطفولة المبكرة، ولا شك ان النمو الداخلي الخلقي عامل اساسي محدد في ازالة السلوك الجانح. في الطفولة المبكرة لا يدرك الطفل الصراع[(١)] بين الأمانة والولاء للأصدقاء. وكلما تقدم الطفل في السن كان اكثر وعياً وادراكاً لهذا الصراع، وكلما تقدم الطفل في سن ايضاً كان اكثر قدرة على ادراك المطالب الثقافية والتوقعات الاجتماعية.

اما عن تطور الحكم الخلقي عند الطفل، ففي مرحلة الطفولة المبكرة يسير الطفل حسب ما اسماه بياجيه (الخلقية الموضوعية) ومعنى ذلك ان العالم عبارة عما نشاهده فقط، وليس هناك وجهات نظر متعددة، وليس هناك نسبية، فالأشياء إما بيضاء او سوداء، صواب أو خطأ، فعلى قدر فهم الطفل فان الآباء في نظره يعرفون كل شيء، فاذا قالوا ان هذا خطأ فانه خطأ، فكل ما يقوله الآباء او يفكرون فيه فهو صواب.

---

(١) يشير الصراع لحالة نفسية فيها تجاذب الفرد بين هدفين او مثيرين قد يكون أحدهما مثيراً جيداً والآخر ضاراً أو كلاهما ضار، او كلاهما خير كصراع الفرد بين الرغبة في الثراء والخوف من العقاب او تأنيب الضمير. وهناك صراع الاقبال – الاحجام، وصراع الاقبال – الاقبال، وصراع الاحجام – الاحجام.

فالاطفال يحكمون على الاشياء حكما موضوعياً، اي دون اخذ الدوافع في الاعتبار، تلك الدوافع التي دفعت الطفل نحو هذا السلوك ودون اعتبار للظروف المحيطة والملابسات، بل يتبعون (حرفية النص الخلقي) او حرفية القاعدة في العابهم. فالعقاب يتناسب مع حجم الخسارة المادية التي احدثها الطفل، وليس وفقاً لدوافع الطفل او نواياه او (سبق الاصرار والترصد).

وعلى كل حال طبقا لمنطق بياجيه فان الطفل بالتدريج يتعلم ان القواعد الاخلاقية التي يضعها الكبار ليست مطلقة، وبذلك يمكن تعديلها لكي تناسب الظروف المحيطة بموقف معين.

في المراحل المتقدمة تظهر المرونة في الاحكام الخلقية، وعندئذ يدرك الطفل ان القاعدة الخلقية يجب ان تتعدل طبقاً للظروف، بحيث تحقق الصالح العام والخير الأكثر، فالطفل الذي تأمره الاسرة بالعودة فوراً بعد الخروج من المدرسة والذي ينفذ ذلك في حالة تعطل المواصلات العامة (بالشعبطة) في إحدى سيارات النقل، وبذلك يعرض حياته لخطر الموت في سبيل تنفيذ تعليمات الاسرة يلقى عقاباً غير مفهوم بالنسبة له، ففي هذه المراحل المتأخرة يدرك الطفل أن الحكمة في طاعة القوانين والقواعد الخلقية تكمن في تنفيذ روح القانون أكثر من حرفية القانون[١].

علاقة الذكاء بالاخلاق:

في بعض الدراسات وجد أن نسبة ذكاء مجموعة من الاطفال الاحداث الجانحين هي ٩٢,٥ بينما كانت نسبة ذكاء مجموعة مماثلة من غير الاحداث الجانحين ١٠١,٨، إلا أن انخفاض الذكاء ليس عاملا أساسيا في حدوث معظم حالات الاحداث[٢] الجانحين.

لقد أجرى عدد كبير من الدراسات لتحديد كم وكيف العلاقة بين الذكاء والاخلاق. وفي مثل هذه الدراسات يقارن الاطفال أصحاب الذكاء المرتفع بالاطفال

---

(١) Breckenridge, M.E. and Vincent, EE. Child development physical and psychological growth through the school years, W.B. Sounders Co., London, 1949.

(٢) Brooks, A. Child psychology, Methuen and Co., London, 1951, P. 409.

متوسطي أو ضعيفي الذكاء، يقارنون في مستوياتهم الخلقية. ففي إحدى الدراسات التي أجراها تيرمان Terman على ٥٣٢ طفلاً ذكياً تزيد نسبة ذكائهم عن ١٣٠ وجد أنهم يتفوقون في السلوك الخلقي على المجموعة الضابطة من الاطفال من أرباب الذكاء المتوسط. ولقد استنتج تيرمان أن الاطفال المتفوقين عقلياً يتفوقون عن الاطفال متوسطي الذكاء على اختبارات الامانة والصدق والسمات الخلقية المشابهة. وهنا يجب أن نتحفظ في تفسير هذه الفروق وارجاعها إلى الذكاء وحده، ذلك لان أحداً لا يستطيع أن ينكر تأثير البيئة المنزلية وغيرها من العوامل الاجتماعية على الانحراف على النمو الخلقي. لقد درس تأثير الذكاء على المستوى الخلقي عن طريق مقارنة نسبة الاطفال ضعاف العقول بين جماعات الاحداث الجانحين. وعلى سبيل المثال وجد بيرت Burt ٨٪ فقط من الاطفال ضعاف العقول بين الاحداث الجانحين (نسبة ذكاء أقل من ٧٠)[١] ولقد وجد كل من هيلي وبرونر في دراساتهما عن الاحداث في شيكاغو وبستون ١٪ من ضعاف العقول، أما هذه النسبة في المجتمع العام فلا تتجاوز ٢/١ ١٪[٢].

وفي نفس الوقت وجدت نسبة الجنوح إلى الصحبة السيئة عند ٦٢٪ من الحالات. كذلك وجد هارتشورن وماي معامل ارتباط قدره (٠,٥٠٠) بين الذكاء والغش، بمعنى أنه كلما زاد الذكاء قل الغش، وكلما قل الذكاء زاد الغش. ويبدو أن تأثير الذكاء على الاخلاق نوعياً أكثر من كونه تأثيراً عاماً، فالاطفال الاكثر ذكاء كانوا اكثر تعاوناً من الاطفال الاغبياء والمتوسطين، ولكن العلاقة بين الكرم والذكاء كانت ضعيفة، اما العلاقة بين الامانة والذكاء فكانت عالية[٣].

وفي احدى الدراسات وجد ان طفل التسع سنوات الموهوب عقلياً يصل الى مستوى نمو خلقي يعادل طفل الرابعة عشرة من الاطفال غير المنتقين. ولكن الذكاء يساعد في سرعة حدوث النمو مهما كان الاتجاه الذي يتخذه هذا النمو، فاما:

---

(١) من المعروف ان نسب الذكاء ١٠٠ تشير إلى الطفل متوسط الذكاء وهو الطفل الذي يساوي عمره العقلي عمره الزمني.

(٢) Jones, V., op. Cit. P. 793.

(٣) راجع كتاب المؤلف (القياس والتجريب في علم النفس والتربية) دار النهضة العربية - بيروت لتحديد معنى الارتباط والعلية والفرق بينهما.

اخلاق حسنة او (جرائم خطرة). كذلك فلقد وجد ان الاطفال الاكثر ذكاء اقل غشاً في امتحاناتهم، ولكن ليس ذلك بالضرورة لانهم اكثر خلقاً؛ بل ربما لانهم اكثر قدرة على حل اسئلة الامتحان بدون اللجوء إلى الغش. ويبدو منطقياً ان نقول ان الطفل الذكي والطفل الغبي يختلفان في قدراتهما على التنبؤ بنتائج اعمالهما، كما يختلفان في قدراتهما على الرؤية البعيدة للمزايا البعيدة في الاهداف المرتقبة، وتفضيل ذلك على الاشباع المباشر لحاجاتهم الراهنة.

وكلما زاد ذكاء الفرد كان اقدر على اختيار العناصر الصالحة من بيئته وعلى تشكيلها وتسخيرها بما يخدم اغراضه، كذلك لا يتعلم الذكي والغبي بالتساوي حتى من نفس الموقف، او من نفس البيئة، والمفروض ان يساعد الذكاء الفرد على الاستفادة من بيئته الى اقصى حد، وعلى تعديلها اذا كانت غير مواتية، وعلى تكييف نفسه للمواقف الجديدة. ولقد دلت دراسة تيرمان ان الاطفال الموهوبين يتفوقون على الاطفال المتوسطين في السمات والقيم الموجهة نحو النجاح الذاتي أكثر من السمات والقيم الموجهة نحو المسئوليات والخدمات الاجتماعية، فالملاحظ أيضاً أن الأذكياء يرتفع عندهم مستوى الطموح، وتفوقت المجموعة الموهوبة على المجموعة المتوسطة تفوقاً اكثر دلالة في الارادة والمثابرة، وتفوقت أقل في المشاركة الوجدانية والرقة، كذلك وجد هارتشورن وماي معامل ارتباط قدره ١٦ وبين الذكاء ومساعدة الآخرين، ومعامل ارتباط قدره ٠,٠٩ بين الذكاء وروح التعاون.

ولكن لا ينبغي الاعتقاد بأن الضعف العقلي أو الغباء يؤديان بحد ذاتهما إلى الجنوح، هناك دائماً عوامل متوسطة كثيرة، فانخفاض الذكاء مثلاً قد يقود إلى الفشل والاحباط، كما يقود إلى كثير من الصعوبات في التحصيل المدرسي. كذلك فان مستوى طموح الفرد ينخفض في حالة الضعف العقلي.

كيف ينمو ضمير الطفل:

يظهر الضمير أو الذات العليا في اصطلاحات التحليل النفسي، في سلوك الطفل تدريجياً. ففي بداية حياة الطفل يرغب في الإشباع المباشر لدوافعه أو لحاجاته بصرف النظر عن الاعتبارات الخلقية أو العملية، فهو يطلب الطعام ويطلبه الآن وفي هذا المكان.

وبالتقدم في العمر يتعدى السلوك الاندفاعي خلال الخبرة، فيتعلم الطفل ان بعض استجاباته سوف يثاب عليها، وان بعضها الآخر سوف يجلب له العقاب، وان بعض مطالبه لا يمكن تلبيتها في الحال، وان بعضها الآخر لا يمكن تحقيقه مطلقاً. وبمرور الوقت يصبح تجنب بعض مظاهر السلوك الذي كان يحدث نتيجة لقوة خارجية يحدث الآن نتيجة «للسلطة الداخلية» فيكف الطفل عن الاتيان بالسلوك الخاطىء حتى في غياب الكبار ممثلي السلطة الخارجية في الطفل وهنا يشعر الفرد بالذنب عندما يفشل في مقاومة الإغراء.

وتبعاً لنظرية فرويد هناك في كل شخص منطقة من الدوافع غير المستأنسة تشبه الحيوان في طبيعتها، وعند الميلاد تحتوي هذه المنطقة على مجموعة من البواعث العامة «الغريزية»، وهي ما أطلق عليه اسم الذات الدنيا Id في هذا الدافع توجد قوتان مختلفتان هما:

١ - الدافع نحو الحياة ونحو الخلق والحب، وهو الذي يسميه فرويد رغبة الحياة أو غريزة الحياة.

٢ - والدافع العدواني الهدام وهو ما أطلق عليه رغبة الموت أو غريزة الموت. وتبعاً لوجهة نظر فرويد فان الطفل تحكم «ألانا الدنيا» حياته. فهو بلا قيود أو شعور بالأسف يسعى لتحقيق لذاته، ويعبر عن دوافعه «الهدامة» نحو موضوعات العالم الخارجي.

وتشير ألانا الدنيا في اصطلاحات فرويد الى الطبيعة البدائية وغير المفكرة واللامعقولة، والتي تستهدف اشباع الغرائز مباشرة اشباعاً كلياً وعلنياً، ولكن بمرور الوقت ينمو تحكم الطفل، ففي البداية يكون الطفل غير خلقي وغير اجتماعي ولا يتوقف عن السلوك غير المقبول الا في حضور الكبار أصحاب السلطة في العقاب.

أما العنصر الثاني في الشخصية الانسانية في الفكر الفرويدي فهي الذات الوسطى Egoوهي عبارة عن القدرة على التعامل عقلياً بمعقولية مع الواقع، وتنمو الذات الوسطى من الذات الدنيا، وتتمشى مع مبدأ الواقع، وتمثل العالم الخارجي وقيوده وتكاليفه وفروضه ومستلزماته، وهي القوة التي تدرك الحدود أو الفواصل الواقعية التي تمنع من حدوث الاشباع المباشر لدوافع «الذات الدنيا» فتبعاً لمنطق الذات

الوسطى هذه فان تأجيل الاشباع يضمن لنا اشباعاً أكثر كمالاً في المستقبل. وتحتوي الذات الوسطى على أجزاء شعورية وأخرى لاشعورية. وهي التي تتصل دائماً بالعالم الخارجي وتهتم بما يجري في بيئة الفرد، وعليها أن تفي بمطالب الواقع، ومن ثم فانها تنادي الطفل الصغير قائلة: أنك ينبغي أن تطيع أمك، لأنها سوف تصفعك أن لم تفعل ذلك.

وعليها أن تشبع المطالب الداخلية للذات العليا وتقاوم ضغوط الذات العليا التي تدعو للانطلاق. وعلى ذلك فللذات الوسطى ثلاثة أسياد هي:

١ – البيئة أو الحياة الخارجية أو المجتمع.

٢ – الضمير.

٣ – الذات الدنيا.

وعلى ذلك فكلما نجحت الذات الوسطى في التعامل مع هذا المثلث تعاملاً حسناً تحسن توازن الشخصية أو اتزانها النفسي.

أما العنصر الثالث في تكوين الشخصية فهو تبعاً لنظرية فرويد الضمير أو الذات العليا، وهنا نتساءل كيف يتكون أو ينمو ضمير الطفل الصغير؟

كلما نما الطفل نمت المعايير الداخلية، تلك المعايير التي نسميها صوت الضمير الذي يرشد الفرد في سلوكه وفي أحكامه الخلقية.

ويمثل الضمير معايير الفرد وقيمه ومبادئه ومثله العليا. أنه السلطة الضابطة العليا في الانسان، فاذا لم يستجب الفرد لندائه فانه سوف يعاقب عن طريق قوة داخلية من خلال الشعور بالذنب وكراهية الذات ونبذها. ويعطي فرويد أهمية كبرى لنمو الضمير في نضج الفرد، فالفرد يظل غير ناضج حتى يصبح لديه ذوق جيد، ويطيع القانون، يحترم حقوق الآخرين ويشعر بالواجب.

ويلعب الضمير دور الاب، أو الآمر أو المراقب أو الملاحظ أو الشرطي على كل حال من الذات الدنيا والذات الوسطى. أنه يعمل كقاض للاخلاق يحكم تبعاً للمبادىء «المثالية» أكثر من المبادىء الواقعية، أنه يعمل من اجل الوصول بتصرفاتنا نحو الكمال المثالي. ويقال أنه يحدد السلوك، يقمعه أن يمنعه، ويتحكم في ضبطه،

وعلى الرغم من طبيعة الضمير الخلقية إلا أنه إذا أصبح حاداً أو قاسياً أكثر من اللازم فانه يظل يخز ويؤنب صاحبه على كل كبيرة وصغيرة، بل حتى على مجرد الأفكار السيئة، حتى تلك الأفكار التي ينجح الفرد في اخفائها عن الناس لا تنجو من عقاب الضمير عليها، وتؤدي حدة الضمير إلى تكوين شخصية هيابة مترددة. فاذا زادت سيطرة الضمير في الشخصية يصبح الفرد عبداً لمجموعة من العادات والتقاليد، وعبداً لمشاعر الذنب والتأنيب القاسية. يقول فرويد أن الحياة الشخصية تشبه جبل الثلج العائم Iceberg يغوص معظمه تحت سطح الماء. وعلى ذلك فالصراعات التي تحدث بين الذات الوسطى والذات العليا هي على المستوى اللاشعوري غير المرئي وللمحافظة على توازن الفرد ينبغي أن تكون العلاقة بين الذات الدنيا والوسطى والعليا علاقة وئام وانسجام وتوازن. ولا ينبغي أن يكون الضمير قاسياً أو حاداً جداً، لأن ضعفه أكثر من اللازم يؤدي إلى نشأة الانحراف السيكوباتي.

وأخيراً فاننا ينبغي أن نشير إلى أنه رغم تقسيم فرويد العقل الانساني إلى هذه العناصر الثلاثة إلا أن العقل الانساني في الواقع وحدة دينامية متكاملة متفاعلة، بل ان الانسان نفسه وحدة جسمية نفسية واجتماعية متكاملة متفاعلة وأن هذه العناصر ليست إلا تجريدات عقلية لوصف أنماط معينة من السلوك وليس العقل البشري مقسماً إلى موجودات مستقل بعضها عن البعض(١) فلا ينبغي أن نتصور ان الذات الدنيا والوسطى والعليا كائنات صغيرة تكمن داخل الانسان، وانما هي مجرد تجريدات يضعها الباحث الملاحظ لوصف أنماط معينة من السلوك.

ولا شك أن فهم الضمير عملية أساسية في فهم سلوك الأنسان كله، وهنا نتساءل عن العوامل المؤثرة في نمو الضمير، وعلى الفور تبرز أمامنا ثلاثة عناصر أساسية هي:

١ - قيم الثقافة أو معاييرها التي تكون جزءاً أساسياً من الشرعية التي تنتقل للطفل عبر الآباء والامهات، وتختلف تلك القيم من ثقافة إلى أخرى، فعلى حين

---

(١) Burt, C., An Outline of Human relationships, William Heinemann, Ltd. London, 1939, P. 94.

نجد أن العدوان سلوك غير مرغوب فيه في أطار بعض الثقافات نجد أن توكيد الذات تؤكده وتشجعه ثقافة أخرى، بينما تشجع ثقافة ثالثة الاعتراف الشخصي.

٢ - نمو الطفل العقلي، فالطفل الاكبر سناً والاكثر نضوجاً من الناحية العقلية اكثر قدرة على أدراك وفهم ما نتوقعه منه، انه يستطيع ان يفهم اسباب بعض القيود والمعايير، كما انه يستطيع ان يعمم بعض المبادىء، وان يطبقها على العديد من المواقف. كذلك فانه يستطيع اكثر من زميله الصغير، ان يدرك المفاهيم المجردة التي تكمن وراء المسائل الاجتماعية مثل الايثار أو المساواة أو الحق أو الخير أو الصدق أو الشفقة.

٣ - علاقته بأبويه. هنالك بحوث كثيرة استهدفت معرفة التأثير الوالدي على نمو ضمير الطفل. في دراسات «التنميط» التي اجراها كل من سيرز وماكوبي وليفين Sears, Maccoby and Livin, 1957 طلب من امهات الاطفال أن يحددن علامات نمو الضمير في سلوك أطفالهن. واتخذ لذلك معيارين هما:

أ - نزعة الطفل لكي يمثل الدور الابوي، أي بمحاولاته تعليم اخواته واصدقائه معايير الآباء.

ب - سلوك الطفل الذي يعقب عمل الخطا، أي محاولاته الاعتراف بهذا الخطأ أو الاعتذار عنه أو باصلاح ما أفسده. وحدد مقدار نمو ضمير الطفل على هذا المقياس المكون من خمس نقاط هي:

١ - لا دليل على النمو اطلاقا: حيث ينكر الطفل، ولا يبدو عليه عدم السعادة عندم يكون «شقياً».

٢ - ادلة بسيطة على وجود الضمير.

٣ - نمو متوسط للضمير: بما لا يعترف بالخطأ مباشرة، ولكنه يبدو خجولاً أو جباناً ونادراً ما ينكر اخطاءه.

٤ - ضمير لا يستهان به ونام بدرجة كبيرة.

٥ - ضمير قوي: حيث يشعر الطفل بالتعاسة عندما يكون «شقياً» ودائماً يعترف ولا ينكر أبداً، ولديه حاجة قوية للعفو أو الحصول على تسامح الآخرين.

وتتم عملية امتصاص الطفل لمعايير الكبار عن طريق عملية التقمص أو التوحد فالتقمص القوي لشخصية الآباء يساعد على نمو ضمير الطفل. فلقد وجد (تبعاً لدراسات ميسون ودستلر ١٩٦٠) Mussen and Distler أن صبيان سن الحضانة الذين كانوا اكثر ذكورة، وبما يسبب تقمصهم لشخصية آبائهم كانوا أيضاً متقدمين في نمو الضمير. كذلك وجد (في دراسة ستين) بعض الادلة التجريبية أن الأطفال في مواقف الاغراء يقلدون النموذج الذي يخضع للاغراء، ويوحي هذا أن الآباء يعملون كنموذج لابنائهم فيما يختص بالسلوك الخلقي، فقد اهتم البحث العلمي بعاملين أساسين فيما يتعلق بنمو الضمير.

أ - نوع التأديب الابوي.

ب - دفء علاقة الاب - الطفل، فيما يتعلق بالنشاط التأديبي في المنزل. كشفت دراسة التنميط أن الاسلوب السيكولوجي أي الاتجاه الموجه بالحب، ذلك الذي يتمثل بالمدح والغزل، وسحب الحب، ساعد في نمو الضمير اكثر من الاسلوب المادي الفيزيقي المتمثل في المكافأة المحسوسة والحرمان والعقاب الفيزيقي.

وفي دراسة ماك كونون Mackinonon على طلاب الجامعة وجد أن الذين تجاوزوا الممنوعات كانوا أولئك الاطفال الذين كان آباؤهم يتبعون نظاماً فيزيقياً في التأديب اكثر منه نظاماً سيكولوجياً.

ولكن هناك دراسة حديثة نسبياً (١٩٦١) أجراها كل من بارتون وماكوبي والينسميث Burton, Maccoby and Alinsmith على أطفال من الاربع سنوات عن مقاومة الاغراء في الغش لم تؤيده هذه النتائج ففي هذه الدراسة الأخيرة كان العقاب البدني مرتبطاً بمقاومة الاغراء أكثر من العقاب السيكولوجي أو استخدام العقل. ويبدو أن الاسلوب الفيزيقي والمباشر يؤثر في الطفل الصغير، ولكن تحل محله الأساليب السيكولوجية التي تشجع التقمص مع الآباء بتقدم الطفل في السن وبحصول مزيد من النمو المعرفي Cognitive development ويشبه التميز بين مناهج التأديب الفيزيقية والنفسية التميز بين أسلوب الاستقراء وأسلوب الاحساس Induction and sensitization وقد قام بهذه المحاولة ارنوفريد سنة ١٩٦١ Arnofreede. من بين الاساليب الاستقرائية استخدام الاستدلال مع الطفل أو اهماله أو نبذه أو استخدام

الشرح والتفسير، وتثير مثل هذه الاساليب في الطفل ردود فعله لتجاوزاته، وربما تصبح ردود الفعل هذه مستقلة عن المصادر الاصلية للعقاب وعلى سبيل المثال فأن الاستدلال مع الطفل الصغير يشرح النتائج والمترتبات لفعل ما، سوف تشجعه على فحص واختبار تصرفات، وعلى قبول المسؤولية عن هذه الافعال.

وعلاوة على ذلك فان هذا المنهج ينمي قدره الطفل على التعاطف أو وضع نفسه في مكان الغير والاندماج ذهنياً في موقف الشخص الآخر عن طريق تحديد الآثار الضارة لسلوكه بالنسبة لوالديه وللاخرين.

أما أسلوب الاحساس أو الحساسية فيتقمص العقاب البدني والزجر والتعنيف والتوبيخ. هذا الاسلوب يجعل الطفل شديد التأثير للخوف من العقاب الخارجي الذي يعقب تجاوزاته او اخطاءه، كما يعطى اهمية كبرى لمطالب الآخرين وتوقعاتهم. وعن طريق استخدام منهج «استكمال القصص» مع أطفال الصف السادس في إحدى المدارس الامريكية وجدت علاقة بين نوع الاستجابة الخلقية للطفل واسلوب أمه في التأديب، فالاطفال الذين استخدمت امهاتهم الاساليب الاستقرائية كانوا أكثر ميلا لاستخدام أفكار عن الاصلاح او الترضية وفكرة القبول في قصصهم، بينما الاطفال الذين استخدمت أمهاتهم الاسلوب الحسي عبروا عن نتائج خارجية لتجاوزاتهم في قصصهم.

وبصدد اسلوب الآباء التأديبي أيضاً ميز «هوفمان» Hoffman (١٩٦٣) بين التأديب التوكيدي القوي والتأديب غير التوكيدي وغير القوي، النوع التوكيدي، يتضمن العقاب البدني والحرمان المادي ويؤدي هذا الاسلوب إلى توجيه خلقي خارجي قائم على أساس الخوف من عقاب من الاكتشاف.

أما النوع الثاني فيتضمن سحب الحب، وإنماطاً من التأديب الاستقرائي، ويؤدي إلى تكوين اتجاه خلقي داخلي يتميز بشعور قوي بالذنب. ولقد وجد «هوفمان» تأييداً لفكرته بأن المنهج الاستقرائي يؤدي إلى ضمير اكثر قوة من منهج سحب الحب نظراً لفشل هذا الاسلوب الاخير في تفكير الطفل إلى الآلام التي يشعر بها الآخرون نتيجة لاخطائه. أن الادراك أو الوعي بمشاعر الآخرين والتحقق من أن

الطفل هو المتسبب في عدم راحة الآخرين ينبغي أن يعمل على تنمية ضوابط داخلية قوية[١].

ولقد وجد أن الأساليب الموجهة بالحب تنتشر بين أمهات الطبقة الاجتماعية الوسطى، أما الأنماط الفيزيقية من التأديب المنتشرة بين أمهات الطبقات الاجتماعية الدنيا. وفي دراسة «آرنو فريد» اختارت أمهات الطبقة الوسطى «الاستقراء» بينما اختارت «الاحساس» امهات الطبقة الدنيا. إنَّ الاسلوب الفيزيقي المنتشر في بيوت الطبقة الدنيا لا يشجع التقمص ولا يؤدي إلى تقوية الضوابط الداخلية The inner controls ولم تسفر الجهود التي بذلت لربط الضمير بممارسات محددة نوعية لتربية الطفل عن نتائج واضحة، ربما لأن الجو السيكولوجي العام في المنزل هو الأكثر أهمية عن أي أسلوب نوعي محدود في تربية الطفل.

فلقد وجد أن التهديد بانسحاب الحب، وهو منهج سيكولوجي، ليس له تأثير كبير إذا كانت الام «باردة نفسياً» أو كانت نابذة لطفلها أصلاً.

وعلى العكس من ذلك فان هذا المنهج اثبت فاعلية كبيرة عندما كانت علاقة الطفل بامه علاقة قبول ودفء، أن الطفل غير المقبول ليس لديه ما يخسره بممارسة العمل غير المقبول.

لقد وجد ١٨٪ فقط من الاطفال المنبوذين هم الذين حكم عليهم بأن لديهم ضميراً قوياً بالمقارنة مع ٣١٪ من المجموعة المقبولة.

كذلك وجد أن الاطفال الذين يقبلهم آباؤهم كان لديهم ضمير أقوى عن الأطفال الذين ينبذهم الآباء.

ولقد وجد أن هناك سمتين في الاسرة ترتبطان بنمو الضمير أو الذات العليا في الاطفال، أي بوجود ضمير فعال يوجه السلوك ويرشده، وهاتان الصفتان هما:

١ – الثبات أو الديمومة Consistency

٢ – اتحاد بين الثقة المتبادلة والقبول.

---

(١) Ibid.

فالنمط الثابت للضبط الابوي وللتوقعات يعطي مواقف واضحة جلية لنمو السلوك الايجابي، وعلاوة على ذلك فان جو الثقة المتبادلة يساعد الطفل لامتصاص قيم الآباء ومعاييرهم فيقبلها الطفل على أنها معاييره هو.

أن نمو الضمير ينبغي أن يفهم لكي يفهم نمو الشخصية برمتها، ذلك لأن الطريقة التي يحل بها الفرد صراعاته الخلقية هي جانب ثابت من جوانب شخصيته.

وليس هناك أقوى من توفير جو من الحب والدفء والحنان في العلاقة بين الآباء والأطفال في نمو الضمير وامتلاك الضوابط الداخلية وتبنى قيم الآباء ومبادئهم، تلك التي تعكس بدورها قيم المجتمع ومعاييره.

وفي بداية المراهقة تلعب الثقة المتبادلة والقبول والثبات المتحد مع الدفء، تلعب دوراً هاماً في نمو الضمير القوي[1].

والآن لنتناول عملية التنشئة الاجتماعية بالعرض والتحليل لبيان الصلة الوثيقة بين النمو الخلقي والروحي في هذه العملية.

تعريف عملية التطبع الاجتماعي وأهميتها:

أن تحديد النمو الاجتماعي مسألة صعبة، وذلك نظراً لتعدد الدراسات التي تناولت موضوعات يمكن أن تندرج تحت هذا العنوان، فدراسة الانفعالات والطموح والقيم والعادات السلوكية والعلاقات الاجتماعية واللغة، ودراسة موضوعات مثل الغضب والعدوان والغيرة والأمان والسعادة والضحك والتعاطف والسلوك الجنسي كلها تتصل بالنمو الاجتماعي كذلك هناك دراسات متعددة تتناول موضوعات النمو الاجتماعي دون أن تحمل هذا العنوان، ومن أمثلة ذلك دراسة جنوح الأحداث ونمو الأخلاق.

أما السلوك الاجتماعي فيقصد به السلوك الذي يتأثر بوجود الآخرين وبسلوكهم، أو ذلك السلوك الذي ينظمه المجتمع، أو السلوك الذي يقصد به التأثير في الآخرين كالقيادة[2] مثلاً فهو سلوك يقصد به التأثير في اتجاهات الآخرين

---

(١) Ibid P. 592.

(٢) للمزيد عن موضوع القيادة راجع كتاب المؤلف «علم النفس الاجتماعي» دار النهضة العربية – بيروت.

وفي سلوكهم. أما النمو الاجتماعي Social growth فيقصد به نمو الفرد في السمات التي تسهل التفاعل الاجتماعي Social interaction أي الأخذ والعطاء والتأثير والتأثر بالجماعة.

أما التطبع الاجتماعي أو التنشئة الاجتماعية Socialization فيقصد بها العملية التي يكتسب الطفل بموجبها الحساسية للمثيرات الاجتماعية، كالضغوط الناتجة من حياة الجماعة والتزاماتها، وتعلم الطفل كيفية التعامل والتفاهم مع الآخرين، وأن يسلك مثلهم، فهي العملية التي يصبح الطفل بموجبها كائناً اجتماعياً، وتتضمن هذه العملية تعليم العادات الاجتماعية والاستجابة للمثيرات الرمزية، كما تعرف بأنها العملية التي تساعد الفرد على التكيف والتلاؤم مع بيئته الاجتماعية، ويتم اعتراف الجماعة به ويصبح متعاوناً معها وعضواً كفوءاً فيها.

أما التوافق الاجتماعي فيقصد به تلاؤم الفرد وسلوكه لظروف المجتمع ومتطلباته، وبذلك يصبح التكيف الاجتماعي Social adjustment حالة تلاؤم للمجتمع الذي يعيش فيه أو البيئة الاجتماعية والوفاء بظروفه وشروطه ومتطلباته.

التأثير الاجتماعي Social influence ويتضمن نوعية الأشخاص الذين يعرفهم آباء الطفل والذين يتبادلون وإياهم الزيارة – ويقدر الطفل آباءه، وخاصة طفل الطبقة الاجتماعية الوسطى، لمن يعرفونهم من أشخاص، ولما يبدونه من حكمة ومعرفة. يقول الطفل بابا ليس ضخماً أو قوي الجسم، ولكنه يعرف الكثير والناس المهمين يدعونه لبيوتهم، ويحضر أسبوعياً مبلغاً ضخماً من المال[1].

وربما يرجع لهذا السبب خضوع أطفال الطبقات الوسطى للضبط الأبوي ويبدو أن التعليم الاجتماعي عموماً يتقدم أسرع عندما تفوق نسبة التعزيزات الايجابية، أي المكافآت، نسبة العقاب.

كذلك وجد أن الثبات والديمومة في المعاملة تساعد في تعلم الطفل، حيث يتعرف على تعديل سلوكه بحيث يحصل على ما يريد ويتحاشى ما يرغب في تحاشيه.

---

(١) McCandless, B.R. Children behaviour and Development, send. Ed. Holt, Kinehart and Winston, N.Y. 1967.

أهمية عملية التطبع الاجتماعي:

لا شك أن عملية التطبع الاجتماعي هي أكبر انجازات الفرد، حيث يؤدي الفشل فيها إلى أن يعيش الناس حياة بائسة تعسة، ويعانون من سوء التكيف Maladjustment كما يخلقون البؤس لغيرهم من الناس. بل إن الحروب ليست إلا نتيجة للفشل الذريع لعملية التنشئة الاجتماعية في الجماعات وتحدث الصعوبات والأمراض الآتية نتيجة للفشل في عملية التنشئة الاجتماعية:

١ – الذهان العقلي أي المرض العقلي أو الجنون	Psychosis
٢ – الجنوح أو الانحراف السلوكي	Deilnquency
٣ – إدمان الكحول	Alcohol addiction
٤ – السيكوباتية والجريمة	Psychopathy
٥ – الجنسية المثلية	Homosexuality
٦ – بعض أنواع الضعف العقلي	Mental deficiency
٧ – العصاب النفسي أو المرض النفسي	Neurosis

ولسوء الحظ فان أكثر المجتمعات تقدماً من ناحية العلوم الطبيعية والانتاج التكنولوجي ما زال يفتقر إلى علم صحيح للتنشئة الاجتماعية، كما يحدث في المجتمع الأمريكي الذي تنتشر فيه مثل هذه الاضطرابات والجرائم أكثر من غيره على الرغم مما حققه من تقدم علمي وتقني. اننا في حاجة إلى علم يحدد معالم عملية التنشئة الاجتماعية، ولذلك نجد من يقول إنّ كل علم النفس «هو عبارة عن علم نفس اجتماعي». ومن أكبر الفروض التي ينبغي اعتناقها أن عملية التطبع الاجتماعي عملية تعلم في المحل الأول، فليس الخير أو الشر فطرياً في الانسان، ويحدث هذا التعلم نتيجة لتوجيهات الآباء، ونتيجة للخبرة الشخصية للطفل ونتيجة للنضج الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي ويحدث التعلم على المستويين الشعوري واللاشعوري.

ومن المبادىء الهامة في عملية التطبع أن هناك فروقاً فردية واسعة في مدى تطبع الأفراد أو خضوعهم لعملية التطبع. ولقد سقطت فكرة «البذرة السيئة» التي كانت

توحي بالانتقال الوراثي لسمات الشخصية الإجرامية والسيكوباتية. بل إننا لم نحصل على صلات واضحة بين الحالة الوراثية ومعظم الأمراض العقلية والنفسية بل حتى الضعف العقلي ولكن هناك تفاعلاً قوياً وفعالاً بين الجبلة أو الاستعدادية وبين البيئة الاجتماعية والمادية. هذا التفاعل قد يجعل من السهل أو الصعب على طفل ما أن ينمو راشداً سوياً منضبطاً عاقلاً.

ولقد لاحظ بعض الباحثين تأثير حالة الحمل والولادة على شخصية الطفل فقد لاحظ سونتاج[1] (١٩٤١) أن الأطفال الذين مروا بحمل صعب كانوا أكثر نشاطاً أو اندفاعاً وتهيجاً، كذلك كشفت الدراسات الطولية للنمو Longitudinal studies أن التفاعل بين البيئة المادية والاجتماعية من ناحية والتكوين الجسمي Physique وكذلك وقت الوصول إلى النضج الجسمي ومستوى النشاط يؤدي إلى تأثيرات مختلفة على الشخصية.

وتلعب العوامل الآتية دوراً هاماً في عملية التطبع الاجتماعي:

١ – مركز الطفل أو ترتيبه في وسط إخوته، فالطفل الوحيد غير الطفل الأخير غير الوسيط، والطفل المرغوب فيه غير المنبوذ، والوحيد على عدد من البنات غير الموجود مع عدد كاف من البنات غير الموجود مع عدد كاف من الذكور... الخ.

٢ – سن الآباء، فطفل الآباء المتقدمين في السن غير طفل الآباء الشبان.

٣ – البيئة المادية والاجتماعية المحيطة بالطفل.

٤ – الذكاء، فالطفل ضعيف الذكاء أقل حساسية للمؤثرات التي تؤثر في التنشئة الاجتماعية.

٥ – التكوين الجسمي للطفل، فالطفل القوي البنية غير الطفل الضعيف.

٦ – العلاقة بين الآباء والأطفال ونمط معاملة الطفل.

٧ – المستوى الاجتماعي والاقتصادي للاسرة.

٨ – إنتماء الأسرة إلى جماعات الأكثرية أو الأقلية في المجتمع.

---

(١) راجع بحث حقلي للمؤلف عن (سيكولوجية المرأة العربية الحامل)، الهيئة العامة للكتاب. مصر (تحت الطبع).

تنبع الدوافع الاجتماعية من المواقف التي يمتص منها الفرد المؤثرات الاجتماعية. هذه المؤثرات تكون في أول الأمر خارجية بالنسبة للفرد. ان عملية نمو وتعلم التفاعل الاجتماعي والتي ينتج عنها أن يمتص الفرد Internalization المؤثرات الاجتماعية وبذلك تصبح مثيراته هو شخصياً، وذوقه ورغباته، هو، هذه العملية هي عملية التطبع الاجتماعي(١).

ان النتيجة النهائية لتنشئة الفرد الاجتماعية تظهر في اتجاهاته الاجتماعية Social attitudes وأفعاله وأقواله في التعبير عن هذه الاتجاهات. كما تظهر في تعامله اليومي مع غيره من الناس وتفاعله مع الجماعات الاخرى، ومع نواتج ثقافته، ويؤدي مثل هذا الاحتكاك إلى نشأة اتجاهات محددة نحو هذه الأشياء. فالانسان لا يولد رأسمالياً أو شيوعياً أو جمهورياً أو ديموقراطياً الخ... وانما هو يتعلم أن يكون أيا من هؤلاء بالخبرة والتجربة(٢).

مراحل النمو الاجتماعي:

يذهب ايركسون Erikson (١٩٥٦) الى القول بأن عملية التطبع الاجتماعي تمر بثماني مراحل أو أطوار، وهو في ذلك متأثر بعمق باتجاهات فرويد في هذه المراحل، ولقد افترض هذه المراحل، ليس بناء على أعمال تجريبية، ولكن من خلال عمله المطول بالعلاج النفسي، وخاصة مع الأطفال والمراهقين، من أبناء الطبقات الاجتماعية الدنيا والوسطى والعليا. وهذه المراحل مرتبطة أقل بالنظام العضوي عنها عند فرويد، ولكنها أكثر ارتباطاً بالتعلم الذي يحدث في المراحل المختلفة. ويعتبر ايركسون أن كل مرحلة عبارة عن أزمة نفسية تتطلب الحل قبل الوصول إلى المرحلة اللاحقة. ويعتبر هذه المراحل كالطوابق المعمارية: فالتعليم المرضي وحل كل مشكلة ضروري إذا كان للطفل أن يمر بالمراحل اللاحقة بنجاح، بالمثل فان أساس المنزل يعد ضرورياً بالنسبة للطابق الأول منه، الذي ينبغي أن يكون قوياً بدوره لتعضيد الطابق الثاني... وهكذا.

---

(١) Sherif, M, and Sherif, G. An outline of social psychology Harper and Row, N.Y. 1956.

(٢) راجع باب الاتجاهات في كتاب المؤلف «علم النفس الاجتماعي» دار النهضة العربية – بيروت.

وهذه المراحل الثمانية هي:

١ – تعلم الثقة في مقابل عدم الثقة mistrust - trust.

وتقابل هذه المراحل مرحلة الرضاعة، وتشمل العام الأول أو الثاني إذا تناولنا الطفل تناولاً حسناً وتمت تغذيته وحبه، فإنه ينمي في نفسه الشعور بالثقة وبالأمان، والشعور الأساسي بالتفاؤل. وإذا عومل معاملة سيئة فانه يفقد الثقة والأمان. وجدير بالذكر أن فرويد أطلق على هذه المرحلة اسم المرحلة الفمية[١].

٢ – تعلم الذاتية أو الاستقلالية في مقابل الشعور بالعار. ويعتقد اريكسون أن الأزمة النفسية الثانية تحدث في الطفولة المبكرة (من ٢ – ٤ سنوات) وتقابل المرحلة الشرجية عند فرويد، وهي المرحلة التي يحدث فيها أكثر مظاهر التعليم وضوحاً وضبطاً، ونعني التدريب على عادات الاخراج ويخرج الطفل الذي يلقى معاملة والدية حسنة من هذه المرحلة متأكداً من ذاته، سعيداً مبتسماً بتمكنه من الضبط الجديد القوي؛ ويشعر بالفخر أكثر من شعوره بالعار.

٣ – تعلم المبادأة learning intitiative في مقابل الشعور بالذنب.

ويعتقد اركسون أن هذه الأزمة تحدث في سن اللعب أو سنوات ما قبل المدرسة، وتبدأ تقريباً من سن ٢/١ ٣ سنة، وفي أثنائها يتعلم الطفل، الذي ينمو نمواً صحياً، أن يتخيل وأن يوسع مهاراته من خلال اللعب النشط من كل الأنواع بما في ذلك الخيالي اللعب، كما يتعلم التعاون مع الغير وأن يقود غيره بالمثل كما يتبع أو ينقاد للغير. أما إذا أعاقه الشعور بالذنب فانه يصبح خائفاً يقف دائماً على هامش الجماعات، ويستمر في الاعتماد على الكبار بدون حاجة فعلية إلى ذلك ويعاق نموه في مهارات اللعب play skills وفي الخيال. وتقابل هذه المرحلة تقريباً المرحلة القضيبية وعقدة أوديب في الفكر الفرويدي A Phellic and Oedipal Stages.

٤ – تعلم الاجتهاد industry في مقابل الشعور بالنقص inferiority.

وتحدث في سنوات المدرسة الابتدائية وقد تمتد لتشمل بعض سنوات المدرسة

---

(١) لمعرفة المزيد عن مراحل فرويد في النمو راجع كتاب المؤلف (معالم علم النفس).

الاعدادية، وهنا يتعلم الطفل اتقان المهارات الأكثر رسمية اللازمة للحياة، كالتعامل مع الجماعة تبعاً للقواعد والتقدم من الألعاب الحرة إلى اللعب المنظم عمداً أو المشكل طبقاً للقواعد، وقد يتطلب فريقاً للعب، وكذلك اتقان الدراسات الاجتماعية والقراءة والحساب. وهنا يشعر الطفل أن عمل الواجبات المنزلية أصبح ضرورياً، وأن التأديب الذاتي يزداد تدريجياً وهنا يصبح الطفل، الذي فقد الثقة، شكاكاً في المستقبل، والطفل الذي يشعر بالذنب من المراحل السابقة يشعر الآن بالهزيمة والنقص.

وتقابل هذه المرحلة مرحلة الكمون عند فرويد.

٥ – تعلم الهوية Identity في مقابل اضطرابات الهوية؛ وتحدث هذه الأزمة النفسية في نظره في سن المراهقة، من حوالي ١٣ – ٢٠ سنة. فقد أصبح الطفل الآن مراهقاً، يستطيع أن يجيب اجابة مرضية سعيدة للتساؤل من أكون أنا؟

ولكن أحسن المراهقين تكيفاً يعانون من بعض الاضطرابات في الهوية Identity diffusion وخاصة الذكور، حيث يعانون من جنوح بسيط يظهر في شكل عصيان أو تمرد Rebellion والخجل والشك الذاتي وهنا تنمو نظرة المراهق للمزمن – ويكتسب اليقين الذاتي في مقابل الشك الذاتي والحساسية الذاتية. فيقوم بأدوار إيجابية في الغالب بدلاً من اعتناق الهوية السلبية (كالجنوح) فيحاول المراهق الناجح أن يحصل على بعض الإنجازات بدلا من الشلل من جراء مشاعر النقص. وفي المراهقة المتأخرة يكتسب المراهق الرجولة وتكتسب المراهقة الانثى صفة النسائية، واحياناً يسعى للقيادة وبالتدريج ينمّي نمطاً من المثل المرغوبة، وفي الغالب ما يلعب المراهق عدة ادوار حتى يجد أكثرها ملاءمة له.

٦ – تعلم الصداقة الحميمة Intimacy في مقابل العزلة. لأول مرة يشعر المراهق الناجح بالصداقة الحميمة والحقة. التي يمكن أن يقوم على أساسها الزواج الناجح أو الصداقة المستديمة.

٧ – تعلم الإنتاجية Generativity في مقابل الاستغراق في الذات Self - absorption في مرحلة الشباب المبكرة يتطلب النمو النفسي تعلم الانتاج سواء في الزواج أو الابوة وفي العمل وفي الابداع أو الابتكار.

٨ – تعلم التكامل Integrity في مقابل اليأس Despair إذا مرت الأزمات السبع الماضية بنجاح فإن الشباب الناضج يصل إلى قمة التكييف أي التكامل. فهو الآن يثق في نفسه ويشعر بالاستقلال، ويعمل بجدية، ويجد لنفسه دوراً محدوداً في الحياة وينمي في نفسه مفهوماً عن الذاتSelf-concept يكون سعيداً بهذا المفهوم يصبح ودوداً دون توتر أو ذنب أو أسف أو بعد عن الواقعية، ويصبح فخوراً بما يبتكر أو ينتج من أولاد وبعمله أو هواياته. أما إذا فشل في حل أي من الأزمات السابقة فأنه يشعر باليأس والاشمئزاز. هذه المراحل ليست إلا وصفاً لفظياً لكيفية نمو الشخصية. ذلك لأن المهم هو تحديد الظروف البيئية التي تساعد الطفل على نمو هذه الصفات الايجابية وغيرها.

أن التطبع الاجتماعي هو عملية تعلم تحوِّل الكائن البشري من حالة الطفولة أو الرضاعة ومن حالة الضعف والانانية إلى حالة الراشد المثالي الذي يدين بالامتثال المعقول Sensible conformity مع وجود سمات الاستقلال والابتكار(١) والخلق والابداع.

التنشئة الاجتماعية في الطفولة المبكرة:

تستخدم المجتمعات طرقاً مختلفة في العناية بالطفل، بل إنّه في داخل المجتمع الواحد تختلف هذه الطرق من طبقة اجتماعية إلى أخرى. إن المؤثرات الثقافية تبدأ في التأثير في شخصية الطفل في اليوم الأول من ميلاده... وتؤثر الأم في الطفل عن طريق أسلوب معاملتها أياه في التغذية وطرق أطعامه. والمعروف أن الأم تسعى لتحقيق هدفين من وراء تغذيته هما:

أ – تغذيته.

ب – تدريبه على تناول الطعام بطريقة صحيحة.

التغذية مسألة فسيولوجية وان كان هناك بعض الثقافات التي تفضل الأطفال السمان، بينما هناك ثقافات أخرى تفضل الأطفال الناحلين. وتستهدف (أم) الطبقة المتوسطة أن يتدرب طفلها على تناول طعامه بدون ضوضاء أو أحداث أصوات،

---

(١) Erikson, EH; The problem of ego identity, J. Amer Psychoanal Assm, 1956 4, 56 - 121.

وبدون أن يسكبه على نفسه، وأن يأكل كل الطعام من طبقة، وأن يستخدم ملعقة وشوكة وسكيناً بطريقة سليمة. بل إن نظام تغذية الأطفال يتغير داخل المجتمع الواحد بمرور الوقت، فقد تغيرت هذه العادات في المجتمع الأمريكي منذ عام ١٩٢٠ حتى يومنا هذا عدة مرات على القليل فيما يختص بعدد الوجبات وموعد كل وجبة. ففي العشرينات كان أطباء الأطفال يوصون باتباع نظام منتظم في تغذية الأطفال مكون من ٣ وجبات يومياً. أما المستشفيات فكانت تتبع نظام تقديم أربع وجبات يومياً هي كالآتي:

١ – الساعة ٦ صباحاً

٢ – الساعة ١٠ صباحاً

٣ – الساعة ٢ بعد الظهر

٤ – الساعة ٦ مساءً

٥ – الساعة ١٠ مساءً

٦ – الساعة ٢ صباحاً

أما الآباء فكانوا يرغبون في اتباع نظام يشبه نظام الكبار في الطعام، ولذلك حذفوا وجبة الساعة الثانية صباحاً، ولكن الثقافة لا ينبغي أن تجمد نمو الطفل عن طريق وضع أنظمة صارمة في تغذيته، وبالطبع لم يكن نظام الأربع وجبات هذا ملائماً لكل الأطفال وكان على الآباء أن يتحملوا بعضاً من صراخ الطفل قبل الوجبات.

وفي الأربعينات بدأ يتحول الاتجاه نحو نظام الطلب الذاتي Self - demand schedule وبموجب هذا النظام يقدم الطعام للطفل كلما بكى طلباً له. والتقيد الوحيد الذي وضع في إحدى الدراسات كان ضرورة إنقضاء ساعة كاملة بين أي وجبة والاستجابة لطلب الطفل للطعام. ولقد تبين أن معظم الأطفال كانوا يطلبون الطعام بعد ثلاث ساعات، ونادراً ما كانت تصل هذه المدة إلى أربع ساعات وخاصة في الأسبوع الأول من الميلاد وكانت هذه المدة أطول أثناء الليل عنها أثناء النهار (٣,٦ في مقابل ٢,٩ ساعة) وبالطبع يتغير النظام المرغوب بتقدم الرضيع في السن.

واستمر هذا الاتجاه في التزايد حتى أصبح هناك حاجة إلى الاستفادة من نظام الانتظام في الوجبات ومزايا الطلب الذاتي أي الإيمان بنظام معين دون أن نكون عبيداً لهذا النظام، مع مراعاة فردية كل طفل. والمقصود من خضوع الطفل لنظام الوجبات الثلاث أو الأربع، هو خضوعه للمعايير الحضارية فيما بعد، ويؤثر الغذاء تأثيراً أكثر عمقاً في شخصية الطفل اذا لاقى صعوبات فيما يختص بالغذاء حيث يشعر بعدم الامان ولا يحتاج الطفل فقط لتفريغ زجاجات الطعام في جوفه بطريقة آلية بل انه في حاجة إلى المص. ولقد وجد الطفل في حاجة إلى الامتصاص لمدة ساعتين يومياً والا اضطر إلى مص اصابعه أو ملابسه أو لعبة أو أشياء أخرى. كذلك لعملية الفطام أثر نفسي قوي اذا تمت بطريقة فجائية أو قاسية تؤدي إلى صعوبات انفعالية يعاني منها الطفل[1].

المؤسسات التي تسهم في عملية التطبع الاجتماعي:

نتساءل عن المؤسسات التي تسهم في عملية التطبع الاجتماعي هذه، ومن أول هذه المؤسسات التي تؤثر في نمو الطفل الاسرة؟

دور الآباء:

ان عملية التطبع الاجتماعي لا تعتمد على الطفل وحسب بل على الآباء ايضاً، لانها على القليل بمفهوم الضبط الاجتماعي، لا تحدث الا اذا كان الآباء يعززون سلوك الطفل أو يكافئونه عليه، فاذا لم يقم الآباء بدور تقديم التعزيزات والمكافآت للطفل فان عملية التطبع الاجتماعي سوف تتأخر أو تعاق ويتحقق تعزيز سلوك الطفل عن طريقه عناية الآباء بجسمه ودفئه ومأكله ومشربه، على شرط أن يتم ذلك كله بطريقة رقيقة في اثناء تغذيته وتنظيفه واستحمامه وتغيير ملابسه ووضعه في الفراش على شرط ألا يتم ذلك ببرود أو بطريقة آلية ميكانيكية، وإنما يصاحبه تقبيل الطفل أو التودد إليه والتربيت عليه ولمس جسمه وتدليكه والغناء له حتى ينام.

ولقد وجد رينجولد (١٩٥٦) Rheingold أن حاجات الطفل المصحوبة بالمثيرات

---

(١) Hilgard, E. R. introduction to psychology Rubert Hart - Davis London, 1962.

الاجتماعية بما في ذلك الاتصال الجسمي به، يؤدي إلى خلق طفل أكثر استجابة من الناحية الاجتماعية عن قضاء مثل هذه الحاجات بطريقة فاترة باردة وبكفاءة ولكن دون علاقات شخصية ولكن مثل هؤلاء الاطفال يسرعون في النمو الاجتماعي عندما يتغير نمط معاملة الآباء معهم، ويشعرونهم بالرغبة والرعاية والرقة والحب، كذلك وجد أن الرضيع يصبح قادراً على الاستجابة الاجتماعية وتزداد عنده عندما يستجيب الكبار بطريقة اجتماعية لاستجابات الطفل الصوتية المعبرة Vocal response وينبغي تدريب الطفل على الاستجابة الاجتماعية أو توجيهها إلى القنوات الصحيحة عندما يبدأ في اظهار مثل هذه الاستجابات، وذلك حتى تصبح مقبولة لدى الآباء والاخوان والأخوات، ثم المجتمع ككل، بحيث يظهر الطفل الاستجابات الملائمة في السن الملائم، فاستجابات الغناء وإشارات «باي باي» مناسبة لسن عام واحد، ولكنها غير ملائمة لسن مدرسة الحضانة، كذلك تبليل الفراش مقبول في سن عام واحد، ولكنه غير مقبول في سن الاربع سنوات. وبالمثل البكاء من اجل الطعام مناسب في سن ٩ شهور، ولكنه غير ملائم في سن ٩ سنوات مثلاً. فهناك حاجة إلى مزيد من الضبط والتوجيه لسلوك الطفل منذ الوقت الذي يبدأ فيه في عمل الاستجابات الاجتماعية حتى يصبح مدنياً أو متحضراً خاضعاً للقانون، ونسبياً راشداً كبيراً، وغيرياً أو غير أناني.

وتبدأ عملية الضبط الاجتماعي والتكيف والتلاؤم مع تفاعل الطفل مع الآباء ثم مع أسرته، ثم تستمر مع زملاء اللعب والاقارب والمدرسين، وينبغي على أي مؤسسة تعمل لتحقيق التطبع الاجتماعي أن تقدم نمطاً من الآتي:

١ – المكافآت

٢ – القبول

٣ – السماح

٤ – العقاب

بحيث يكسب الطفل الاتجاه نحو طاعة القانون واللياقة الاجتماعية في سن الرشد، وبحيث يصبح سعيداً وهادئاً قادراً على القيام بدور الذكر أو الانثى المطلوب ممن هم في مثل سنه، وقادراً مهنياً على كسب عيشه.

نمط الآباء في التعزيز:

لا شك أنه، للمرور في مراحل النمو المبكرة، هناك حاجة ماسة إلى توجيه الطفل ومن البديهي أن يكون المنزل هو المصدر الاول لتقديم مثل هذا التوجيه، ويمكن تمييز منهجين في مثل هذا التوجيه هما:-

١ - أتجاه سيكولوجي قائم على الحب والمكافآت غير المادية. هنا يسحب الحب أو يهدد بسحبه، كما لا تعطى للطفل زجاجة الطعام في نفس اللحظة التي يطلبها فيها. واذا أصبح «شقياً» ينعزل عن الآباء وهو يشتاق إلى النشاط واللعب. ولكن ينبغي أن يبقى لبعض الوقت داخل عربته أو حجرته. يرى الطفل مثل هذه النماذج من الحرمان كتهديد بانسحاب الحب، ولذلك فانه يعمل، فيما بعد، على تعديل سلوكه لكي لا يفقد هذا الحب. وهناك أشكال أكثر تعقيداً من التهديد بسحب الحب كالحرمان من الملاطفة أو العناق أو التربيت أو الابتسامة أو كلمة المديح التي يتوق اليها الطفل.

٢ - يعتمد المنهج الثاني على الاشياء المادية؛ ويتراوح ما بين انزال العقاب البدني إلى حرمان الطفل من الطعام لتحويله إلى السلوك الطيب. في حالة منهج الحب تعمل على توضيح أن المعنويات أن تلفت أنظار الآخرين وانتباههم. لها أهمية خاصة. ويعلمه الآباء الضبط الذاتي خوفاً من فقدان الحب.

أما المنهج السيء فانه يعلم الطفل الخوف من الأشياء المحسوسة المادية، وهنا يقول الطفل لنفسه لا بد أن تكون حسن السلوك حتى لا ينكشف أمرك وتنال العقاب، فالضبط هنا من خلال الشعور بالعار. أما في منهج الحب فالضبط من خلال الشعور بالذنب، ولكن إذا كان الشعور بالذنب قاسياً جداً فانه يشل حركة الطفل ونشاطه. أما الشعور بالعار فيعتمد على توقع رجل الشرطة في كل مكان يترصد الطفل للامساك به.

ولقد أتضح أن منهج الحب أكثر فاعلية من الناحية الاجتماعية بحيث يتجنب الطفل الخطأ في غيبة الكبار أو ممثلي السلطة، ويمكن تمييز نوعين من التعزيز في معاملة الاباء للطفل:

١ – تعزيز إيجابي reinforcement ويتمثل في عبارة الام. ماما تحبك لأنك عملت كذا وكذا.. أو ماما سوف تعطيك كذا وكذا اذا عملت كذا...

٢ – تعزيز سلبي. ويتمثل في قول الام لطفلها «ماما لن تحبك إذا عملت كذا وكذا.. أو ماما سوف تصفعك إذا عملت كذا وكذا...»

وواضح أن التعزيز الايجابي يمنح المكافآت، أما السلبي فيعطي العقاب وهنا تساؤل، أيهما أكثر فاعلية في تعليم الطفل الثواب أم العقاب؟ هناك أدلة تجريبية مؤداها أن الطفل يتعلم أسرع إذا تلقى كلا من الثواب والعقاب في التعزيز فالتعزيز الايجابي لتعليمه ما ينبغي أن يعمله، والتعزيز السلبي يعلمه ما لا ينبغي عمله. وعلى ذلك فاذا تلقى الطفل تعزيزات من النوعين فانه يحاط علماً بصورة أكثر شمولا عما لو تلقى تعزيزات من نوع واحد.

وتتضح هذه الفكرة من أبحاث كل من مارتوب ومور وسيجار Martup, Moore and Sager الذين وجدوا (١٩٦٣) أن الاطفال الذكور الصغار يتعلمون الادوار الجنسية الملائمة إذا منحت لهم المكافآت على السلوك بطريقة فيها ذكورة، ويبحثون عن اللعب الذكرية، ويعاقبون عندما يعملون أعمالا بناتية أو أنثوية أو يبحثون عن لعب ودمى البنات، وبالنسبة للاناث، على العكس من ذلك، فكانت تعطى لهن المكافآت عندما يبحثن عن الاشياء «البناتية» بما في ذلك اللعب، وكن يهملن عندما يتصرفن بطريقة «صبيانية» أو يسعين للحصول على لعب الصبيان، بل أن فاعلية التعزيزات تتوقف على الطريقة أو الأسلوب الذي يمنح به التعزيز. فلقد وجد أن التعزيز سواء كان إيجابياً أم سلبياً، عندما يمنح مباشرة وبثبات أو ديمومة واستمرارية وبسخاء أو بكرم فان التعلم يتم بسرعة أكثر منه عندما يكون مؤجلاً، أو بدون ثبات أو ضعيف أو هزيل أو قليل، ولكن هذا الغرض يحتاج إلى كثير من الدراسات، لان كمية التعزيزات تبعاً لهذا الفرض، تغير كمية التغيير في السلوك، ومعنى هذا أننا إذا أردنا أن نضاعف من السلوك الحسن في سلوك طفل ما فاننا نضاعف من مقدار ما نعطيه له من مكافآت. كذلك فان التعزيز الجزئي يجعل الطفل تواقاً إلى المزيد من التعزيز، فيواصل العمل الجيد، أما إذا حصل على كل التعزيز فانه يفقد الاهتمام بمزيد من تحسين السلوك.

أثر وجود الأب في الأسرة:

ما هو التأثير الذي يتركه وجود الأب في الأسرة على شخصية الطفل؟ لقد أجريت دراسات كثيرة منها دراسة سيرز Sears (١٩٠١) ووجد أن الصبيان الذين نشأوا في بيوت مع الآباء كانوا أكثر عدواناً على القليل في خيالاتهم عن زملائهم الذين غاب الأب عن منزلهم.

كما كانوا أكثر ثقة، وكانوا أكثر استعداداً لتأجيل الحصول على مكافأة صغيرة في سبيل الحصول على مكافأة أكبر، ولكنها مؤجلة. كذلك وجد أن الأطفال الأكبر سناً والأكثر ذكاء كانوا أكثر استعداداً لتأجيل الإشباع المباشر. كذلك وجد مولتون Moulton (١٩٦٦) أن الآباء الأكثر قوة وحباً هم أكثر قدرة على إنتاج أطفال يضبطون أنفسهم بواسطة ضمائرهم، وأن الأطفال الذكور الذين يمتاز آباؤهم بالقوة والحب كانوا أكثر ذكورة عنهم عندما تكون الأم هي الشخصية القوية والمحبة. كذلك وجد جروسيك Grusec (١٩٦٦) أن الكبار الذين يكافئون كثيراً يجعلون الطفل أكثر استعداداً لنقد نفسه (أكثر عما يلوم الآخرين مثلاً) وذلك بالمقارنة بالأباء الذين لا يكافئون أطفالهم سواء كانت المكافأة بالعطاء أو العقاب.

مصادر القوة في عملية التنشئة الاجتماعية:

يحدد ولوتز Wolowtz (١٩٦٥) مصادر القوة التي يتم خلالها تقديم التعزيزات بأنها:-

١ - القوة الفيزيقية، ويدركها الطفل مبكراً، ويعتقد أن والده يمتلكها أكثر من والدته.

٢ - القوة الجنسية، ولا يدركها الطفل إلا متأخراً نسبياً حيث يدرك أن والديه يمثلان قوة جنسية، إذا كانت العلاقات الجنسية مجرد علاقات شهوانية أو بهيمية بحتة فان فكرة الطفل عن الجنس تنمو سيئة.

٣ - الحكمة، وللاسف فان الحكمة في المجتمع الحاضر لا تبدو محترمة كما ينبغي.

٤ - التأثير الاجتماعي، ويتضمن نوعية الأشخاص الذين يعرفهم آباء الطفل

والذين يتبادلون وأياهم الزيارة، ويقدر الطفل آباءه وخاصة طفل الطبقة الاجتماعية الوسطى، لمن يعرفهم من أشخاص، ولما يبدونه من حكمة ومعرفة، يقول الطفل.. «بابا ليس ضخماً أو قوي الجسم، ولكنه يعرف الكثير، والناس المهمون يعزمونه لبيوتهم، ويحضر للبيت أسبوعياً مبلغاً ضخماً من المال»(١).

وربما يرجع لهذا السبب خضوع أطفال الطبقات الوسطى للضبط، ويبدو أن التعليم الاجتماعي عموماً يتقدم أسرع عندما تفوق نسبة التعزيزات الإيجابية أي المكافآت نسبة العقاب.

كذلك وجد أن الثبات أو الديمومة في المعاملة تساعد في تعلم الطفل، حيث يتعرف على تعديل سلوكه بحيث يحصل على ما يريد ويتحاشى ما يرغب في تحاشيه.

تفسير عملية التطبع الاجتماعي:

هناك نظريات كثيرة لتفسير عملية التطبع الاجتماعي. أن نمو الفرد يتوقف على مدى رؤيته وردة فعله لقوى التطبع الاجتماعي التي يستخدمها المجتمع معه. يضع المجتمع الصورة التي يرغب أن يكون عليها نساؤه ورجاله. ويضع عدة قواعد لإرشاد الآباء والمعلمين في ذلك، ولكن كيف يرى الطفل هذه العملية؟ وما هي المفاهيم والقوى التي تكمن في داخل الطفل والتي تحدد نوع استجابته لهذه المؤثرات الاجتماعية؟

هناك إتجاهان نظريان في عملية التطبع الاجتماعي لها:

أولاً: نظرية التحليل النفسي ونظرية التعلم الاجتماعي فكلاهما يرى أن الراشد الكبير هو المحصلة النهائية لعملية تعلم الأسرة والبيئة كما يراها الطفل، وكما تؤثر فيه، أي تعاليم الأسرة والبيئة. فاذا كانت هذه القوى معتدلة كان الطفل سعيداً، وإذا كانت مؤذية أو ضارة كان الطفل تعساً. فالكائن الحي تصقله وتشكله خبراته، فيصبح جيداً أو سيئاً تبعاً لجودة أو سوء مثل هذه الخبرات.

تصنع النظرية التحليلية توكيداً أكثر من نظرية التعلم الاجتماعي، على بعض

---

(١) McCandless, B.R. op. cit.

مراحل النمو التي تؤثر فيها الخبرات أكثر من غيرها من المراحل. وهذه السن تبدأ من الميلاد حتى سن السابعة. أما نظرية التعلم الاجتماعي فترى أن الطفل كائن قابل للتعديل والتغيير في أي سن كانت.

ثانياً: الاتجاه الثاني يذهب إلى الزعم بأن قوى النمو في داخل الكائن البشري هي في الأساس خلاقة، فإذا كان الطفل مقبولاً وإذا لم توصد الأبواب أمام إشباع حاجاته، فانه ينمو شخصاً سعيداً خلقياً واجتماعياً. مثل هذه النظرية لا تقلل من أثر التعلم. وإنما هي فقط تدعي أنه إذا كان الطفل ظروفاً بناءة فانه سوف يوجه نفسه نحو القنوات البناءة. وينحو التعلم النشط دوراً أقل في هذه النظرية عنه عند فرويد وفي نظرية التعلم الاجتماعي. والعنصر الأساسي في بيئة الطفل هو القبول، وكان جان جاك روسو هو أول من قال بمثل هذه النظرية في كتابه «اميل» وما زال يعتنقها كثير من علماء النفس من أمثال كارك روجرز وماسلو MaslowRogers وجيزل Gesell وإن كانوا يختلفون عنه في بعض التفاصيل.

ويمكن تشبيه هاتين النظريتين بحالات من مجال البستنة فالنظرية الأولى ينطبق عليها المبدأ القائل: كما يثنى الجذع تنمو الشجرة على غرارة.

وعلى ذلك يوصي بتوفير البيئة الجيدة ذات التربة الصالحة والضوء والماء والتخصيب الضروري، ولكن التعليم أو التشذيب الفعال والتشكيل والتطعيم والتسميد لا بد من ممارستها. والنظرية الثانية أيضاً تطالب ببيئة ذات تربة ملائمة وضوء وماء وربما أيضاً سماد، ولكنها تميل إلى الاعتقاد بأن الطبيعة لديها أفضل معرفة عن كيف تنمو الشجرة.

فالتقليم والتطعيم والتشكيل والتسميد والتلقيح التهجيني تترك كلها للمجرى الطبيعي للاحداث وللطبيعة الفطرية للكائن. النظرية الأولى تنادي بمزيد من التعلم النشط كعمل مرغوب، والثانية تنادي بقليل من هذا التعلم.

وطبقاً للنظرية الأولى فان الطفل سوف يصبح اجتماعياً وغيرياً وإيثارياً وواثقاً من نفسه للحد الذي يلزمه لكي يكيف نفسه مع الآخرين ولكي يشبع حاجاته. وتتوقف سهولة هذه العملية على مدى كفاءة المعلم ومهارته وعلى مدى ملائمة وكفاءة وفاعلية عملية التدريس. وطبقاً للنظرية الثانية فان بذور عملية التنشئة

الاجتماعية تكمن في الناس، وسوف تصل إلى أقصى درجات النضج في بيئة تمتاز بالقبول واللطف، ولكنها بيئة سالبة. وربما يضع جيزل كثيراً من الأهمية للاستعدادية الموروثة للوراثة أكثر من كارك روجرز، فجيزل لا يقبل القول بأن إعطاء الفرد البيئة المناسبة سوف يؤدي إلى نموه النمو الملائم.

والواقع أننا لا نعرف الصحيح من هاتين النظريتين، بل ربما لا نعرف إذا كان كلاهما صحيح أم خطأ، فكلا يضع وزناً كبيراً على جوانب البيئة في التنشئة الاجتماعية. فالنظرية الأولى يمكن وصفها بأنها نظرية تعليمية، بينما النظرية الثانية ارتقائية. ويمكن اعتبار فرويد ممثلاً للنظرية الأولى وجيزل ممثلاً للثانية. النظرية الفرويدية تؤكد دائماً النزعة الاجتماعية الفطرية في الإنسان، بمعنى أن الطفل الصغير الأناني يجب أن يتحول إلى شخص راشد كبير إيثاري قادر على تأجيل لذاته.

ونظرية التعلم الاجتماعي لا تضع افتراضات إزاء هذه المسألة، ولكنها تفترض أن الايثار وتأجيل إشباع اللذات يتم تعلمها أكثر من كونهما فطريتين ويضع جيزل كما يضع فرويد تأكيداً كبيراً على توابع ونواتج النمو، ولكن فرويد لا يضع كل الأهمية – كما يفعل جيزل – للوراثة كعامل محدد للفروق الفردية بين الناس.

الفصل الثامن

قياس الاتجاهات الخلقية لدى الشباب والمراهقين "دراسة تجريبية"

مقدمة:

لا شك أن مجتمعنا العربي الناهض في حاجة ماسة إلى تنمية القيم الخلقية والروحية والإنسانية والنهوض بها، وذلك حتى يسير التقدم والنمو الخلقي والروحي جنباً على جنب مع التقدم التكنولوجي والعملي الذي يأخذ به الوطن العربي في العصر الحاضر.

اننا في بناء نهضتنا المعاصرة لا ينبغي أن نقع فيما وقعت فيه أوربا عندما أهملت القيم الروحية والخلقية واهتمت بالتقدم العلمي والتكنولوجي والمادي وحدهما فأدى ذلك إلى تدهور الأسرة وضعف الروابط الاجتماعية وتفكك المجتمع، وانتشار الرذيلة والانحلال، ومع ضياع القيم القديمة شعر الفرد بالضياع في عالم جديد. ولذلك ينبغي الاهتمام بالقيم الروحية والخلقية كالاهتمام بالعلم والتكنولوجيا التي ثبت بالدليل القاطع أنّهما وحدهما لا يحلان مشكلة الإنسان بل انهما يخلقان كثيراً من الصراعات والمشكلات والتعقيدات التي تثقل كاهل الفرد المعاصر[1].

ومن أجل ذلك لابد من الدعوة إلى العناية والاهتمام بالدراسات التي تتناول القيم الخلقية والروحية بغية العمل على تنميتها وغرسها في الشباب والمعروف سيكولوجيا أن الشخصية المثالية هي الشخصية المتكاملة Integrated Personality النامية في جميع عناصرها فالتقدم العلمي لا ينبغي أن يكون على حساب النمو الخلقي والروحي ولا سيما أن الأخلاق لا تتعارض مع التقدم المادي.

(١) د. عبد الرحمن عيسوى، علم النفس والإنتاج، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ١٩٧٣.

بدافع الشعور بأهمية القيم الأخلاقية والروحية في وطننا العربي فكر الباحث في اجراء هذا البحث المتواضع كمجرد دعوة إلى الاهتمام بالأخلاق ونموها ودراستها، وبغية تحقيق الأهداف التي يمكن أن نوجزها فيما يلي: -

الهدف من البحث:

١ - تستهدف هذه الدراسة تصميم مقياس للاتجاه نحو القيم الخلقية يصلح للشباب والمراهقين العرب. والمعروف أن المراهقة مرحلة تحويل روحي وصوفي وخلقي، وكذلك هي مرحلة يعيد المراهق النظر فيها فيما اكتسبه من قبل من قيم ومعايير، وهي لذلك ربما تكون مرحلة شك وتردد ورفض للقيم التي تلقاها المراهق عن الآباء وعن الكبار عامة[1] ولذلك يلزم وضع مقاييس عربية مقننة Standardized على البيئة العربية لقياس الاتجاهات الخلقية بأسلوب موضوعي Objective محدد.

٢ - التعرف على مدى ايمان الشباب والمراهقين بالقيم الأخلاقية كما يقيسها هذا المقياس.

٣ - التحقق من صحة بعض الفروض المتعلقة بالنمو الخلقي وأثر التقدم في السن فيه، وأثر عامل الجنس، وعامل الخبرة التعليمية ونوع الدراسة العملية والنظرية في نمو الأخلاق.

٤ - تطوير طريقة ثرستون Thurstone في تصميم مقاييس الاتجاهات وادخال بعض التعديلات عليها.

٥ - اختبار صحة الفروض الواردة في البحوث السابقة حول موضوعية الحكام واختلاف تشتت التقديرات باختلاف اتجاه الحكم نفسه. وأثر حجم عينة الحكام على ثبات تقديراتهم.

منهج البحث:

اعتمدت هذه الدراسة على تصميم مقياس على طريقة ثرستون - Thurstone type scales بعد ادخال بعض التعديلات على منهجه الأصلي ولذا يلزم القاء بعض الضوء على تفاصيل هذه الطريقة كما تمارس عملياً في وضع مقاييس الاتجاهات.

---

(١) د. عبد الرحمن عيسوي، دراسات سيكولوجية، منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٧١.

طريقة ثرستون في تصميم مقاييس الاتجاهات:

قبل إبتكار طريقة ثرستون - كما يقول كرونباك Cronback. L كان قياس الاتجاهات قاصراً على الاستخبارات المبسطة، ومن بين أوجه الضعف في مثل هذه الطرق القديمة أننا لم نكن متأكدين من أن الأسئلة المتعددة المكونة للاستخبار تقيس نفس الشيء. كذلك كانت تحتسب درجة الفرد عن طريق جمع درجاته على الاستخبار، ولكن لم يكن هناك دليل على أن الفروق المتساوية بين الأفراد تعادل فروقاً متساوية في الاتجاه نفسه. والواقع أن طريقة المسافات المتساوية The equal appearing interval method psychophysical techniques. وهي طريقة ثرستون مستمدة من الطرق السيكوفسيولوجية Psychophysical techniques التي كانت تستخدم للتمييز بين الفروق الحسية البسيطة كالألوان والأوزان والأطوال والأضواء The discrimination between lines of slightly different lenghts, weights, lightess, and so on[١].

ويكمن وراء جميع مقاييس الاتجاهات أساس قياسي واحد هو أننا نعبر عن الحقائق السيكولوجية التي هي متعددة الجوانب ومتشعبة في مفاهيمها وابعادها Multiple concepts نعبر عنها عن طريق وحدات عددية كمية مستقيمة وبواسطة مقاييس الاتجاهات AtitudeScales نستطيع أن نحدد مركز الفرد عن طريق استجاباته على مقياس مستمر ومتصل Continuum له طرفان Extermes يمثلان منتهى الرفض أو المعارضة، ومنتهى التأييد أو القبول أو الموافقة Extremely or strongly favourable and extremely or strongly unfavourable وتدرج المقياس ناتج في الواقع من تدرج وحداته وترابطها وتناولها موضع واحد بعينة، وبذلك يصبح للدرجة الكلية التي يحصل عليها الفرد معنى ودلالة[٢].

وهناك طرق مختلفة لقياس الاتجاهات منها:

١ - طريقة المقارنات الزوجية Paired comparison method.

---

(١) Jahoda, M., and Warren, N., Attitudes, Penguin Books 1966.

(٢) الدكتور السيد محمد خيري، الاحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٧.

٢ – طريقة المسافات الاجتماعية Social distance لبوجاردس Bogardus, E,S.

٣ – طريقة الأبعاد المتساوية لثرستون Equal - appearing intervals thurstone.

٤ – طريقة ليكرت Likert.

٥ – طريقة جتمان Gutman.

ولقد ابتكر ثرستون طريقته في مقياس الاتجاه نحو الكنيسة(١) Attitude towards the Church حيث جمع ١٣٠ عبارة تعبر بدرجات مختلفة عن التأييد والمعارضة والحياد بالنسبة لدور الكنيسة واثرها في حياة الفرد والمجتمع.

وتصميم أي مقياس تبعا لطريقة ترستون Thurst one - type Scale.

يمر بالخطوات الآتية: –

١ – جمع عدد من العبارات أو القضايا أو الجمل Statements التي تدور حول موضوع الاتجاه.

٢ – صياغة هذه العبارات في شكل تأييد ومعارضة وحياد للاتجاه، وذلك بدرجات متفاوتة، وكتابة كل عبارة على كرت أو بطاقة مستقلة.

٣ – قيام مجموعة من الحكام Judges بتصنيف هذه العبارات الى احدى عشر فئة أو مجموعة أو كومة Pils، على أن يعمل كل حكم مستقلاً عن غيره من الحكام.

٤ – يضع الحكم كل عبارة يجدها مؤيدة تأييداً كبيراً في الكومة «ا» وتلك التي تلي ذلك في التأييد في الكومة «ب» وهكذا حتى يصل إلى الكومة «ع» فيضع فيها تلك العبارات التي يجدها معارضة شديدة جداً للاتجاه يمر بطبيعة الحال بنقطة الحياد Neutral Position أو كومة الحياد وتأخذ الحرف «و» وتقع في الوسط.

يمكن أن تستخدم أي قطبين آخرين، كالموافقة والرفض، والتحرر والتحفظ أو التسامح والتزمت Liberalism conservatism permissiveness restrictivenes.

---

(١) Thurstone, L.L., and chave, E., Measurement of Attitudes., Univ. of chicago press, chicago, 1951.

٥ – ايجاد القيمة الوسيطية Median Score لكل عبارة وهو القيمة المعبرة عن وزن العبارة Scale - value في المقياس النهائي.

٦ – حساب درجة تشتت الدرجات المعطاة لكل عبارة، وحذف العبارات ذات التشتت الكبير حيث يدل ذلك على أن العبارة غامضة المعنى Ambiguous.

٧ – اختيار العبارات التي تكون المقياس النهائي من بين العبارات التي اتفق الحكام حولها أي تلك التي حصلت على درجات صغيرة في التشتت، بحيث تنتشر هذه العبارات على طول مدى المقياس (من ١ – ١١) انتشاراً متساوياً ومتدرجاً Equaly distributed من نقطتي التطرف إلى الحياد. وفي العادة ما يكفي حوالي ٢٠ – ٢٥ عبارة لتكوين المقياس النهائي[١].

٨ – يقدم المقياس بعد ذلك إلى المفحوصين لتحديد العبارات التي يوافقون عليها ويعبر وسيط هذه العبارات عن درجة الفرد على المقياس.وتمتاز هذه الطريقة على غيرها من الطرق من حيث أنها لا تتطلب من المفحوص إلا اعطاء استجابة واحدة. لكل عبارة على العكس من طريقة المقارنة الزوجية Paired comparison حيث يقارن المفحوص بين كل عبارة وجميع العبارات الأخرى.

حدود هذه الطريقة: –

هناك بعض الإنتقادات التي توجه إلى هذه الطريقة نعرضها ثم نحاول اقتراح وسائل في هذا البحث للتغلب عليها أو على القليل على بعضها. تزعم هذه الطريقة أن المسافات الموجودة بين العبارات مسافات متساوية ومحددة، ولكن – على حد قول A. Edwards – لا يوجد في هذه الطريقة أدلة على ان المسافات المتساوية هي في الحقيقة متساوية[٢] كذلك تنتقد هذه الطريقة بالقول بأن الحكم لا يستطيع أن يغير رأيه أو حكمه في أثناء مواصلة عملية تقدير العبارات فقد تقابله عبارة أشد معارضة أو تأييداً من عبارة سابقة اعتبرها هو أشد القضايا معارضة. فإنه لا يستطيع

(١) Thurstone, L., measurement of values, Univ of Chicago Press,1900.

(٢) Edwards, A., Techniques of Attitude Scale construction, Appleton - century crofts, 1957.

إلا أن يضع العبارة الأخيرة مع العبارة الأولى في نفس الفئة Category أي أن هذه الطريقة لا تتضمن وسيلة للتمييز الداخلي بين العبارات التي توضع في نفس الفئة الواحدة. ومن الصعوبات العملية التي تلاحظ على هذه الطريقة أن العبارات تتركز حول منطقتي التطرف The Exterme positions السلبي والإيجابي وتترك منطقة الوسط Middle point أو منطقة الحياد Neutral point خالية من العبارات،وتتمشى هذا النزعة إلى حد كبير مع آراء بعض الباحثين الذين يعتبرون الاتجاه أما معارضاً أو مؤيداً وليس هناك اتجاه محايد، فالحياد معناه انعدام الاتجاه.

كذلك لوحظ أن العبارات ذات القيمة الوسيطية الواحدة ربما تعبر كل منها عن بعد Dimension مختلف تماماً عمّا تعبر عنه عبارة أخرى لها نفس الوزن. وتتمشى هذه الملاحظة مع كون الاتجاه العقلي مفهوماً متعدداً ومتشعب الجوانب ومركباً ومعقداً Multidimensional Concept فالاتجاه في جوهره عبارة عن نمط من النزعات المعقدة المترابطة فيما بينها،ولكنه يفقد معناه إذا حللناه إلى عناصره الأولية البسيطة(١).

كذلك هناك بعض الباحثين الذين يذهبون إلى القول بأن تقديرات الحكام للعبارات تتأثر باتجاهاتهم الشخصية، ومعنى ذلك عدم توفير الموضوعية في تقديراتهم، ولكن هذه النقطة مازالت محل بحث وجدال وهناك فريق آخر من الباحثين يؤكدون أن تقديرات الحكام مستقلة عن اتجاهاتهم الشخصية.

وهنا يجدر بنا أن نتساءل عن العدد الكافي من الحكام للحصول على أحكام ثابتة Reliable Judgements?

عدد الحكام:

لقد استخدم ثرستون في قياس الاتجاه نحو الكنيسة ٣٠٠ حكماً، ولكن هناك كثير من الباحثين الذين استخدموا أعداداً أقل من ذلك بكثير وحصلوا أيضاً على تقديرات ثابتة Reiable estimations فقد استخدم أدورد وكني Edwards and

(١) Walker; L, Study of the attitudes of training college students twards religious education and religion, Ph, D. Thesis Univ. of London. 1966.

kenney ٧٥ حكماً، واستخدم هاربوك Uhrbeock ٥٠ حكماً واستخدم روزثندير Rosander ١٥ حكماً.... وجميعهم وجدوا ارتباطات عالية High Correlations بين التقديرات المستمدة من هذه الاعداد الصغيرة نسبياً وبين التقديرات المأخوذة من أعداد كبيرة(١). واستخدم ولكار Walker ٢٦ حكماً في مقياس و ٣٠ حكماً في مقياس آخر.

ولقد سبق أن استخدام الباحث في بحث عن الاتجاه نحو الدين ٥٥ حكماً انجليزيا(٢).

عدد العبارات المناسبة:

وهنا نتساءل عن عدد العبارات المناسبة لاعطاء صورة ثابتة وصادقة عن اتجاه المفحوص. يختلف الباحثون في مسألة عدد العبارات فقد استعمل ثرستون ١٣٠ عبارة،ولكن من الشائع الاكتفاء بنحو عشرين أو خمسة وعشرين عبارة فقط لقياس الاتجاه نحو موضوع معين. وأحياناً يكتفي بأن يطلب من المفحوص أن يحدد العبارات الثلاث فقط التي تعبر عن رأيه ولكن هناك تفاوتاً في عدد العبارات فليكرت استعمل ٢٤ عبارة في مقياسه الاتجاه نحو العالمية Internationalism واستعمل ١٢ عبارة في مقياسه نحو الاستعمار Imperialism و ١٤ عبارة في مقياسه الاتجاه نحو الزنوج Negr - Scale واستعمل هال Hall ١٠ عبارات في مقياس الاتجاه نحو الدين Religion Scale و٧ عبارات في مقياسه نحو العمال، و٥ عبارات(٣) في مقياس الروح المعنوية Moral.

موضوعية الحكام:

هل يختلف تقييم الحكام باختلاف شخصيتهم وميولهم واتجاهاتهم؟ لقد ذهب الباحثين إلى القول بأن تقديرات الحكام تتأثر باتجاهاتهم الشخصية ولكن غالبية البحوث في هذا الصدد تؤكد أن تقدير الحكم للعبارة لا يتوقف على اتجاهه

---

(١) Edwards, A., op. cit P. 9.

(٢) Essawi, A, R M Ethico - Religious. Attitudes and emotional adjustment, ph. D., Thesis 1968 Nottm Univ.

(٣) Ibid.

الشخصي. ولقد استخدم هنكلي Hinkly ثلاث مجموعات من الحكام من أرباب الاتجاهات المختلفة نحو الزنوج ووجد أن هناك ارتباطاً عالياً بين تقديراتهم، بمعنى استقلال التقديرات عن آراء أصحابها. كذلك وجد بيل Beyle أن التقديرات المستمدة من مجموعتين متعارضتين في الاتجاهات تترابط بمعامل قدره ٠,٩٩ وكذلك يقرر فيرجسون Ferguson أنه وجد معاملات ارتباط فوق ٠,٩٨ بين تقديرات ثلاث مجموعات مختلفة من[1] الحكام ويؤيد هذه النتائج ابحاث كل من «ماك كرون» Mac crone في بحثه عن الاتجاه نحو السلالات شمالي أفريقيا، وكذلك في بحث كل من بنتر Pinter وفورلانو "Forlano" الخاص بالاتجاه نحو الوطنية Patriotism وفي بحث كل من ايزنك Eysenk وكروان Crown الخاص بالاتجاه نحو اليهود "Jews" في أميركا.

ولكن هناك بعض الدراسات التي تزعم ان التقديرات تختلف باختلاف اتجاه الحكم نفسه، ومن أمثلة ذلك بحوث كل من هوف لاند Hovland وشريف Cherif حيث وجدا فروقاً واسعة بين التقديرات التي أعطاها الحكام من البيض المتعصبين ضد الزنوج وتلك التي أعطاها البيض المؤيدين للزنوج.

ولكن عندما تم حذف الأحكام الموضوعة عشوائياً تبين أن هناك ارتباطاً عالياً بين أحكام[2] المجموعتين.

ولقد درس حديثاً أيزر .Eiser, J.R (١٩٧٣)الاتجاه نحو تعاطي المخدرات The use of drugs واستخدم جماعات من الحكام من أصحاب الاتجاهات المتسامحة Permissive وأصحاب الاتجاهات المتزمتة في تحريم تعاطي المخدرات Restrictive وكان مجموع أحكام ٧١ حكماً من طلاب السنة الأولى بقسم علم النفس وكان عليهم أن يقيموا ثلاثين عبارة تدور حول تعاطي المخدرات وفي نفس الدراسة طلب من هذه العينة وصف اتجاهاتهم الشخصية نحو تعاطي المخدرات وذلك مكون من خمس نقاط هي:

(١) Freeman, F., theory and practice of psychological testing Holt, Rinehart and Winston. N. Y., 1964

(٢) Jahod M. and Warren, N., op. cit.

١ – موافق جداً.

٢ – موافق.

٣ – لم أقرر.

٤ – لا أوافق.

٥ – لا أوافق أبداً.

وقسم الحكام الى ثلاث مجموعات طبقاً لاتجاهاتهم هم أنفسهم نحو تعاطي المخدرات وقاس مقدار استقطاب أو تشتت الدرجات Polarization المعطاة لكل عبارة بواسطة الحكام وذلك عن طريق قياس الانحراف المعياري Standard deviation ووجد أن درجة الاستقطاب تختلف عند جماعة المتسامحين عنها عند جماعة المحرمين أو المتزمتين، كذلك وجد أن التقدير يتوقف على نوع العبارات التي يتصف بها طرفا المقياس، كمتحرر ومحافظ أو ضد الزنوج(١) Pro - Negro سوف يفحص صحة هذا الفرض في الدراسة الحالية كذلك سوف نبحث موضوع الحكام.

تطوير الطريقة:

في هذا البحث رؤى ادخال بعض التعديلات على الطريقة الأصلية التي ابتكرها ثرستون من ذلك ما يلي:

١ – بدلاً من تصنيف العبارات بوضع كل عبارة في كومة خاصة أو في مظروف خاص دون أمام كل عبارة أحد عشر حرفاً من «أ – ع» وما كان على الحكم إلا أن يضع دائرة حول الحرف الذي يريد أن يمنحه العبارة.ولسهولة العملية قسمت هذه الحروف في خانات خاصة إلى المعارضة والتأييد ولكل منها خمسة حروف وفي الوسط الحياد أو نقطة الحياد ويخصها حرف واحد هو الحرف (و)، وذلك حتى لا يخطيء الحكم في تقييمه للعبارات.

٢ – بدلاً من كتابة كل عبارة على بطاقة خاصة أو كارت دونت العبارات

(١) Eiser, J. R., Judgement of attitude statements as function of judjes Attitudes and the judgement dimension Brit. J., Soci and clin, psych, sept 1973.

جميعاً في قائمة واحدة وطلب من الحكم ألا يعطي تقديراته إلا بعد قراءة جميع العبارات وذلك حتى يعطي تقديراً مقارناً لكل عبارة بالنسبة لغيرها من العبارات، وذلك حتى لا يضطر الى تغيير رأيه كثيراً كلما استمر في قراءة العبارات.

٣ – كانت تعليمات المقياس Scale Instructions تسمح للحكام بعمل أي تعديل في تقديراتهم التي هي في الواقع عبارة عن ترتيب متدرج للعبارات Rank ordering of statements ومن المعروف أن مدى الفئات في هذه الطريقة واسع نسبياً (١١ فئة) مما يعطي فرصة للحكم باعطاء تقديرات متباينة كذلك تمتاز هذه الطريقة عن طريقة «ليكرت» بأن الدرجات فيها لها دلالة مطلقة في حد ذاتها لكل فرد بصرف النظر عن درجات المجموعة التي ينتمي اليها.

Unlike likert, s. method, the equal appearing interval method provides absolute scores for evrey subject independently from the whole group فكل درجة يحصل عليها الفرد هي درجة على المقياس النهائي، ولها معاني ودلالة وذلك لأن طرفي المقياس وكذلك نقطة الحياد معرفة ومحددة تماماً well defined ولكن في طريقة تجميع التقديرات – the Summating Rating Method فإن الدرجة المقابلة لنقطة الحياد غير معروفة.

٤ – لتقليل أثر أي نمط استجابي محتمل Response Set(نعم نعم، لالا، لانعم، نعم، ؟؟، ؟نعم، ؟لا) فقد رؤي ان تصاغ نصف العبارات بالايجاب والنصف الآخر بالسلب أي رؤي أن يكون نصف العبارات مؤيداً والنصف الآخر معارضاً.

٥ – بدلاً من سؤال المفحوص عن موافقته أو عدم موافقته صيغت العبارات ثم وضع أمام كل عبارة كلمة (مثله) وكلمة (مختلف) وأعطيت التعليمات لأفراد العينة بأن الشخص الذي حرّر استمارة استطلاع الرأي هذه يعتقد في صحة هذه العبارات، وهو يريد أن يعرف كم من الأشخاص سوف يوافقون معه وكم سوف يختلفون عنه، فإذا كنت توافقه فضع علامة (صح) في الدائرة المجاورة لكلمة مثله وهكذا[١]. وتمتاز هذه الطريقة بأنها لا تشعر المفحوص بأنه في موقف (امتحان)

---

(١) أنظر تعليمات المقياس المستخدم مع العينة.

يسأل ويجيب أو أننا نفحصه ونكتشف خبايا نفسه وإنما تمتاز هذه الطريقة بالطابع الإسقاطي Projective المقنع Disguised وساعد هذا التعديل في التخفيف من أثر عامل الرغبة الاجتماعية Social desirability variable فمن المعروف أن الفرد يريد أن يظهر نفسه بالمظهر البراق اجتماعياً وخلقياً كما أنه ينزع إلى تملق ذاته- Self flattering حتى لا يؤذي ذاته الواعية بالاعتراف بنقائصه، وحتى يعطي إنطباعاً طيباً عن ذاته Good impression فإنه يبالغ في تقدير نفسه على السمات المرغوبة اجتماعياً وخلقياً ويقلل من الدرجات التي تعبر عن السمات الغير مرغوبة أو المخزية Shamful ومن أجل ذلك رؤي اتباع الطريقة التي ابتكرها كل من فريكس وجيبسون في اختبار موديسلي للشخصية الجديدة للمراهقين..

W.D. furneaux and, H.B. Gibson in the New junior Naudsley Inventory(١)

٦ – في طريقة التطبيق عند ثرستون قدمت العبارات وطلب من المفحوصين أن يحددوا فقط العبارات التي يوافقون عليها فقط، وترك العبارات التي لا يوافقون عليها بيضاء،ولكن الخبرة العملية في تطبيق الاختبارات تدلنا على أن المفحوصين في كثير من الأحيان ما ينسون أو يهملون الإجابة على بعض المفردات وفي ضوء طريقة ثرستون لم يكن هناك من وسيلة لتمييز تلك العبارات التي لا يقبلها أو لا يوافق عليها، ولذلك رؤي أن يستجيب المفحوص لجميع العبارات التي يوافق عليها وتلك التي لا يوافق عليها.

صياغة العبارات في البحث الحالي:

في صياغة العبارات في البحث الحالي روعي بقدر المستطاع توفير الشروط الآتية:

١ – تعبير العبارات عن اتجاه المفحوص في الوقت الحاضر وليس في الماضي، حتى لا يحدث عنده خلط في حالة اختلاف اتجاهه الحاضر عن اتجاهه في الماضي.

٢ – كانت كل عبارة تعبر عن فكرة واحدة مستقلة One single idea حتى يكون رفضها أو قبولها سهلاً.

---

(١) Edwards, A, the Social Desirability variable and personality Assessment and Research, N, Y. Dryden 1957.

٣ – لم تستعمل العبارات التي تشير إلى تخصصات دقيقة أو مناشط أو مواقف خاصة نوعية Specific Situations لأنها لا تنطبق إلا على أقلية صغيرة من الناس.

٤ – حذفت العبارات الغامضة أو الغير محددة أو الغير واضحة.

٥ – صيغت العبارات بحيث يدل قبولها أو رفضها على شيء يتصل بالاتجاه.

٦ – العبارات التي يمكن أن يكون لها أكثر من معنى أو تفسير أو دلالة حذفت.

٧ – حذفت العبارات التي يحتمل أن يرفضها الجميع أو يوافق عليها الجميع لأنها لا تضيف جديداً إلى معلوماتنا عن الأشخاص،أي تلك العبارات التي يوافق عليها كل من شخص المعارض والشخص المؤيد للاتجاه.

٨ – صيغت العبارات بلغة سهلة وواضحة، وقصيرة، ومباشرة، وسهلة القراءة Easilyread ولم يكن هناك نفي مزدوج Doublenegative وصيغت بصورة اقتصادية تناسب مستوى المفحوص العقلي والتعليمي.

٩ – حذفت العبارة التي تعبر عن حقائق ثابتة Unquestionablefacts واستبقيت العبارات الجدلية فقط التي يختلف حولها الناس.

١٠ – روعي في صياغة العبارات ألا تكون عامة أكثر من اللازم وإنما تعبر عن صلة شخصية ين المفحوص والاتجاه حتى تكون موافقته أو معارضته أنعكاساً لإتجاهه الشخصي.

مفهوم الأخلاق:

في محاولة معنى الأخلاق نلاحظ أن مفهوم الأخلاق متعدد المفاهيم أو الأبعاد كالأمانة والصدق والحق والواجب والخير والمسؤولية والعفّة والشرف والرحمة والعدل ويقظة الضمير. وقد تساءل البعض: هل الاخلاق مرادفة لما يعتبره مجتمع ما صواباً أو خطأً أم أن الأخلاق هي شعور الفرد إزاء القيم الأخلاقية absolute moral values المطلقة كالعدل Justice والحرية والأخاء والمساواة والمحبة والسلام والصدق... إلخ.

إذا أخذنا الأخلاق بالمعنى الاجتماعي أي بمعنى الامتثال Conformity للمعايير

الاجتماعية نجد أن مفهوم الاخلاق مفهوما ديناميكياً Dynamic بمعنى أنه يختلف من مجتمع ألى آخر ومن عصر إلى عصر، ومن جيل إلى جيل وهو في تطور مستمر فما هو خلقي عند جماعة من الناس هو جريمة عند غيرهم.

ويعبر عن ذلك هادفيلد "Head field, J" بقوله أن هناك معنيين للاخلاق Morality الأول يعني الامتثال Conformity لقيم المجتمع وعاداته وتقاليده والثاني يعني اتباع الفرد والأهداف والغايات الصحيحة أو الصواب Rigth ends فالسلوك الخلقي تبعاً لمفهوم الامتثال يعني أن يتبع الفرد العادات والتقاليد والمثل والمعايير التي يقبلها المجتمع أما المعنى الثاني فإن الغايات الصواب كالكرم والولاء والأمانة تعتبر غاية في ذاتها،وينبغي أتباعها بصرف النظر عن قيم المجتمع ومعاييره.

والأخلاق بالمعنى العام تنمو في الطفل عندما ينمو ضميره conscience أو الذات العليا Super-ego ويحكم على سلوكه وعلى سلوك الآخرين تبعاً لمقدار نمو ضميره Development of his conscience والأخلاق بالمعنى السيكلوجي تعني وجود قوة إرادية Volitional power قادرة على توجيه سلوك الفرد نحو القيم الخلقية.

ويميز بعض الكتاب ثلاثة أنواع من الأخلاق:

١ – الأخلاق الدينية

٢ – الأخلاق التقليدية

٣ – الأخلاق الأساسية[1] أو الأخلاق المطلقة.

وهنا تصنيف للناس على أساس نوع الأخلاق السائد، فهناك:

١ – النمط (النفعي) Expedient وهو الشخص الذي يتصرف تصرفاً خلقياً فقط من أجل تحقيق أغراضه هو.

٢ – النمط الامتثالي Conforming وهو الشخص الذي يفعل كما يفعل الآخرون ولما يقولون أنه ينبغي عليه أن يفعله.

٣ – النمط العقلي Rational أو صاحب الضمير الحي Conscientious ولصاحب

---

(١) Schewerz, D the psychology of sex, penguin Books, 1965, P. 209.

هذا النمط معاييره الخاصة الداخلية ومفهومه عن الخطأ والصواب وطبقاً لهذه المعايير يحكم على سلوكه.

٤ – وهذا هو النمط الإيثاري Altruistic الذي يمثل أعلى مستويات الاخلاق وللشخص في هذا النمط مجموعة ثابتة وراسخة من المبادىء الأخلاقية ترشده إلى السلوك الصواب،وهو في حكمه على ما هو صواب بالنسبة له ولغيره هو واقعي منطقي Realistic and rational وهو لا يحتاج إلى عمل كثير من التفسيرات أو التأويلات للسلوك الخلقي، وانما هو يتبع حرفية القانون The letter of law وهو الذي يأخذ في الإعتبار النوايا Intentions أو الدوافع التي تكمن وراء السلوك كما يأخذ في الاعتبار الظروف العلمية والعواقب المترتبة Practical consepuences[(١)] فلا يحكم على السلوك الخلقي طبقاً لحجم الخسائر المترتبة عليه وانما يحكم عليه في ضوء الدافع أو القصد أو النية عند القيام بالسلوك.

مضمون الاخـلاق في البحث الحالي:

١ – حب الآخرين Loving people.

٢ – الأمانة Honesty.

٣ – الخير Goodness.

٤ – يقظة الضمير Effective conscience.

٥ – المسالمة أو السلام Pacifism.

وفي تصميم المقياس روعى فيه تمثيل هذه العوامل الاخلاقية Moral factors ومن العبارات التي وضعت لقياس نزعة حب الأخرين العبارة الآتية:

«أنه يسعدني أن أرى الناس الآخرين أصدقاء مع بعضهم البعض» ووضعت عبارات مثل العبارة الآتية لقياس الأمانة:

«إذا فعلت أي شيء خطأ فإنني أفضل العقاب عن الهروب عن طريق الكذب» أما الخير أو الخيرية فعبر عنه بعبارات مثل.

(١) Walker, K., and Fletcher, P., sex and socitey, penguin Books, 1964.

«سوف أطرح نفسي جانباً إذا كنت نتيجة لذلك أجعل الآخرين سعداء» أما فاعلية الضمير ويقظته فقد استعملت لقياسها عبارات مثل الآتي:

«أحياناً لا أستطيع أن أقاوم الإغراء بعمل شيء ما أنا أعرف أنه خطأ» «أما النزعة نحو المسالمة فقيست بعبارات كالآتي:

«لا ينبغي أن تكون عدوانياً حتى عندما يؤذوك الآخرون».

مفهوم الاتجاه: –

للاتجاه تعاريف عديدة من أشهرها تعريف البورث G. W. Allport الذي يعتبر الاتجاه حالة استعداد Readiness عقلية نفسية وعصبية تتكون لدى الفرد من خلال الخبرة Experience العملية والتجربة التي يمر بها الفرد، وتؤثر هذه الحالة تأثيراً ملحوظاً على استجاباته Responses أو سلوكه أزاء جميع الأشياء والمواقف التي تتعلق[١] بهذه الحالة، ومعنى ذلك أنه حالة استعداد للنشاط الجسمي والعقلي تعد الفرد وتهيئة لاستجابات معينة، ويعرفه سانفورد Sanford بأنه استعداد مكتسب ودائم للسلوك بطريقة ثابتة ازاء موضوع معين[٢].

ويعرفه ثرستون بأنه درجة الشعور الايجابي أو السلبي المرتبط ببعض الموضوعات السيكولوجية. The degree of positive of negative affect associated with a psychological object[٣]. ويقصد ثرستون بالموضوعات السيكولوجية أي نداء أو رمز أو قضية أو شخص أو مؤسسة أو مثال أو فكرة وغير ذلك مما يختلف حوله الناس. فالاتجاه لا يكون ازاء الحقائق الثابتة المقررة انما هو دائماً تجاه الموضوعات التي يمكن أن تكون موضوعات جدلية.

وينبغي أن نلاحظ أن الاتجاه ليس هو السلوك ولكنه الدافع الذي يكمن وراء السلوك. كذلك نلاحظ أنه حالة مكتسبة وليست فطرية، وانه ثابت ثباتاً[٤] نسبياً.

---

(١) Allport, G., W., personality, constable and co., London, 1951.

(٢) Sanford. F.H., Psychology, Scientific study of man 1961.

(٣) Thurstone and Chae, E., Measurment of Attitudes, Univ. Chicago Press 1951.

(٤) دكتور عبد الرحمن محمد عيسوي، دراسات سيكولوجية،منشأة المعارف اسكندرية.

ويعرفه هاريمان P. L., Harriman

An attitude: a mental set to respond to a situation with a prepared reaction. Attitude are more or less stable, they denotes bias, preconceptions, convictions, feelings and emotions, hopes and fears; opinions are the verbal formulations of attitudes.(1)

فالاتجاه يشير إلى شعور الفرد وآماله ومخاوفه وانفعالاته وعقائده ومعلوماته ومعارفه وتحيزاته التي تدور حول موضوع معين.

تصميم المقياس العربي:

قدمت العبارات لجماعة من الحكام يبلغ عددها ١٩ حكماً من طلاب الجامعة في بيروت في مرحلة الليسانس وفي الدراسات العليا ومن كلا الجنسين، وكانوا من الشباب الذين تتراوح أعمارهم من ١٩ – ٣٠ سنة قدمت مرفقة بالتعليمات المدونة بالمقياس الوارد بملحق هذا البحث،ومعنى هذا أن تقدير كل عبارة تكرر عدد من المرات يساوي عدد أفراد جماعة الحكام (١٩٢).

ولقد حذفت تقديرات الحكم الذي وضع أكثر من ١٠ عبارات في فئة واحدة – حيث اعتبر ذلك نتيجة لإهمال من قبل الحكم وأدى ذلك إلى حذف تقديرات ست حكام وتبقى تقديرات ١٨٦ حكماً وبعد ذلك أمكن حساب قيمة كل عبارة أو وزنها عن طريق ايجاد قيمة الوسيط، وكذلك نصف المدى الربعي الخاص بها كمقياس لانحراف القيم المعطاة لها ويمكن تلخيص ذلك في الخطوات الآتية:

١ – إيجاد عدد الحكام الذين أعطوا كل عبارة قيمة معينة، وتم تحويل هذه التكرارات Frequencies إلى نسب Proportions وذلك عن طريق قسمة التكرار على عدد الحكام، وبعد ذلك تم ايجاد التكرار التجمعي لهذه النسب Cumulative frequency.

٢ – تم رسم منحنيات لكل عبارة مستقلة حيث مثل الدرجات أو الفئات الاحدى عشر على المحور الافقي Base - line وعلى المحور الرأسي وضعت نسب التكرارات التجمعية.

(١) Harriman, P. L. Dictionary of Psychology. The Philosophical libray N. Y. 1947.

٣ – نحصل على قيمة الوسيط الخاص بالعبارة عن طريق اسقاط عمود من نسب التكرارات عند القيمة ٥٠ وليتقاطع مع المنحنى ومن نقطة التقاطع يسقط عمود آخر على المحور الأفقي ونقطة الالتقاء هذه تمثل القيمة الوسيطية.

٤ – عن طريق اسقاط عمودين عند قيمتي ٧٥،٢٥ من نسب التكرارات التجمعية، وعن طريق اسقاط عمودين عند نقطة التقائهما مع المنحنى – على المحور الأفقي نحصل على الارباعي الأول والأرباعي الثالث أو قيمة المئين الـ ٢٥ والـ ٧٥. والمسافة بين هاتين النقطتين على المحور الأفقي أو الفرق بين قيمتهما عبارة عن قيمة المدى الربعي وعن طريق هذه القيمة على ٢ نحصل على نصف المدى الربعي وهو مقياس التشتت أو الانحراف أو الانتشار. ولقد اعتبر مقياساً لدرجة غموض العبارات Ambiguity ومعنى هذا ان القضية ذات الانتشار الكبير تحمل معاني مختلفة للناس المختلفين وليس لها معنى واحد محدد وواضح. وهذا المقياس يعبر عن مدى انتشار الخمسين في المائة الوسطى من الدرجات، أما الوسيط فيعني أن ٥٠٪ من الدرجات تقع فوقه و ٥٠٪ تقع دونه أو أقل منه ومعنى ذلك أن هناك نصف الحكام أعطوا هذه القضية مثلا هذه القيمة. بعد الحصول على قيم العبارات وعلى مقدار تشتتها أمكن اختبار عدد من العبارات بعضها سلبية والأخرى إيجابية... رتبت العبارات حسب قيمة كل منها، والدرجة تعني أنه كلما قلت الدرجة كلما زادت إيجابية الفرد نحو الأخلاق وكلما زادت الدرجة كلما قل الاتجاه نحو الأخلاق،فالدرجات الصغيرة تعبر عن الاتجاه الخلقي الايجابي. ويؤخذ وسيط العبارات التي وافق عليها الفرد كمقياس لاتجاهه نحو الأخلاق.

في تقدير قيم العبارات استبدلت الحروف التي قدمت للحكام بدرجات على النحو الآتي بحيث أعطى الحرف (أ) الدرجة (١) والحرف (ع) الدرجة (١١).

أ = ١

ب = ٢

حـ = ٣

د = ٤

هـ = ٥

و = ٦

ذ = ٧

س = ٨

ص = ٩

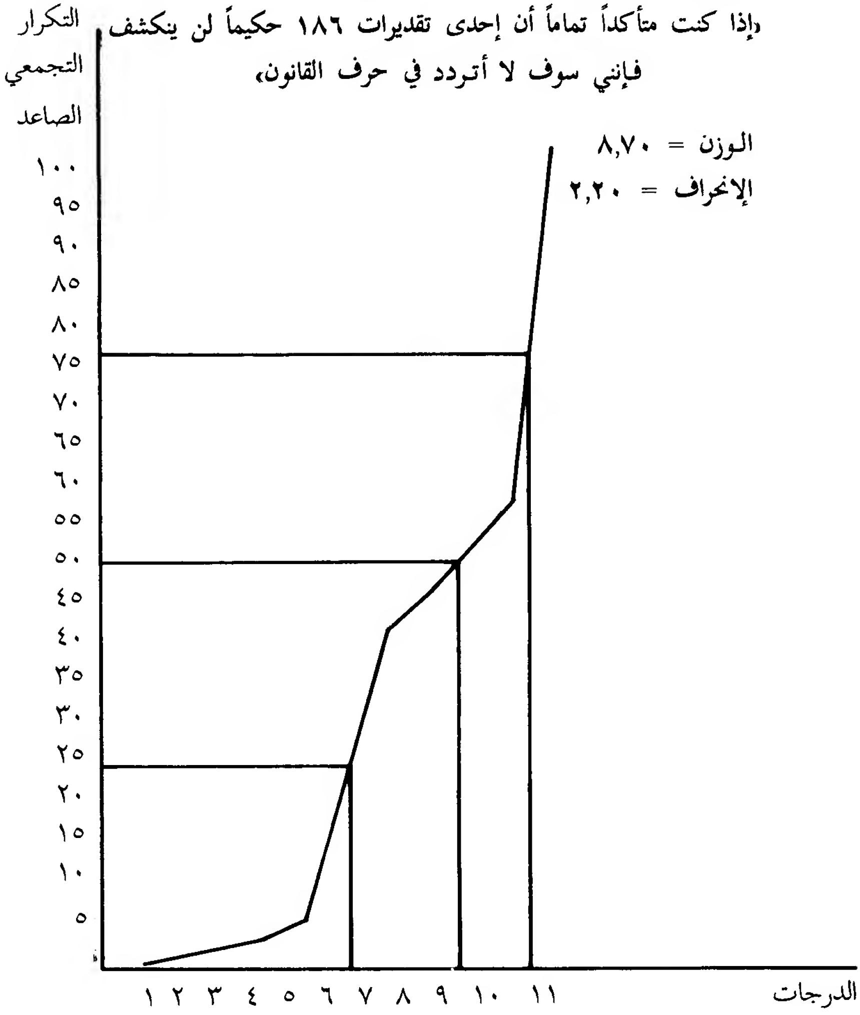
ط = ١٠

ع = ١١

شكل رقم ١

يوضح وزن العبارة رقم ٨ ومقدار نسبتها

«إذا كنت متأكداً تماماً أن إحدى تقديرات ١٨٦ حكيماً لن ينكشف فإنني سوف لا أتردد في حرف القانون»



حذفت العبارات غير الواضحة على أساس درجة غموضها بالنسبة للحكام ويستدل على ذلك من اختلاف الحكام في الدرجة التي أعطوها للعبارة. ويقاس هذا الاختلاف بنصف المدى الربعي Semi - inter quartile range روعي انتشار العبارات على طول المقياس المستمر بحيث يكون هناك عبارات تمثل منتهى التأييد ومنتهى المعارضة والحياد.والاكتفاء بعبارة واحدة في حالة حصول أكثر من عبارة على قيمة وسيطية واحدة مع محاولة تساوي الأبعاد بين كل عبارة وتلك التي تليها.

ولقد دل البحث على أن وضع العبارات في ترتيب تنازلي أو تصاعدي تبعاً لقيم العبارات لا يؤثر على استجابات المفحوصين(١) ولكن مع ذلك وضعت في الصورة النهائية بشكل عشوائي.

أن قياس الاتجاه الخلقي مسألة شخصية لا تمثل أي ضغط معنوي كما هو الشأن في قياس الأمور السياسية أو الطائفية، ولذلك فإننا نتوقع أن نحصل على استجابات الأفراد الصريحة والصادقة دون خوف أو تحريف.

قائمة بالعبارات المكونة للمقياس المقترح عددها ٣٦ عبارة وكذلك مقدراً انحراف كل عبارة في شكل نصف المدى الربيعي وكذلك وزن كل عبارة ممثلاً بوسيطها مأخوذا من أحكام ١٨٦ حكماًعربياً.

وزن العبارة	انحرافها	نص العبارة
١٠,٣٣	٠,٧٥	أتمنى أن يرسب جميع الناس الذين أكرههم في امتحاناتهم أو في حياتهم.
٩,٣٨	١,٩٨	انني لا أحب أي شخص يعمل أحسن مني.
٩,٠٦	١,٩١	كل انسان في هذه الحياة يجب أن يعتني فقط بمصلحته الخاصة.
٠,٦٧	٠,٣٣	انني أشعر بالسعادة عندما أرى الناس الآخرين سعداء.
٠,٦٧	٠,٣٣	أنه ليسعدني أن أرى الناس أصدقاء مع بعضهم البعض.

(١) Walker, E. op. cit.

نص العبارة	انحرافها	وزن العبارة
يجب أن تحب جارك كما تحب نفسك.	١,٠٩	٠,٩٠
إذا كان الامتحان صعباً وإذا وجدت الفرصة فانني ربما أغش.	١,١٣	٦,٣٥
إذا كنت متأكداً تماماً أن أمري لن ينكشف فانني سوف لا أتردد في خرق القانون.	٢,٢٠	٨,٨٥
انني سوف لا أقول الحق إذا كان ذلك يؤذي أقاربي أو أصدقائي.	٢,١٨	٦,٩٨
إذا عملت عملاً سيئاً فانني أفضل أن ألقى العقاب على أن أتهرب منه عن طريق قول الكذب.	١,٨٣	١,٨٨
دائماً ما أطيع قواعد النظام حتى عندما يكون المعلم خارج حجرة الدراسة.	١,٨٣	١,٨٨
أنا دائماً ما أقول الحق حتى إذا كان ذلك سيجلب لي المشاكل والصعوبات.	١,٨٢	١,٥٩
أعتقد أن اعطاء العون للفقراء يجعلهم أكثر كسلاً واعتماداً على الآخرين.	٠,٦١	٥,٨١
ان الأغنياء يجب أن يعطوا نقوداً للفقراء لمساعدتهم إذا طلب ذلك منهم.	١,٨٧	١,٩٤
أنا لا أساعد الناس الآخرين.	١,٥٩	١٠,٢١
غالباً ما يعاملني الآخرون أفضل مما أعاملهم أنا.	١,٥١	٦,٦٥
سوف أضحي بنفسي بكل تأكيد إذا كان ذلك يسعد الآخرين.	٢,٠٥	٢,٢٠
عندما تساعد الآخرين فانك لا ينبغي أن تنتظر أي شيء في مقابل مساعدتك.	١,١١	١,٢٥
في بعض الأحيان لا أستطيع أن أقاوم الإغراء لعمل شيء ما أنا أعلم أنه خطأ.	١,٦٢	٦,٩٩
انني لا أشعر بالأسف كثيراً بعد عمل شيء ما أعرف أنه خطأ.	٢,٢٤	٧,٤٤

وزن العبارة	انحرافها	نص العبارة
٩,٦٤	١,٨٧	إذا أذيت شخصاً ما وكنت أنا المخطىء فانني سرعان ما أنسى ذلك.
٠,٩٠	٠,٨٧	إذا استعرت شيئاً ما ثم فقد منك فانه ينبغي عليك أن ترد غيره لصاحبه.
١,٦١	١,٧٩	يجب أن تشعر بالذنب كثيراً إذا تسببت في إيذاء أي شخص آخر.
١,٢٨	١,٢٧	أشعر أنني ينبغي أن أبذل قصارى جهدي في المدرسة بصرف النظر عن أي مكافأة ألقاها.
٥,٨٧	١,٤١	إذا اعتدى عليك شخص ما فالأفضل أن ترد عليه بالمثل.
٦,١٤	١,٥٤	يبدو من المعقول أن تأخذ الثأر إذا الحق أي شخص الضرر بك.
٠,٨٧	٠,٨٨	أتمنى أن يعفو الناس بعضهم البعض في الأخطاء البسيطة.
١,٩٩	١,٧٢	لا ينبغي أن تصبح غاضباً إذا الحق بك نوع بسيط من الأذى.
٤,١٩	٢,٨٠	لا ينبغي أن تستخدم وسائل شريرة حتى ولو كان ذلك لبلوغ أهداف طيبة.
١,٦٢	١,٩٠	أنه لمن الأفضل أن تضبط نفسك على أن تكسب أي معركة أو شجار.
٩,٦٤	١,٦٧	انني لا أميل إلى الاحتفاظ بالأسرار التي يفضي لي بها الآخرون.
٨,٦٢	٢,٢١	بالمال وحده تستطيع أن تحقق كل شيء.
١,٩٠	٢,٢٩	أن الولاء في الشخص أكثر قيمة من الثراء.
٠,٩٩	١,١٥	عندما أشعر بالإغراء بعمل شيء سيء فان ضميري يمنعني.
٠,٨٧	١,٠٥	انني أحب أن أبذل قصارى جهدي في عملي وفي دراستي.
٦,٠٩	١,٦٢	مع الناس العدوانيين يجب أن تكون أنت أيضاً عدواني.

يتضح من هذه القائمة أن أكثر العبارات تأييداً للأخلاق هي:

«انني اشعر بالسعادة عندما أرى الناس الآخرين سعداء» (٠,٦٧) والمعروف أنه

كلما قلت قيمة وزن العبارة او وسيطها كلما زاد تعبيرها عن تأييد الأخلاق والعكس صحيح.

وكانت أكثر العبارات معارضة للقيم الخلقية.

اتمنى أن يرسب جميع الناس الذين أكرههم في امتحاناتهم أو في حياتهم (١٠,٣٣).

واكثر القضايا التي اتفق حولها الحكام بمعنى أنه لم يكن هناك انحراف كبير في درجاتهم ما يلي:

أنه ليسعدني أن أرى الناس أصدقاء مع بعضهم البعض (ح = ٠،٣٣) أما أكثر القضايا اثارة للجدل حول الحكام:

- لا ينبغي أن تستخدم وسائل شريرة حتى ولو كان ذلك لبلوغ غايات طيبة (ح = ٢,٨٠).

ومن العبارات المحايدة ما يلي:

- اعتقد أن اعطاء العون للفقراء يجعلهم أكثر كسلاً واعتماداً على الآخرين (٥,٨١).

- إذا اعتدى عليك شخص ما فالأفضل أن ترد عليه بالمثل.

الصورة النهائية للمقياس:

تمّ اختيار مفردات المقياس النهائي من بين العبارات التي خضعت لتقديرات الحكام وذلك بعد حساب قيمة الوسيط لكل قضية وكذلك بعد حساب تشتت الدرجات عن طريق ايجاد قيمة نصف المدى الربعي. ولقد تم حساب ذلك باتباع أسلوبين الأول بالرسم البياني لكل عبارة، ثم بالعمليات الحسابية حيث طبقت المعادلة الآتية لحساب الوسيط[1].

$$\text{الوسيط} = \text{الحد الأدنى للفئة الوسيطية} + \frac{\text{ترتيب الوسيط} - \text{التكرار المتجمع للفئة قبل الوسيطية}}{\text{تكرار الفئة الوسطية}} \times \text{ف}$$

(١) دكتور عبد الرحمن عيسوى، علم النفس والانسان، منشأة المعارف اسكندرية ١٩٧٠.

حيث يدل الرمز «ف» على سعة الفئة

وتم حساب قيم نصف المدى الربعي Semi - inter quartile range عن طريق المعادلة الآتية =

$$\frac{\text{الارباعي الأعلى أو الثالث} - \text{الارباعي الأدنى أو الأول}}{٢}$$ [1]

وهو عبارة عن الفرق بين الخمسين في المائة من الدرجات التي تقع في الوسط

ورتبة الارباعي الأول هي $\frac{ن}{٤}$ حيث ن = عدد الحالات أو التكرارات.

ورتبة الارباعي الثالث = $\frac{ن}{٤} \times ٣$

وقيمته حصل عليها عن طريق المعادلة الآتية:

قيمة الارباعي الأول = الحد الأدنى لفئته +

$$\frac{\text{رتبته} - \text{التكرار المتجمع الصاعد للفئة السابقة عليها} \times \text{ف}}{\text{تكرار فئته}}$$

حيث يدل الرمز «ف» على سعة أو مدى الفئة. وبتطبيق هذا القانون أمكن إيجاد قيمة الارباعي الثالث.

وعلى هذا النحو تم اختيار ٢٣ عبارة على أساس قيم العبارات بحيث تتوزع على طول المقياس المكون من ١١ نقطة، وبحيث تفضل العبارات ذات التشتت الصغير، وبحيث يكون نصف العبارات تقريباً ايجابياً والنصف الآخر سلبياً (١٣ عبارة ايجابية، ١٠ عبارات سلبية) هي المدونة بكراسة الأسئلة.

تأثير تقديرات الحكام باتجاهاتهم الشخصية:

عرفنا أن مسألة موضوعية الحكام مازالت مثار جدال علمي حتى الآن ولذلك رؤي القاء الضوء على هذه المسألة في ضوء المعطيات التجريبية الحالية لقد سبق

---

(١) الارباعي الأعلى Upper quartile الارباعي الأدنى Lower quartile.

للباحث أن أجرى بحثاً مماثلاً في انجلترا[1] وقامت عينه من الحكام الانجليز ويبلغ عددها ٣٠ حكماً بتقدير ٣٠ عبارة من العبارات المستخدمة في البحث الحالي ولذلك رؤيت مقارنة تقديراتهم بتقديرات الحكام من الطلاب العرب ومن أجل ذلك حسب معامل ارتباط بيرسون لهذه العبارات الثلاثين Pearson product - moment correlation coefficient وذلك باستخدام القانون الآتي الذي يعتمد على حساب المتوسطات والانحرافات ومربعاتها.

$$\text{ر} = \frac{\text{مجـ } \text{ح}_1 \times \text{ح}_2}{\sqrt{\text{ح}_1^2 \times \text{ح}_2^2}} = \text{,٩١٤}$$

وكنوع من المراجعة على العمليات الاحصائية أعيد حساب هذا المعامل عن طريق استخدام الدرجات الخام Raw Scores ومربعاتها وذلك بموجب القانون الآتي[2]:

$$\text{ر} = \frac{\text{مجـ س ص} - \dfrac{\text{مجـ س} \times \text{مجـ ص}}{\text{ن}}}{\sqrt{\left[\dfrac{\text{مجـ}^2}{\text{س}} - \dfrac{(\text{مجـ س})^2}{\text{ن}}\right]\left[\dfrac{\text{مجـ}^2}{\text{ص}} - \dfrac{(\text{مجـ ص})^2}{\text{ن}}\right]}}$$

حيث (س) = قيم المتغير الأول، (ص) = قيم المتغير الثاني، و(ن) = عدد الحالات أي عدد العبارات ووجد معامل الارتباط = ٩١٤ , والهذا المعامل دلالة عالية تفوق مستوى ثقة ٩٩٪ وذلك مع ٢٨ درجة حرية.

وذلك بالرجوع إلى جدول جاريت H.E.,Garret وإلى جانب ذلك فقد وجدت مقياس (ت t) لهذا المعامل وذلك طبقاً للقانون الآتي:

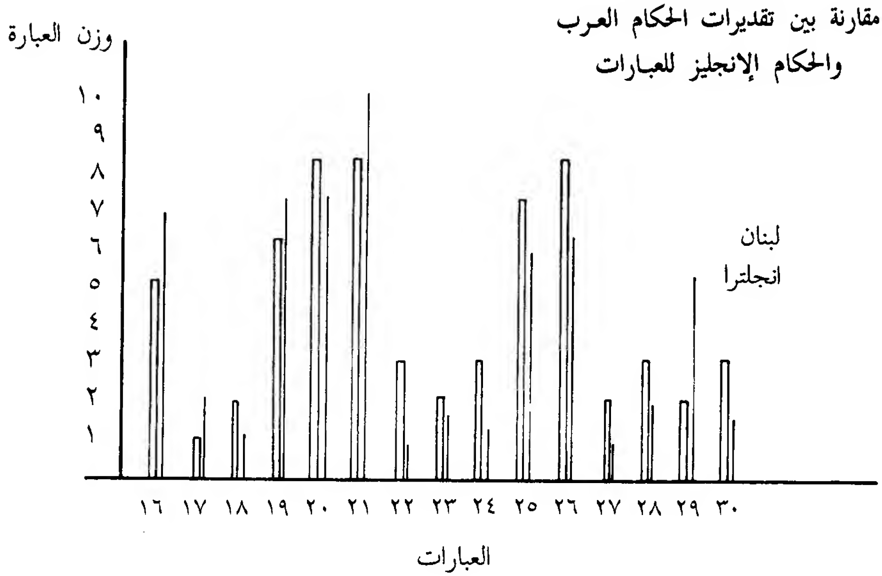
---

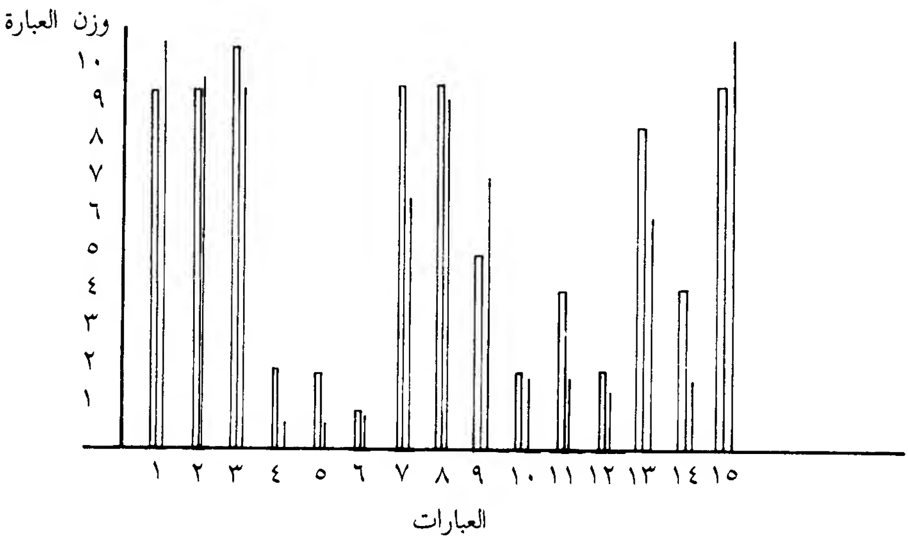
(١) Essawi, A. Ethico - Religious Attitudes and emotional adjustment, ph D, Thesis Nottingham univ. 1968.

(٢) الدكتور السيد محمد خيري، الاحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٥٧.

شكل رقم ٢

مقارنة بين تقديرات الحكام العرب
والحكام الإنجليز للعبارات





$$ت = ر \sqrt{\frac{ن - ٢}{١ - ر^{٢}}}$$

ووجدت قيمة (ت) = ٣٠,٠٢٥ وبالرجوع إلى جدول توزيع (ت) مع درجات حرية تساوي ٢٨ نجد أنها تساوي ٢,٧٦ عند مستوى ثقة ٩٩٪ وقيمة (ت) الحالية تزيد عن ذلك بكثير.

ويدلنا ذلك على صحة الفرض القائل بأن تقديرات الحكام لا تتأثر بشخصية الحكام فالعينة الانجليزية تتفق اتفاقاً عالياً مع تقديرات جماعة الحكام العرب على الرغم من الاختلافات الثقافية الواسعة بين المجتمعين.

الفرق بين تقديرات الحكام العرب والانجليز في مدى التشتت:

سبق القول أن ايزر درس الفرق في استقطاب الدرجات بين جماعة من المتزمتين ضد استعمال المخدرات وجماعة من المتسامحين. هذا ولقد رؤي بحث هذه النقطة ومعرفة مدى وجود فروق بين تقديرات الحكام العرب والانجليز. ومن أجل ذلك حسب المتوسط الحسابي لقيم نصف المدى الربعي للعبارات الثلاثين عند كل من مجموعة الحكام العرب والانجليز ووجد الآتي:

	المتوسط	ع[1]	عددهم
متوسط انحراف تقديرات الحكام العرب	١,٥٣	,٦٢	١٨٦
متوسط انحراف تقديرات الانجليز	١,١١	,٣٦	٣٠
الفرق بينهما	٠,٤٢		

ويشير هذا الفرق إلى أن أحكام العينه الانجليزية أكثر استقطاباً وتجاوراً أو تجانساً بينما تقديرات الحكام العرب تبدو أكثر تشتتاً أو اختلافاً ولكن الفرق الملاحظ صغير نسبياً.لقد تم حساب النسبة الحرجة (ن — ح) للفرق بين المتوسطين تبعاً للقانون الآتي:

(١) ع = الانحراف المعياري للدرجات.

$$\text{ن} - \text{ح} = \frac{\text{م}_{١} - \text{م}_{٢}}{\sqrt{\frac{\text{ع}_{١}^{٢}}{\text{ن}_{١}} + \frac{\text{ع}_{٢}^{٢}}{\text{ن}_{٢}}}}$$

حيث يدل الرمز (م) = متوسط المجموعة الأولى، (م٢) = متوسط المجموعة الثانية ($\text{ع}_{١}^{٢}$) = مربع الانحراف المعياري للمجموعة الأولى، ($\text{ع}_{٢}^{٢}$) = مربع الانحراف المعياري للمجموعة الثانية، ن، (ن٢) = عدد الحالات في المجموعة الأولى والثانية على الترتيب.وجد أن قيمة (ن − ح) = ٣ ولهذه الدرجة دلالة عند مستوى ثقة يفوق (٩٩٪) ومعنى ذلك ايجاد أدلة تجريبية تؤيد فرض أيزر من حيث اختلاف تشتت الدرجات باختلاف جماعات الحكام.

أثر حجم عينة من الحكام:

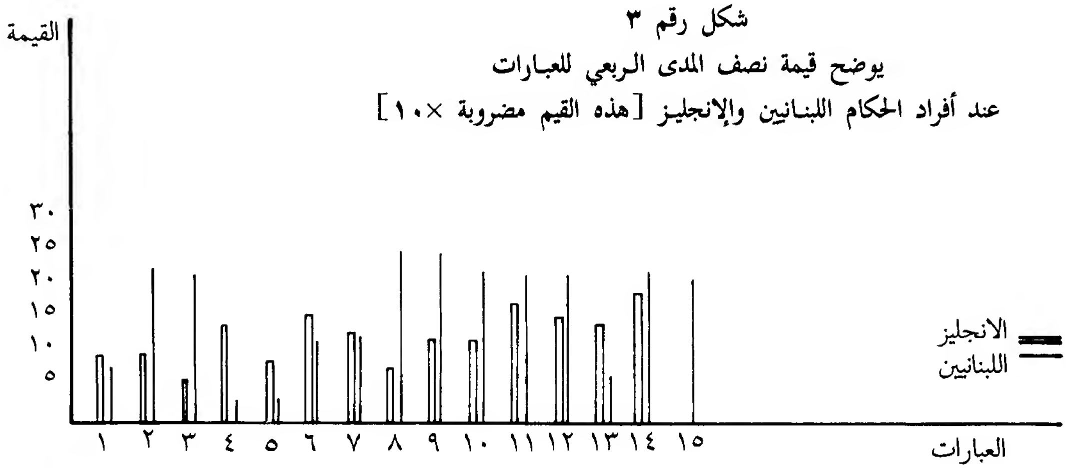
سبق أن قلنا إن الباحثين فيما بينهم في تقدير أثر عدد الحكام الذين يقومون بتقدير وزن العبارات فهناك من يستخدم أعداداً كبيرة حتى يحصل على تقديرات ثابتة Reliable judgements وهناك من يزعم الحصول على نفس التقديرات الثابتة باستخدام أعداد صغيرة من الحكام. ولقد دلت بعض البحوث على وجود معاملات إرتباط عالية بين تقديرات جماعات الحكام الكبيرة وتقديرات جماعات الحكام الصغيرة. ولقد رؤي التحقق من صحة هذا الفرض في الدراسة الحالية، ولذلك كلف الباحث جماعة صغيرة من الحكام عددها ٢٠ حكماً بالقيام بتقدير العبارات الـ ٣٦ المستخدمة في هذا البحث والتي سبق أن قدرها جماعة كبيرة من الحكام يبلغ عددها ١٨٦ حكماً ولقد تم حساب معامل ارتباط بيرسون Pearson طبقاً للمعادلة الآتية:

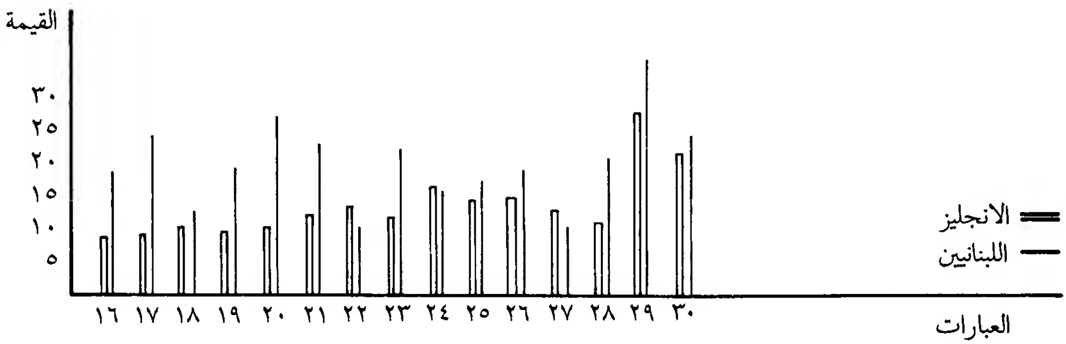
$$\frac{\text{مج}\,(\text{س}\,\text{ص}) - \frac{\text{مج س} \times \text{مج ص}}{\text{ن}}}{\sqrt{\left[\text{مج س}^{٢} - \frac{(\text{مج س})^{٢}}{\text{ن}} \qquad \text{مج ص}^{٢} - \frac{(\text{مج ص})^{٢}}{\text{ن}}\right]}}$$

شكل رقم ٣

يوضح قيمة نصف المدى الربعي للعبارات

عند أفراد الحكام اللبنانيين والإنجليز [هذه القيم مضروبة ×١٠]





حيث س = قيم المتغير الأول

ص = قيم المتغير الثاني

ووجد معامل ارتباط يساوي ٩٧٠ , وهو إرتباط عال وله دلالة إحصائية عالية طبقاً لجدول جاريت الخاص بدلالة معاملات الارتباط مع ٣٤ من درجات الحرية[١]. وتؤيد هذه النتيجة الأبحاث السابقة التي أكدت وجود إرتباط عال بين تقديرات الجماعات الصغيرة والكبيرة.

وصف عينة البحث: -

طبق مقياس الاتجاه نحو الأخلاق (ت - خ) على عينة كبيرة من الأفراد والمقيمين بالمجتمع البيروتي بلبنان. وكانوا من طلاب المدارس الثانوية وطلاب الجامعة والدراسات العليا وبعض الخريجين وذلك من كلا الجنسين ممن يتراوح أعمارهم ما بين ١٥ - ٣٩ سنة والجدول الآتي يصف الأعمار أفراد العينة بالسنوات.

أفراد العينة	متوسط العمر	عدد الحالات ن
العينة كلها	٢٢,٩١	٣٤٧
الذكور	٢٣,١٨	٢٥٠
الاناث	٢٢,٢٤	٩٧
الفرق	, ٨٤	

متوسط عمر العينة كلها ٢٢,٩١ سنة ومتوسط عمر الذكور يفوق بنحو عام واحد عمر الاناث (٢٣,١٨ في مقابل ٢٢,٢٤) بفارق قدره ٨٤ , من السنة) فمجموعة الذكور أميل إلى التقدم في السن قليلاً عن الأناث.

أخذت هذه العينة من بين طلاب المرحلة الثانوية وطلاب الجامعة والدراسات

(١) Garrette. H.E., statistics in psychology and education longmans, Green and Co., N,Y. 1958.

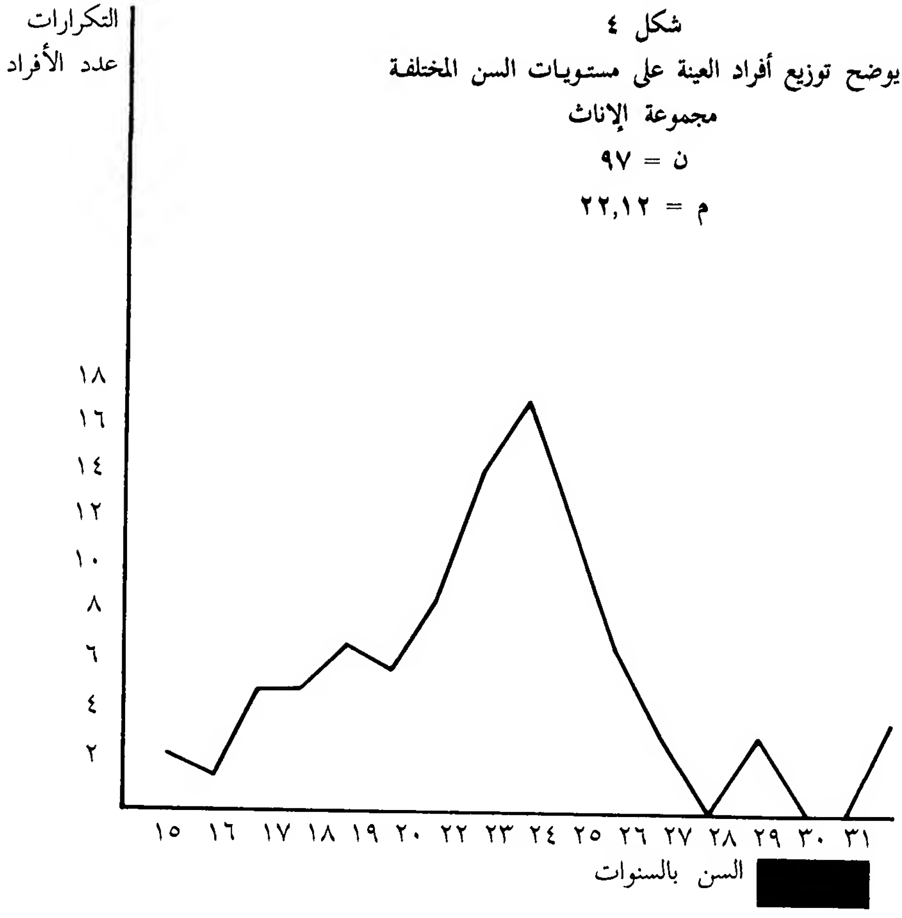
شكل ٤

يوضح توزيع أفراد العينة على مستويات السن المختلفة

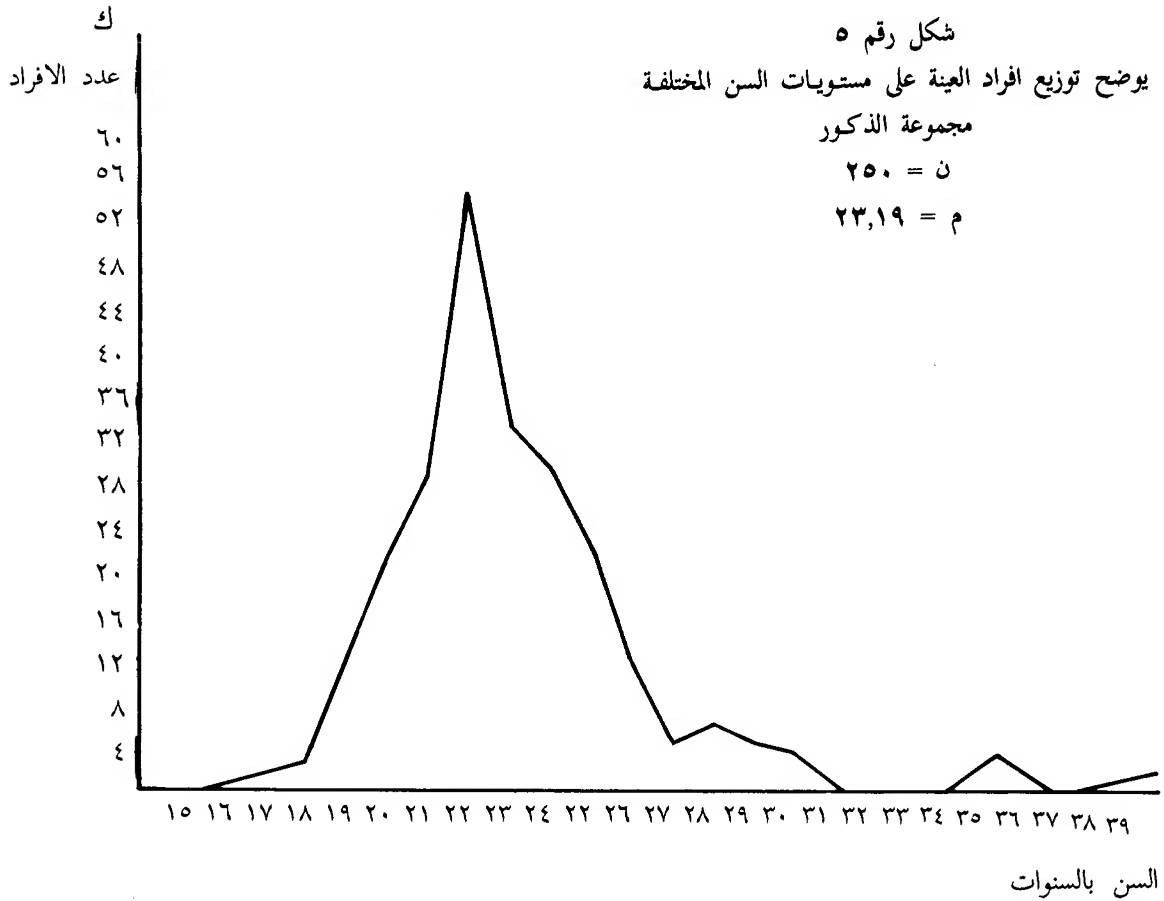
مجموعة الإناث

ن = ٩٧

م = ٢٢,١٢



شكل رقم ٥
يوضح توزيع افراد العينة على مستويات السن المختلفة
مجموعة الذكور
ن = ٢٥٠
م = ٢٣,١٩



العليا والخريجين. والجدول الآتي يوضح أعداد الطلاب من الفرق والمستويات التعليمية المختلفة وذلك بالنسبة لجميع أفراد العينة ولكل جنس على حده.

الفرقة	العينة كلها	ذكور	اناث
المرحلة الثانوية	٢١	٧	١٤
الفرقة الأولى بالجامعة	٨٣	٥٧	٢٦
الفرقة الثانية	١٥٩	١٣٢	٢٧
الفرقة الثالثة	٢٨	١٦	١٢
الفرقة الرابعة	٣٠	٢٠	١٠
دراسات عليا	٢٦	١٨	٨
المجموع	٣٤٧	٢٥٠	٩٧

لمعرفة المستويات التحصيلية المختلفة لأفراد العينة فقد تم الحصول على التقديرات الأكاديمية التي حصلوا عليها في آخر امتحان أدوه. بالنسبة لطلاب الثانوية العامة فقد احتسبت التقديرات على أساس النسب المئوية الآتية:

مقبول ٥٠٪ - ٦٤٪

جيد ٦٥٪ - ٧٩٪

جيدجداً ٨٠٪ - ٨٩٪

ممتاز ٩٠٪ - ١٠٠٪

ولقد تمت مراجعة هذه التقديرات على التقديرات الرسمية لبعض هؤلاء الطلاب والجدول الآتي يوضح هذه المستويات في شكل اعداد الطلاب الذين يقعون في كل فئة:

المستوى الاكاديمي	العينة كلها ك	%	ذكور ك	%	إناث ك	%
راسب	٣	,٨٦	٢	,٨	١	١,٠٣
منقول بمواد	١٥٠	٤٣,٢٣	١١١	٤٤,٤	٣٩	٤٠,٢١
مقبول	١٠٢	٢٩,٣٩	٧٣	٢٩,٢	٢٩	٢٩,٩٠
جيد	٨٠	١٣,٠٦	٥٧	٢٢,٨	٢٣	٢٣,٧١
جيد جداً	١٢	٣,٤٦	٧	٢,٨	٥	٥,١٥
ممتاز	—	—	—	—	—	—
المجموع	٣٤٧	١٠٠	٢٥٠	١٠٠	٩٧	١٠٠

يتضح من هذا الجدول أن غالبية أفراد هذه العينة من المنقولين بمادة أو مادتين ومن أرباب تقدير مقبول وجيد أما تقدير جيدجداً فلم يحصل عليه إلا نسبة ضئيلة من أفراد العينة أما تقدير ممتاز فلم يحصل عليه أحد.

وتكشف لنا النسب المئوية المبينة أعلاه تساوي الجنسين تقريباً في التقديرات الأكاديمية وإن كان هناك ميل ضئيل جداً لدى الإناث نحو التفوق الأكاديمي النسبي عن الذكور.

وإذا إعتبرنا التقديرات الثلاثة الأولى ضعيفة والتقديرين الرابع والخامس مرتفعين فإننا نحصل على صورة أكثر للفروق وضوحاً للفروق الجنسية.

التقدير	ذكر	أنثى	الفرق ٪
منخفض	٧٤,٤٠	٧,١٤	٣,٢٦
مرتفع	٢٥,٦٠	٢٨,٨٦	٣,٢٦

يلاحظ وجود فرق ٣,٢٦٪ يشير إلى تفوق الإناث في التقدير الأكاديمي عن الذكور.

تصحيح المقياس وتفسير درجات الأفراد عليه:

عرفنا أن الدرجات التي يحصل عليها الأفراد على هذا المقياس المصمم على طريقة ثرستون معرفة ومحددة المعنى، فالدرجة (١) تعني الإيمان الكامل المطلق بالاتجاه والدرجة (٢) تعني الحياد أو الوقوف لا مع الاتجاه موضوع البحث ولا ضده،أما الدرجة (١)١ فتعني الاتجاه المعادي أو المضاد وبالنسبة لطريقة تصحيح هذا المقياس فإنها سهلة للغاية،وهناك آلات صغيرة كالخريطة أو المسطرة التي يدون عليها قيم العبارات المستخدمة ونحدد العبارات التي وافق عليها المفحوص على هذه المسطرة بطريقة كهربائية ثم يحدد وسيطها بمجرد وضعها في ترتيب تنازلي أو تصاعدي، ويمكن للقارىء تصحيح الإختبار الحالي عن طريق وضع أرقام العبارات وقيمها المقابلة وضعها في ترتيب تصاعدي وتحديد تلك العبارات التي وافق عليها المفحوص ثم حساب وسيطها وهو القيمة المعبرة عن درجة المفحوص ولقد تم فعلاً حساب درجات الأفراد عن طريق ترتيب العبارات حسب قيم وزنها كالآتي:

رقم العبارة	وزنها	رقم العبارة	وزنها
١	, ١٧	١٢	٥,٨١
٢	, ٧٠	١٣	٥,٨٧
٣	, ٨٧	١٤	٦,٠٩
٤	٠, ٩٠	١٥	٦,١٤
٥	, ٩٩	١٦	٦,٣٥
٦	١,٢٥	١٧	٦,٦٥
٧	١,٦١	١٨	٧,٤٤
٨	١,٨٨	١٩	٨,٨٥
٩	١,٩٤	٢٠	٩,٠٦
١٠	٢,٢٠	٢١	٩,٦٤
١١	٤,١٩	٢٢	١٠,٢١
		٢٣	١٠,٢٣

يضع المصحح علامة أمام كل عبارة يوافق عليها المفحوص ثم يحسب وسيط هذه العبارات التي وافق عليها ويعبر الوسيط عن درجة المفحوص..

ثبات المقياس:

لقد تم إيجاد معامل ثبات المقياس المستخدم وذلك بإتباع طريقتين:

القسمة إلى نصفين The split - half method.

وإعادة تطبيق الاختبار، وذلك بفاصل زمني قدره (٣) أسابيع، وبعد الحصول على معاملات إرتباط الثبات الخاصة بنصف الإختبار طبقت معادلة سبيرمان – براون للتصحيح Spearman - Brown prophecy Formula وذلك لإيجاد معامل إرتباط الثبات بالنسبة للاختبار كله ولقد تم إيجاد معامل إرتباط الثبات للاختبار كله طبقاً للمعادلة الآتية:

$$\text{ر}_{\text{١٠١}} = \frac{\text{٢ ر } \frac{١}{٢}،\frac{١}{٢}}{\text{١ + } \frac{١}{٢}،\frac{١}{٢}}$$

حيث أن (ر ١٠١) عبارة عن معامل إرتباط ثبات الإختبار كله، (ر) ½، ½ تشير إلى معامل إرتباط نصف الإختبار، وللتأكد من دلالة معامل الإرتباط ٥٧٨ , حسبت قيمة مقياس (ت) وذلك طبقاً للمعادلة الآتية:

$$\text{ت} = \frac{\sqrt{\text{ن} - ٢}}{\sqrt{١ - \text{س}^{٢}}}$$

ووجدت قيمة ت ٤,١١ ولها دلالة إحصائية عالية.

أما معاملات الارتباط نفسها فقد حصل عليها عن طريق تصميم جداول انتشار وحساب معاملات الارتباط[1] بتطبيق القانون الآتي:

---

(١) Thorndike, R.L. and Hagen, E.P. Measurement and Evaluation in psychology and Education, John Wiley and Sons, N.Y. 1969.

$$ر = \frac{\text{مجـ ح}_1\text{ ح}_2 - \frac{\text{(مجـ ك ح}_1\text{)}}{\text{ن}} \cdot \frac{\text{(مج ك ح}_2\text{)}}{\text{ن}}}{\sqrt{\left(\frac{\text{مجـ ك (ح}_1\text{)}^2}{\text{ن}} - \left(\frac{\text{مجـ ك ح}_1}{\text{ن}}\right)^2\right) \times \left(\frac{\text{مجـ ك (ح}_2\text{)}^2}{\text{ن}} - \left(\frac{\text{مجـ ك ح}_2}{\text{ن}}\right)^2\right)}}$$

وأسفرت هذه العملية عن معاملات ارتباط الثبات الآتية:

الطريقة	معامل الارتباط قبل التصحيح	بعد التصحيح
القسمة الى نصفين	, ٥٧٨	٠,٧٤ * *
اعادة الاختبار	٠,٥٥٦ * *	

صدق المقياس:

لقد تم التحقق من صدق المقياس باتباع طريقتين، الأولى مقارنة التقديرات الذاتية لأفراد العينة بدرجاتهم على المقياس، والثانية مقارنة درجاتهم على المقياس بتقديرات أصدقائهم لهم.

وفيما يختص بالطريقة الأولى أي التقدير الذاتي فقد ورد في آخر المقياس مقياساً ذاتياً مكوناً من (١٢) نقطة طلب من المفحوص أن يقدر اتجاهه نحو الأخلاق بصورة موضوعية دقيقة وصادقة عليه، وذلك تبعاً للتعليمات الآتية:

والآن هل تستطيع أن تقدر تقديراً موضوعياً دقيقاً مقدار إيمانك بالقيم الخلقية على هذا المقياس المكون من ١٢ درجة بأن تضع دائرة على الدرجة التي تريد أن تعطيها لنفسك.

الايمان الكامل

عدم الايمان: صفر، ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١ ويلاحظ أن ترتيب الدرجات يختلف عن ترتيب درجات المقياس حيث تدل الدرجة الكبيرة على المقياس على ضعف الاتجاه الخلقي، أما الدرجة على هذا المقياس الذاتي فكلما

زادت زاد الاتجاه نحو الاخلاق الايجابية، والسبب في وضع الدرجات بهذا الترتيب هو أن الخبرة العملية بتطبيق مثل هذه المقاييس توضح لنا أن وضع الدرجات بحيث تعني أنه كلما زادت الدرجة قل الايمان الخلقي يمثل صعوبة أمام مفحوص في فهم معنى الدرجة بسهولة. ولذلك اتبعت هذه الطريقة، وبطبيعة الحال فان معامل ارتباط الصدق المفروض أن نحصل عليه سيكون سالباً. ولفهم معنى سلسلتي الدرجات في كلا المقياسين نعرضها بنفس الترتيب الذي استخدم به.

عدم الايمان المطلق	١١	١٠	٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١	٠	المقياس لايمان المطلق
	٠	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	التقدير الذاتي

وحسب معامل الارتباط من جدول انتشار ووجد مساوياً – ٠,١٤ حسبت قيمة «ت» لمعرفة دلالته الإحصائية طبقاً للقانون السابق ذكره ووجدت تساوي ٩,١٨ ولهذه القيمة دلالة احصائية تتجاوز حدود ثقة ٩٩٪.

والمعروف أن التقديرات الذاتية في الأمور المرغوبة اجتماعياً وخلقياً لا تكون صادقة تمام الصدق نظراً لتأثر استجابات الفرد بنزعات رياء الذات Self-flattering والتأثر بعامل الرغبة الاجتماعية Social desirability variable.

ومؤداها ميل الفرد إلى اظهار نفسه بمظهر براق اجتماعياً وخلقياً ومن ثم فانه يبالغ في تقدير نفسه على السمات المرغوبة اجتماعياً ومن ذلك الاتجاهات الخلقية، ويقلل من تقدير نفسه على السمات التي تظهره بمظهر غير مقبول اجتماعياً وخلقياً Socially or morally unacceptable وإذا أخذنا هذه العوامل في الاعتبار فاننا نشعر بالرضا عن معامل الارتباط بين هذا المقياس والتقدير الذاتي للايمان بالأخلاق والبالغ قدره ٠,٤١ ويعطي هذا دلالة لا بأس بها على صدق المقياس الحالي Validity of the Scale.

ولزيادة التأكد تم الحصول على أدلة إضافية على صدق المقياس باتباع أسلوب

آخر حيث طلب من أفراد كل صف دراسي أن يقيموا أصدقاءهم بالنسبة لإيمانهم بالقيم الخلقية تقييماً موضوعياً دقيقاً على مقياس مكون من ١٢ درجة، وفي الحالات التي حصلنا فيها على أكثر من تقدير من أكثر من صديق أو زميل عن فرد معين ثم ايجاد المتوسط الحسابي لتقديرات الاصدقاء والزملاء ثم قورنت هذه التقديرات أو متوسطاتها بالتقديرات التي حصلنا عليها من المقياس نفسه. وتمت هذه المقارنة باتباع منهج معامل ارتباط بيرسون.

Peareon product - moment correlation coefficient

من جدول انتشار، ووجد معامل الارتباط مساوياً ٠,٥٦ وتم حساب قيمة مقياس «ت» ووجدت مساوية ١٢,٥٣ ولهذه القيمة دلالة إحصائية تتجاوز حدود ثقة ٩٩٪.

ولقد رؤى حساب معامل ارتباط الصدق عند أفراد كل جنس على حدة بعد أن تم الحصول عليه بالنسبة للعينة ككل.

ولقد وجدت معاملات الارتباط الآتية بين المقياس والتقديرات الذاتية:

	معامل الارتباط	الخطأ المعياري	ت
العينة ككل	** ,٤١	,٠٤٥	٩,١٧
الذكور	** ,٤٠	,٠٥	٧,٥٠
الاناث	** ,٣٢	,٠٤٨	٣,٤٧
العينة كلها المقياس وتقدير الاصدقاء	** ٠,٥٦	,٠٣٧	١٥,٠٧

وتم حساب الخطأ المعياري لمعاملات الارتباط هذه بالتطبيق للقانون الآتي:

$$خ_ر = \frac{١ - ر^٢}{\sqrt{ن - ١}} \quad (١)$$

كذلك حسب قيمة «ت» لكل من هذه المعاملات وذلك طبقاً للقانون الآتي:

$$ت = \frac{ر \sqrt{ن - ١}}{\sqrt{١ - ر^{٢}}}$$

وبالرجوع إلى جدول توزيع ت يلاحظ أن جميع هذه المعاملات ذات دلالة احصائية عالية لا تتجاوز حدود ثقة ٩٩ ٪ مما يؤكد صدق المقياس الحالي في قياس الاتجاه نحو القيم الخلقية.

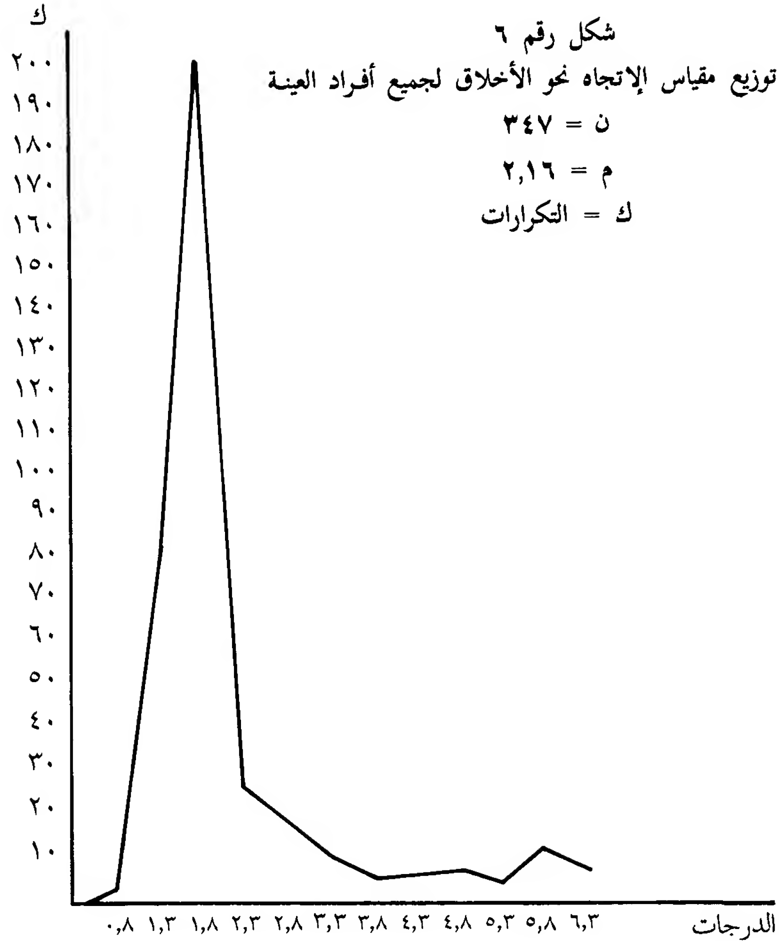
عرض النتائج وتحليلها

أسفر تحليل نتائج تطبيق مقياس الاتجاه نحو القيم الخلقية على عينة البحث عن النتائج التالية:

	المتوسط	ن	الانحراف المعياري	خ م *	خ ع
العينة كلها	٢,١٤	٣٤٧	١,١٩	, ٠٦	, ٠٥
الذكور	٢,٢٤	٢٥٠	١,٢٨	, ٠٨	, ٠٦
الاناث	١,٧٨	٩٧	٠,٨٧	, ٠٩	, ٠٦
الفرق	٠,٣٧		, ٤١		

يتضح من الجدول أعلاه أن هذه العينة تتصف بالاتجاه الايجابي نحو القيم الخلقية بصورة قوية حيث يبلغ متوسطها الحسابي ٢,١٤ والمعروف أن الدرجة من (صفر – ٥) تعبر عن الاتجاه الايجابي والدرجة من (٥ – ٦) تعبر عن المحايدة والدرجة التي تزيد عن (٦) تعبر عن الاتجاه نحو معارضة القيم الخلقية أو رفضها وتقع درجات أفراد هذه المجموعة في الجانب الايجابي من القياس مما يؤكد اتصافهم

(*) (خ م) = الخطأ المعياري للمتوسط (خ ع) = الخطأ المعياري للانحراف المعياري.



شكل رقم ٦

يوضح توزيع مقياس الإتجاه نحو الأخلاق لجميع أفراد العينة

ن = ٣٤٧

م = ٢,١٦

ك = التكرارات

بالقيم الخلقية وقد يرجع السبب في ذلك إلى طبيعة مرحلة العمر التي يمرون بها وهي سن متقدمة نسبياً فقد تخطوا مرحلة النقد والثورة على قيم المجتمع التي تسود في مرحلة المراهقة. والمعروف أن الفرد يعود إلى حظيرة الدين أو الايمان بالقيم الخلقية السائدة بعد مرحلة الشك والتردد وإعادة النظر في قيمه التي مر بها في مرحلة المراهقة، وبالنسبة للفرق بين الجنسين فتدلنا المتوسطات الحالية على زيادة الايمان الخلقي لدى الإناث عن الذكور بفارق قدره ٠,٣٧ وفي هذا يتفق هذا البحث مع كثير من البحوث التي تؤكد إيمان المرأة بالقيم الخلقية وامتثالها لمعايير المجتمع وأتصافها أيضاً بالقيم الروحية. ولمعرفة الدلالة الاحصائية للفرق الملاحظ بين الجنسين ثم حساب الانحراف المعياري لكل من الجنسين وكذلك لدلالة الفرق بين المتوسطين، ثم ايجاد قيمة النسبة الحرجة (ن – ح) وحسبت قيم الانحرافات المعيارية طبقاً للقانون:

$$ع = ف \sqrt{\frac{\text{مجـ ك ح}}{ن} - \left(\frac{\text{مجـ ك ح}}{ن}\right)^{٢}}$$

ع = الانحراف المعياري، ف سعة الفئة، ك = التكرارات، ح = الانحراف عن المتوسط الفرضي.

ويلاحظ أن قيمة الانحراف المعياري عند الذكور تزيد عنها عند الاناث، ويشير هذا إلى الفروق الفردية بين الاناث أقل اتساعاً، ومعنى ذلك أن الاناث أكثر تجانساً عن الذكور. ويتفق البحث الحالي مع كثير من البحوث التي تؤكد تجانس الاناث في كثير من السمات والقدرات[١].

ولقد تم إيجاد قيمة النسبة الحرجة لمعرفة دلالة الفرق بين متوسطي الذكور والإناث في مقياس الإتجاه نحو الأخلاق وذلك طبقاً للقانون الآتي:

---

(١) Breckenridge, M.E. and Vincent, E.L. Child Development, W.B. Saunders Co. London, 1949.

$$ن.ح = \frac{م_١ - م_٢}{\sqrt{\frac{ع_١^٢}{ن_١} + \frac{ع_٢^٢}{ن_٢}}}$$

ووجدت مساوية = ٣,٠٨٨ ولهذه القيمة دلالة إحصائية عالية تفوق مستوى ثقة ٩٩٪ ومعنى هذا أن الجنسين يختلفان إختلافاً جوهرياً في مقدار إيمانهما بالقيم الخلقية، كذلك تم حساب الخطأ المعياري للانحراف المعياري للعينة ككل ولكل جنس على حدة وذلك طبقاً للقانون الآتي:

الخطأ المعياري للانحراف المعياري $خ_ع = \frac{ع}{\sqrt{٢ \times ن}}$ [١]

حيث (ع) = الانحراف المعياري، (ن) = عدد الحالات

كذلك قيست دلالة الفرق الملاحظ بين الانحرافين المعياريين عند الذكور والإناث وذلك طبقاً للقانون الآتي[٢]:

$$خ_{ع_١ ع_٢} = \sqrt{ع_١^٢ + ع_٢^٢}$$

ع١ ع٢

ومن قيمة الخطأ المعياري للفرق بين الإنحرافين المعيارين أمكن إيجاد النسبة الحرجة للفرق بين الإنحرافات المعيارية ووجدت مساوية = ٢٨,٢٨ ولهذه القيمة دلالة إحصائية تتجاوز حدود ثقة ٩٩٪ وتؤيد هذه النتيجة تجانس الإناث عن الذكور.

التقديرات الذاتية:

كان العرض السابق قائماً على أساس المعطيات المستمدة من تطبيق مقياس (ت

(١) الدكتور السيد محمد خيري، الإحصاء في البحوث النفسية والاجتماعية والتربوية دار الفكر العربي القاهرة ١٩٥٧.

(٢) الدكتور فؤاد البهى السيد، الإحصاء وقياس العقل البشري، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٥٨.

– خ) ولكن يجدر عرض نتائج المقياس الذاتي للاتجاه نحو القيم الخلقية:

	ن	المتوسط	ع	خ م	خ ع
العينة كلها	٣٤٧	٨,٥٦	١,٨٧	,١٠	,٠٧
الذكور	٢٥٠	٨,٣٦	٢,٣٠	,١٥	,١٠
الإناث	٩٧	٩,١٦	١,٨٧	,١٤	,١٠
الفرق		,٨ * *	,٩٧ * *		

ع = الانحراف المعياري، (خ م) = الخطأ المعياري للمتوسط، (خع) = الخطأ المعياري للانحراف المعياري.

شكل رقم ٧

يوضح درجات افراد العينة في الإتجاه نحو الأخلاق

التقديرات الذاتية

ن = ٣٤٧

م = ٨,٥٦



نلاحظ أن دلالة الدرجات في هذا المقياس تختلف عن دلالتها في مقياس الاتجاه نحو الأخلاق، ففي هذا المقياس الذاتي كلما زادت الدرجة كلما زادت إيجابية إتجاه الفرد نحو القيم الخلقية. ويتضح من الجدول أعلاه أن متوسط العينة كلها ٨,٥٦ وهذه قيمة تعبر عن إيجابية إتجاه أفراد العينة نحو القيم الخلقية، حيث أن للاختبار نفس المعنى حيث تعنى الدرجة (١١) منتهى التأييد للقيم الخلقية والدرجة (١) منتهى الرفض والدرجة (٦) الحياد.

وبالنسبة للفروق الجنسية، ففي هذا الاختبار أيضاً يبدو الإناث أكثر إيماناً بالقيم الخلقية عن الذكور، وتتفق هذه النتيجة مع نتيجة تطبيق المقياس السابق شرحها. ولكن للتأكد من مدى دلالة الفرق الملاحظ وهو (٠,٨) يجب حساب النسبة الحرجة للفرق بين المتوسطين وذلك طبقاً للقانون السابق ذكره ووجدت قيمة (ن − ح) = ٢٠,٥١ ولهذه القيمة دلالة إحصائية عند مستوى ثقة يفوق ٩٩٪. ويؤيد هذا إتصاف الإناث أكثر من الذكور بالإيمان بالقيم الخلقية.

أما بالنسبة لمقياس التشتت ففي هذا المقياس أيضاً يبدو الإناث أكثر تجانساً بينما تبدو الفروق الفردية بين الذكور أكثر إتساعاً. ولقد تم حساب النسبة الحرجة للفرق بين الإنحرافين المعياريين طبقاً للقانون سالف الذكر ووجدت مساوية = ٤٨,٥٠ ولهذه القيمة دلالة إحصائية عالية تفوق مستوى ثقة ٩٩٪.

وبإضافة الخطأ المعياري للمتوسطات، بالسلب والإيجاب، نستطيع أن نضع الحدود الحقيقية لهذه المتوسطات على النحو الآتي وذلك عند مستوى ثقة ٩٥٪[1].

	المتوسط − خ م المتوسط + خ م
العينة ككل	٨,٣٦٤ − ٨,٧٥٦
الذكور	٨,٠٦٦ − ٨,٦٥٤
الإناث	٨,٨٩ − ٩,٤٣٠

(١) ضربت قيم الخطأ المعياري في ١,٩٦ للحصول على القيمة المضافة إلى المتوسطات للحصول على الحدود الحقيقية التي تتراوح بينها المتوسطات عند مستوى ثقة ٩٥ ٪.

تحليل التباين Analysis of variance

نظراً لتعقيد العوامل وتشابكها في هذه الدراسة فقد رؤي تطبيق منهج أكثر حساسية وشمولاً لدلالة الفروق وهو تحليل التباين Analysis of variance لمعرفة أثر كل عامل من عوامل التجربة كالجنس والسن والخبرة التعليمية ومستوى القدرة التحصيلية وذلك في ضوء العوامل الأخرى، وكذلك معرفة أثر التداخل أو التفاعل بين هذه العناصر.

ولتحقيق ذلك فقد تم تصميم جدول مكون ٢×٢×٢×٢×٢ (أو ٢ °) لتحليل أثر العوامل الآتية وذلك طبقاً للمنهج الذي يقترحه إدوارد ويعرف باسم Factorial experiment[١]:

١ – الجنس
٢ – السن
٣ – الخبرة التعليمية
٤ – العقيدة الدينية
٥ – مستوى القدرة الأكاديمية أو التحصيلية

وكان لكل عنصر من هذه العناصر مستويان two levels فالجنس إما ذكراً أو أنثى، والسن إما كبيراً أو صغيراً. وذلك تبعاً للتعاريف الإجرائية الآتية:

كبير السن = من ٢٣ – ٣٩ سنة
صغير السن = من ١٥ – ٢٣ سنة
تقدير أكاديمي مرتفع = جيد + جيد جداً + ممتاز
تقدير أكاديمي منخفض = راسب + منقول بمواد + مقبول
خبرة تعليمية قليلة = الفرقة الأولى بالجامعة + الثانوية العامة
خبرة تعليمية طويلة = طلاب الفرق الأعلى أي الثانية والثالثة والرابعة والدراسات العليا بالجامعة.

---

(١) Edwards, A. L., Experimental Design in psychological Research, Holt, Rinehart and Winston, N. Y. 1968.

المذهب الديني = العقيدة الاسلامية أو المسيحية

ونظراً لوجود غالبية أفراد العينة من المسلمين فقد رؤى دمج هذا المتغير في المتغيرات الأخرى والاكتفاء بإيجاد متوسط الطلاب المسيحيين ومقارنته بمتوسط العينة ككل على النحو الآتي:

	الكل	ذكر	انثى
مسلم	٢,١٣	٢,٢٥٠	١,٨٣٠
مسيحي	٢,٣١	٢,٩٩	٣,٠٠٧
الفرق	٠,١٨	, ١٥١	١,١٨٧

يلاحظ أن درجات المسيحيين أعلى قليلاً بالنسبة للعينة ككل، ولكن درجات الذكور المسلمين أكثر من درجات المسيحيين والعكس صحيح بالنسبة لمجموعتي الاناث.

ويلاحظ في عمليات تحليل التباين أن درجات الحرية بالنسبة للتباين داخل المجموعات within groups = عدد الحالات − عدد المجموعات.

$$\text{والتباين الكلي} = \text{مجـ ق}^{٢} - \frac{(\text{مجـ ق})^{٢}}{\text{ن}}$$

حيث يدل الرمز مجـ ق ٢ على مجموع مربعات درجات القيم، الرمز مجـ ق على مجموع القيم و ن = عدد الحالات.

التباين بين المجموعات Between group أي ذلك الذي يرجع إلى المعالجات التجريبية Treatments أو العناصر المراد قياس تأثيرها فيساوي =

$$\frac{(\text{مجـ ق}_{١})^{٢}}{\text{ن}_{١}} + \frac{(\text{مجـ ق}_{٢})^{٢}}{\text{ن}_{٢}} \ldots \frac{(\text{مجـ ق}_{٣})^{٢}}{\text{ن}_{٣}} \ldots \text{ألخ}$$ [١]

(١) Edwards, A.L., op. cit.

حيث يدل (مجـ ق١) على مجموع القيم في الخانة الأولى، والرمز (مجـ ق٢) على مجموع قيم الخانة الثانية وهكذا حتى يتم جمع قيم جميع المجموعات التجريبية.

أما التباين داخل المجموعات within groups وهو المعبر عن الفروق الفردية داخل كل خانة فيمكن إيجاده عن طريق طرح قيمة التباين بين المجموعات من قيمة التباين الكلي وهكذا..

التباين داخل المجموعات = التباين الكلي − التباين بين المجموعات ويمكن حسابه طبقاً للقانون الآتي:

حيث يتم إيجاده بالنسبة لكل خانة ثم يجمع تباين جميع الخانات لتحصل على التباين داخل المجموعات جميعاً.

وبالنسبة لأي خانة فإن التباين داخلها يساوي.

$$\text{مجـ ق}_{١}^{٢} - \frac{(\text{مجـ ق}_{١})^{١}}{\text{ن}}$$ وهكذا بالنسبة لجميع الخانات

وتستخدم هذه الطريقة كنوع من المراجعة على العمليات الحسابية الخاصة باستخراج مقادير التباين على طريق الطرح.

لما كان عدد الحالات في الخانات الست عشرة التي يشملها التحليل الحالي غير متساوية لذلك سوف تحسب مقادير التباين بطريقتين، الأولى على إفتراض تساوي عدد الحالات في المجموعات الفرعية والثانية بعد إدخال تصحيح للتعويض عن عدم تساوي الأعداد.

الطريقة العادية في حساب التباين في التجارب العاملية Factorial experiment قائمة على أساس وجود عدد متساوٍ من الحالات في كل خانة Cell من الخانات. في حالة تطبيق التجربة على أعداد كبيرة جداً يمكن أخذ أعداد متساوية منها، وذلك بطريقة عشوائية at random كأن نأخذ طالباً واحداً من كل (٤) طلاب وهناك ظروف متعددة تؤدي إلى تعذر توفر أعداد متساوية من الحالات حتى إذا بدأ الباحث تجربته بأعداد متساوية، ففي أثناء التجربة قد يموت أو يهاجر أو يرحل بعض أفرادها. في حالة احواء الخانات على أعداد كبيرة يمكن حذف بعض الأفراد

من الخانات الكبيرة وذلك بطريقة عشوائية باستخدام أحد جداول الأعداد العشوائية، وذلك حتى يتساوى عدد الحالات في المجموعات المختلفة، ومعنى ذلك تساوي عدد الأفراد في جميع الخانات مع الأعداد الموجودة في أصغر الخانات[١] عدداً. ولكن هذا الإجراء يؤدي إلى فقدان أعداد كبيرة من أفراد العينة ويؤدي ذلك إلى تقليل درجات الحرية الخاصة بالخطأ التجريبي Experimental error.

لذلك لا بد من إيجاد طريقة تستعمل فيها جميع الأفراد الذين شملتهم التجربة هذه الطريقة تعتمد على استخدام المتوسطات الحسابية Means كما لو كان كل متوسط قيمة واحدة. لا يختلف أسلوب إيجاد التباين داخل المجموعات within groups في حالة تساوي عدد الحالات عنه في حالة عدم تساويها، ولذلك نحسبه بالطريقة العادية وبقسمة هذا التباين على درجات الحرية Degrees of freedom المقابلة له نحصل على متوسط التباين داخل المجموعات within mean variance إن التباين داخل المجموعات لا يتأثر بتساوي عدد الحالات. على شرط ألا يقل عدد الأفراد في أي خانة من الخانات عن أثنين. ويلزم قياس التباين في حالة عدم تساوي عدد المجموعات إيجاد قيمة للتصحيح نحصل عليها عن طريق المعادلة الآتية:

$$\text{التصحيح «ص»} = \frac{1}{\text{م}}\left(\frac{1}{\text{ن}_1}+\frac{1}{\text{ن}_2}+\frac{1}{\text{ن}_3}+\frac{1}{\text{ن}_4}\cdots\right)$$

حيث يدل الرمز (م) على عدد المجموعات والرموز (ن١، ن٢). على عدد الحالات في داخل كل مجموعة على التوالي.

وبعد الحصول على قيمة ص، نضرب الناتج في متوسط التباين داخل المجموعات لنحصل على (ص م) وتستخدم هذه القضية الأخيرة كمقياس للخطأ التجريبي أو المحك لدلالة باقي أنواع التباين الأخرى.

وبعد الحصول على هذه القيمة (ص م) تحسب قيمة التباين من المتوسطات بالطريقة المعتادة، ما عدا أننا نقسم متوسطات التباين على قيمة متوسط التصحيح

---

(١) Edwards, A.L., Experimental Design in psychological Holt Ronehart and Winston. N.Y. 1968.

(ص م) للحصول على النسبة الفائية F - ratio ومعنى ذلك أننا نحتاج إلى حساب تحليل التباين مرتين: بالطريقة العادية للحصول على التباين داخل المجموعات، ثم استخدام المتوسطات واستخراج قيمة متوسط التصحيح الناتج عن عدم تساوي عدد أفراد المجموعات.

حساب تباين التداخل :Interactions

أحيانا لا يقتصر التباين على المتغيرات الأساسية في التجربة Maineffects كالجنس والسن والخبرة التعليمية.. الخ وإنما يرجع إلى التداخل أو التفاعل بينها، بمعنى أن يختلف أثر الجنس وحده عما يكون مختلطاً مع عامل السن مثلا أو الذكاء. ولحساب التداخل بين كل عنصرين يمكن تصميم جدول (٢ × ٢) على النحو الآتي حيث يمثل الرمز (ا) الجنس وله مستويان، ويمثل الرمز (ب) السن وله أيضاً مستويان.

الجنس السن	ا$_{١}$	ا$_{٢}$
ب$_{١}$	ا	ب
ب$_{٢}$	حـ	د

ونحصل على قيمة تباين التداخل عن طريق المعادلة الآتية:

[(ا + د) − (ب + حـ)]^{٢}.
عدد الحالات أي عدد المتوسطات:

حيث تساوي ا = ا$_{١}$ + ب$_{١}$، أي مجموع درجات خانتيهما

ب = ا$_{١}$ + ب$_{٢}$، حـ = ا$_{٢}$ + ب$_{١}$، د = ا$_{٢}$ + ب$_{٢}$

ولكل مقدار من مقادير تباين التداخل هذه درجة حرية واحدة وبذلك فهو يساوي متوسط التباين، ويمكن الحصول على تداخل ا × ب × حـ بالطرح من التباين بين المجموعات، ودرجات الحرية المخصصة له تساوي ١ × ١ × ١ = ١.

ثم حساب التباين المبدئي من التصميم التجريبي ٢[٨].

والجدول الآتي يلخص نتيجته. ويوضح مقدار التباين المبدئي لعوامل السن والجنس والخبرة التعليمية والمستوى الأكاديمي ودرجات الحرية والمتوسطات والنسبة الفائية:

مصدر التباين	مقدار التباين	د. ح	متوسط التباين	ف	
التباين الكلي	٦٨٣,٤٦	٣٤٦			
التباين بين المجموعات	٩٥,٠٠	١٥	٦,٣٣		
التباين داخل المجموعات	٤٨٨,٤٦	٣٣١	١,٤٨	٤,٢٨	**

* لنسبة (ف) هذه دلالة احصائية تفوق مستوى ثقة ٩٩٪.

التباين بين المجموعات يشير إلى تباين عامل السن والجنس والخبرة التعليمية ومستوى القدرة الأكاديمية، ويتضح من هذا الجدول أن قيمة (ف) مع درجتي حرية ٣٣١,١٥ لها دلالة إحصائية عالية تتجاوز حدود ثقة ٩٩٪ ولكن هذا التباين مبدئي ولا بد من حسابه مرة أخرى بالأسلوب الملائم لعدم تساوي عدد الأفراد في المجموعات الفرعية.

$$\text{التصحيح} = \frac{١}{٦١} + \left(\frac{١}{٤} + \frac{١}{٨١} + \frac{١}{٩٢} + \frac{١}{٥٧} + \frac{١}{٤١} + \frac{١}{٧٢} + \frac{١}{٨١} + \frac{١}{٦٦} + \frac{١}{٤} + \frac{١}{٧} + \frac{١}{٩} + \frac{١}{٧٢} + \frac{١}{١١} + \frac{١}{٩١} + \frac{١}{٤} + \frac{١}{١٥}\right)$$

$$٠٦ \,,\, (١,٥٣) = ٠٩٢ \,,$$

$$\text{متوسط الصحيح} = ٠٩٢ \,,\, \times ١,٤٨ = ١٤ \,,$$

مصدر التباين	مقدار التباين	د ح	متوسط التباين	ف
الكلي	١,٥٠			
أ – بين الجنسين	, ٤٤٣	١	, ١٤٣	٣,١٧
ب – بين السن	, ٠٢	١	, ٠٢	, ١٤
جـ – الفرق الدراسية	, ٠٤	١	, ٠٤	, ٢٩
د – التقدير الأكاديمي	صفر	١	–	–
الخطأ التجريبي	٠,١٤	٣٣١		
أ × ب	, ٠٠٥	١	, ٠٠٥	, ٠٣٦
أ × جـ	, ٠٥٦	١	, ٠٥٦	, ٤٠
أ × د	, ٠٥٠	١	, ٠٥٠	, ٣٦
ب × جـ	٠,٢٤	١	, ٢٤	١,٧٢
ب × د	٠,٣٤	١	, ٣٤	٢,٤٣
جـ × د	٠,١١	١	, ١١	, ٧٥
أ × ب × جـ × د	, ١٩٦	١		١,٤٠

جدول (١٤): يوضح مقدار التباين النهائي ودرجات الحرية بالنسبة الفائية للعوامل الرئيسية والتداخل بينها. مع درجتي حرية ٣٣١,١ نجد أن جميع قيم (ف) لا تصل إلى حد الدلالة الاحصائية وإن كان تباين عامل الفرق بين الجنسين يقترب من مستوى الدلالة الإحصائية. كذلك التداخل بين عامل السن والفرق الدراسية أو الخبرة التعليمية يقترب أيضاً من مستوى الدلالة ولكن ربما يرجع عدم وصول الفروق إلى مستوى الدلالة الإحصائية المطلوب إلى الطريقة المتبعة في

تصنيف أفراد العينة حسب العوامل المختلفة وعمومية هذا التصنيف ودمج أفراد العينة أزيد من اللازم فالمستويان اللذان يقسم إليهما الأفراد في السن مثلا وهما من ١٥ – ٢٢ سنة و ٢٣ – ٢٩ سنة – مداهما كبير بحيث يحتمل أن تختفي الفروق نتيجة لهذا النوع من التصنيف العام أو الدمج.

ولذلك فإننا نعرض هنا المتوسطات الحسابية للمجموعات الست عشرة والفروق الظاهرة بين كل زوج منها وفيما بعد سوف نجري تحليلا أدق إلى العوامل التجريبية المختلفة.

	كبير السن				صغير السن			
	فرقة أولى		فرق أعلى		فرقة أولى		فرق أعلى	
	م *	ض	م	ض	م	ض	م	ض
ذكر	٢,٦٩	٢,٠٨	٢,١٣	٢,١٧	٢,٢١	٢,٣٦	٢,٢٨	٢,٣٥
انثى	٢,٣١	١,٧٢	١,٦١	١,٧١	١,٦١	٢,١٠	١,٧٦	٢,٣٠
الفرق	,٣٨	,٣٦	,٥٢	,٤٦	,٦	,٢٦	,٥٢	,٠٥

* م = تقدير أكاديمي مرتفع! ض = تقدير أكاديمي منخفض.

جدول (١٥): يوضح المتوسطات الحسابية لجميع المجموعات الفرعية والفروق بين الجنسين.

تكشف لنا الفروق الجنسية عن زيادة ميل الاناث بصورة ثابتة ومستمرة في جميع المجموعات الفرعية نحو الايمان بالقيم الخلقية بالمقارنة بالذكور ولا تشذ أية جماعة عن هذه النزعة. وأكثر هذه الفروق بروزاً تبدو عند جماعة صغار السن من مرتفعي التقدير الأكاديمي «م» من أرباب الفرقة الأولى، أما أقل هذه الفروق ظهوراً فيوجد عند صغار السن من طلاب الفرقة الأولى من منخفضي التقدير الأكاديمي أي أن أكبر فرق وأصغر فرق يوجد عند طلاب الفرقة الأولى من صغار السن.

بالنسبة للفرق الذي يرجع إلى عامل السن فيلاحظ أن كبار السن أكثر ايماناً

بالقيم الخلقية عن صغار السن، وتسود هذه النزعة عند ٦ جماعات فرعية أما زيادة الميل عند صغار السن، فلا توجد إلا عند جماعتين فقط هما من بين الذكور والاناث من طلاب الفرقة الأولى. فالنزعة العامة الملاحظة هي ميل كبار السن إلى الايمان بالقيم الخلقية. وتبدو هذه النتيجة مقبولة في ضوء نضوجهم الفكري والاجتماعي والانفعالي والخلقي وزيادة خبرتهم.

أيهما أكثر ايماناً وقبولاً للقيم الخلقية الطلاب الأكثر تقدماً من الناحية الأكاديمية أم الأقل تقدماً؟

تكشف لنا متوسطات منخفضي التقدير التحصيلي (ض) ومرتفعي هذا التقدير (م) عن تفوق مرتفعي التقدير في ٦ مجموعات بينما يتفوق عليهم منخفضو التقدير في مجموعتين فقط، ومعنى هذا أن النزعة العامة لدى «جيدي القدرة الاكاديمية» هي الميل نحو الايمان بالقيم الخلقية. ويبدو أن التحصيل الجيد أو القدرة العقلية المعبرة عنه، ترتبط ارتباطا إيجابياً بالخلق الطيب أيضا، على كل حال لقد رؤي تحليل عناصر السن والجنس والخبرة التعليمية والمستوى التحصيلي الأكاديمي تحليلا أكثر دقة وشمولا وذلك باتباع طرق أدق في تصنيف أفراد العينة وتحليل نتائجهم.

السن والجنس:

عرفنا أن أعمار عينة البحث تتراوح ما بين ١٥، ٣٩ سنة ولذلك فقد صمم جدول يوضح درجات أرباب كل سن لكل جنس على حدة، اي جدول ٢ × ٢٥ وتم حساب تحليل التباين المبدئي والجدول الآتي يلخص نتائجه:

يوضح التباين المبدئي لعاملي الجنس والسن ودرجات الحرية (د.ح) والنسبة الفائية.

مصدر التباين	مقداره	د. ج	المتوسط	ف
التباين الكلي	٥٤٣,٦٦	٣٤٦		
التباين بين المجموعات	١٠,٠٧	٣٢	, ٤٤	
التباين داخل المجموعات	٥٢٩,٦٦	٣١٤	١,٦٩	٣,٨٤ *

* لقيمة (ف) دلالة احصائية تفوق مستوى ثقة ٩٩ ٪.

جدول (١٦)

يوضح الفروق بين كبار السن، وكذلك بين طلاب الفرقة الأولى والفرق الأعلى:

	ذكر						أنثى					
	فرقة أولى			أعلى			فرقة أولى			فرق أعلى		
	م	ض	الفرق	م	ض	الفرق	م	ض	الفرق	م	ض	الفرق
كبير السن	,٦٩	٢,٥٨	,٦١	٢,٣	,١٧	,٠٤	٢,٣١	١,٧٢	,٥٩	١,٦١	١,٧١	,١
صغير السن	٢,٢١	٢,٣٦	,١٥	٢,٢٨	٢,٢٥	,٠٧	١,٦١	,١٠	,٤٥	١,٧٩	٢,٣٠	,٥٤
الفرق	,٤٨ +	,٢٨ −		,١٥ −	,١٨ −		,٧ +	,٣٨ −		,١٥ −	,٥٩ −	

مع درجتي حرية ٣١٤,٣٢ يتضح أن لقيمة ف دلالة احصائية تفوق مستوى ٩٩ ٪.

وباعادة حساب التباين على أساس عدم تساوي عدد الحالات نحصل على المعطيات التي يلخصها الجدول الآتي:

جدول (١٨): يوضح مقدار التباين النهائي لعاملي الجنس والسن وكذلك درجات الحرية والتداخل ومقدار الخطأ ونسبة (ف):

مصدر التباين	مقدار التباين	د. ح	المتوسط	ف
التباين الكلي	٢,٠٩	٣٤٦		
التباين بين الجنسين	, ٣٧	١	, ٣٧	١,٤٢
التباين بين مجموعات العمر	١,٤٣	١	١,٤٣	٥,٥٠ *
تداخل السن × الجنس	, ٢٩	١	, ٢٩	٠,١٢
الخطأ	, ٢٦	٣٤٣		

* لهذه القيمة دلالة إحصائية تصل إلى مستوى ٩٥٪.

في ضوء هذا التحليل يبدو تباين العمر ذا دلالة إحصائية تصل إلى مستوى ثقة ٩٥ ٪ أما دلالة الفروق الجنسية فلا تصل إلى حد الدلالة الاحصائية. ومعنى ذلك أن الاتجاه الخلقي يختلف تبعاً لاختلاف عمر الفرد.

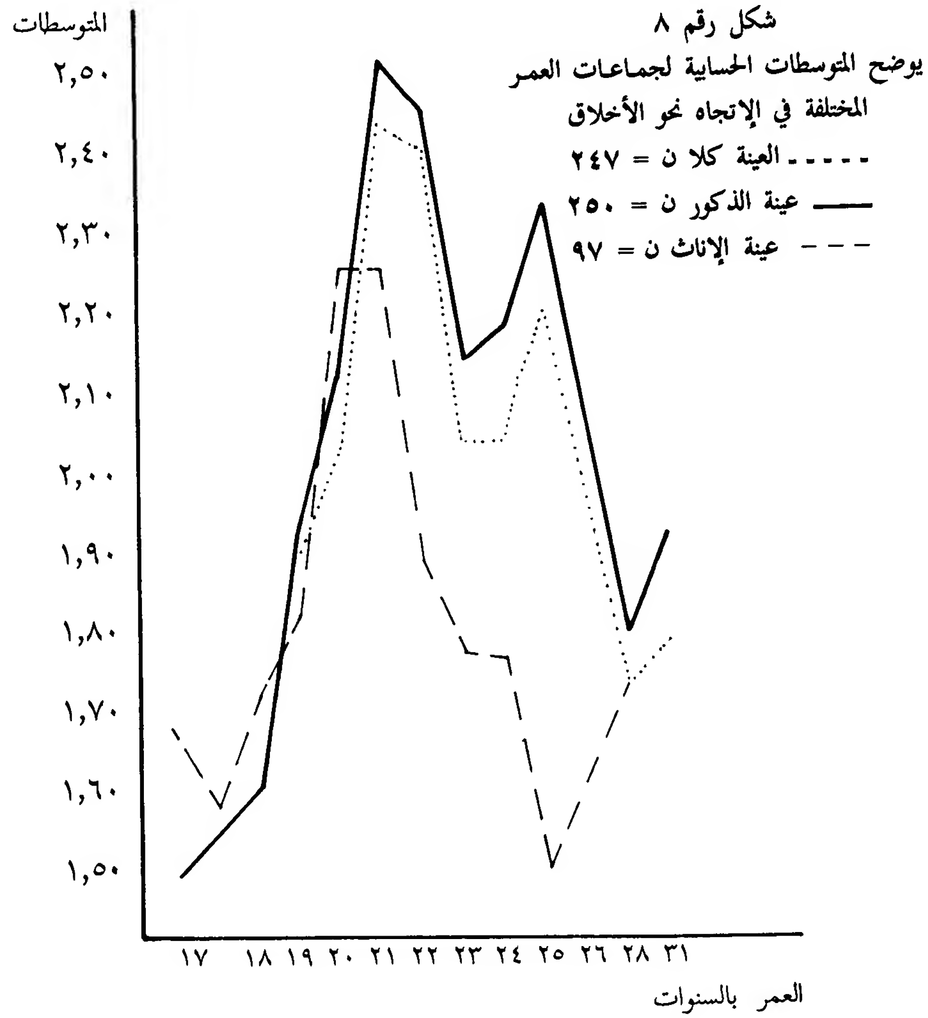
وفيما يلي المتوسطات والحسابية لجماعات العمر المختلفة للعينة ككل ولكل جنس على حدة والفروق الجنسية وذلك بالنسبة للأعمار التي توفر فيها أعداد من الحالات تسمح باجراء عمليات تحليل التباين:

جدول (١٩): المتوسطات الحسابية لجماعات العمر المختلفة.

السن بالسنوات	الكلي	ذكور	إناث	الفرق
١٧	١,٦١	١,٤٣	١,٦٤	, ٢١
١٨	١,٥٧	١,٥٨	١,٥٧	, ٠١
١٩	١,٨٩	١,٩٠	١,٦٩	, ٢١
٢٠	٢,٠٣	٢,١٠	١,٧٨	, ٣٢
٢١	٢,٤٢	٢,٤٨	٢,٢٢	, ٢٦
٢٢	٢,٣٨	٢,٤٢	٢,٢١	, ٢١
٢٣	٢,٠٣	٢,١١	١,٨٨	, ٢٣
٢٤	٢,٠٣	٢,١٦	١,٧٠	, ٤٦
٢٥	٢,١٦	٢,٣٠	١,٦٩	, ٦١
٢٦	١,٩٣	٢,٠٤	١,٤٩	, ٥٥
٢٨	١,٧١	١,٧٨	١,٥٨	, ٢
٣١	١,٧٦	١,٩٠	١,٧٣	, ١٧

يلاحظ أن الاتجاه أقل ايجابية في السن ما بين ٢٠ – ٢٥ سنة واكثر إيجابية عند سن ١٧ – ١٩، ثم يعود إلى التحسن في السن ما بين ٢٥ – ٣١ سنة ففي السنوات المبكرة يتأثر الاتجاه الخلقي بالاتجاهات العامة التي تسود في مرحلة المراهقة كالنزعات المثالية والصوفية والروحية[1]، أما سن ٢٠ – ٢٥ فتمثل مرحلة شك ونقد وإعادة نظر لما تلقاه المراهق من قيم ومبادىء من الكبار ومن المجتمع عامة. أما التحسن الذي طرأ إبتداء من سن ٢٦ – ٣١ .فمرجعه إلى حالة العودة إلى الاستقرار والنضوج الفكري والعقائدي.

(١) الدكتور أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث.


المتوسطات
٢,٥٠
٢,٤٠
٢,٣٠
٢,٢٠
٢,١٠
٢,٠٠
١,٩٠
١,٨٠
١,٧٠
١,٦٠
١,٥٠
شكل رقم ٨
يوضح المتوسطات الحسابية لجماعات العمر
المختلفة في الإتجاه نحو الأخلاق
العينة كلا ن = ٢٤٧
عينة الذكور ن = ٢٥٠
عينة الإناث ن = ٩٧
١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٨ ٣١
العمر بالسنوات

وبالنسبة للفروق الجنسية في ضوء تحليل السن هذا فيلاحظ أن الجنسين يختلفان عن بعضهما البعض أكثر ما يختلفان في سن ٢٤، ٢٥، ٢٦، ويتفقان مع بعضهما البعض في سنوات ١٨، ٣١ سنة وتتفوق الاناث على الذكور بصورة دائمة ومستمرة ولا يشذ ذلك إلا في جماعة واحدة هي جماعة سن ١٧ سنة. تؤيد هذه النتيجة تفوق الاناث في التمسك بالقيم الخلقية وهي النزعة التي سبق ملاحظتها.

أثر الخبرة التعليمية:

هل يتغير اتجاه الفرد الخلقي بازدياد خبرته التعليمية، كما يعبر عنها بمدة بقائه بالدراسة الجامعية؟ بمعنى هل يختلف اتجاه طالب الرابعة أو الثالثة الذي قضى بالدراسة الجامعية ثلاث أو أربع سنوات عن اتجاه طالب السنة الأولى؟ هل تؤثر الدراسة الجامعية والحياة الجامعية وما يدور في رحابها من مناقشات على الاتجاه الخلقي لدى الأفراد؟

لقد تم تحليل التباين لطلاب الفرق الدراسية المختلفة إبتداء من طلاب الثانوية العامة حتى الدراسات العليا كل جنس على حدة، ومن أجل ذلك صمم جدول (٢ × ٦) وتم إيجاد التباين المبدئي على النحو الآتي:

جدول (٢٠): يوضح التباين المبدئي لعاملي الجنس والخبرة التعليمية (الفرق الدراسية).

مصدر التباين	التباين	د. ح	متوسط التباين	ف
التباين الكلي	٥٠٣,٢٧	٣٥٦		
التباين بين المجموعات	٢٨,٢٢	١١	٢,٥٧	
التباين بين المجموعات	٤٧٥,٠٥	٣٣٥	١,٤٢	١,٨١

لا تصل قيمة نسبة (ف) إلى مستوى الدلالة الإحصائية مع درجتي حرية ٣٣٥,١١. ولكن يلزم إعادة العمليات الحسابية باستخدام المنهج الملائم للأعداد غير المتساوية في المجموعات الفرعية وذلك باستخدام المتوسطات الحسابية وإستعمال معادلة التصحيح.

جدول (٢٢): متوسطات الفرق الدراسية المختلفة كل جنس على حدة.

مستوى الخبرة التعليمية	الكل	ذكور	إناث	الفرق
الثانوية العامة	٢,١٦	٢,٣٨	٠,٧	, ٦
أولى جامعة	٢,١١	٢,٠٣	١,٨٧	, ٣٦
ثانية جامعة	٢,١٨	٢,٢٥	١,٨٠	, ٤٥
ثالثة جامعة	٢,٣٣	٢,٣٤	٢,٣٢	, ٠٢
رابعة جامعة	٢,٦	٢,٧٧	١,٦٠	١,٠٥
دراسات عليا	١,٥٥	١,٥٣	١,٦١	, ٨
الكل المتوسط العام	٢,١٤	٢,٢٤	١,٨٩	, ٣٥

من التأمل في هذه المتوسطات نلاحظ أنه بالنسبة للعينة ككل فإن أكثر المجموعات تمسكاً بالقيم الأخلاقية هم طلاب الدراسات العليا وأن أقلهم تمسكاً هم مجموعة الفرقة الرابعة (متوسط ٢,٣٦ في مقابل ١,٥٥ بفرق قدره ٠,٨١) ويبدو هذا الفرق كبيراً نسبياً: ويبدو أن درجات طلاب المرحلة الثانوية والأولى والثانية بالمرحلة الجامعية متشابهة، على حين تتشابه أيضاً درجات طلاب الفرقة الثالثة والرابعة وتميل إلى الإنخفاض، وربما يرجع ذلك إلى أن زيادة الخبرة التعليمية تؤدي الى أن يصبح الفرد أكثر قدرة على الذكير الناقد Critical thinking التأملي في القيم والمعايير الاجتماعية فلا يتقبلها عن طيب خاطر ولا يسلم بها نقداً أو تمحيصاً كما يفعل صغار السن نسبياً. أما طلاب الدراسات العليا فيبدون أكثر إيماناً بالقيم الخلقية وربما يرجع ذلك إلى اكتمال نضجهم وشعورهم بالمسؤولية الخلقية كمواطنين ومعلمين.

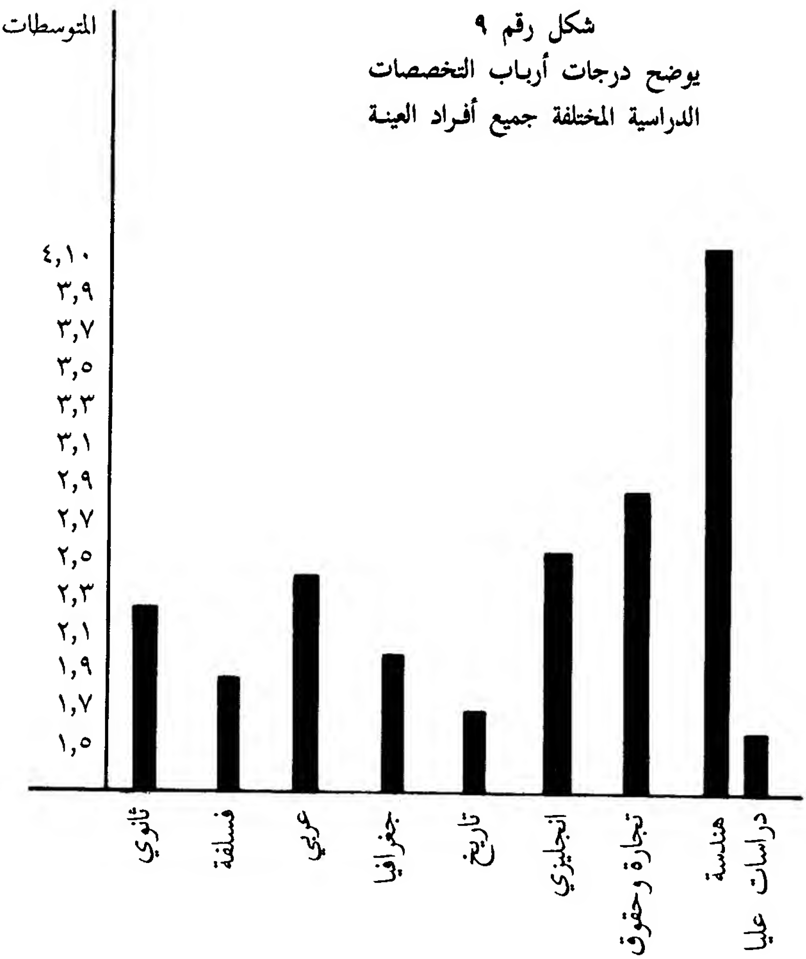
ومن النظر في متوسطات كل من الذكور والاناث في جميع الفرق الدراسية وجميع مستويات الخبرة التعليمية نلاحظ أن الاناث بصورة ثابتة تقريباً أكثر تمسكاً

بالأخلاق عن الذكور ولا يشذ في ذلك إلا جماعة واحدة هي جماعة الدراسات العليا.

وفي هذا يتفق البحث الحالي مع كثير من البحوث التي ترى أن الاناث أكثر امتثالا Conformity للقيم الخلقية من الذكور، وإن كان هذا يختلف مع رأي فرويد في الانثى حيث يزعم أن ضميرها او الذات العليا Super ego عندها أقل نموا ونضجا عند الرجل. يمتاز الاتجاه بالتحسن في الثانوية والسنة الأولى والثانية ثم يقل في الثالثة والرابعة ثم يعود إلى التحسن في الدراسات العليا، وتتمشى هذه النتيجة مع النزعات التي لوحظت مع التقدم في السن.

التباين النهائي بين الجنس والخبرة التعليمية:

شكل رقم ٩
يوضح درجات أرباب التخصصات
الدراسية المختلفة جميع أفراد العينة



جدول (٢٢)

مصدر التباين	التباين	د. ح	المتوسط	ف
التباين الكلي	١,٨	٣٤٦		
التباين بين الجنسين	, ٤٢	١	, ٤٢	** ٤,٦٧
تباين الفرق الدراسية	, ٩٢٤	١	, ٩٢٤	** ١٠,٢٧
الخطأ[١]	, ٠٩	٣٤٣		
الجنس × الخبرة	, ٤٥٦	١	, ٤٥٦	** ٥,٠٧

وواضح من هذا الجدول أن التباين الذي يرجع إلى عامل الجنس له دلالة احصائية تفوق مستوى الـ ٩٩٪ وكذلك التباين الذي يرجع إلى عامل الخبرة التعليمية. وبالمثل تباين التفاعل أو التداخل بين الجنسين والخبرة التعليمية ومعنى هذا أن اتجاه الفرد نحو القيم الخلقية يتغير تبعا لطول مدة خبرته التعليمية أو الأكاديمية.

فالمواد العلمية التي يدرسها الطالب تؤثر في قيمه الخلقية. وتدعونا مثل هذه النتيجة إلى ضرورة الدعوة بأن تتضمن البرامج العلمية للطلاب بعض المبادىء الخلقية والروحية حتى تزداد مقدرة الجامعة على الوفاء برسالتها التي لا تقتصر على تزويد الطلاب بالنظريات العلمية وإنما السمو بالقيم الروحية والخلقية للطلاب.

أثر نوع التخصص الدراسي:

هل يتأثر اتجاه الطالب الخلقي بنوع التخصص الدراسي الذي يمارسه؟ لقد طبق البحث الحالي على طلاب من أرباب تخصصات مختلفة شملت الدراسة القانونية والفلسفة والاجتماع وعلم النفس واللغة العربية والانجليزية والجغرافيا

(١) تتخذ قيمة هذا الخطأ كمعيار لدلالة التباين في العوامل الأخرى وذلك بقسمه متوسط التباين على مقدار هذا الخطأ للحصول على نسبة (ف). أما مقدار الخطأ نفسه فنحصل عليه من ضرب مقدار التصحيح × متوسط التباين داخل المجموعات.

والتاريخ والهندسة والتجارة والتربية. ولذلك رؤي التأكد عما إذا كان هناك أي فرق يرجع إلى اختلاف هذه التخصصات أم أن الاتجاه نحو القيم الخلقية مسألة شخصية ومستقلة عن نوع دراسة الفرد؟ لقد تم تطبيق منهج تحليل التباين لأرباب هذه التخصصات لأفراد كل جنس على حدة ومن أجل ذلك ضم جدول (٢ × ٩) بعد ضم طلاب الحقوق والتجارة في فئة واحدة.

والجدول الآتي يلخص نتائج تحليل التباين المبدئي لعاملي السن والتخصص وكذلك درجات الحرية والنسبة الفائية.

جدول (٢٣)

مصدر التباين	مقدار التباين	د. ح	متوسط التباين	ف
التباين الكلي	٥١١,٦٤	٣٤٦	١,٠٨	
التباين بين المجموعات	٧٠,٧٢	١٥	٤,٧٢	٣,٥٥ * *
التباين داخل المجموعات	٤٤٠,٩١	٣٣١	١,٣٣	

وبالرجوع إلى جدول توزيع (F) وجد أن قيمة (ف) التي تساوي ٣,٥٥ مع درجتي حرية ٣٣١,١٥ لها دلالة إحصائية تفوق مستوى ثقة ٩٩٪.

ومعنى هذا أن هناك فروقاً ذات دلالة إحصائية عالية ترجع إلى عامل الجنس - والتخصص الدراسي.

ولكن نظراً لعدم تساوي عدد الحالات في المجموعات الفرعية فلا بد من إعادة تحليل حساب التباين بالمنهج الملائم والجدول الآتي يلخص نتائج هذه العملية:

جدول (٢٤)

مصدر التباين	مقدار التباين	د. ح	متوسط التباين	ف
التباين الكلي	٢,٤٦			
التباين بين الجنسين	, ٦١	١	, ٦١	٣,٢١
التباين بين التخصصات	١,٣٩	١	١,٣٩	٧,٣٢ * *
تباين التداخل (الجنس × التخصصي)	, ٤٦	١	, ٤٦	٢,٤٢
الخطأ	٠,١٩	٣٣٤		

تكشف لنا قيمة (ف) أعلاه عن دلالة الفروق الملاحظة بين أرباب التخصصات الدراسية المختلفة بمستوى ثقة يفوق ٩٩٪، ومعنى هذا أن نوع الدراسة التي يمارسها الفرد تؤثر على إتجاهه الخلقي.

ولكن أين تكمن هذه الفروق بالضبط؟

الجدول الآتي يوضح ذلك:

بالنسبة للعينة كلها يتضح أن أكثر التخصصات تمسكا بالقيم الخلقية هم أرباب الدراسات العليا، ويرجع ذلك إلى زيادة نضجهم العقلي والإنفعالي والاجتماعي وزيادة خبرتهم بالحياة العملية وربما يرجع ذلك إلى طبيعة الدراسات التربوية التي يتخصصون فيها، أما أقلهم تخصصاً فهم طلاب الدراسات الهندسية والعملية، ومن الطبيعي أن يتأثر هؤلاء الطلاب بالنزعات العملية والمادية المتصلة بدراساتهم. وبالنسبة لطلاب مرحلة الليسانس فإن اكثرهم للتخصصات إيجابية طلاب الفلسفة والإجتماع وعلم النفس وطلاب الدراسات التاريخية، وقد يرجع ذلك إلى تأثرهم بالعلوم الإنسانية وخاصة الجوانب الأخلاقية والسلوكية التي تحتويها مناهج الدراسة.

جدول (٢٥)

يوضح المتوسطات الحسابية لأرباب كل تخصص من كل جنس على حدة وللعينة ككل والفرق الجنسية:

التخصص	العينة		الذكور		الإناث		الفرق
	ن	م	ن	م	ن	م	
ثانوي	٢٠	٢,١٦	٦	٢,٣٨	١٤	٢,٠٧	٠,٣١
فلسفة	٩٧	١,٨٤	٦١	١,٩٧	٣٦	١,٦٣	٠,٣٤
عربي	٩٢	٢,٣٥	٦٨	٢,٤٣	٢٤	٢,١١	٠,٣٢
جغرافيا	٥٤	١,٩٥	٥٣	١,٩٧	١	١,٧٥	٠,٢٢
تاريخ	٦	١,٦٩	٦	١,٦٩	–	–	–
إنجليزي	٢١	٢,٥١	١٢	٢,٧٤	٩	٢,١٩	٠,٥٥
تجارة وحقوق	٢٥	٢,٧٦	٢١	٢,٩٧	٤	١,٦٨	١,٢٩
هندسة ودراسات عملية	٦	٤,٠٤	٦	٤,٠٤	–	–	–
دراسات عليا	٢٦	١,٥٥	١٨	١,٥٢	٨	١,٦٣	٠,١١

جدول (٢٦)

	العينة		ذكور		إناث		الفرق
	ن	م	ن	م	ن	م	
الدراسات العليا	٢٦	١,٥٥	١٨	١,٥٣	٨	١,٦١	٠,٠٨
الفرق الدراسية الأخرى	٢٣١	٢,١٩	٢٣٢	٢,٣٠	٨٩	١,٩١	٠,٣٩
الفرق		, ٦٤		٠,٧٧		, ٣٠	

وبالنسبة لجماعة الذكور فقط فإن أكثرهم أيضاً إيماناً بالقيم الخلقية هم طلاب الدراسات العليا ويليهم في ذلك طلاب الفرقة الأولى فالثانية والثالثة والمرحلة الثانوية وأخيراً طلاب الفرقة الرابعة. وتسود هذه النتيجة أيضاً بين جماعة الإناث حيث أن أكثرهن إيماناً بالأخلاق هن جماعة الدراسات العليا وأقلهن هن جماعة الفرقة الثالثة. والملاحظة العامة أن العلاقة بين الخبرة التعليمية والإيمان الخلقي لا تتخذ خطاً مستقيماً والفرق الواضح الوحيد هو الموجود بين طلاب الدراسات العليا والفرق الأخرى ولذلك لزم حساب متوسطات كل من هاتين المجموعتين والمقارنة بينهما.

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج كل جنس على حدة.

ويلاحظ أن أكبر الفروق الجنسية تكمن بين طلاب وطالبات كليتي الحقوق والتجارة، وكذلك طلاب اللغة الانجليزية. وقد يرجع ذلك إلى تأثير الدراسات التجارية والقانونية أكثر على الذكور منها على الاناث.

أثر المستوى العلمي:

هل يختلف الاتجاه نحو القيم الخلقية وقبولها تبعاً لإختلاف قدرات الطلاب الأكاديمية أو مستوياتهم التحصيلية؟ هل يختلف اتجاه الطالب الراسب عن اتجاه الطالب الذي يحصل على تقديرات ممتازة؟ لقد حللت نتائج البحث الحالي طبقاً لمستويات القدرة التحصيلية الآتية:

١ - راسب

٢ - منقول بمواد

٣ - مقبول

٤ - جيد

٥ - جيد جداً

وذلك بالنسبة لكل جنس على حدة، ومن أجل ذلك عمل تصميم تجريبي (٢ × ٥). والجدول الآتي يلخص نتائج عمليات تحليل التباين المبدئي:

حدول (٢٧): يوضح مقدار التباين المبدئي للمستويات الأكاديمية والجنس.

مصدر التباين	ن - ح	مقدار التباين	متوسطة	ف
التباين الكلي	٣٤٧	٥٠٦,٢١	١,٤٦	
التباين بين المجموعات	٩	١٥,٢٤	١,٦٩	
التباين داخل المجموعات	٣٣٨	٤٩٠,٩٧	١,٤٥	١,١٧

في ضوء هذا التحليل المبدئي لا تصل نسبة (ف) إلى مستوى الدلالة، ولكن الهدف الرئيسي من هذه العملية هو الحصول على متوسط التباين داخل المجموعات وذلك لاستخدامه في تحليل التباين بالمنهج الملائم للأعداد غير المتساوية.

والجدول الآتي يلخص نتائج تحليل التباين النهائي:

جدول (٢٨): تباين المستوى العلمي والجنس، التباين النهائي المتوسطات.

مصدر التباين	التباين	د. ح	متوسط	ف
التباين الكلي	٠,٦٧	٣٤٧		
أ تباين عامل الجنس	٠,١٧	١	٠,١٧	٢,٧٧
ب تباين المحتوى التعليمي	٠,٤٥	١	٠,٤٥	٠,٥
الخطأ	٠,٢٢	٣٣٨		
تداخل أ × ب	٠,٠٥			, ٢٣

لا تصل أيضاً نسبة (ف) إلى مستوى الدلالة الإحصائية طبقاً لهذا التحليل. ولكن ربما يرجع ذلك إلى دمج المستويات المختلفة وتعويض السالب منها بالموجب وإختفاء الفروق نتيجة لذلك ولذلك يلزم عرض المتوسطات الحسابية لأرباب المستويات المختلفة من أفراد كل جنس.

جدول (٢٩)

المستوى التحصيلي	العينة		الذكور		الإناث		الفرق
	ن	م	ن	م	ن	م	
راسب	٤	١,٦٨	٢	١,٧٤	٢	١,٦١	,١٣
منقول بمواد	١٤٦	٢,٢٧	١٠٩	٢,٣٤	٣٧	٢,٠٧	,٢٧
الفرق		,٥٩		,٦		,٤٦	
مقبول	١٠٦	٢,٠٤	٧٧	٢,١٣	٢٩	١,٨٢	,٣١
جيد	٨٠	٢,١١	٥٧	٢,٢٦	٢٣	١,٧٦	,٥
الفرق		,٠٧		,١٣		,٠٦	
جيد جداً	١٢	١,٦٦	٧	١,٦٨	٥	١,٦٢	,٠٦
الفرق		١,٥٩		١,٥٥		١,٥٦	

يتضح من هذه المتوسطات أن الجماعات الأكثر إيجابية في الإيمان الخلقي هم الحاصلون على تقدير جيد جداً والراسبون وأقلهم إيماناً أو قبولاً هم المنقولون بمادة أو مادتين وأرباب تقدير جيد، أما أرباب تقدير مقبول فيحتلون مكانة متوسطة بين هذه المجموعات، ونلاحظ هذه النزعة أيضاً في درجات الذكور.

وبالنسبة للاناث فإن أكثر الجماعات هن الراسبات وصاحبات تقدير جيد جداً ثم جيد. ويبدو أن الطالب المتطرف في التقدير الأكاديمي هو الذي يميل إلى إعتناق المبادىء الخلقية أكثر من الطالب المتوسط.

والجدول الآتي يوضح متوسطات أرباب التقديرات المختلفة بعد دمج التقديرات المتشابهة في بعضها.

جدول (٣٠)

	الكل	ذكر	أنثى	الفرق
راسب + مواد	٢,٢٦	٢,٣٢	٢,٠٥	, ٢٨
مقبول	٢,٠٤	٢,١٣	١,٨٨	, ٢٥
جيد + جيد جداً	٢,٠٥	٢,١٩	١,٧٣	, ٤٦

بالنسبة للعينة ككل فإن أقل الجماعات إيماناً بالأخلاق هم الراسبون + المنقولون بمواد. وتليهم في ذلك الحاصلون على تقدير مقبول فالحاصلون على تقدير جيد + جيد جداً. ولا يوجد فرق يذكر بين متوسطي هاتين المجموعتين الأخيرتين ويمكن الاستدلال من ذلك بأن المتقدمين علمياً أكثر تمسكاً بالقيم الخلقية عن المتأخرين.

وتبدو هذه العلاقة مستقيمة في حالة الإناث حيث تسير إيجابية الإتجاهات من جيد جداً + جيد إلى مقبول إلى راسب + مواد. ومعنى هذا أن التقدم العلمي يصاحبه تقدم خلقي أيضاً وإن كانت الفروق الملاحظة صغيرة نسبياً.

شكل رقم ١٠
يوضح المتوسطات الحسابية
لدرسات المستويات الأكاديمية المختلفة
للعينة كلها. مقياس الإتجاه نحو الأخلاق



تفسير نتائج تطبيق المقياس:

لتفسير الدرجات التي يحصل عليها الأفراد على هذا المقياس في ضوء تطبيقه على العينة العربية السابق وصفها في هذه الدراسة تم إيجاد الرتب الميئينية Percentile ranks المقابلة للدرجات الخام. ولقد تم إيجاد الرتب الميئينية من جداول التكرار التجمعي الصاعد(١).

وفيما يلي المعايير الميئينية لدرجات مقياس الإتجاه نحو القيم الخلقية لدى أفراد المجموعة ككل ولدى كل جنس على حدة. وتصلح هذه المعايير لتفسير نتائج تطبيق المقياس على العينات والأفراد الذين يشبهون عينة البحث الحالي.

الدرجات	الرتب الميئينية المقابلة		
	ذكور	اناث	العينة كلها
,٨	٠,٤٨	–	,٠٣
١,٣	١,٩٥	١,٢٠	٢١,٨٨
١,٨	٢٢,١٩	٣٢,٢٥	٢٤,١٤
٢,٣	٧٥,١٤	٨٨,٨٢	٧٨,١١
٢,٨	٨٣,٢٢	٩٢,٧٨	٨٥,٣١
٣,٣	٨٣,٧٣	٩٢,٨٧	٨٥,٧١
١,٨	٨٦,٨٦	٩٤,٨٥	٨٨,٨٢
٤,٣	٨٨,٤٨	٩٤,٨٧	٩٠,٣٧
٤,٨	٩٠,٤٥	٩٥,٩٢	٩٢,٠١
٥,٣	٩١,٦٨	٩٦,٩١	٩٣,٦٩
٥,٨	٩٣,٧٦	٩٦,٩٩	٩٤,٦٦
٦,٣	٩٧,٨٤	٩٩,٠١	٩٨,٠٦

(١) الدكتور السيد محمد خيري، الإحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية. دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٥٧.

الخلاصة وآفاق البحث المقبلة:

يمكن تلخيص النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية فيما يلي:

١ – إعداد مقياس عربي للاتجاه نحو الايمان بالقيم الخلقية يصلح للاستخدام مع الجماعات العربية المشابهة لعينة التقنين ويقدم البحث الحالي معايير محلية لهذا المقياس في شكل رتب عينية.

٢ – إمكان تطوير منهج ثرستون في تصميم مقاييس الاتجاهات والافادة من الخبرات الخاصة بقياس الشخصية في هذا المجال.

٣ – تأييد فرض عدم تأثر تقديرات الحكام للعبارات باتجاهاتهم الشخصية أو باختلاف بيئاتهم الثقافية.

٤ – تأييد فرض إمكان الحصول على تقديرات ثابتة للعبارات باستخدام عينات صغيرة من الحكام.

٥ – تأييد فرض إيزر الخاص بإختلاف تشتت الدرجات تبعاً لاختلاف جماعات الحكام.

٦ – تأييد فرض تفوق الإناث على الذكور في الايمان بالقيم الخلقية ودحض فرض فرويد القائل بأن ضمير الأنثى أقل حساسية من ضمير الرجل.

٧ – تأييد فرض تأثر الاتجاهات الخلقية بالتقدم في السن، وتبعاً لمراحل العمر المختلفة، فالاخلاق في المراهقة تختلف عنها في الطفولة، وعنها في مرحلة الرشد والكبر.

٨ – وجود علاقة بين التفوق الأكاديمي والتفوق الخلقي تشير إلى أن الطالب المتفوق أكاديمياً أميل إلى التفوق خلقياً أيضاً. ودحض الفرض القائل بأن الأذكياء أكثر نقداً ورفضاً للمعايير والقيم الخلقية.

٩ – تأييد فرض تأثير نوعية الدراسة أو التخصص العملي والنظري في القيم الخلقية فارباب الدراسات الإنسانية كالفلسفة والتاريخ والتربية أميل إلى إعتناق المبادىء الخلقية.

١٠ - يعرض البحث بصورة منهجية مفصلة لأساليب المعالجة الإحصائية التي يتطلبها مثل هذا النوع من البحوث الحقلية.

آفاق البحث المقبلة:

تلفت هذه الدراسة النظر إلى ضرورة العناية بالجوانب الروحية والخلقية في شخصية الشباب، وضرورة أخذ السلوك الخلقي في الاعتبار في الحياة الدراسية والجامعية. كما تلفت النظر إلى ضرورة دراسة القيم الخلقية والسلوك الخلقي عند أبناء المجتمع العربي في مراحل العمر المختلفة وتحديد العوامل التي تؤثر في النمو الخلقي بغية تحسين هذه العوامل، والعمل على تنمية الشعور الخلقي لدى الشباب والمراهقين إلى جانب الاعداد العلمي السليم إيماناً منا بأن الشخصية السليمة هي الشخصية المتكاملة خلقياً وعلمياً، وفي هذا الاتجاه صد للاتجاهات المادية والإلحادية وموجات المودات والبدع التي تغزو مجتمعنا العربي في الوقت الحاضر. ينبغي دراسة علاقة القيم الخلقية ببعض العوامل الهامة كالذكاء والصحة النفسية والمناهج الدراسية وطرق التدريس والمستوى الاقتصادي والاجتماعي للأسرة، كما ينبغي دراسة العلاقة بين القيم الخلقية والشعور الديني وكذلك المناشط الدينية المختلفة.

يتقدم الباحث بعميق الشكر والإمتنان لجميع السادة الزملاء والأخوان والطلاب الذين ساهموا بالمساعدة في هذا البحث بالقول أو بالفعل أو المشورة.

قائمة المراجع العربية والانجليزية

د. أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، المكتب المصري الحديث الاسكندرية.

د. السيد محمد خيري، الاحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٧.

د. رمزية الغريب، القياس والتقويم في المدرسة الحديثة، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٦٢.

د. عبد الرحمن عيسوي، علم النفس والانسان، منشأة المعارف الاسكندرية، ١٩٧١.

د. عبد الرحمن عيسوي، دراسات سيكلوجية، منشأة المعارف الاسكندرية، ١٩٧٠.

د. فؤاد البهى السيد، الإحصاء وقياس العقل البشري، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٨.

د. كمال دسوقي، علم النفس ودراسة التوافق، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٤.

Allport. G. W., Personality, constable and Co., London 1951.

Edwards, A. L., Experimental Design in psychological Research, Holt Rinehart and Winston, N. Y., 1968.

Edwards, A. L., the social Desirability Variable and Personality Assessment and Research, N. Y., Dryden 1957.

Edwards, A. L., Techniques of Attitude Scale Constraction, Appleton - Century Crofts, 1957.

Eiser, J. R., Judgement of attitude statements as function of judges attitudes and the judgemental dimension, Brit, J. Soci and Clin. Psych. Scept. 1973.

Essawi, A. Ethico - Religions Attitudes and Emotional Adjustment ph. D. thesis, Nottm Univ, 1963.

Freeman, F., Theory and Practice of psychological testing Holt, Rinehart and Winston, N. Y., 1964.

Garrett, H. E., Statistics in psychology and Education, Longmans, Green and Co. N. Y. 1958.

Harriman, P. L., Dictionary of psychology. The philosophical library, N.Y. 1947.

Jahoda , M. and Warren, N., Attitudes, Penguin Books, 1966.

Sanford, F. H., psychology, a sientific study of man, Wadsworth Publishing Co. U.S.A. 1951.

Schwerz, D., The Psychology of Sex, Penguin Books, 1965.

Thorndike, R. L., and Hagen. E. P., Measurement and Evaluation in psychology and Education, John Wiley and Sons, N.Y., 1969.

Thurstone L. L., Measurement of values Univ. of Chicago Press, 1966.

Thurstone, L. L., and Chave, E. Measurement of Attitudes, Univ. of Chicago Press, Chicago, 1951.

Walker, K., and Fletcher, P., Sex, and Society; Penguin Books, 1964.

Walker, L., A., study of the attitudes of training College students towards religious Education and Religion, Ph. D. Thesis, Univ. of London, 1966.

Morality Among Arab Youth

An empirical study in the measurement of morality and its relations to the age, sex, academic ability, educational experience, and specialization variables.

By

Dr. A. R. M. ESSAWI

الفصل التاسع

الشعور الخلقي والديني

دراسة حقلية

أهداف الدراسة ومناهجها:

نشأت فكرة هذا البحث من الرغبة في المقارنة بين استجابات الأطفال في المجتمعات الأوربية والأطفال في البيئة العربية حول بعض الموضوعات الأساسية في الشعور الديني Religious feelings وكذلك النشاط أو السلوك الديني Religious behaviour كما يتمثل في الصوم والصلاة وارتياد أماكن العبادة، كذلك استهدفت الدراسة الحالية عقد مقارنات بين استجابات الأطفال العرب في بيئات مختلفة داخل الوطن العربي.

فعقدت مقارنة بين أطفال الريف وأطفال المدينة في جمهورية مصر العربية وفي النية عقد مقارنة بين أطفال مصر ومجموعة من أطفال جمهورية لبنان الشقيقة. كذلك استهدفت هذه الدراسة التعرف على أثر عوامل السن والجنس والطبقة الاجتماعية والمستوى التعليمي والاقتصادي لأسرة الطفل. كذلك استهدفت التعرف على كم وكيف العلاقة بين الشعور الديني والنشاط الديني من ناحية وبين الايمان بالقيم الخلقية.

ولقد صمم لهذا الغرض مقياس مكون من ٣٩ سؤالا بعضها محدد الاستجابة وبعضها مفتوح النهاية Open - ended questions مثل السؤال الآتي: كيف تتصور الله تعالى صف كيف تتخيله، وماذا يعمل، وأين يوجد؟ كما احتوى الاختبار على بعض أسئلة تكملة الجمل:

ان الدين في نظري..... والأخلاق في عصرنا هذا في رأيي..... كما اشتمل الاستخبار على بعض الأسئلة التي تقيس المعرفة الدينية كمعرفة أركان الاسلام وأسماء الانبياء والشخصيات الدينية Religious knowledge وإلى جانب الاستخبار المنظم

تمت مقابلة Interview بعض أفراد العينة من الأطفال وطبق عليهم الاختبار بصورة فردية Individually وتمت مناقشتهم في آرائهم في الدين والأخلاق بصورة حرة تلقائية عبر فيها الطفل بأسلوبه الشخصي في حرية وتلقائية وانسياب.

وتضمن الاختبار بعض الأسئلة التي تدور حول الدين بجانبيه:

العملي الفعلي الممارس والايماني العقائدي الفكري. كما تضمن أسئلة تدور حول الأخلاق قولا وفعلا أو ايماناً وعملاً. ولقد اهتم الباحث بالجوانب العملية والنظرية معا في كل من الدين والأخلاق في حياة الطفل حتى يكون المقياس شاملاً ومعبراً عن الدين في شخصية الطفل وحياته وحتى يتسنى عقد المقارنة بين الجوانب الدينية والخلقية النظرية والعملية ومعرفة أثر كل منهما على الآخر.

وصف العينة:

طبقت هذه الدراسة على عينة كبيرة من الأطفال والشباب من أبناء الطبقة الاجتماعية الدنيا والوسطى من أرباب المستويات التعليمية المختلفة التي تتراوح ما بين التعليم الابتدائي والتعليم الجامعي وتناول البحث عينة تمتد أعمارها على مدى طويل حيث يتراوح أعمارهم ما بين ٧ سنوات و٦٠ سنة وان كان معظم أفراد العينة يقع أعمارها ما بين ١٠ – ٣٠ سنة ويوضح جدول (١) توزيع الأعمار والمتوسط الحسابي لأعمار العينة ككل وأعمار الاناث والذكور كل على حدة. وقد حسب المتوسط الحسابي للعمر للمعطيات المجدولة وذلك طبقاً للقانون.

$$م = \frac{مجـ (س \times ك)}{ن}$$

حيث أن م = المتوسط الحسابي.

مجـ = مجموع القيم.

س = القيم.

ك = التكرارات[1].

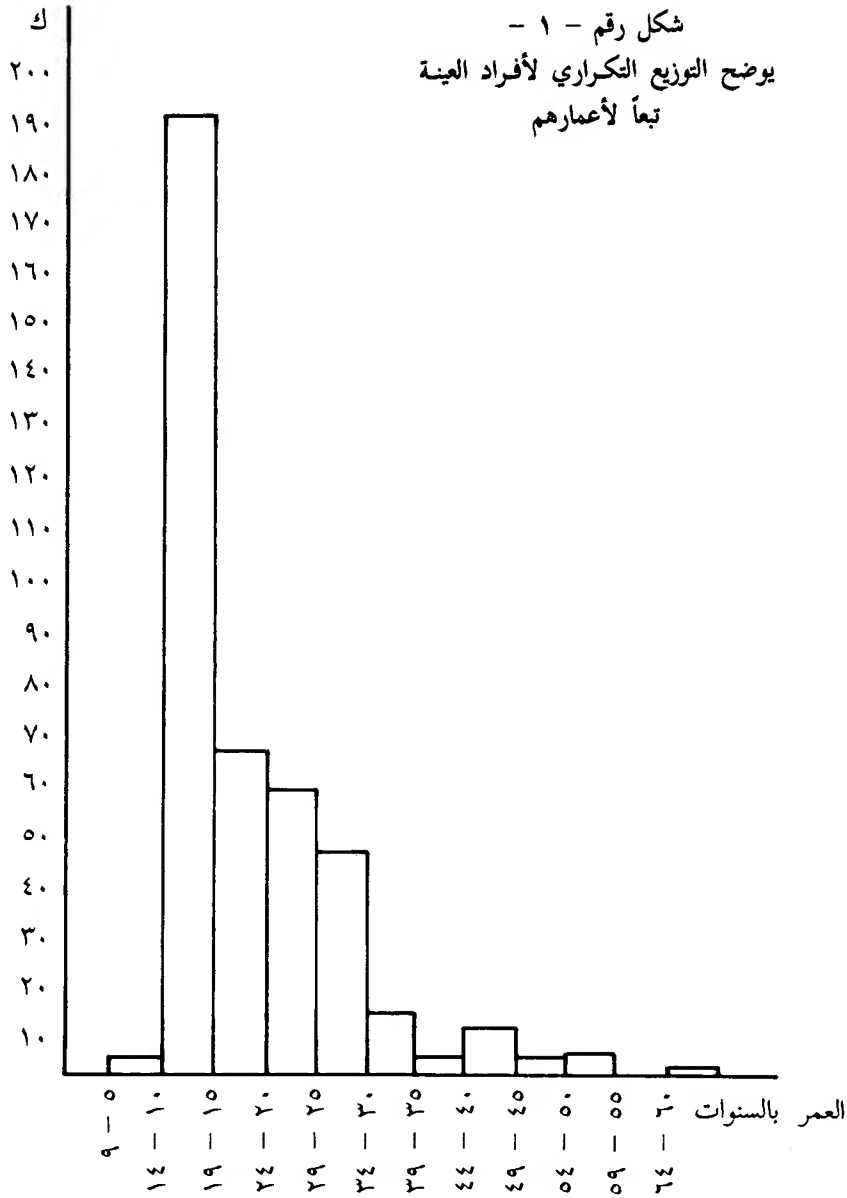
---

(١) د. السيد محمد خيري، الاحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية، دار الفكر العربي – القاهرة – ١٩٥٧.

ويتراوح عدد أفراد العينة ما بين ٤٠٠ – ٥٢١ – هذا وإن اختلف عدد أفراد العينة من مقياس إلى آخر تبعاً لبعض الظروف الواقعية ولحذف بعض الأوراق لعدم صلاحيتها وعدم استيفاء بياناتها ولذلك أمكن تحليل النتائج تبعاً للبيانات المتوفرة في الاستخبار الصالح.

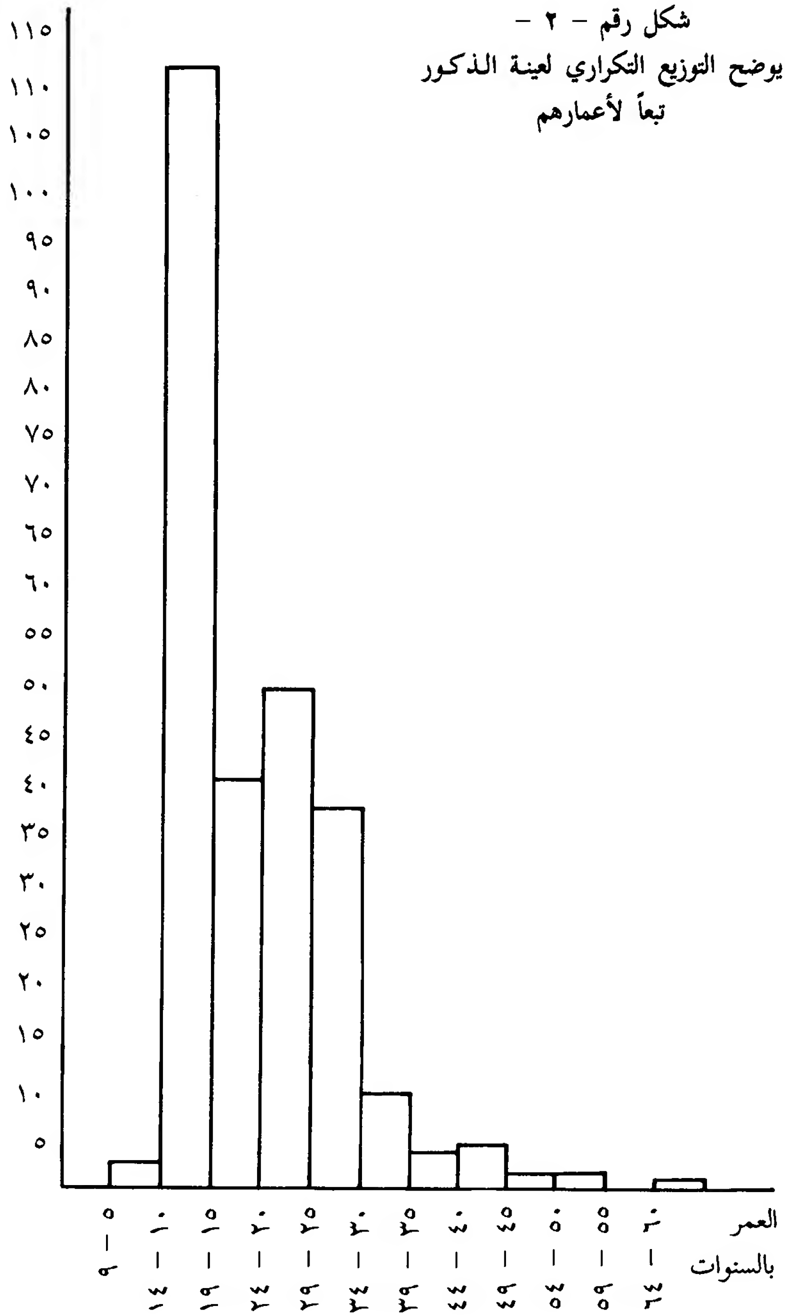
يوضح توزيع أفراد العينة على فئات السن المختلفة والمتوسط الحسابي للعينة كلها وللاناث والذكور كل على حدة وكذلك الانحراف المعياري وقيمة (ت).

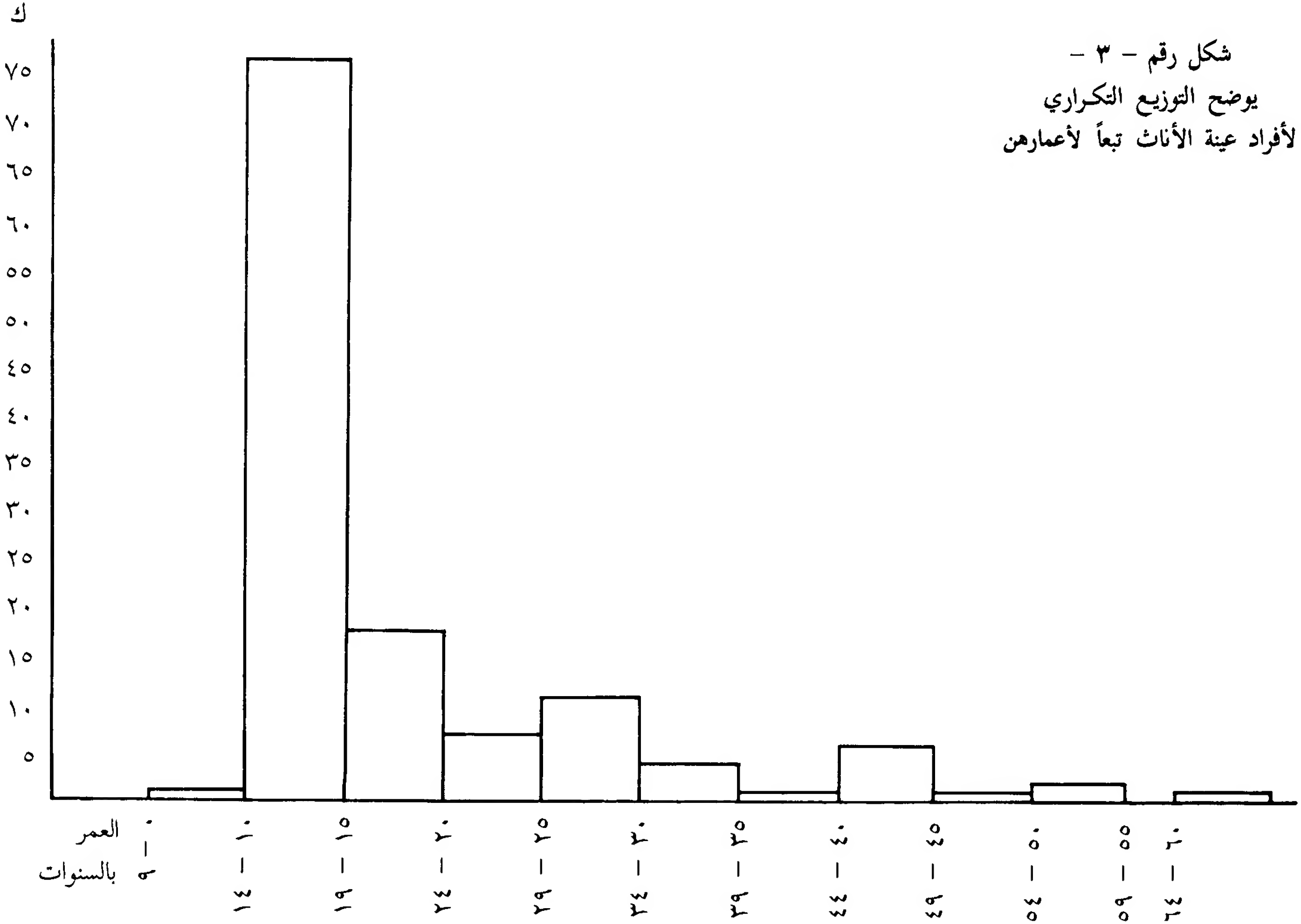
العمر بالسنوات	العينة كلها		ذكور		إناث		الفرق	ت
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	٪	
٥ – ٩	٣	٠,٧٥	٢	٠,٧٥	١	,٧٤	,٠١	
١٠ – ١٤	١٩٢	٤٨	١١٤	٤٣	٧٨	٥٨	١٥	
١٥ – ١٩	٦٥	١٦	٤٢	١٦	١٣	١٧	١	
٢٠ – ٢٤	٥٨	١٥	٥١	١٩	٧	٥	١٤	
٢٥ – ٢٩	٤٥	١١	٣٤	١٣	١١	٨	٥	
٣٠ – ٣٤	١٤	٤	١٠	٤	٤	٣	١	
٣٥ – ٣٩	٤	١	٣	١	١	,٧٤	٠,٢٦	
٤٠ – ٤٤	١٠	٣	٤	٢	٦	٤	٢	
٤٥ – ٤٩	٣	,٧٥	٢	٠,٧٥	١	,٧٤	,٠١	
٥٠ – ٥٤	٤	١	٢	٠,٧٥	٢	١,٥	,٧٥	
٥٥ – ٥٩	–	–	–	–	–	–	–	
٦٠ – ٦٤	٢	,٥	١	٠,٣٧	١	,٧٤	٠,٣٧	
المجموع	٤٠٠	٢٦٥		١٣٥				
المتوسط	١٨,٥٣		١٨,٨٥		١٧,٨٩		٠,٩٦	١,٣٠
الانحراف ع	٩,٠٥		٨,٤٥		٩,٨٠			



شكل رقم - ١ -
يوضح التوزيع التكراري لأفراد العينة
تبعاً لأعمارهم

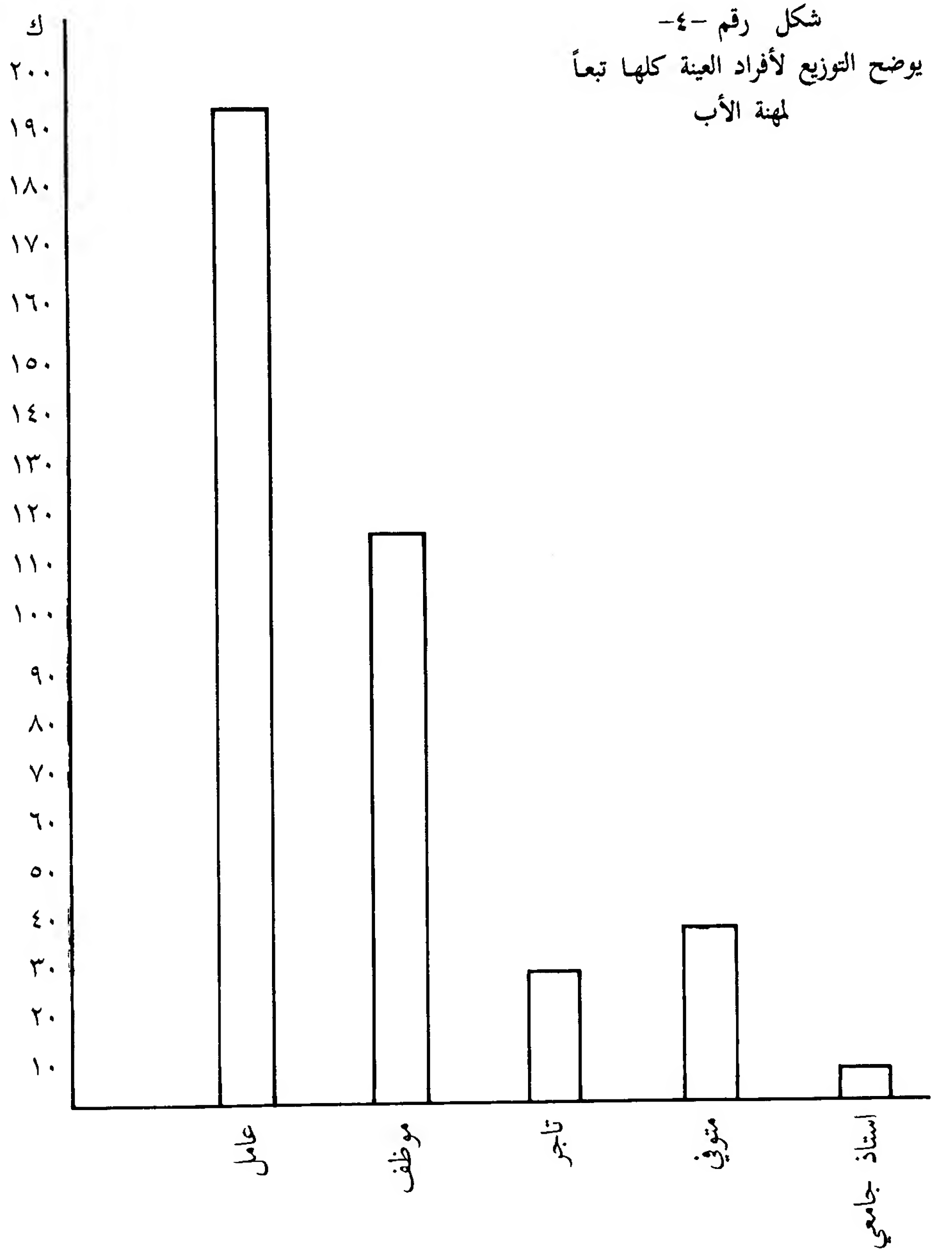
شكل رقم - ٢ -
يوضح التوزيع التكراري لعينة الذكـور
تبعاً لأعمارهم





شكل رقم – ٣ –
يوضح التوزيع التكراري
لأفراد عينة الأناث تبعاً لأعمارهن

شكل رقم -٤-
يوضح التوزيع لأفراد العينة كلها تبعاً
لمهنة الأب



ويتضح من الجدول رقم ١ أن متوسط عمر العينة كلها هو ١٨,٥٣ سنة وهو سن منتصف الشباب والمراهقة. وكانت الاناث أصغر قليلاً في السن، وان كان الفرق يبدو أنه لا يصل الى مستوى الدلالة الإحصائية (١٨,٨٥ للذكور في مقابل ١٧,٨٩ للاناث بفرق قدره ٠,٩٦) ووجدت - قيمة (ت) = ١,٣٠ ولا تصل الى حد الدلالة. والجدول يكشف أن ما يقرب من نصف العينة (٤٨٪) يقع في سن ١٠ - ١٤. كذلك صنفت العينة من حيث نوع عمل الوالد كإحدى المحكات لتحديد الطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها الطفل والجدول الآتي يوضح توزيع أفراد العينة بالنسبة لنوع عمل الوالد للذين أعطوا بيانات تسمح بهذا التصنيف وعددهم ٣٧٤ منهم ٢٥٦ من الذكور و١١٨ من الاناث.

تم اختيار أفراد العينة من سكان مدينة الاسكندرية ومن أبناء المحلة الكبرى كعينة من الأقاليم للتحقق من مدى وجود فروق ترجع الى الاختلاف الجغرافي في أمور الدين والأخلاق.

جدول (٢): يوضح توزيع أفراد العينة من حيث عمل الوالد، العينة كلها والاناث والذكور كل على حدة تكرارات ونسب مئوية.

نوع عمل الوالد	العينة كلها		الذكور		الإناث		الفرق بين الجنسين
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	
عامل *	١٩٤	٥٢	١٤٠	٥٥	٥٤	٤٦	٩
موظف	١١١	٣٠	٧٤	٢٩	٣٧	٣١	٢
تاجر	٢٧	٧	١٩	٧	٨	٧	صفر
متوفى	٣٥	٩	٢٠	٨	١٥	١٢	٥
استاذ جامعي	٧	٢	٣	١	٤	٣	٢
المجموع	٣٧٤		٢٥٦		١١٨		

(*) (تضمنت خانة العمال: الفلاح والمزارع والميكانيكي والجندي والمخبر السري وأصحاب الورش).

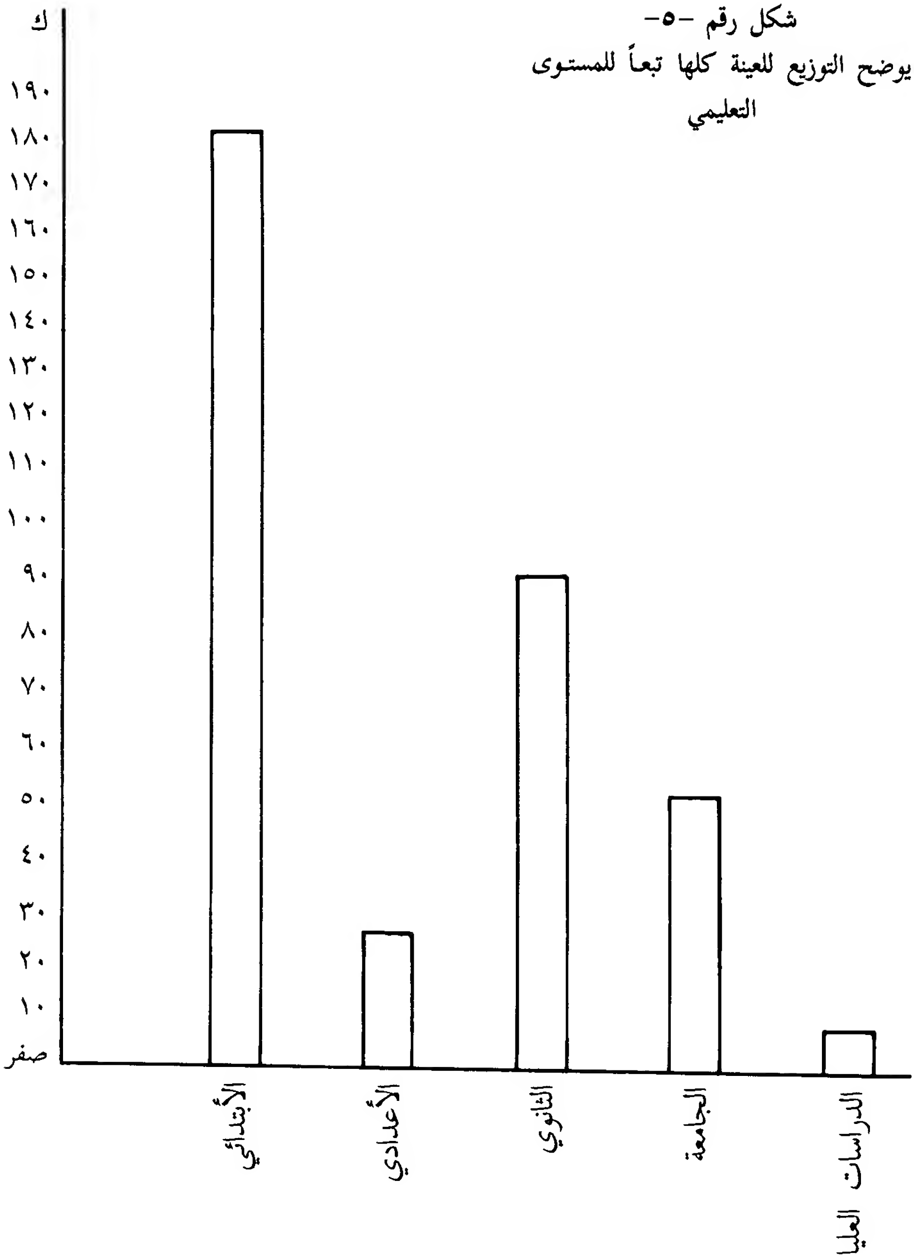
ومن هذا الجدول يتضح أن غالبية أفراد العينة من أبناء العمال (٥٢٪) والموظفين (٣٠٪) وتصدق هذه الملاحظة بالنسبة لكل جنس على حدة وان كانت نسبة الاناث من أبناء العمال أقل قليلا (فرق ٩٪).

جدول (٣): توزيع العينة كلها والاناث والذكور كل على حدة بالنسبة للمستوى التعليمي للمفحوص.

المستوى العلمي	العينة كلها		الذكور		الإناث		الفرق بين الجنسين ٪
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	
الابتدائي	١٨٢	٥٠	١١٦	٤٦	٦٦	٥٧	١١
الإعدادي	٢٧	٧	١٦	٦	١١	١٠	٤
الثانوي	٩٧	٢٦	٧٣	٢٩	٢٤	٢١	٨
الجامعة	٥٤	١٥	٤١	١٧	١٣	١١	٦
دراسات عليا	٦	٢	٥	٢	١	١	١
المجموع	٣٦٦	١٠٠	٢٥١	١٠٠	١١٥		

يوضح هذا الجدول أن غالبية أفراد العينة ممن هم في مستوى طلاب المرحلة الابتدائية وما في مستواها ويلي ذلك طلاب المرحلة الثانوية بأنواعها (العامل والفني الصناعي والتجاري والزراعي) والجامعة. ويتضح أن هناك نسبة قليلة من أرباب الدراسات العليا. ويصدق هذا بالنسبة لأفراد كل جنس على حدة. في هذه الدراسة تم الحصول على معلومات عن عدد - الحجرات الموجودة في منزل المفحوص كأحد المؤشرات أو المحددات للمستوى الاجتماعي - والاقتصادي. والجدول الآتي (رقم ٤) يوضح توزيع هذه الحجرات والمتوسط الحسابي لعدد الحجرات في منازل أفراد العينة ككل وعند كل جنس على حدة.

شكل رقم -٥-
يوضح التوزيع للعينة كلها تبعاً للمستوى التعليمي



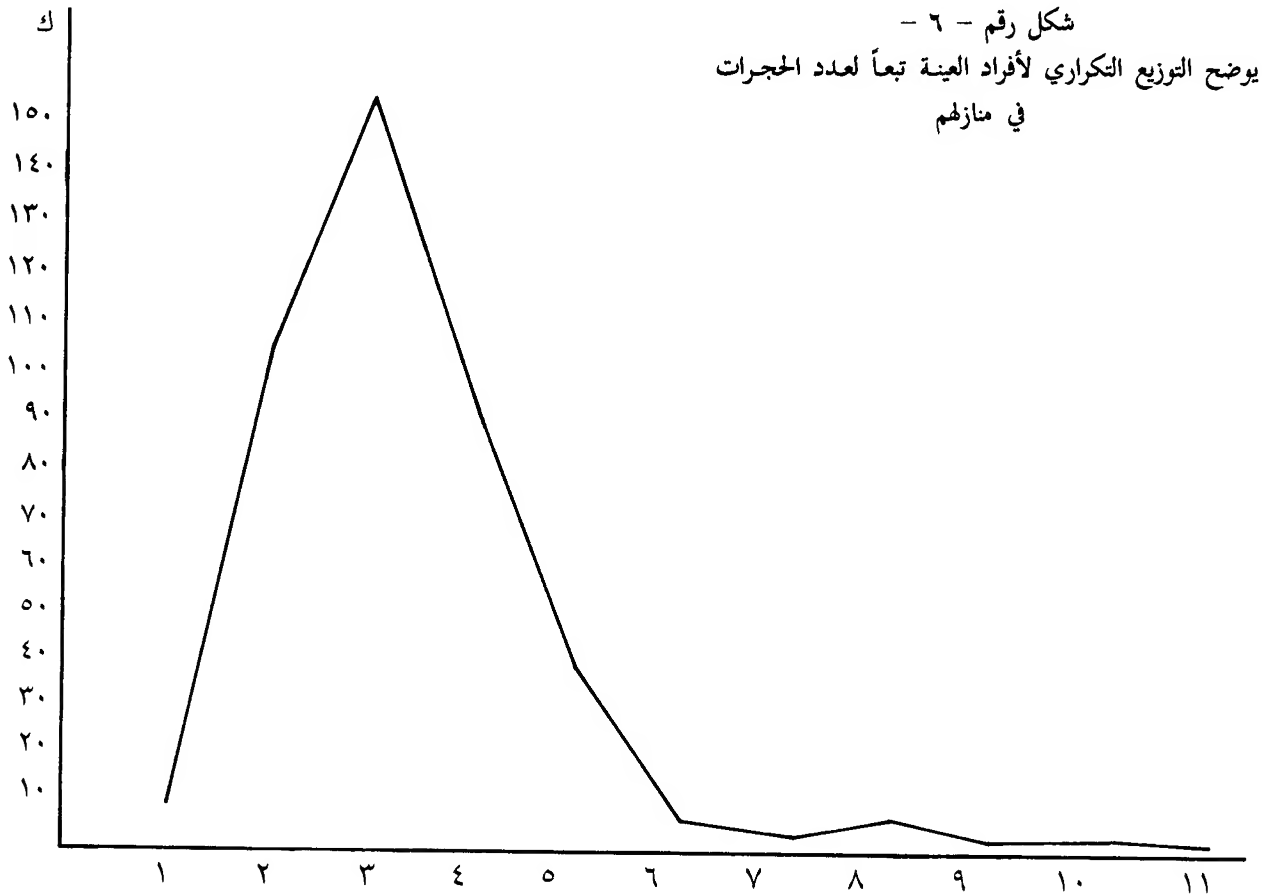
جدول (٤): يوضح توزيع عدد الحجرات في منازل العينة كلها والاناث والذكور كل على حدة

تكرارات ونسب مئوية

عدد الحجرات	العينة كلها		الذكور		الإناث		الفرق الجنسي ٪
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	
١	٧	٢	٤	٢	٣	٢	–
٢	٩٥	٢٤	٦٦	٢٥	٢٩	٣٢,٥	٢,٥
٣	١٤٦	٣٧	٩٣	٣٥	,٣	٤١,٥	٦,٥
٤	٨٥	١٢	٥٦	٢١	٢٩	٢٢	١
٥	٣٦	٩	٢٣	٩	١٣	١٠	١
٦	٧	٢	٥	٢	٢	٢	صفر
٧	٤	١	٤	٢	–	–	٢
٨	٦	١,٧	٦	٢	–	–	٢
٩	٢	,٥	٢	,٨	–	–	,٨
١٠	٢	,٥	٢	,٨	–	–	,٨
١١	١	,٣	١	,٤	–	–	,٤
مجموع	٣٩١	٢٦٢	١٠٠	١٢٩	١٠٠		
م	٣,٤٠		٣,٥٠		٣,٢٠		

ويكشف هذا الجدول أن متوسط عدد الحجرات في المنزل ٥,٤ حجرة وبالنسبة للفرق بين استجابات الجنسين فان الذكور يبدو أن لديهم عدد حجرات أكثر (متوسط ٣,٢ للاناث في مقابل ٣,٥ للذكور بفرق٥٠ ,) وان غالبية العينة لديها من ٢ – ٤ حجرات.

شكل رقم – ٦ –
يوضح التوزيع التكراري لأفراد العينة تبعاً لعدد الحجرات
في منازلهم



حجم الأسرة:-

لقد رؤي التعرف على حجم أسرة المفحوصين من خلال معرفة عدد أخوة وأخوات المفحوص، وبالطبع يضاف إلى ذلك الأبوان لمعرفة حجم الأسرة الحقيقي، ويكشف جدول رقم ٥ عن توزيع عدد الأخوة والأخوات في عينة الأناث وعينة الذكور كل على حدة وعددهم بالنسبة للعينة ككل.

بالنسبة لعينة الذكور يتضح أن متوسط عدد الأخوة هو ٤,٧ أخا بينما متوسط عدد الأخوات الأناث في الأسرة هو ٣,٩٠ اختا وبالنسبة لعدد الأخوة والأخوات معا فان المتوسط يبلغ ٤,٣٢ ويتضح من هذا أن حجم الأسرة ليس كبيراً كبراً يتعارض مع سياسة تنظيم الأسرة التي يأخذ بها المجتمع منذ سنوات عديدة وان كان هذا الحجم أكبر من مثيله في كثير من البلدان العربية حيث وجد الباحث في دراسة سابقة أن متوسط عدد الأطفال في عينة لبنانية هو ٢,٤٠ طفلا أما حجم الأسرة المصرية فيصبح ٦,٣٢ باضافة الأبوين.

أما بالنسبة لعينة الأناث فان الجدول المذكور يكشف عن تساوي متوسط عدد الأخوة والأخوات فيها (وهو ٤) مما يدل على تساوي الأناث والذكور في هذه الأسر. ومن الجدول يتضح أن هناك ٢٩٪ من مجموع العينة لديهم أخوان و ٣٥٪ منهم لديهم ثلاثة أخوة وأخوات و ٣١٪ لديهم أربعة[(١)] وهكذا.

---

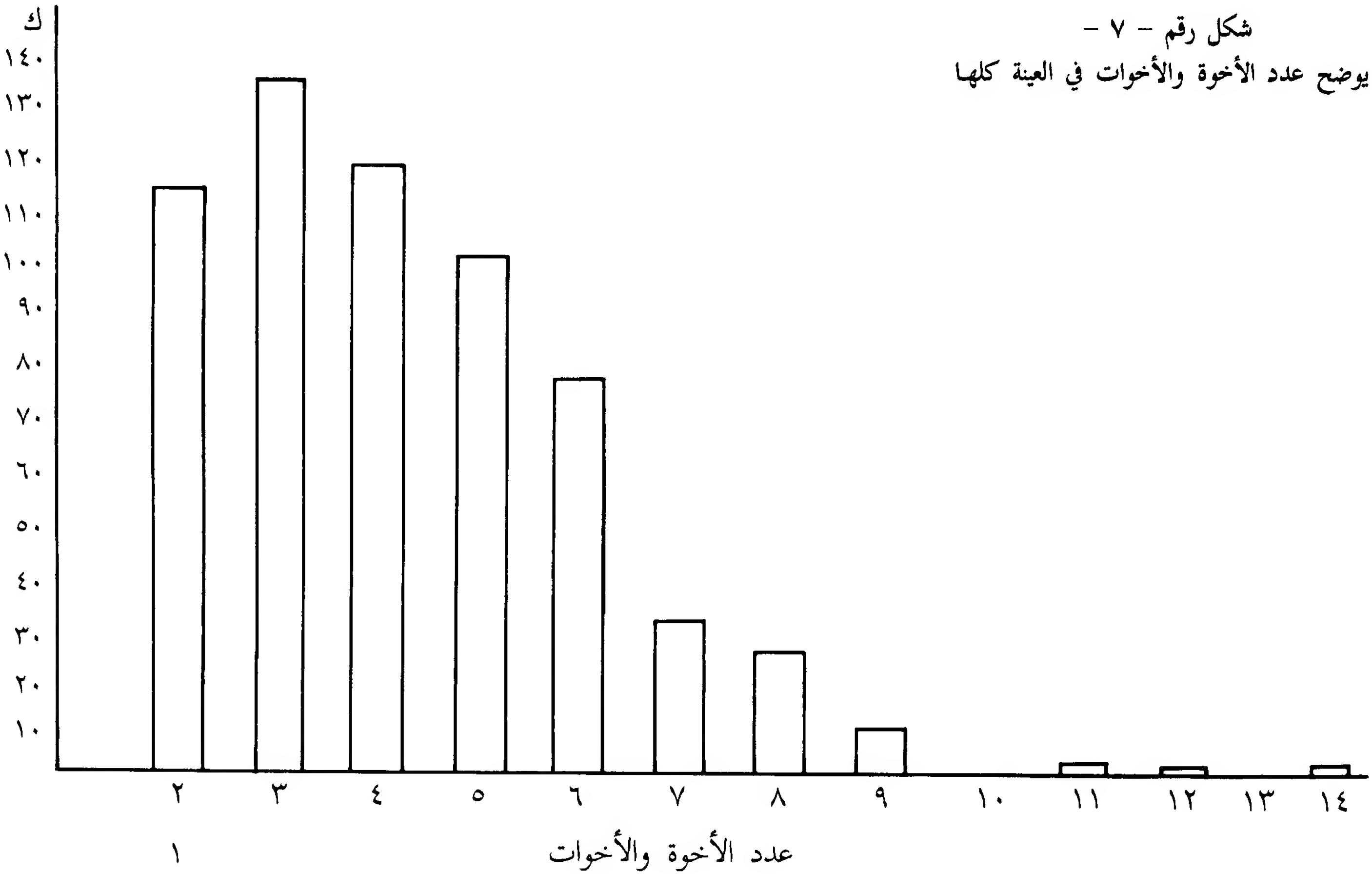
(١) راجع بحث المؤلف، الحالة النفسية للمرأة اللبنانية الحامل (تحت الطبع).

جدول (٥): يوضح توزيع عدد الأخوة والأخوات في عينة الذكور والاناث كل على حدة وكذلك المتوسطات الحسابية لعدد الأخوة والأخوات.

عدد الأخوة	عينة الذكور			عينة الإناث			العينة ككل	
	أخوة	أخوات	مجموع	أخوة	أخوات	مجموع	ك	٪
٢	٢٨	٤٤	٧٢	٢٦	١٩	٤٥	١١٧	١٩
٣	٤٠	٥٠	٩٠	٢٤	٢٥	٤٩	١٣٩	٣٥
٤	٤٢	٣٧	٧١	٢٧	١٦	٤٣	١١٢	٣١
٥	٤٤	٢٣	٦٧	١٤	١٣	٢٧	٩٤	٢٤
٦	٣١	١١	٤٣	١٣	١٢	٢٦	٦٩	١٧
٧	٣	١١	٢٤	٤	٢	٦	٣٠	٨
٨	٩	٩	١٨	٢	٤	٦	٢٤	٦
٩	٨	١	٩				٩	٢
١٠	—	—	—				—	—
١١	١	١	٢				٢	,٥
١٢	١	—	١				١	,٢٥
١٣	—		—				—	
١٤	١		١				١	,٢٥
مجموع	٢١٩	١٨٧	٤٠٦	١١٠	٩٢	٢٠٢	٦٠٨	
م	٤,٧٠	٣,٩٠	٤,٣٢	٤	٤,٠٠	٤	٤,٢	

شكل رقم - ٧ -

يوضح عدد الأخوة والأخوات في العينة كلها



عرض النتائج وتحليلها

لقد تم تحليل استجابات الفرد العينة على جميع مفردات الاختبار الخلقية والدينية من (١ – ٣٣) وتم إيجاد النسب المئوية لاستجابات نعم ولا.

وكانت أعلى الاستجابات في المفردات الآتية:

	نعم
أنا أحب لأصدقائي ما أحبه لنفسي	٩٦ ٪
أنا أشعر بالسعادة عندما أرى الناس الآخرين سعداء	٩٥ ٪
أنا أقول الحق ولو على نفسي	٩١ ٪
أنا أكره الشخص الذي يسيء إلى الناس في غيابهم	٨٩ ٪
عندما أعمل خيراً في شخص ما فأنا لا أنتظر منه أي شيء	٨٠ ٪

وتدل هذه النسب العالية على تمسك أفراد العينة وإيمانهم بالقيم الخلقية وفي ضوء هذه النتيجة فان الفرض القائل «بأن مرحلة المراهقة تمتاز بنزعات التصوف والمثالية الخلقية يجد ما يسانده تجريبياً مع رفض القول بأن المراهقة مرحلة تمرد خلقي وعصيان حيث ترتفع نسبة الايثار وكره أمور الغيبة والنميمة».

أما أقل المفردات الخلقية فكانت كما يلي:–

	نعم / لا
إذا وجدت شيئاً نميناً في الطريق فأنني لا أهتم بإعادته لصاحبه	٣ / ٧٠
أنا لا أشعر بالندم عندما أتسبب في إيذاء شخص بريء	٣٣ / ٦٧
أغش في الامتحان إذا سمحت لي الظروف بذلك	٥٥ / ٤٥
أفضل العقاب عن الهروب من المسئولية عن طريق الكذب	٥٩ / ٤١

ويعكس السؤال الأول نزعة الفرد نحو الأمانة وتوجد بنسبة (٧٠٪)، أما السؤال الثاني فيقيس حساسية وفاعلية ضمير الفرد كقوة ردع ويوجد لدى (٦٧٪) من أفراد العينة أما الأمانة في الأمتحان فلا يتمسك بها سوى (٤٥٪) من مجموع أفراد العينة. وبالمقارنة بنسبة الأمانة في رد الشيء الثمين إلى صاحبه (٧٠٪) هكذا نجد أن هذه النتيجة تعطي تأييداً لفرض هارتشورن وماي حول نوعية القيم الخلقية وعدم عموميتها. فالشخص قد يكون أخلاقياً في موقف وقليل الأخلاق في موقف آخر حسب درجة الدافع وشدته. فالامتحان يهمّ عدداً كبيراً من الطلاب للنجاح فيه ولذلك فلا مانع لديهم من الغش في مثل هذه المواقف.

أما الكذب فينفر منه نسبة كبيرة بين أفراد العينة تبلغ ٥٩٪ وهي نسبة تختلف عن تلك المعبرة عن نزعته الخيرية (أنا أحب لأصدقائي ما أحبه لنفسي = ٩٩٪) مما يدل على أن مفهوم الأخلاق فعلا مفهوم متعدد الجوانب أو متعدد العوامل وليس عاملا واحدا بسيطا وإنما هو مفهوم متشعب.

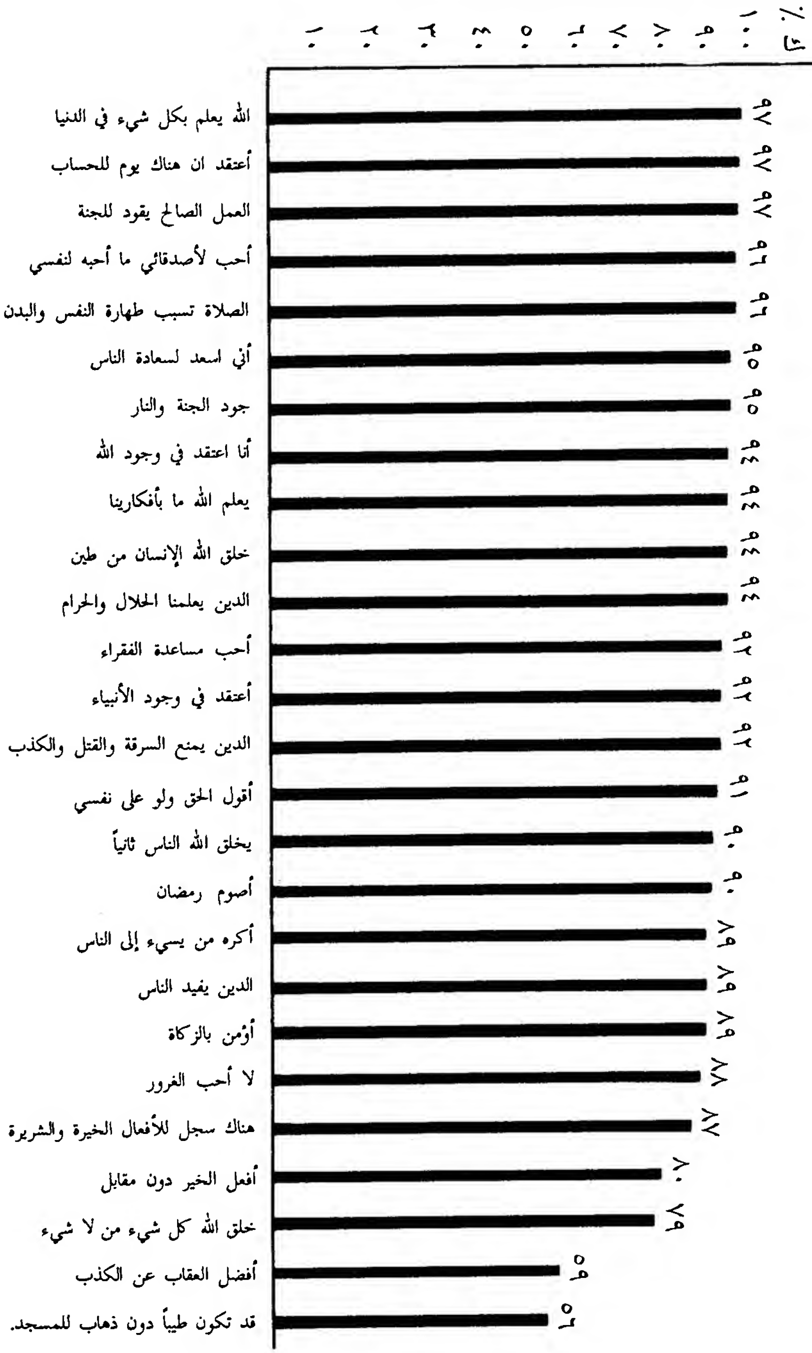
(جدول رقم ٦): يوضح استجابات الموافقة وعدم الموافقة على مفردات الاختبار كله نسبة مئوية من مجموع أفراد العينة ككل. ف = ٤١٥

	نعم	لا
١ – أنا أحب لأصدقائي ما أحبه لنفسي	٩٦	٤
٢ – أنا أقول الحق ولو على نفسي	٩١	٩
٣ – أنا لا أشعر بالندم عندما أتسبب في إيذاء شخص بريء	٣٣	٦٧
٤ – أفضل العقاب على الهروب من المسؤولية عن طريق الكذب	٥٩	٤١
٥ – عندما أعمل خيراً في شخص ما فأنا لا انتظر منه أي شيء	٨٠	٢٠
٦ – أغش في الامتحان إذا سمحت لي الظروف بذلك	٥٥	٤٥
٧ – أنا أكره الشخص الذي يسيء إلى الناس في غيابهم	٨٩	١١
٨ – إذا وجدت شيئاً ثميناً في الطريق فأنني لا أهتم باعادته لصاحبه	٣٠	٧٠
٩ – أنا أشعر بالسعادة عندما أرى الناس سعداء	٩٥	٥
١٠ – أنا أحب دائماً أن أساعد الفقراء	٩٢	٨
١١ – أتمنى أن يرسب جميع الأولاد الذين أكرههم في امتحاناتهم	٢٠	٨٠

«تابع» (جدول رقم ٦)

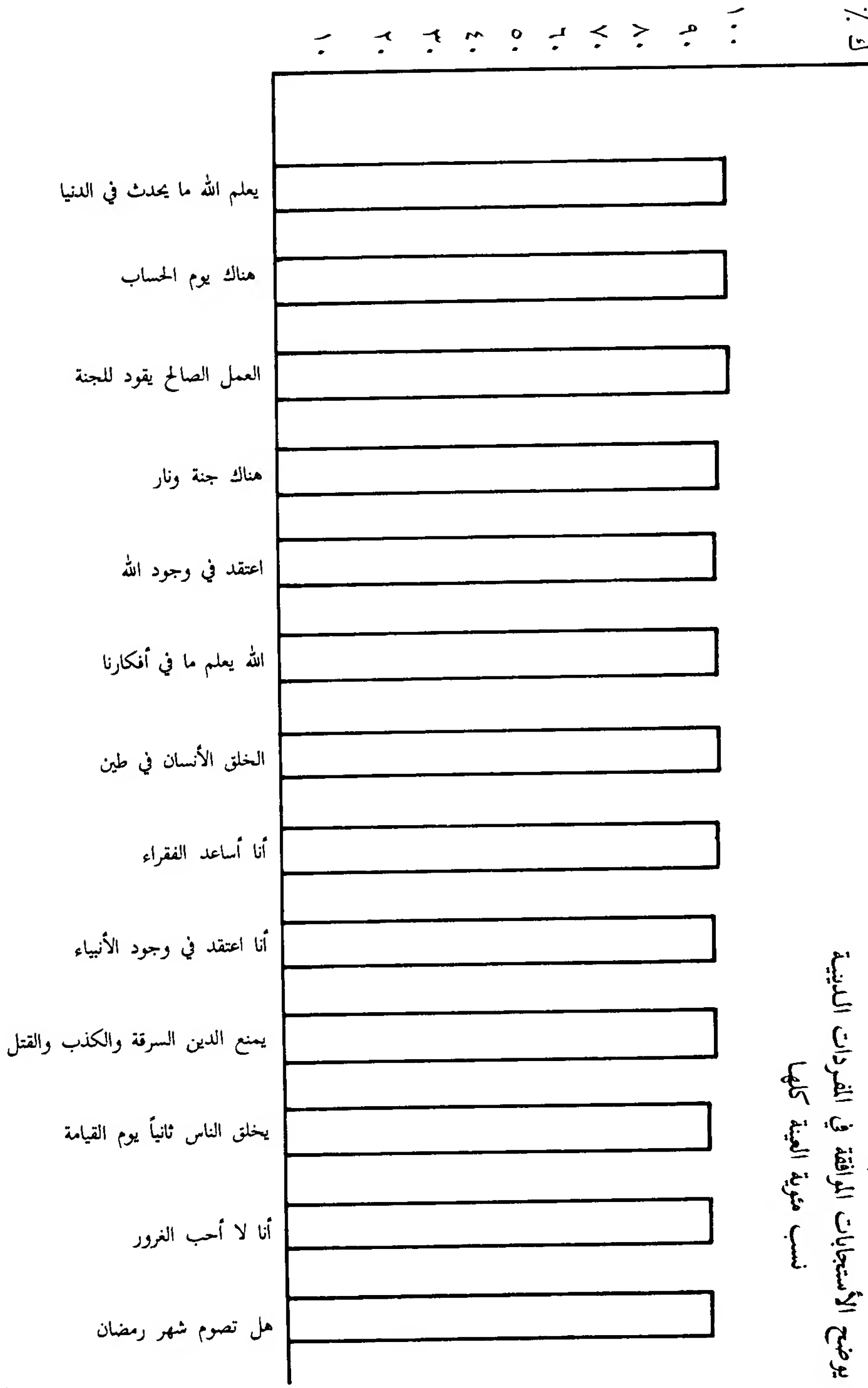
	نعم	لا
١٢ – أنا أعتقد في وجود الله	٩٤	٦
١٣ – أنا أعتقد في وجود الجنة والنار	٩٥	٥
١٤ – أنا أعتقد في وجود الأنبياء	٩٢	٨
١٥ – خلق الله كل شيء من لا شيء	٧٩	٢١
١٦ – الله يعلم بكل شيء يحدث في هذه الدنيا	٩٧	٣
١٧ – يعلم الله ما يجري حتى في داخل افكارنا	٩٤	٦
١٨ – اقدر الشخص الذي يصوم شهر رمضان	٤٨	٥٢
١٩ – إن الدين يفيد جميع الناس	٨٩	١١
٢٠ – اعتقد أن هناك حتماً يوماً للحساب (يوم القيامة)	٩٧	٣
٢١ – خلق الله الانسان من طين	٩٤	٦
٢٢ – في يوم القيامة يخلق الله الانسان ثانية	٩٠	١٠
٢٣ – الدين يمنع الناس من السرقة والكذب والقتل	٩٢	٨
٢٤ – الدين هو الذي يعلمنا الحلال والحرام	٩٤	٦
٢٥ – العمل الصالح يقود صاحبه إلى الجنة	٩٧	٣
٢٦ – الصلاة تسبب طهارة النفس والبدن	٩٦	٤
٢٧ – أنا لا أمانع في الزواج من فتاة أو من شابة من دين آخر	٢٩	٧١
٢٨ – يحتفظ الله بسجل كبير يكتب فيه أعمالنا الخيرة والشريرة	٨٧	١٣
٢٩ – ليس من الضروري ان تذهب للمسجد لكي تكون رجلاً طيباً	٥٦	٤٤
٣٠ – المسلمون والمسيحيون واليهود كلهم متساوون في الطيبة	٣٢	٦٨
٣١ – أنا أؤمن بقيمة الزكاة في حياة المجتمع	٨٩	١١
٣٢ – أنا لا أحب الغرور	٨٨	١٢
٣٣ – أنا أصوم شهر رمضان	٩٠	١٠

شكل رقم - ٨ -
يوضح تكرارات استجابات الموافقة على جميع مفردات الأختبار نسب مئوية العينة كلها.





تابع شكل - ٨ -
يوضح تكرارات أستجابات الموافقة على جميع مفردات الأختبار نسب مئوية العينة كلها



يوضح الأستجابات الموافقة في الفردات الدينية
نسب مئوية العينة كلها

المفردات الدينية:

أما بالنسبة للمفردات الدينية التي احتواها البحث فإن أكثرها انتشاراً ما يلي:-

الله يعلم بكل شيء يحدث في هذه الدنيا	٪٩٧
اعتقد أن هناك حتماً يوماً للحساب (يوم القيامة)	٪٩٧
العمل الصالح يقود صاحبه إلى الجنة	٪٩٧
أنا أعتقد في وجود الجنة والنار	٪٩٥
أنا أعتقد في وجود الله	٪٩٤
يعلم الله ما يجري حتى في داخل افكارنا	٪٩٤
خلق الله الانسان من طين	٪٩٤
أنا أحب دائماً أن اساعد الفقراء	٪٩٢
أنا أعتقد في وجود الأنبياء	٪٩٢
الدين يمنع الناس من السرقة والكذب والقتل	٪٩
في يوم القيامة يخلق الله الانسان ثانية	٪٩٠
أن لا أحب الغرور	٪٩٠
هل تصوم شهر رمضان	٪٩٠

يتضح من ارتفاع هذه النسب إيمان أفراد العينة ومعظمهم من المراهقين بالقيم الدينية مما يدحض الفرض القائل بأن المراهقة تتسم بالالحاد والكفر والشك الديني. وإنما تؤكد الاتجاه القائل بان المراهقة مرحلة زهد وتصوف ولجوء إلى الدين.

وتعكس هذه المفردات الإيمان بالمعتقدات الدينية مثل «خلق الله الانسان من طين» إلى جانب الإيمان يدور الدين في تنمية القيم الخلقية «أنا أحب دائماً أن أساعد الفقراء» وأن الدين يمنع الناس من السرقة والكذب والقتل «فتؤكد هذه النتائج الوظيفة الدنيوية للدين إذ الإيمان في نظر أفراد هذه العينة ليس قاصراً على دخول الجنة وإنما له فائدة في هذه الدنيا ومنها تقويم سلوك الإنسان كالبعد عن السرقة.

أما أقل المفردات الدينية إنتشاراً فكانت كما يلي:

٢٧ – أنا لا أمانع من الزواج من فتاة من دين آخر ٢٩ ٪

٣٠ – المسلمون والمسيحيون واليهود كلهم متساوون في الطيبة ٣٢ ٪

١٨ – أقدر الشخص الذي يصوم شهر رمضان ٤٨ ٪

١٩ – ليس من الضروري أن تذهب إلى المسجد لكي تكون رجلاً طيباً ٤٤ ٪

وهناك ما يقرب من ثلث العينة تعبر عن قبولها للتسامح الديني في شكل الزواج من فتاة من أرباب ديانة أخرى. والمعروف أن التسامح الديني وقبول أرباب الديانات الأخرى يزداد بالتقدم في السن تبعاً للنمو والنضج العقلي. وبالمثل تساوي أرباب الديانات السماوية الثلاثة في الطيبة، حيث يقرر مثل هذه العبارة نحو ثلث العينة أيضاً أما عن دور الصلاة الديني في طهارة النفس والبدن فتقررها (٩٦٪) من مجموع أفراد العينة. وهناك ٤٤٪ من مجموع العينة ترى أنه من الضروري أن تذهب إلى المسجد لكي تكون رجلاً طيباً بينما هناك ما يزيد على النصف لا يرون أن الذهاب للمسجد عملاً ضرورياً لكي تكون رجلاً طيباً. ذلك لأن الانسان يستطيع أن يؤدي فريضة الصلاة في منزله مثلاً. وهناك أقل من نصف العينة (٤٨٪) يقدرون صيام رمضان ويوضح الجدول تنوع العناصر المكونة للمفهوم الديني وللشعور الديني واختلاف وزن وقيمة كل منها واختلاف نسب من يقبلون كل مبدأ من المبادىء الدينية، فالإيمان بأن العمل الصالح يقود صاحبه إلى الجنة (٩٧٪) يفوق بكثير مبدأ آخر وهو الزواج من فتاة من دين آخر (٢٩٪) بفرق قدره (٦٨٪) وهو فرق كبير. فإذن المفهوم الديني أيضاً مفهوم متعدد العناصر وليس مفهوماً بسيطاً.

ويجيب بالايجاب على سؤال:–

هل تصوم شهر رمضان نسبة قدرها ٩٠٪ من أفراد العينة وإذا صحت هذه النتيجة فإنها تدل على تمسك أفراد العينة بالسلوك الديني.

١ – الفرق الجنسي في مفردات مقياس التدين والأخلاق:

تدل هذه النسبة أن هناك زيادة طفيفة في نسب الذكور عن الإناث في المفردات الآتية:

		الفرق ن – ح
١ – افضل العقاب عن الهروب من المسؤولية عن طريق الكذب	٧ ٪	١,٤٠
٢ – إذا وجدت شيئاً ثميناً في الطريق فأنني لا أهتم باعادته لصاحبه	٢ ٪	–
٣ – اتمنى ان يرسب جميع الأولاد الذين اكرههم في امتحاناتهم	٣ ٪	–
٤ – خلق الله كل شيء من لا شيء[1]	٨ ٪	٢,٠٠
٥ – اقدر الشخص الذي يصوم رمضان	٥ ٪	–
٦ – خلق الله الانسان من طين	١ ٪	–
٧ – في يوم القيامة يخلق الله الانسان ثانية	٤ ٪	–
٨ – أنا لا أمانع في الزواج من فتاة من دين آخر[2]	١٤ ٪	٣,٥٠
٩ – المسلمون والمسيحيون واليهود كلهم متساوون في الطيبة	٥ ٪	–

فالذكور يفضلون تلقي العقاب ولا يرغبون في الهروب من المسؤولية عن طريق الكذب وفي هذا يتفق البحث الحالي مع كثير من الدراسات التي وجدت أن الأنثى أكثر ميلاً إلى الأكاذيب البيضاء ويبدو الذكور أقل أمانة في رد الأشياء التي يجدونها في الطريق. وفيما يتعلق بالعقائد فأن الذكور أكثر قبولا لها. «خلق الله كل شيء من لا شيء». وتزيد درجات الذكور زيادة واضحة في التسامح الديني فيما يتعلق بالأزواج وفي تساوي أرباب الديانات السماوية في الطيبة، أما البنات فكانت نسبتهن أزيد من الذكور في المفردات الآتية:–

	الفرق ن – ح
١ – أنا احب لأصدقائي ما أحبه لنفسي والفرق يساوي	٣ ٪
٢ – أنا أقول الحق ولو على نفسي	٣ ٪

(١) لهذا الفرق دلالة إحصائية عند مستوى ثقة٩٥ ٪.
(٢) لهذا الفرق دلالة إحصائية عند مستوى ثقة٩٩ ٪.

٣ – أنا لا أشعر بالندم عندما اتسبب في إيذاء شخص بريء	٣ ٪	
٤ – عندما أعمل خيراً في شخص ما فأنا لا انتظر منه شيء	٣ ٪	
٥ – انا اكره الشخص الذي يسيء الى الناس في غيابهم	٣ ٪	
٦ – انا أشعر بالسعادة عندما أرى الناس الآخرين سعداء	٢ ٪	
٧ – أنا أحب دائماً أن أساعد الفقراء[1]	٩ ٪	٢,٢٥
٨ – أنا اعتقد في وجود الله	٥ ٪	
٩ – أنا أعتقد في وجود الجنة والنار	٣ ٪	
١٠ – انا أعتقد في وجود الأنبياء	٤ ٪	
١١ – الله يعلم كل شيء في هذه الدنيا	٢ ٪	
١٢ – يعلم الله ما يجري حتى في داخل افكارنا	٦ ٪	
١٣ – اعتقد أن هناك حتماً يوماً للحساب	٢ ٪	
١٤ – الدين هو الذي يعلمنا الحلال والحرام	٦ ٪	
١٥ – الدين يمنع الناس من السرقة والكذب والقتل	٤ ٪	
١٦ – يحتفظ الله بسجل كبير يكتب فيه أعمالنا الخيرة والشريرة[2]	١٣ ٪	٤,٣٠
١٧ – هل تصوم شهر رمضان[1]	٧ ٪	٢,٣٠

وواضح أن الفروق طفيفة بحيث يمكن افتراض تساوي الجنسين إلا في قليل من المفردات الدينية والخلقية كالاستعداد عند الانثى لمساعدة الفقراء. وعلى العموم رغم ضآلة الفروق الجنسية فانها تعطي الانطباع بأن الانثى أكثر تمسكاً بالقيم الخلقية. وأظهر هذه الفروق الجنسية لصالح الاناث كانت في المفردة الآتية:–

يحتفظ الله بسجل كبير يكتب فيه أعمالنا الخيرة والشريرة وفي صيام شهر رمضان.

---

(١) لهذا الفرق دلالة إحصائية عالية تفوق مستوى ثقة ٩٥٪.
(٢) لهذا الفرق دلالة إحصائية عالية تفوق مستوى ثقة ٩٩٪.

ولقد حسب الدلالة الاحصائية لهذه الفروق البارزة عن طريق إيجاد النسبة الحرجة للفرق بين كل نسبتين بالتطبيق للقانون الآتي:–

$$ن - ح = \frac{\text{الفرق بين النسبتين}}{\sqrt{\frac{ط_1 ق_1}{ن_1} + \frac{ط_2 ق_2}{ن_2}}}$$

حيث (ن – ح) = النسبة الحرجة للفرق بين كل نسبتين أي نسبة الذكور ونسبة الاناث.

($ط_1$) = نسبة موافقة الذكور

($ق_1$) = عدم موافقة الذكور وتساوي (١ – $ط_1$)

($ط_2$) = نسبة موافقة الاناث على المفردة

(ط ق) = نسبة عدم موافقة الاناث

($ن_1$) = عدد أفراد الذكور

($ن_2$) = عدد أفراد الاناث

وفي الحالات المتطرفة حسبت قيمة (ن – ح) طبقاً للقانون الآتي:

(أي التي يوجد بها أزيد من ٩٠٪)

$$= ن - ح \quad \frac{\text{الفرق بين النسبتين}}{\sqrt{ط_1 ق_1 \left(\frac{1}{ن_1} + \frac{1}{ن_2}\right)}}$$

حيث ($ط_1$) في هذه الحالة تساوي مجموع نسب الموافقة في المجموعتين

و($ق_1$) في هذه الحالة تساوي مجموع عدم الموافقة في المجموعتين

جدول (٧)

يوضح النسب المئوية لاستجابات مفردات اختبار الاخلاق والدين، كل جنس على حدة والفرق الجنسي في كل مفردة.

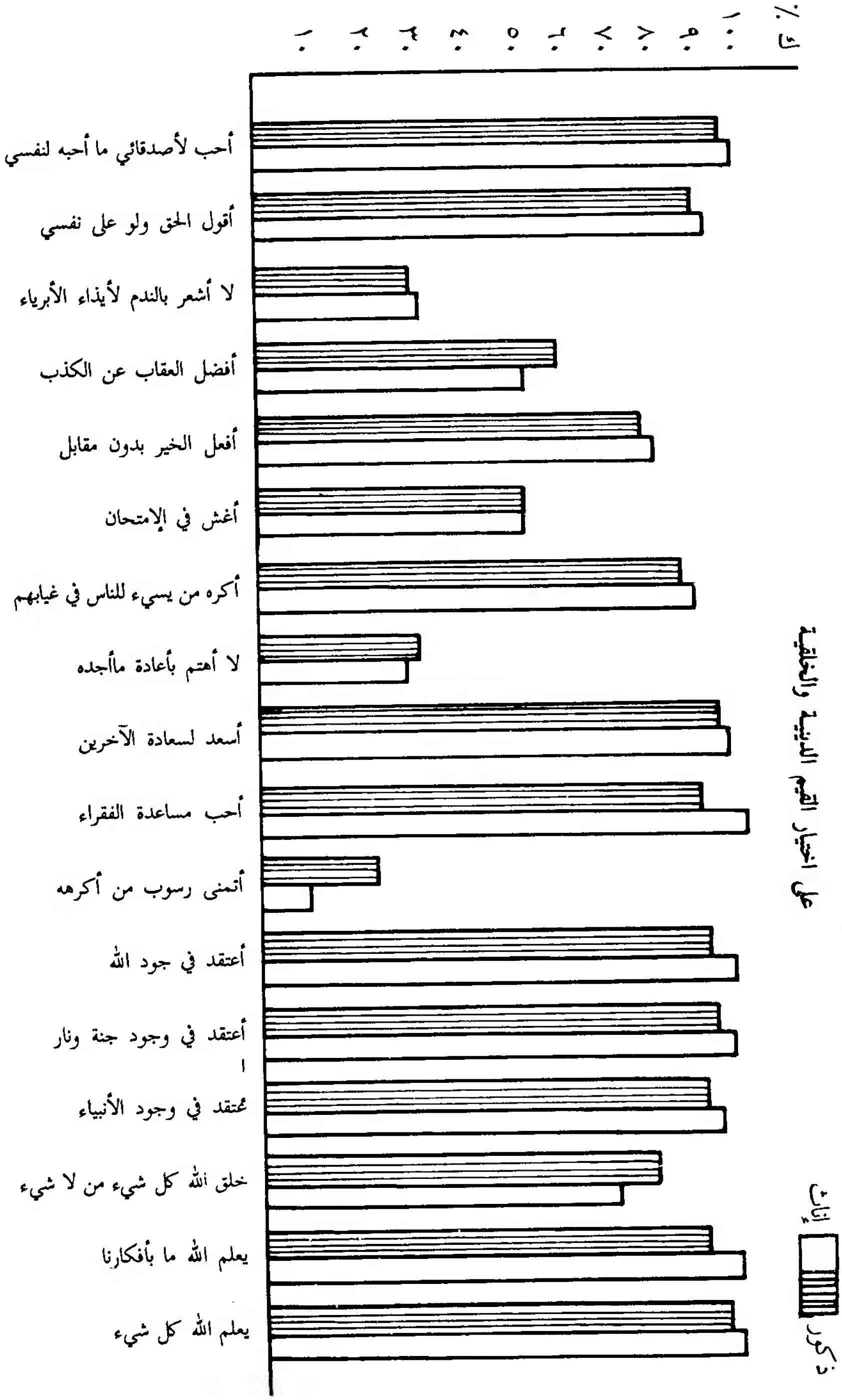
المفردات	ذكور ٢٧٨ نعم	اناث ١٣٧ نعم	الفرق
١ – أنا أحب لاصدقائي ما أحبه لنفسي	٩٥	٩٨	٣
٢ – أنا أقول الحق ولو على نفسي	٩٠	٩٣	٣
٣ – أنا لا أشعر بالندم عندما أتسبب في إيذاء شخص برىء	٣١	٣٤	٣
٤ – أفضل العقاب على الهروب من المسؤلية عن طريق الكذب	٦٢	٥٥*	٧
٥ – عندما أعمل خيراً في شخص ما فأنا لا انتظر منه أي شيء	٧٩	٨٢	٣
٦ – أغش في الامتحان إذا سمحت لي الظروف بذلك	٥٥	٥٥	–
٧ – أنا أكره الشخص الذي يسيء إلى الناس في غيابهم	٨٧	٩٠	٣
٨ – إذ وجدت شيئاً ثميناً في الطريق فأنني لا أهتم بأعادته لصاحبه	٣٣	٣١	٢
٩ – أنا أشعر بالسعادة عندما أرى الناس الآخرين سعداء	٩٥	٩٧	٢

تابع جدول (٧)

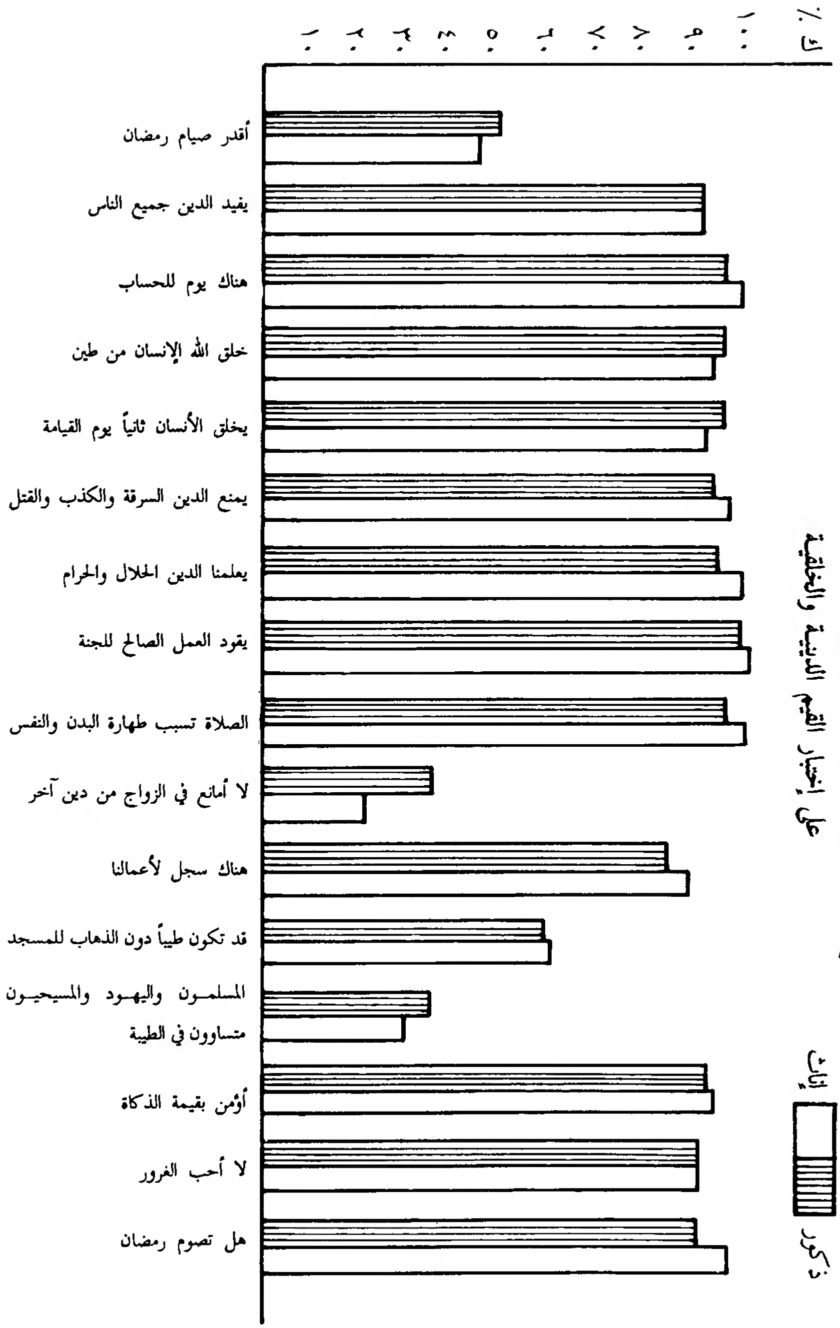
١٠ – أنا أحب دائماً أن أساعد الفقراء	٩١	١٠٠	٩
١١ – أتمنى أن يرسب جميع الأولاد الذين أكرههم في امتحاناتهم	٢٤	١١	١٣
١٢ – أنا أعتقد في وجود الله	٩٣	٩٨	٥
١٣ – أنا أعتقد في وجود الجنة والنار	٩٤	٩٧	٣
١٤ – أنا أعتقد في وجود الأنبياء	٩١	٩٥	٤
١٥ – خلق الله كل شيء من لا شيء	٨٢	٧٤	٨
١٦ – يعلم الله حتى ما يجري في داخل أفكارنا	٩٢	٩٨	٦
١٧ – الله يعلم بكل شيء يحدث في هذه الدنيا	٩٦	٩٨	٢
١٨ – أقدر الشخص الذي يصوم شهر رمضان	٤٩	٤٤	٥
١٩ – أن الدين يفيد جميع الناس	٩٠	٩٠	–
٢٠ – أعتقد أن هناك حتماً يوماً للحساب (يوم القيامة)	٩٦	٩٨	٢
٢١ – خلق الله الإنسان من طين	٩٥	٩٤	١

تابع جدول (٧)

٢٢ – في يوم القيامة يخلق الله الإنسان ثانية	٩٥	٩١	٤
٢٣ – الدين يمنع الناس من السرقة والكذب والقتل	٩٢	٩٦	٤
٢٤ – الدين هو الذي يعلمنا الحلال والحرام	٩٣	٩٩	٦
٢٥ – العمل الصالح يقود صاحبه الى الجنة	٩٨	٩٩	١
٢٦ – الصلاة تسبب طهارة النفس والبدن	٩٥	٩٩	٤
٢٧ – أنا لا أمانع في الزواج من فتاة أو من شابة من دين آخر	٣٤	٢٠	١٤
٢٨ – يحتفظ الله بسجل كبير يكتب فيه أعمالنا الخيرة والشريرة	٨٣	٩٦	١٣
٢٩ – ليس من الضروري أن تذهب إلى المسجد لكي تكون رجلا طيبا	٥٧	٥٨	١
٣٠ – المسلمون والمسيحيون واليهود كلهم متساوون في الطيبة	٣٤	٢٩	٥
٣١ – أنا اؤمن بقيمة الزكاة في حياة المجتمع	٩١	٩٢	١
٣٢ – أنا لا أحب الغرور	٨٨	٨٨	–
٣٣ – هل تصوم رمضان	٨٨	٩٥	٧



شكل رقم – ١٠ –
النسب المئوية لاستجابات الموافقة لكل من الإناث والذكور
على اختيار القيم الدينية والخلقية



يوضح النسب المئوية لاستجابات الموافقة لكل من الإناث والذكور على اختبار القيم الدينية والخلقية

ارتياد أماكن العباد

تناول البحث دراسة مدى ارتياد أفراد العينة لأماكن العبادة حيث ورد باستمارة البحث السؤال الآتي:

اذهب إلى المسجد يومياً أسبوعياً شهرياً سنوياً لا أذهب.

وذلك بقصد التعرف على مدى ممارسة أفراد العينة لمظهر من مظاهر السلوك الديني وهو ارتياد أماكن العبادة. والجدول رقم (٨) يلخص هذه النتائج بالنسبة للعينة ككل ولكل جنس على حدة والفرق الجنسي. ومنه يتضح أن هناك (٤٢٪) يرتادون المساجد يومياً (٢٣٪) أسبوعياً بينما هناك (٢٧٪) لا يذهبون اطلاقاً. ومعنى هذا أن هناك (٦٥٪) يذهبون يومياً وأسبوعياً وهي نسبة تبدو معقولة. ولكنها ليست بذات الارتفاع الذي لاحظناه فيما يتعلق بالقيم الدينية كالاعتقاد في وجود الجنة والنار (٩٧٪). وتتفق هذه النتيجة مع الاستجابة السابق بيانها والخاصة بأنه ليس من الضروري أن يذهب المرء للمسجد لكي يكون رجلاً طيباً حيث قبل هذه العبارة (٥٦٪) من مجموع الأفراد وهي نسبة متقاربة.

وهنا نتساءل أيهما أكثر ارتياداً للمسجد الذكور أم الإناث؟

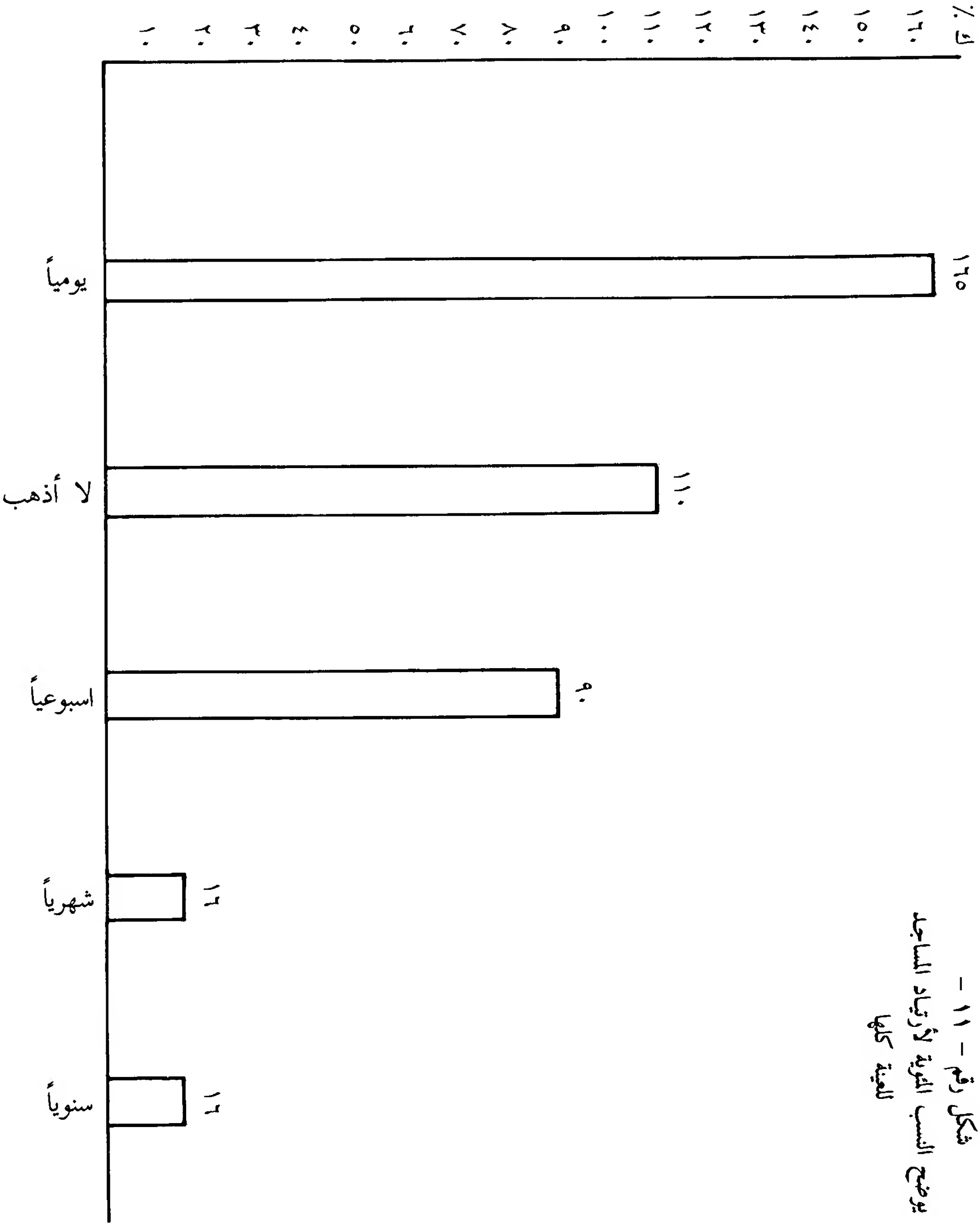
يكشف الجدول أن الذكور أكثر ارتياداً للمساجد عن الإناث وهناك فرق قدره (٧٥ – ٤٣ = ٣٢٪) وهو فرق جوهري إذ وجدت نسبته الحرجة تساوي (١٠).

جدول رقم (٨): يوضح التكرارات والنسب المئوية لارتياد المساجد بالنسبة للعينة كلها والذكور والاناث كل على حدة والفرق الجنسي.

ارتياد المساجد	العينة كلها		الذكور		الإناث		الفرق	ن – ح
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	٪	
يومياً	١٦٥	٤٢	١١١	٤٢	٥٤	٤٠	٢	
اسبوعياً	٩٠	٢٣	٨٦	٣٣	٤	٣	٣٠	–١٠,٠ * *
شهرياً	١٦	٤	٩	٣	٧	٥	٢	
سنوياً	١٦	٤	٨	٣	٨	٦	٣	١,٥٠
لا أذهب	١١٠	٢٧	٤٩	١٩	٦١	٤٦	٢٧	٦,٧٥ * *
المجموع	٣٩٧		٢٦٣		١٢٤			

* * لهذا الفرق دلالة احصائية تفوق مستوى ثقة ٩٩٪.

ويبدو هذا الفرق مقبولاً في ضوء صعوبة خروج الانثى وذهابها للمسجد في كل أوقات الفروض كالفجر مثلا. وهنا يلزم تشجيع أفراد الجنسين على المزيد من ارتياد أماكن العبادة وجعلها أماكن جذب للشباب وتقديم ألوان مختلفة من الثقافة العصرية والعلم داخل المسجد حتى يكثر الشباب من التردد على المساجد كتنظيم محاضرات وندوات ودروس علمية في ساحات – المساجد. كما ينبغي تعديل اتجاهات الأسرة وعدم حجبها للفتاة حتى تذهب للمسجد على قدم المساواة مع الفتى.



شكل رقم - ١١ -
يوضح النسب المئوية لأرتياد المساجد
للعينة كلها

تأدية الصلاة

تضمن الاستخبار سؤالا حول مدى ممارسة أفراد العينة لفريضة الصلاة والجدول رقم (٩) يعرض نتائج تحليل هذا السؤال بالنسبة لأفراد العينة ككل ولكل جنس على حدة في شكل تكرارات - ونسب مئوية والفرق الجنسي. ومنه يتضح أن (٥٦٪) يؤدون الصلاة يومياً، (١٨) أسبوعياً ومعنى هذا أن (٧٤٪) أي نحو ثلاثة أرباع العينة يؤدون الصلاة يومياً وأسبوعياً وهي نسبة تبدو مقبولة ومعقولة ويمكن مقارنتها بنسبة ارتياد المساجد وهي (٦٥٪) ومن المنطقي أن تأدية الصلاة المباحة في كل مكان تفوق نسبتها نسبة ارتياد المساجد.

وهناك نحو خمس العينة لا يؤدون الصلاة. ويدعونا هذا إلى ضرورة توجيه العناية لتكوين عادات ممارسة العبادة في النشء.

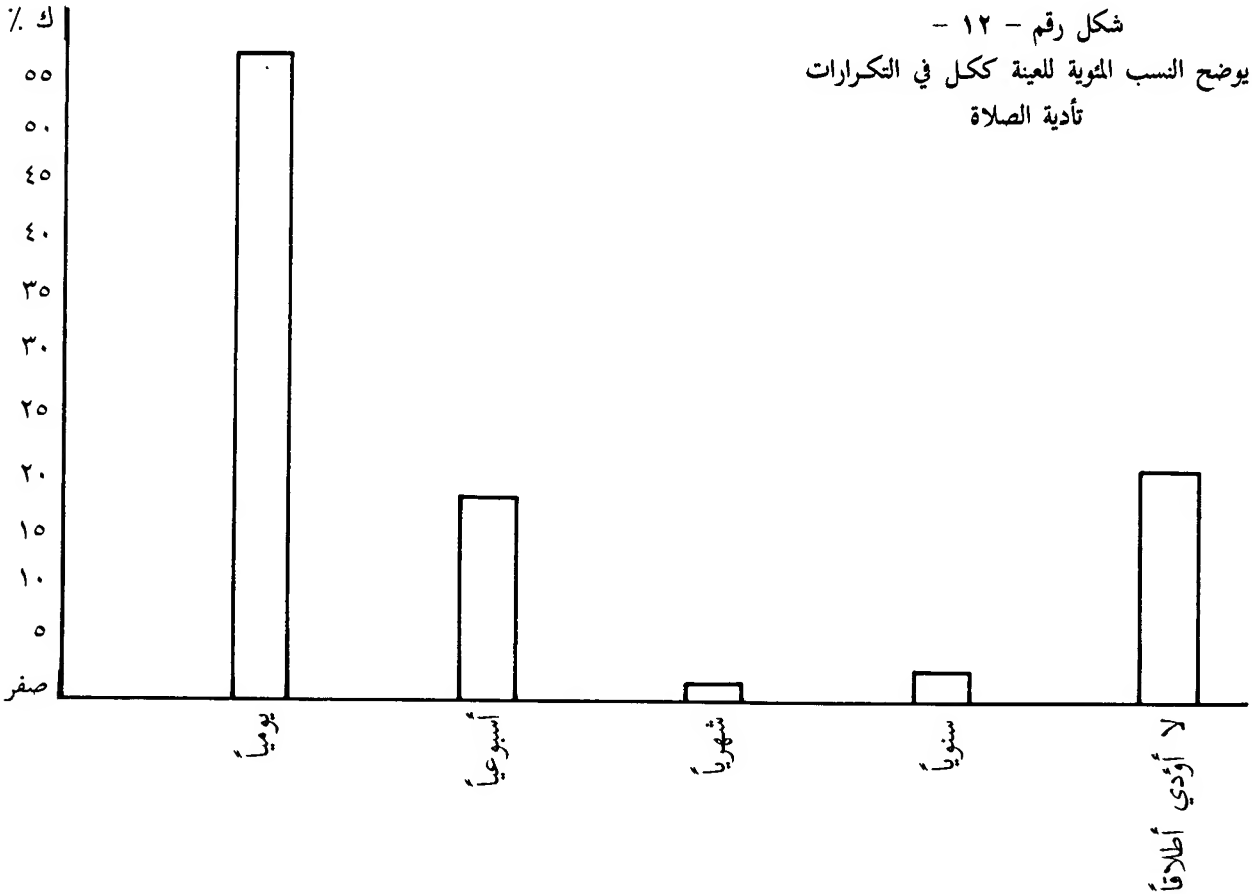
أما بالنسبة للفرق الجنسي فأيهما أكثر تأدية للصلاة؟

وعلى العكس مما ينتهي إليه العديد من البحوث السابقة، فإن الاناث في هذه الدراسة تقل نسبة تأديتهن للصلاة عن الذكور. ويرجع ذلك إلى التربية الأسرية والدينية التي ينبغي أن توجه عنايتها للفتاة.

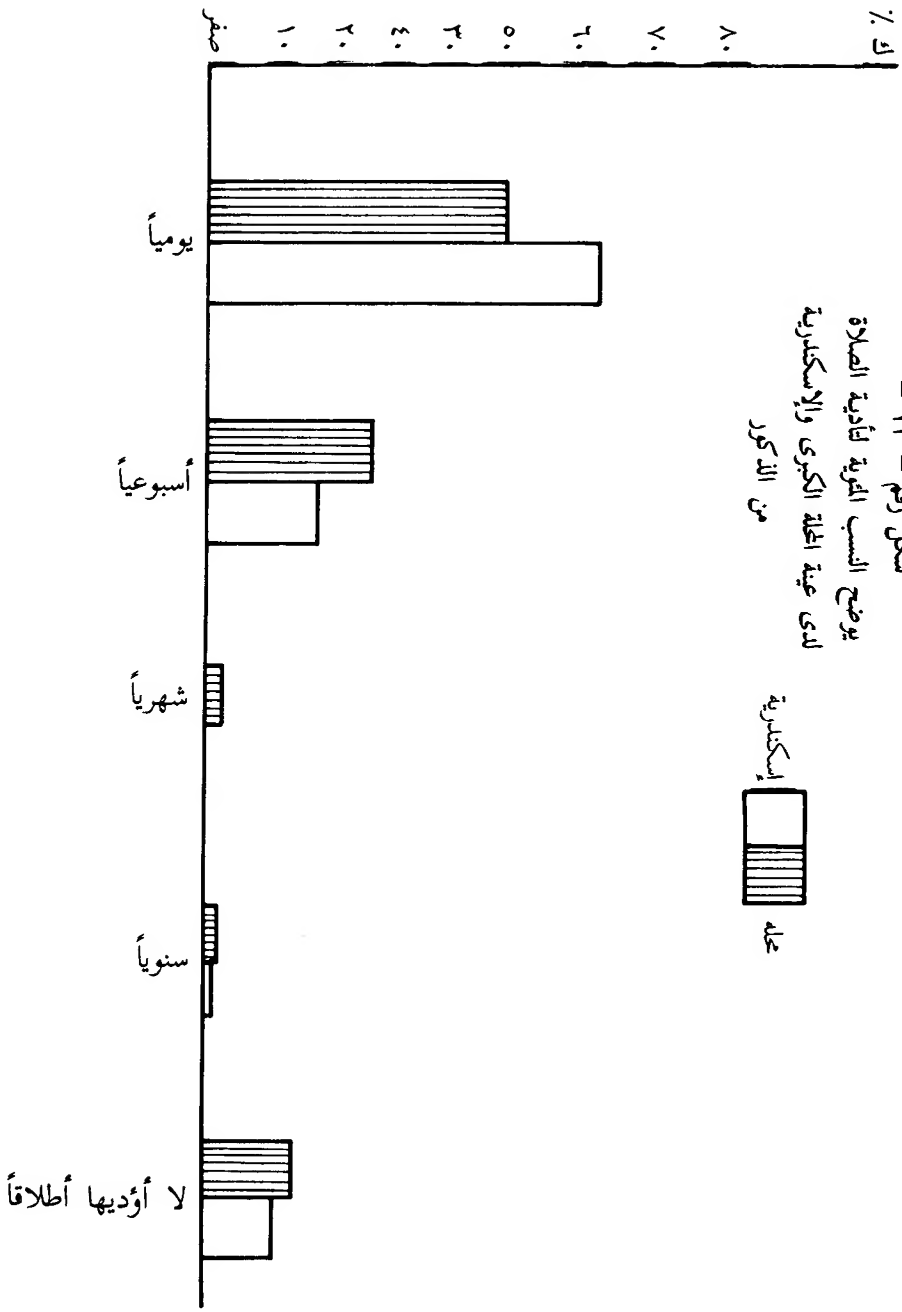
(**جدول رقم ٩**): يوضح النسب المئوية لتأدية الصلاة بالنسبة للعينة ككل ولكل جنس على حدة.

تأدية الصلاة	العينة كلها		ذكور		اناث		الفرق	ن - ح
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	٪	
يومياً	٢٢٨	٥٦	١٤٨	٥٥	٨٠	٥٨,٤	٣,٤	
أسبوعياً	٧٢	١٨	٦٨	٢٥,٣	٤	٣	٢٢,٣	٧,٤٠ * *
شهرياً	٩	٢	٦	٢	٣	٣,٢	٠,٢	
سنوياً	١١	٣	٨	٣	٣	٢,٢	٠,٨	
لا اؤديها إطلاقاً	٨٦	٢١	٣٩	١٤,٥	٤٧	٣٤	١٩,٥	٤,١٤ * *
المجموع	٤٠٦	١٠٠	٢٦٩		١٣٧			

* * لهذا الفرق دلالة إحصائية تفوق مستوى ثقة ٩٩٪.



شكل رقم - ١٢ -
يوضح النسب المئوية للعينة ككل في التكرارات
تأدية الصلاة



شكل رقم - ١٣ -
يوضح النسب المئوية لتأدية الصلاة
لدى عينة المحلة الكبرى والإسكندرية
من الذكور

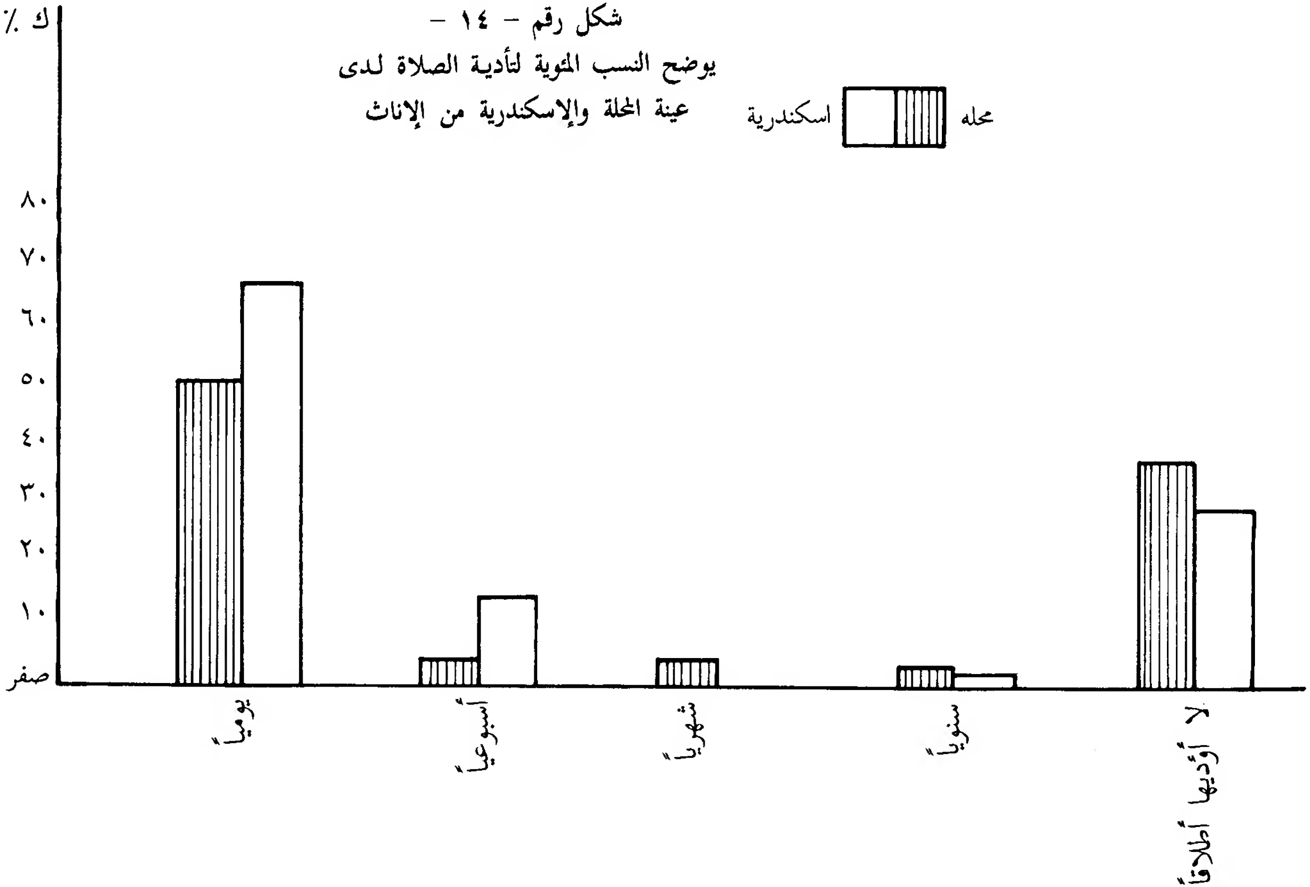
هل هناك فرق أقليمي في تأدية الصلاة؟

لقد روُي البحث عما إذا كانت تأدية الصلاة تختلف في كثافتها وتكرارها لدى أفراد عينة المحلة الكبرى عنها لدى عينة الاسكندرية ولذلك حللت النتائج طبقاً للفرق الأقليمي أو الجغرافي هذا والجدول (رقم ١٠) يعرض هذه النتائج في شكل نسب مئوية ومنها يتضح أنه بالنسبة للذكور والإناث كل على حدة تتفوق عينة الاسكندرية في تأدية الصلاة عن عينة المحلة الكبرى.

تأدية الصلاة	ذكور		الفرق	ن - ح	اناث		الفرق	ن - ح
	المحلة	اسكندرية			المحلة	اسكندرية		
يومياً	٥٠	٦٦	١٦	٢,٧٠	٥١	٦٧	١٦	٢ *
أسبوعياً	٢٨	١٩	٩		٤	١٥	٢,٥	
شهرياً	٣	صفر	٣		٤	صفر	٤	
سنوياً	٣	٢	١		٣	١,٥	١,٥	
لا أؤديها	١٦	١٢	٣		٢٨	٣٠	٨	

ولا تتفق هذه النتيجة مع القول بأن أبناء الأقاليم أكثر تديناً عن أبناء المدن الكبرى. ومعنى هذا أن مظاهر التحضر والمدنية في مدينة كالأسكندرية لا تؤثر تأثيراً سلبياً على الشباب في تأدية فرائض الصلاة على العكس مما يفترض.

(*) لهذا الفرق دلالة احصائية عند مستوى ثقة ٩٥٪.



شكل رقم - ١٤ -
يوضح النسب المئوية لتأدية الصلاة لدى
عينة المحلة والإسكندرية من الإناث

جدول رقم ١٠: يوضح المقارنة في تأدية الصلاة بين عينة الاسكندرية وعينة المحلة الكبرى في شكل تكرارات لكل جنس على حدة.

تأدية الصلاة	ذكور		إناث	
	اسكندرية	المحلة	اسكندرية	المحلة
يومياً	٥٧	٩١	٤١	٣٩
اسبوعياً	١٦	٥٢	١	٣
شهرياً	–	٦	–	٣
سنوياً	٢	٦	١	٢
لا أؤديها	١١	٢٨	١٨	٢٩
المجموع	٨٦	١٨٣	٦١	٧٦

المعرفة الدينية:

استهدفت الدراسة الحالية التعرف على كم اكتساب الفرد من المعرفة الدينية عن طريق سؤاله لتحديد أركان الاسلام الخمس ومعرفته بالأنبياء والشخصيات الدينية.

ويكشف تحليل هذه النتائج أن معرفة العينة بركن الزكاة أزيد من الصوم والحج وإن كانت جميع النسب تتجاوز الـ ٩٠ ٪ من مجموع أفراد العينة مما يعكس إلمامهم الكافي بهذا العنصر من المعرفة الدينية.

أما بالنسبة للفرق الجنسي فيلاحظ تفوق الذكور على الإناث في جميع الأركان الخمسة وتتفق هذه النتيجة الحالية مع النتيجة السابقة من حيث زيادة نسبة الذكور في ارتياد أماكن العبادة وفي تأدية الصلاة وقد يتمشى ذلك مع نظرة الاسلام بأن المرأة أقل تديناً من الرجل «النساء ناقصات عقلاً وديناً» وفي هذا ما يدعو الجمعيات النسائية والدينية والمؤسسات التربوية إلى توجيه مزيد من الاهتمام لتربية الانثى المصرية دينيا.

جدول رقم ١١: يوضح التكرارات والنسب المئوية لاستجابات أفراد العينة ككل في أركان الاسلام الخمس.

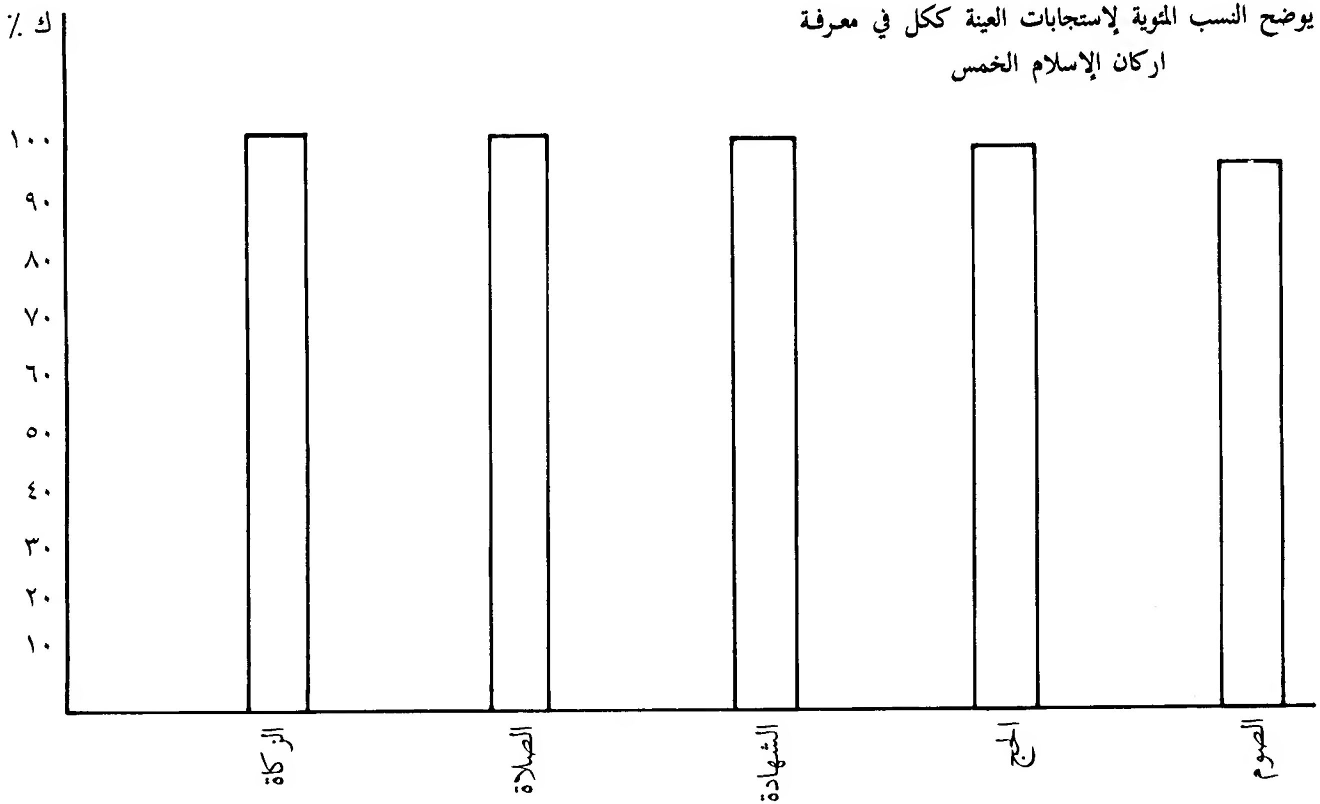
أركان الإسلام	العينة كلها ٤٠٠		الذكور ٢٦٥		الاناث ١٣٥		الفرق بين الجنسين	ن.ح
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	٪	
الشهادة	٣٨٥	٩٦	٢٥٦	٩٧	١٢٩	٩٥,٥	٢	
الصوم	٣٧٤	٩٣	٢٥٥	٩٠	١١٩	٨٨	٨	**٢,٧٠
الصلاة	٣٩٠	٩٧	٢٦٣	٩٩	١٢٨	٩٥	٤	
الزكاة	٣٩٣	٩٨	٢٦٥	١٠٠	١٢٨	٩٥	٥	
الحج	٣٧٨	٩٤,٥	٢٥٦	٩٧	١٢٢	٩٠	٧	

الفرق الاقليمي في المعرفة الدينية:

تكشف الجداول عن الفروق التي ترجع الى الاختلاف الجغرافي لدى الاناث والذكور كل على حدة، ومنها يتضح أن عينة الاسكندرية اكثر إلماماً بأركان الاسلام الخمسة عن عينة المحلة الكبرى وأبرز هذه الفروق في جماعة الذكور في «الشهادة» (٩٪) ولدى الإناث في «الصلاة» وفرق (٨٪) وتتفق هذه النتيجة مع النتائج السابقة من حيث تفوق العينة السكندرية.

(* *) لهذا الفرق دلالة احصائية تفوق مستوى ثقة ٩٩٪.

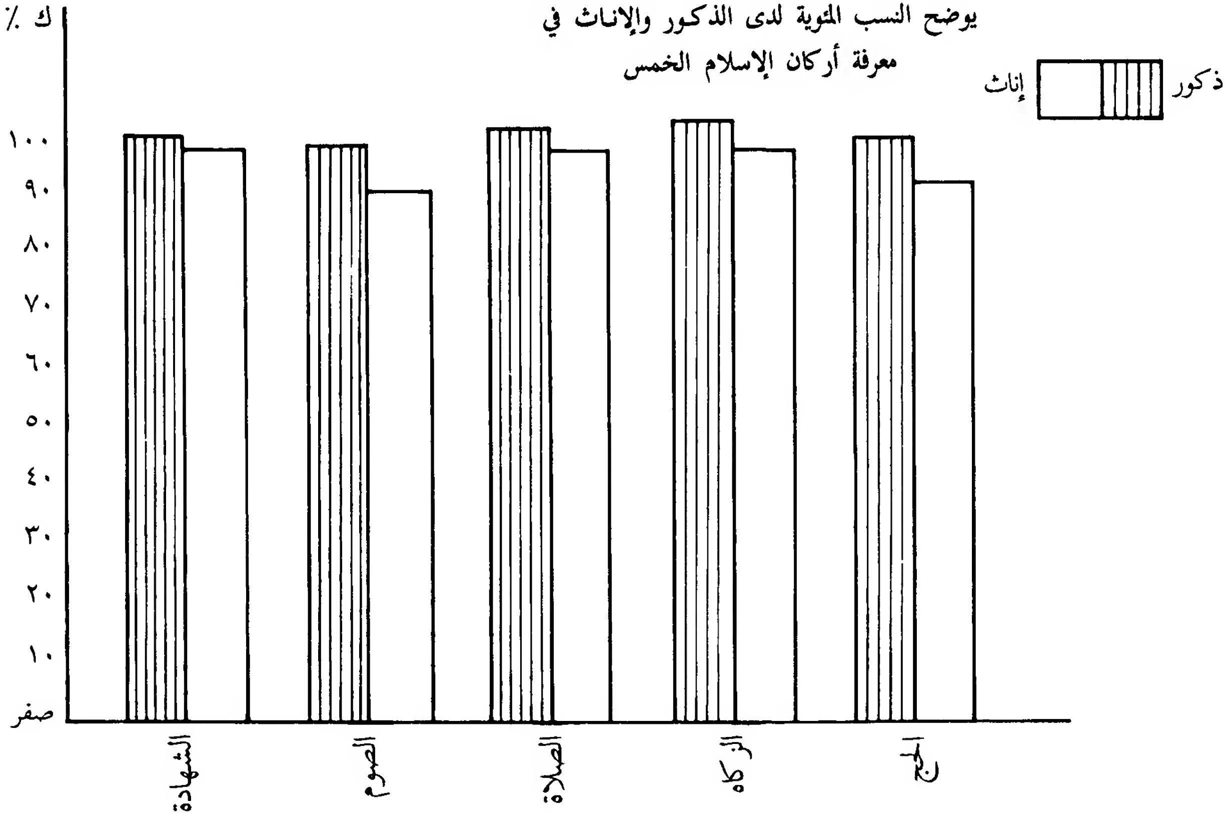
شكل رقم - ١٥ -
يوضح النسب المئوية لإستجابات العينة ككل في معرفة
اركان الإسلام الخمس



شكل رقم - ١٦ -

يوضح النسب المئوية لدى الذكور والإناث في

معرفة أركان الإسلام الخمس



جدول رقم ١٢: يوضح النسب المئوية والتكرارات في أركان الإسلام الخمس لعينة المحلة الكبرى كل جنس على حدة.

أركان الاسلام	العينة كلها ٢٥٩		الذكور ١٨٣		الاناث ٧٦		الفرق الجنسي	ن - ح
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	٪	
الشهادة	٢٣٧	٩١,٥	١٦٦	٩١	٧١	٩٣	٢	٠,٥
الصوم	٢٣٦	٩١	١٧٠	٩٣	٦٦	٨٧	٦	١,٥
الصلاة	٢٤١	٩٣	١٧٣	٩٥	٦٨	٨٩	٦	١,٥
الزكاة	٢٤٤	٩٤	١٧٥	٩٦	٦٩	٩١	٥	١,٢٥
الحج	٢٣٧	٩١,٥	١٧١	٩٣	٦٦	٨٧	٦	١,٥

ويتضح من هذا الجدول أن أكثر العناصر هي الزكاة وأقلها الصوم كما يلاحظ أن هناك فرقاً جنسياً في معظم الأركان لصالح الذكور.

جدول رقم ١٣: يوضح النسب المئوية للمعرفة الدينية لدى عينة الاسكندرية وعينة المحلة الكبرى والفرق بينهما.

أركان الإسلام	ذكور			إناث		
	اسكندرية	المحلة	الفرق	اسكندرية	المحلة	الفرق
الشهادة	١٠٠	٩١	٩	٩٥	٩٣	٢
الصوم	٩٩	٩٣	٦	٨٧	٨٧	صفر
الصلاة	١٠٠	٩٥	٥	٩٨	٨٩	٩
الزكاة	١٠٠	٩٦	٤	٩٧	٩١	٦
الحج	٩٩	٩٣	٦	٩٢	٨٧	٥

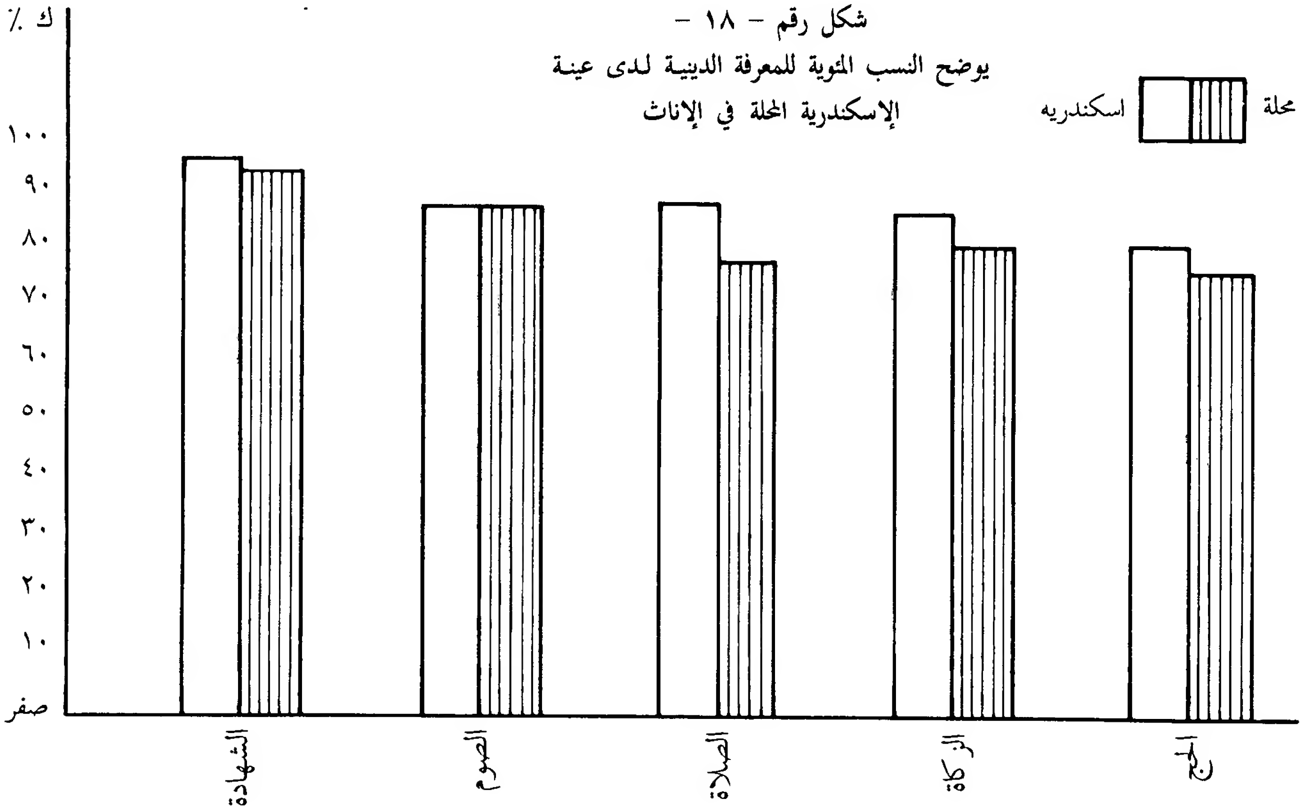
شكل رقم – ١٧ –

يوضح النسب المئوية للمعرفة الدينية عينة الإسكندرية والمحلة عن الذكور



شكل رقم - ١٨ -

يوضح النسب المئوية للمعرفة الدينية لدى عينة
الإسكندرية المحلة في الإناث



جدول رقم ١٤: يوضح النسب المئوية والتكرارت لاستجابات أركان الاسلام لدى عينة الاسكندرية.

اركان الاسلام	العينة كلها ١٤٧		الذكور ٨٦		الاناث ٦١		الفرق الجنسي	ن - ح
	ك	٪	ك	٪	ك	٪		
الشهادة	١٤٧	١٠٠	٨٦	١٠٠	٥٨	٩٥	٥	
الصوم	١٣٨	٩٤	٨٥	٩٩	٥٣	٨٧	١٢	٣ * *
الصلاة	١٤٧	١٠٠	٨٦	١٠٠	٦٠	٩٨	٢	
الزكاة	١٤٧	١٠٠	٨٦	١٠٠	٥٩	٩٧	٣	
الحج	١٤١	٩٦	٨٥	٩٩	٥٦	٩٢	٧	١,٨

من هذا الجدول يلاحظ أن أكثر الأركان ذكراً هي الصلاة والزكاة وأن أقلها الصوم. كما يلاحظ فرق جنسي في جميع الأركان لصالح الذكور وأكبر فرق يلاحظ في «الصوم» ويصل إلى حد الدلالة الإحصائية تبعاً لقيمة النسبة الحرجة عند مستوى ثقة يفوق الـ (٩٩٪).

الأنبياء والرسل والشخصيات الدينية:

كعنصر من عناصر المعرفة الدينية تضمن الاستخبار سؤالاً حول الأنبياء والرسل والشخصيات الدينية التي يعرفها أو سمع عنها المفحوص. وأمكن تحليل استجابات أفراد العينة ككل وكل جنس على حدة وأفراد عينة المحلة في مقارنة عينة الاسكندرية وذلك في كل تكرارات للخاصيات ونسب مئوية من مجموع أفراد كل عينة على حدة.

(* *) لهذا الفرق دلالة احصائية تفوق مستوى ثقة ٩٩٪.

جدول رقم ١٥: يوضح استجابات أفراد العينة ككل وكل جنس على حده، نسب مئوية من مجموع أفراد العينة وتكرارات والفرق الجنسي في تحديد أسماء الأنبياء والشخصيات الدينية.

الاسم	الكل ٥٢١		ذكور ٣٤١		إناث ١٨٠		الفرق ٪
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	
سيدنا محمد	٥٠٤	٩٩	٣٣٧	٩٩	١٧٧	٩٨	١
سيدنا ابراهيم	٤١١	٧٩	٢٦٩	٧٩	١٤٢	٧٩	–
سيدنا عيسى	٤٩٤	٩٤	٣٢٨	٩٦	١٦٦	٩٢	٤
سيدنا موسى	٤٨٢	٩٣	٣١٨	٩٣	١٦٤	٩١	٢
سيدنا اسماعيل	١٠٠	١٩	٦٩	٢٠	٣١	١٧	٣
سيدنا يعقوب	٨	١٦	٥٩	١٧	٢٢	٢	٥
سيدنا نوح	٢٣٦	٤٥	١٥٣	٤٥	٨٣	٤٦	١
سيدنا داود	٩٨	١٩	٧١	٢١	٢٧	١٥	٦
سيدنا هود	٣٥	٦	٢٦	٨	٩	٥	٣
سيدنا هارون	١١	٢	٧	٢	٤	٢	–
سيدنا يوسف	٩٠	١٧	٧٠	٢١	٢٠	١١	١٠
سيدنا لوط	٢٣	٤	١٩	٦	٤	٢	٤
سيدنا اسحاق	٣١	٥	١٩	٦	١٢	٦,٦	٦ ,
سيدنا يونس	٥١	٩	٣٦	١١	١٥	٨	٣

تابع جدول رقم ١٥

الاسم	الكل ٥٢١		ذكور ٣٤١		إناث ١٨٠		الفرق
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	
سيدنا آدم	١٨	٣	١٤	٤	٤	٢	٢
سيدنا بلال	١	,٢	—	—	١	,٥	,٥
سيدنا شعيب	٩	٢	٦	٢	٣	١,٦	,٤
سيدنا ميخائيل	٢	,٤	٢	,٦	—	—	,٦
سيدنا جبريل	١٥	٣	١١	٣	٤	٢	١
سيدنا ادريس	٦	١	٤	١	٢	١	—
سيدنا سليمان	٤٣	٨	٢٩	٩	١٤	٧	٢
سيدنا صالح	١٢	٢	١٠	٣	٢	١	٢
سيدنا يوحنا	١	,٢	—	—	١	,٥	,٥
سيدنا يحيى	١٩	٤	٨	٢	١١	٦	٤
سيدنا الخضر	٥	,١٠	٣	,٩	٢	١	,١
سيدنا دانيال	٤	,٨	٢	,٦	٢	١	,٤
سيدنا ذكريا	١١	٢	٩	٣	٢	١	٢
سيدنا أيوب	٧	١,٤	٢	,٦	٥	٣	٢,
سيدنا عاد	٢	,٤	—	—	٢	١	١
سيدنا الحسين	٢	,٤	—	—	٢	١	١

تابع جدول رقم ١٥

الاسم	الكل ٥٢١ ك	%	ذكور٣٤١ ك	%	إناث ١٨٠ ك	%	الفرق
سيدنا ذو الكفل	٧	١	٥	١	٢	١	—
سيدنا ذو النون	١	,٢	—	—	١	,٥	,٥
سيدنا الياس	١	,٢	—	—	١	,٥	,٥
سيدنا لقمان	٢	,٤	—	—	٢	١	١
سيدنا علي	١١	٢	٧	٢	٤	٢	—
سيدنا طه	٣	,٤	١	,٣	١	,٥	,٢
سيدنا بنيامين	٢	,٤	١	,٣	١	,٥	,٢
سيدنا ذو الفضل	١	,٢	١	,٣	—	—	,٣
مجموع	٢٨٤١	١٨٩٦		٩٤٥			
%	٥٤٥		٥٥٦		٥٢٥		٣١
المتوسط	٥,٤٥		٥,٦٠		٥,٢٥		,٣٥

متوسط ما يذكره المفحوص من أسماء هو ٥,٤٥ أي نحو خمسة اسماء ونصف بالنسبة للعينة ككل ولكن أيهما أكثر إلماماً بأسماء الشخصيات الدينية والأنبياء؟ يدل المتوسط على تفوق الذكور بفرق قدره ٣٥ , بين المتوسطين ويوحي هذا بأن الذكور أكثر ثقافة من الناحية الدينية عن الإناث ولكن يدل التحليل الجزئي للأسماء على تفوق الإناث في بعض الشخصيات مثل «سيدنا يحيى» و «سيدنا ايوب» وان كانت الفروق طفيفة جداً في هذه الحالات الجزئية. ويلاحظ أن أكثر الأسماء ترددأ

هي حسب تكرارها كما يلي بالنسبة للعينة ككل:

سيدنا محمد

سيدنا علي

سيدنا موسى

سيدنا ابراهيم

سيدنا نوح

سيدنا داود

سيدنا يوسف

سيدنا يعقوب

سيدنا يونس

وبالنسبة للذكور وحدهم: -

١) سيدنا محمد
٢) سيدنا عيسى
٣) سيدنا موسى
٤) سيدنا ابراهيم
٥) سيدنا نوح
٦) سيدنا داود
٧) سيدنا يوسف
٨) سيدنا اسماعيل
٩) سيدنا يعقوب

وبالنسبة للاناث وحدهن: -

١) سيدنا محمد
٢) سيدنا عيسى
٣) سيدنا موسى
٤) سيدنا ابراهيم
٥) سيدنا نوح
٦) سيدنا اسماعيل
٧) سيدنا يعقوب
٨) سيدنا داود
٩) سيدنا يوسف

جدول رقم ١٧: يوضح المقارنة بين استجابات عينة الاسكندرية وعينة المحلة الكبرى في شكل تكرارات.

الاسم	ذكور		إناث	
	الاسكندرية ١٥٨	المحلة ١٨٣	الاسكندرية ١٠٤	المحلة ٧٦
سيدنا محمد	١٥٨	١٧٩	١٠٤	٧١
سيدنا ابراهيم	١٠٥	١٢٤	٨١	٦١
سيدنا عيسى	١٥٨	١٦٦	٩٥	٧١
سيدنا موسى	١٥٨	١٦٣	٩٤	٧٠
سيدنا اسماعيل	٣٧	٣٢	٢٢	٩
سيدنا يعقوب	٤٦	١٣	٢١	١
سيدنا نوح	٧٢	٨١	٤٢	٤١
سيدنا داود	٥٠	٢١	٢٦	١
سيدنا هود	١٩	٧	٩	–
سيدنا هارون	٥	٢	٣	١
سيدنا يوسف	٤٩	٢١	١١	٩
سيدنا لوط	١٤	٥	٤	–
سيدنا اسحاق	١٣	٦	١٢	–
سيدنا يونس	١٦	٢٠	٥	١٠

«تابع» جدول رقم ١٧

الاسم	ذكور		إناث	
	اسكندرية ١٥٨	المحلة ١٨٣	اسكندرية ١٠٤	المحلة ٧٦
سيدنا آدم	١١	٣	٤	—
سيدنا بلال	—	—	١	—
سيدنا شعيب	٦	—	٣	—
سيدنا ميخائيل	٢	—	—	—
سيدنا جبريل	٣	٨	١	٣
سيدنا ادريس	١٦	١	١	١
سيدنا سليمان	٢١	٨	١٠	٤
سيدنا صالح	٨	٢	١	١
سيدنا يوحنا	—	—	—	١
سيدنا يحيى	٥	٣	١١	—
سيدنا خضر	٢	١	٢	—
سيدنا دنيال	٢	—	٢	—
سيدنا ذكريا	٨	١	٢	—
سيدنا ايوب	٢	—	٥	—
سيدنا عاد	—	—	٢	—

«تابع» جدول رقم ١٧

الاسم	ذكور		إناث	
	اسكندرية ١٥٨	المحلة ١٨٣	اسكندرية ١٠٤	المحلة ٧٦
سيدنا ذو الكفل	٥	–	٢٢	–
سيدنا ذا النون	–	–	١	–
سيدنا الياس	–	–	١	–
سيدنا لقمان	–	–	٢	–
سيدنا علي	٦	١	٤	–
سيدنا طه	١	–	١	–
سيدنا بنيامين	١	–	١	–
سيدنا ذو الفضل	١	–	–	–
سيدنا الحسين	–	–	–١	١
مجموع	١٠٤٠	٨٦٨	٥٧٨	٣٥٦
النسبة	٦٥٨	٤٧٤	٥٦٤	٤٦٨
المتوسط	٦,٥٨	٤,٧٤	٥,٦٤	٤,٦٨

للاجابة على التساؤل أيهما أكثر الماماً بأسماء الأنبياء والشخصيات الدينية عينة الاسكندرية أم عينة المحلة الكبرى صنفت استجابات العينة لكل مجموعة ووجدت النسب المئوية والمتوسطات الحسابية ومنها يتضح أنه بالنسبة للذكور عينة الاسكندرية أكثر تفوقاً في هذه الناحية. (متوسط ٦,٥٨ في مقابل ٤,٧٤) أي أن فرد الاسكندرية

يعرف نحو سبع شخصيات بينما لا يعرف فرد المحلة سوى خمس فقط. وتصدق هذه الملاحظة بالنسبة لعينة الإناث أيضاً حيث تتفوق إناث الإسكندرية. متوسط حسابي قدرة ٥,٦٤ في مقابل ٤,٦٨.

بالنسبة لعينة المحلة الكبرى على حدة يلاحظ أن أكثر الأسماء وروداً هي حسب الترتيب: -

سيدنا محمد
سيدنا عيسى
سيدنا موسى
سيدنا ابراهيم
سيدنا نوح
سيدنا اسماعيل
سيدنا يوسف
سيدنا يونس

بمتوسط قدره ٤,٧٢ اسماً بالنسبة لكل أفراد العينة.

أما بالنسبة للفرق الجنسي فيلاحظ أن الذكور هنا أيضاً أكثر قدرة على ذكر هذه الشخصيات عن الإناث.

(متوسط ٤,٧٤ في مقابل ٤,٦٨).

جدول رقم (١٨): يوضح تكرار ونسب عدد اختيار اسماء الانبياء لدى عينة المحلة الكبرى كل جنس على حدة والعينة ككل.

اسم النبي	الكل ٢٥٩		ذكور ١٨٣		اناث ٧٦		الفرق
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	
سيدنا محمد	٢٥٠	٩٧	١٧٩	٩٨	٧١	٩٣	٥
سيدنا عيسى	٢٣٧	٩٢	١٦٦	٩١	٧١	٩٣	٢

تابع جدول ١٨

اسم النبي	الكل ٢٥٩		ذكور ١٨٣		اناث ٧٦		الفرق
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	
سيدنا موسى	٢٣٣	٩٠	١٦٣	٨٩	٧٠	٩٢	٣
سيدنا ابراهيم	١٨٥	٧١	١٢٤	٦٨	٦١	٨٠	١٢
سيدنا يوسف	٣٠	١٢	٢١	١٢	٩	١١,٨	, ٢
سيدنا يونس	٣٠	١٢	٢٠	١١	١٠	١٣,٢	٢,٢
سيدنا ادريس	٢	, ٧٧	١	, ٥٥	١	١,٣	, ٧٥
سيدنا نوح	١٢٢	٤٧	٨١	٤٤	٤١	٥٤	١٠
سيدنا صالح	٣	١,٢	٢	١,١	١	١,٣	, ٢
سيدنا يوحنا	١	, ٣٩	٠	—	١	١,٢	١,٢
سيدنا جبريل	١١	٤	٨	٤	٣	٤	صفر
سيدنا اسماعيل	٤١	١٦	٣٢	١٨	٩	١١,٨	٦,٢
سيدنا سليمان	١٢	٥	٨	٤	٤	٥	١
سيدنا داود	٢٢	٩	٢١	١٢	١	١,٣	١٠,٧
سيدنا هارون	٣	١,٢	٢	١,١	١	١,٣	, ٢
سيدنا يعقوب	١٤	٥	١٣	٧	١	١,٣	٥,٧
سيدنا الحسين	١	, ٣٩	—	—	١	١,٣	١,٣
سيدنا اسحاق	٦	٢,٣	٦	٣,٣	—	—	٢,٣

تابع جدول ١٨

اسم النبي	الكل ٢٥٩		ذكور ١٨٣		اناث ٧٦		الفرق
	ك	٪	ك	٪	ك	٪	
سيدنا لوط	٥	١,٩	٥	٢,٧	–	–	٢,٧
سيدنا يحيى	٣	١,٧	٣	١,٦	–	–	١,٦
سيدنا هود	٧	٢,٧	٧	٣,٨	–	–	٣,٨
سيدنا آدم	٣	١,٢	٣	١,٦	–	–	١,٦
سيدنا الخضر	١	,٣٩	١	,٥٥	–	–	,٥٥
سيدنا علي	١	,٣٩	١	,٥٥	–	–	,٥٥
سيدنا زكريا	١	,٣٩	١	,٥٥	–	–	,٥٥
المجموع	١٢٢٤		٨٦٨		٣٥٦		
النسب المئوية	٤٧٢,٦		٤٧٤		٤٦٨		٦
المتوسط	٤,٧٢		٤,٧٤		٤,٦٨		,٠٦

تحليل درجات التديّن

تضمّن الاستخبار المستخدم لقياس الاتجاهات الدينية عدداً من الأسئلة صححت وأعطى المفحوص درجة واحدة عن كل استجابة وحسبت الدرجة الكلية التي تمثل اتجاهه نحو التدين بمعنى أنه كلما ارتفعت الدرجة كلما زاد شعوره الديني وتم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية في درجات التدين للعينة ككل ولكل جنس على حدة يتضح منها أن المتوسط بالنسبة للعينة ككل يساوي (١٧,٩٣) والنهاية العظمى هي (٢٢) درجة وقيمة المتوسط تفيد ارتفاع الشعور الديني لدى أفراد العينة ككل.

وبالنسبة للفرق الجنسي فقد لوحظ أن متوسط الذكور هو (١٢) وتوسط الإناث ١٧,٦. ويتمشى هذا الفرق مع النتائج السابقة في هذا البحث من حيث زيادة الاهتمام الديني والمعرفة الدينية لدى الذكور عنها لدى الإناث.

على كل حال تم حساب قيمة (ت) للفرق بين المتوسطين طبقاً للقانون الآتي:

$$\text{ت} = \frac{\text{م}_{١} - \text{م}_{٢}}{\sqrt{\dfrac{\text{ن}_{١}\text{ع}_{١}^{٢} + \text{ن}_{٢}\text{ع}_{٢}^{٢}}{\text{ن}_{١} + \text{ن}_{٢} - ٢} \times \left(\dfrac{١}{\text{ن}_{١}} + \dfrac{١}{\text{ن}_{٢}}\right)}}$$

حيث ($\text{ن}_{١}$) = عدد حالات الذكور.

($\text{ن}_{٢}$) = عدد حالات الإناث.

($\text{ع}_{١}$) = الانحراف المعياري لدرجات الذكور.

($\text{ع}_{٢}$) = الانحراف المعياري لدرجات الإناث.

جدول رقم (١٩): يوضح التوزيع التكراري لدرجات أفراد عينة الذكور في التدين والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري.

س	ك	ك س	ح	ك ح	ك ح٢	
٢	٢	٤	- ١٣	- ٢٦	٣٣٨	
٣	٣	٩	- ١٢	- ٢٦	٤٢٢	
٤	—	—	- ١	—		
٥	١	٥	- ١٠	- ١٠	١٠٠	
٦	—	—	- ٩	—	—	
٧	—	—	- ٨	—	—	
٨	—	—	- ٧	—	—	
٩	١	٩	- ٦	- ٦	٢٦	
١٠	—	—	- ٥	—	—	
١١	٢	٢٠	- ٤	- ٨	٣٢	
١٢	—	—	- ٣	—	—	
١٣	٣	٣٩	- ٢	- ٦	١٢	
١٤	٤	٥٦	- ١	- ٤	٤	
١٥	١٣	١٩٥	—	- ١٢	—	
١٦	١٣	٢٠٨	+ ١	+ ١٣	١٣	
١٧	١٣	٢٩١	+ ٢	+ ٤٦	٩٢	

«تابع» جدول رقم (١٩)

س	ك	ك س	ح	ك ح	ك ح٢	
١٨	٥٥	٩٩٠	+ ٣	+ ١٦٥	٤٩٥	
١٩	٩٠	١٧١٠	+ ٤	+ ٣٦٠	١٤٤٠	
٢٠	٧٨	١٥٦٠	+ ٥	+ ٣٩٠	١٩٥٠	
مجموع	٦٨٨	٥١٩٨		− ١٠٩	٤٩٤٤	
				+ ٩٠٤ + ٨٦٥		م = ١٨ ع = ٢,٨٥

جدول رقم (٢٠): يوضح التوزيع التكراري لدرجات أفراد العينة كلها في التدين والمتوسط الحسابي، الانحراف المعياري.

الدرجة	ك	س ك	ح	ك ح	ك ح٢
٢	٢	٤	− ١١	− ٢٢	٢٤٢
٣	٣	٦	− ١٠	− ٣٠	٣٠٠
٤	−	−	− ٩	−	−
٥	١	٥	− ٨	− ٨	٦٤
٦	−	−	− ٧	−	−
٧	−	−	− ٦	−	−
٨	−	−	− ٥	−	−

الدرجة	ك	س ك	ح	ك ح	ك ح٢
٩	١	٩	− ٤	− ٤	١٦
١٠	١	١٠	− ٣	− ٣	٩
١١	٣	٣٣	− ٢	−− ٦	١٢
١٢	−	−	− ١	−	−
١٣	٣	٣٩	+ ١	+ ٣	٣
١٤	١٠	١٤٠	+ ٢	+ ٢٠	٤٠
١٥	٢٤	٣٦٠	+ ٣	+ ٧٢	٢٢١٦
١٦	٢٩	٤١٦	+ ٤	+ ١٠٤	٤١٦
١٧	٣٠	٥١٠	+ ٥	+ ١٥٠	٧٥٠
١٨	٧٤	١٣٣٠	+ ٦	+ ٤٤٤	٢٦٦٤
١٩	١١٨	٢٢٦١	+ ٧	+ ٨٣٣	٥٨٣١
٢٠	٩٧	١٩٤٠	+ ٨	+ ٧٦	٦٢٠٨
المجموع	٣٩٤	٧٠٦٥		− ٧٣	١٦٧٧١
م = ١٧,٩٣ ع = ٢,٧١				+ ٢٤٠٢ + ٢٣٢٩	

جدول رقم ٢١: اناث الديـن

الدرجة	ك	س ك	ح	ك ح	ك ح٢
١٠	١	١٠	− ٧	− ٧	٤٩
١١	١	١١	− ٦	− ٦	٢٦
١٢	—	—	− ٥	—	—
١٣	—	—	− ٤	—	—
١٤	٦	٨٤	− ٣	− ١٨	٥٤
١٥	١١	١٦٥	− ٢	− ٢٢	٤٤
١٦	١٣	٢٠٨	− ١	− ١٣	١٣
١٧	٧	١١٩	—	—	—
١٨	٩	٣٤٢	+ ١	+ ١٩	١٩
١٩	٢٩	٥٥١	+ ٢	+ ٥٨	١١٦
٢٠	١٩	٣٨٠	+ ٣	+ ٥٧	١٧١
مجموع	١٠٦	١٨٧٠		− ٦٦	٥٠٢
م = ١٧,٦ ع = ٢,٠٢				+ ١٥٢ + ٨٦	

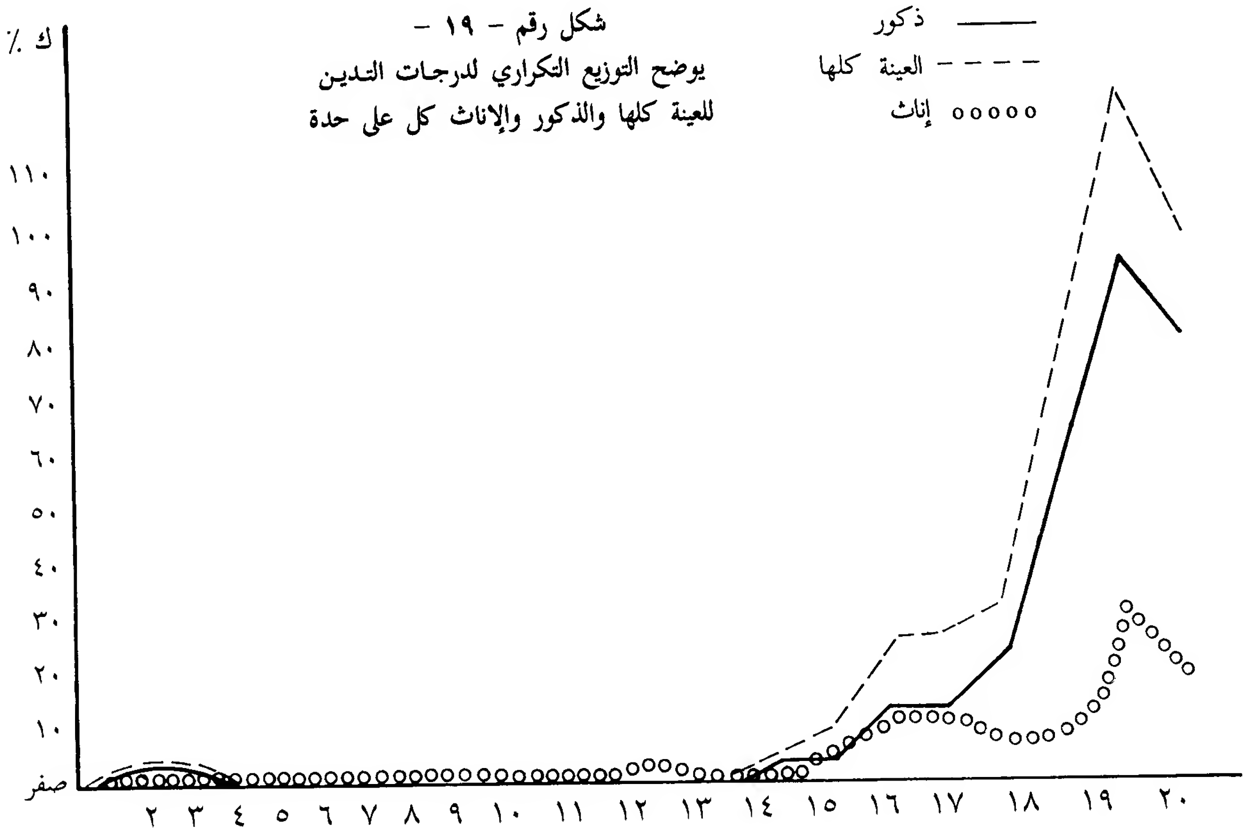
وإن كان هذا الفرق يقل في الوصول إلى حد الدلالة الإحصائية حيث وجدت قيمة (ت).

ولقد اقتضى تحليل الدرجات والتعرف على الدلالة الإحصائية التي ترجع إلى بعض العوامل التجريبية تحليل التباين وتطبيق منهج التصميم التجريبي العاملي وتم تحليل درجات أفراد العينة ككل طبقاً لعوامل:

شكل رقم - ١٩ -

يوضح التوزيع التكراري لدرجات التدين

للعينة كلها والذكور والإناث كل على حدة



الجنس: ذكر / انثى.
السن: كبير السن من ٤٠ – ٦٠ سنة، متوسط السن من ٢٠ – ٣٩، وصغير السن من ١٦ – ١٩.
الطبقة الاجتماعية: وانقسم أفراد العينة إلى طبقة دنيا وطبقة وسطى.
المستوى التعليمي: وانقسم أفراد العينة إلى مستوى جامعي / دون المستوى الجامعي.

وتم إيجاد المتوسطات الحسابية لكل جماعة فرعية على حدة حيث تم تصميم جدول مكون من (٢ × ٢ × ٢ × ٣) لمعرفة أثر أربعة عوامل يختلف كل منها في مستوين ما عدا العامل الثالث وهو السن فيختلف في ثلاث مستويات هي كبير السن / صغير السن / متوسط السن.

ويلاحظ من جدول مصفوفة المتوسطات الحسابية أن الدرجات متقاربة إلى حد كبير، وأن أعلى الجماعات الفرعية تحصل على الدرجة ١٩,٥٠ لدى الذكور من أبناء الطبقة الدنيا من أرباب المستوى الجامعي ومن صغار السن وكذلك بين الذكور من أبناء الطبقة الإجتماعية الوسطى من المستوى الأقل من الجامعي من كبار السن. وإن كانت توجد أيضاً نفس هذه القيمة بين متوسطات الإناث.

ويكشف جدول رقم (٢٣) أن درجات الذكور تزيد عن درجات الاناث وإن كان ذلك – لا يصدق في جميع الجماعات الفرعية.
وهنا نتساءل عما إذا كان هناك فرق يرجع إلى انتماء الفرد إلى الطبقة الإجتماعية الدنيا أو الوسطى؟

يدل الجدول على أن هناك فروقاً في المتوسطات الحسابية ترجع إلى عامل الطبقة الإجتماعية تشير إلى أن أبناء الطبقة الإجتماعية الوسطى بصورة عامة تزيد درجاتهم عن أبناء الطبقات الدنيا. ومعنى هذا أن الإرتقاء في السلم الاجتماعي لا يقلل من الشعور الديني، بل يزيده.

فالتقدم المادي لا يتعارض مع التمسك بالمبادىء الدينية أما بالنسبة للفرق الذي قد يرجع إلى المستوى التعليمي فتدل المتوسطات الحسابية أن الجامعيين يتفوقون في غالبيتهم العظمى مما يدل على أن التعليم الجامعي يسهم في نمو الشعور الديني.

جدول رقم (٢٢)

يوضح مصفوفة المتوسطات الحسابية في التحليل العاملي التجريبي ٢× ٢ × ٣

ويوضح قيم ن = ٤٧٦

ذكور ن = ٣٢٣											
طبقة دنيا						طبقة وسطى					
مستوى جامعي			دون جامعي			مستوى جامعي			دون جامعي		
ص	م	ك	ص	م	ك	ص	م	ك	ص	م	ك
٢	٣٨	٣	١١٢	٣١	٤	٦	٧١	٢	٣٠	٢٢	٢
١٩,٥	١٩,١١	١٨,٧	١٧,٩	١٧,٨	١٨,٨	١٦	١٨,٦	١٨	١٨,٤	١٨,٦	١٩,٥

«تابع» جدول رقم (٢٢)

إناث											
طبقة دنيا						طبقة متوسطة					
مستوى جامعي			دون جامعي			مستوى جامعي			دون جامعي		
ص	م	ك	ص	م	ك	ص	م	ك	ص	م	ك
٢	١٠	٢	٦١	١٢	٣	٢	٢٢	٢	٢٣	١٢	٢ن
١٨,٥	١٩,٥	١٨,٥	١٧,٤	١٧,٦	١٨,٧	١٩,٥	١٨,٤	١٨,٥	١٨,٤	١٨,٣	١٩,٥

ص = صغير السن   م = متوسط السن

ك = كبير السن   ن = عدد الحالات

جدول رقم (٢٣)

يوضح المتوسطات الحسابية والفروق الجنسية في درجات التدين

	طبقة دنيا						طبقة وسطى					
	جامعي			دون			جامعي			دون		
	ص	م	ك	ص	م	ك	ص	م	ك	ص	م	ك
ذكور	١٩,٥	١٩,١	١٨,٧	١٧,٩	١٧,٨	١٨,٨	١٦	١٨,٦	١٨	١٨,٤	١٨,٦	١٩,٥
إناث	١٨,٥	١٩,٥	١٨,٥	١٧,٤	١٧,٦	١٨,٧	١٩,٥	١٨,٤	١٨,٥	١٨,٤	١٨,٣	١٩,٥
الفرق	١	٠,٤	٠,٢	٠,٥	٠,٢	٠,١	٣,٥	٠,٢	٠,٥	—	٠,٣	—

جدول رقم (٢٤)

يوضح المتوسطات الحسابية في التدين والفروق الطبقية

الطبقات	ذكور						إناث					
	جامعي			دون			جامعي			دون		
	ص	م	ك	ص	م	ك	ص	م	ك	ص	م	ك
طبقة دنيا	١٢,٥	١٩,١	١٨,٧	١٧,٩	١٧,٨	١٨,٨	١٨,٥	١٩,٥	١٨,٥	١٧,٤	١٧,٦	١٨,٧
طبقة متوسطة	١٦	١٨,٦	١٨	١٨,٤	١٨,٦	١٩,٥	١٩,٥	١٨,٤	١٨,٥	١٨,٤	١٨,٣	١٩,٥
الفرق	٣,٥	٠,٥	٠,٧	٠,٥	٠,٨	٠,٧	١	١,١	–	١	٠,٧	٠,٨

جدول رقم (٢٥)

يوضح المتوسطات الحسابية والفروق التي ترجع للمستوى التعليمي في التـديـن

	ذكور						إناث					
	طبقة دنيا			طبقة وسطى			طبقة دنيا			طبقة وسطى		
	ص	م	ك	ص	م	ك	ص	م	ك	ص	م	ك
جامعي	١٩,٥	١٩,١	١٨,٧	١٦	١٨,٦	١٨	١٨,٥	١٩,٥	١٨,٥	١٩,٥	١٨,٤	١٨,٥
دون	١٧,٩	١٧,٨	١٨,٨	١٨,٤	١٨,٦	١٩,٥	١٧,٤	١٧,١	١٨,٧	١٨,٤	١٨,٣	١٩,٥
الفرق	١,٦	١,٣	٠,١	٢,٤	–	١,٥	١,١	١,٩	٠,٢	١,١	٠,١	– ١,

جدول (٢٦)

يوضح المتوسطات الحسابية للجماعات الفرعية في الدرجة الكلية للدين لـدى جمـاعـات السن المختلفة

السن	ذكور				إناث			
	دنيا		وسطى		دنيا		وسطى	
	جامعي	دون	جامعي	دون	جامعي	دون	جامعي	دون
صغير	١٩,٥	١٧,٩	١٦	١٨,٤	١٨,٥	١٧,٤	١٩,٥	١٨,٤
متوسط	١٩,١١	١٧,٨	١٨,٦	١٨,٦	١٩,٥	١٧,٦	١٨,٤	١٨,٣
كبير	١٨,٧	١٨,٨	١٨	١٩,٥	١٨,٥	١٨,٧	١٨,٥	١٩,٥

يعكس هذا الجدول الاتجاه الذي يأخذه عامل السن في مقدار الشعور الديني لدى أفراد الجماعات الفرعية المكونة للدراسة. ويبدو أن هذا الاتجاه ليس ثابتاً وإن كانت مقارنة صغار السن بكبار السن تعطى انطباعاً أن الشعور الديني يزداد لدى كبار السن وذلك في غالبية متوسطات الجماعات الفرعية.

تحليل التباين والتصميم التجريب العاملي (٢ × ٢ × ٢ × ٣) لدرجات التدين:

ومن هذه المتوسطات رؤى حساب التباين الذي يرجع إلى عوامل الجنس والسن والطبقة الاجتماعية والمستوى التعليمي تباين كل عامل ككل في ضوء العوامل الأخرى وفي ضوء التباين داخل المجموعات أي المعبر عن الفروق الفردية داخل كل مجموعة. واستخدمت المتوسطات الحسابية في إيجاد التباين بين المجموعات وتباين العوامل التجريبية نظراً لعدم تساوي حجم الجماعات الفرعية.

التباين من المجموعات التجريبية الأربعة في التدين: الجنس والسن والطبقة الاجتماعية والمستوى التعليمي. وحسب طبقاً للقانون الآتي: -

$$\text{مجـ ق}^{٢} \frac{(\text{مجـ ق})^{٢}}{\text{ن}} = ٨٥٦٣٧٢٧$$

حيث (مجـ ق^{٢}) = مجموع مربعات القيم أي المتوسطات.

(مجـ ق)^{٢} = مربع مجموع القيم أي المتوسطات.

ن = عدد الحالات.

ولقد حسب المتوسط العام ووجد مساوياً ١٨,٢٥.

وتم ايجاد تباين عامل الجنس طبقاً للقانون الآتي:

$$\text{مجـ ق}^{٢}_{١} + \text{مجـ ق}^{٢}_{٢} - \frac{(\text{مجـ ق}_{١} + \text{مجـ ق}_{٢})^{٢}}{\text{ن}_{١} + \text{ن}_{٢}}$$

باستخدام المتوسطات الحسابية في الخانات الفرعية المكونة للتصميم التجريبي وكمثال واحد للتوضيح نسوق العملية الحسابة الآتية: -

$$= \frac{(٢٢٠,٩)^{٢}}{١٢} + \frac{(٢٢٢,٨)^{٢}}{١٢} - \frac{(٤٤٣,٧)^{٢}}{٢٤} = ١٥٠٤ ,$$

ولقد حسب تباين عامل الطبقة الاجتماعية ووجد مساوياً = ٠٣٨ .,

كما وجد تباين عامل المستوى التعليمي مساوياً = ١٥٠٤ .,

أما تباين عامل السن فقد تم حسابه بين جماعات صغيري السن وكبيري السن ومتوسطي السن ووجد مساوياً = ١,٣٢٣.

أما التباين داخل المجموعات فقد حسب في كل خانة من خانات التصميم من الدرجات الخام نفسها طبقاً للقانون الآتي: -

$$\text{مج ق}^2 - \frac{(\text{مج ق})^2}{\text{ن}} \quad \text{أي مجموع مربعات القيم} - \frac{(\text{مجموع القيم})^2}{\text{ن}} =$$

٢٠٩١,٥٨

$$\text{متوسطات التباين داخل المجموعات} \frac{٢٠٩١,٥٨}{٤٧٦} = ٤,٣٩$$

وتم ايجاد قيمة معادلة تصحيح عدم تساوي حجم العينات الفرعية ووجدت = ٠,٢٦.

وللحصول على مقدار الخطأ الذي يستخدم كمحك لإيجاد نسبة (ف) ضربت قيمة التصحيح هذه – في متوسط التباين داخل المجموعات. = ٢٦ , × ٤,٣٩ = ١,١٤.

والجدول الآتي يلخص نتائج عمليات تحليل التباين للعوامل الرئيسية التباين داخل المجموعات في التدين:

مصدر التباين	(١) مجموعات المربعات	ن ح	م	ف
التباين بين المجموعات	٨٥٦٣٧٢٧	٢٣	٣١٣٢٣٦	٣٢٦٦١٠ * *
تباين الجنس	, ١٥	١	٠,١٥	٠,١٣
تباين الطبقة الاجتماعية	, ٠٠٣٨	١	, ٠٣٨	, ٠٠٣٣
تباين المستوى التعليمي	٠,١٥	١	٠,١٥	٠,١٣
تباين السن	١,٣٢	١	١,٣٢	٠,٩٣
تباين داخل المجموعات	٢٠٩,٥٨	٤٧٦	٤,٣٩	٣,٨٥
تباين الخطأ			١,١٤	

ومن الجدول يتضح أن للتباين بين المجموعات دلالة احصائية عالية مع درجتي الحرية ٤٧٦,٢٣ وكذلك التباين داخل المجموعات.

ن ح = درجات الحرية

(م) = المتوسط

(ف) = النسبة الفائية

وهو التباين المعبر عن الفروق الفردية بين الجماعات الفرعية وله دلالة عند مستوى ثقة ٩٥٪. أما بقية مربعات الفروق فلا تصل إلى حد الدلالة الإحصائية ربما بسبب التداخل واتساع مدى الفروق الفردية بين الجماعات الفرعية على كل حال لقد رؤي استخدام منهج آخر أكثر ملائمة للمعطيات الحالية وهو منهج الكاي٢ للتعرف على مدى دلالة اختلاف التدين تبعاً لعوامل السن والطبقة الاجتماعية والمستوى التعليمي وذلك لدى أفراد كل جنس على حدة.

جدول رقم (٢٧): مزدوج يوضح التكرارات والنسب المئوية للتدين والطبقة الاجتماعية لدى عينة الإناث.

الطبقات	متدين		قليل التدين		مجموع
	ك	٪	ك	٪	
طبقة دنيا	٧١	٥٥	١٩	٨٣	٩٠
طبقة وسطى	٥٩	٤٠	٤	١٧	٦٣
المجموع	١٣٠		٢٣		١٥٣

كاي ٢ = — ١١ * *

جدول رقم ٢٨: للتكرارات المزدوجة لعوامل السن والتدين لدى جماعة الإناث.

السن	متدين		قليل التدين		مجموع
	ك	٪	ك	٪	
صغير	٧٠	٥٤	١٨	٧٨	٨٨
متوسط	٥١	٣٩	٥	٢٢	٥٦
كبير	٩	٧	صفر	–	٩
مجموع	١٣٠		٢٣		١٥٣

كاي ٢ = ٦٧,٤١ * *

جدول رقم (٢٩): للتكرارات المزدوجة لعوامل السن والتدين لدى جماعة الذكور.

السن	متدين		قليل التدين		مجموع
	ك	٪	ك	٪	
صغير	١٢٠	٤٢	٣٠	٧٥	١٥٠
متوسط	١٥٣	٥٤	٩	٢٢,٥	١٦٢
كبير	١٠	٤	١	–٢,٥	١١
مجموع	٢٨٣		٤٠		٣٢٣

كاي ٢ = ١٥٣ * *

جدول رقم ٣٠: للتكرارات المزدوجة والنسب المئوية لعوامل المستوى التعليمي والتدين لدى جماعات الإناث.

المستوى التعليمي	متدين		قليل التدين		مجموع
	ك	٪	ك	٪	
مستوى جامعي	٣٩	٣٠	١	٤	٤٠
دون جامعي	٩١	٧٠	٢٣	٩٦	١١٣
مجموع	١٣٠		٢٣		١٥٣

كاي ٢ = ٤٠.

جدول رقم ٣١: للتكرارات المزدوجة والنسب المئوية للتدين والمستوى التعليمي لعينة الذكور.

المستوى	متدين ١٧ - ٢٠		قليل التدين صفر - ١٦		المجموع	الفرق
	ك	٪	ك	٪		
جامعي	١١٥	٤١	٧	١٧	١٢٢	
دون	١٦٨	٥٩	٣٣	٨٣	٢٠١	٢٤
المجموع	٢٨٣		٤٠		٣٢٣	
الفرق		١٨		٦٦		

كاي ٢ = ٢٦,٨٢ ولها دلالة مع درجة واحدة من درجات الحرية تفوق مستوى ثقة (٩٩٪) يتضح من النظر في قيمة كاي ٢ أن الفرض الصفري لا يمكن قبوله

بمعنى أنه لا يوجد فرق بين الجامعيين وغير الجامعيين في التدين، ولكن هذا الفرق لا يأخذ خطاً مستقيماً إذ تزيد نسبة الأكثر تديناً لدى الفئات أصحاب المستوى التعليمي الأقل من الجامعي ولكن نسبة قليلي التدين أيضاً يزيد لديهم. كما يتضح ذلك من النسب المئوية للتكرارات المزدوجة.

جدول ٣١ م: للتكرارات المزدوجة والنسب المئوية للتدين والطبقة الاجتماعية لعينة الذكور.

المستوى	متدين ١٧ – ٢٠		قليل التدين صفر – ١٦		المجموع	الفرق ٪
	ك	٪	ك	٪		
طبقة دنيا	١٦١	٥٧	١٩	٧٣	١٩٠	١٦
وسطى	١٢٢	٤٣	١١	٢٧	١٢٣	١٦
المجموع	٢٨٣		٤٠		٣٢٣	
الفرق		١٤		٤٦		

كاي ٢ = ١٣,٥٠ ولها دلالة احصائية تفوق مستوى ثقة (٩٩٪) مع درجة واحدة من درجات الحرية. وعلى ذلك يرفض الفرض الصفري ولكن الفروق الملاحظة لا تتخذ خطاً مستقيماً فنسبة المتدينين أكثر في الطبقة الاجتماعية الدنيا ونسبتهم أيضاً أكثر لدى جماعة قليلي التدين.

العلاقة بين النشاط الديني والاتجاه الديني:

يثار جدال طويل بين العلماء حول مشكلة اتفاق اتجاه الفرد العقلي أو شعوره أو عقيدته النظرية وبين سلوكه الفعلي. ولذلك رؤي التحقق في هذا البحث من طبيعة العلاقة بين النشاط الديني – واتخذت درجة الفرد على الاختبار الديني مؤشراً لاتجاهه نحو الدين. وصمم جدول تكراري مزدوج واستبدلت فئات تأدية الصلاة بدرجات على النحو التالي:

الصلاة	لا أؤديها	سنوياً	شهرياً	أسبوعياً	يومياً
الدرجة القابلة	١	٢	٣	٤	٥

وذلك لامكان ايجاد معامل ارتباط بيرسون من المعطيات المجدولة. حتى تسير درجات تأدية الصلاة في نفس الاتجاه الإيجابي الذي اتخذته درجات مقياس الاتجاه الديني، اذ تدل الدرجة المرتفعة في المقياسين على الإيجابية فكلما زادت درجة الفرد كلما زاد تدينه عقيدة وسلوكاً وتم حساب معامل ارتباط بيرسون ووجد مساوياً ٣٣٤ ,.

وبالرجوع لجدول جاريت مع درجات حرية (٥٤٥) وجد أن لهذا الارتباط دلالة احصائية تفوق مستوى ثقة (٩٩٪). ومعنى ذلك أن سلوك الفرد الديني يتمشى مع اتجاهه العقلي نحو الدين وقبوله للقيم الدينية. فكلما زاد ايمان الفرد الديني كلما زاد نشاطه الديني والعكس صحيح – وعلى ذلك ففرض انفصال السلوك عن الاتجاه لا يجد ما يسانده في هذا البحث.

وأمكن استخلاص الجدول المزدوج (٢ × ٢) الآتي لتوضيح العلاقة بين الاتجاه الديني وتأدية الصلاة.

الصلاة	قليل الأداء ١–٣		كثير الأداء ٤–٥		المجموع
الاتجاه	ك	٪	ك	٪	
اتجاه ضعيف ١ – ١٦	٥٤	٦٩	٢٤	٣١	٧٨
اتجاه قوي ١٧ – ٢٢	١٣٥	٢٩	٣٣٣	٧١	٤٦٨
المجموع	١٠٩		٣٥٧		٥٦٤[1]

(١) تم تصنيف هذا الجدول على أساس أن من يحصل على الدرجة من (١ – ١٠) يعد ضعيف الاتجاه الديني ومن يحصل على الدرجة (١٧ – ٢٢) يعد قوي الاتجاه الديني وأن من يحصل على الدرجة من (١ – ٣) يعد قليل أداء الصلاة ومن يحصل على الدرجة من (٤ – ٥) يعد كثير الأداء.

العلاقة بين ارتياد المساجد وبين الاتجاه الـديني:

كذلك رؤي لتحقق من العلاقة بين مؤشر آخر من مؤشرات السلوك الديني وهو مقدار تردد الفرد على المساجد. وبنفس الطريقة السابقة التي عولجت بها المعطيات في حالة تأدية الصلاة صنفت الجداول المزدوجة وتم حساب معامل ارتباط بيرسون من المعطيات المجدولة ووجد مساوياً = + ٠,٢٢.

ولهذا المعامل دلالة احصائية عالية مع (٥٤٥) من درجات الحرية تفوق مستوى ثقة (٩٩٪). وبذلك يتأيد الفرض القائل يتمشى السلوك الديني مع الاتجاه نحو الدين فكلما زاد اتجاه الفرد نحو الدين ايجابية كلما زاد تردده على مساجد الله. والجدول الآتي يجسد هذه العلاقة الإيجابية.

الذهاب للمسجد	قليل الذهاب		كثير الذهاب		المجموع
الدين	ك	٪	ك	٪	
ضعيف الاتجاه ١ – ١٦	٥٦	٧٠	٢٤	٣٠	٨٠
قوي الاتجاه ١٧ – ٢٢	١٩٢	٤١	٢٧٦	٥٩	٤٦٨
المجموع	٢٤٨		٣٠٠		٥٤٨

العلاقة بين المعرفة الدينية والاتجـاه الـديني:

كثيراً ما يثار أن المعرفة بالمعلومات الدينية مسألة منفصلة عن شعور الرد الديني او اتجاهه نحو قيم الدين أو العقيدة الدينية، وذلك لأن المعرفة الدينية يمكن أن يحصل عليها الفرد في ثنايا دراسته الجامعية أو المدرسية، وقد يضطر إلى حفظها حفظاً ثم وقد تكون المعرفة نابعة عن رغبة أصيلة في التدين ولذلك رؤي التحقق من العلاقة بين مقدار معرفة الفرد الدينية واتجاهه نحو الدين كما يقيسه المقياس المستخدم في البحث الحالي.

ولقد حسبت درجة الفرد في المعرفة الدينية على أساس ما دونه من أسماء الأنبياء والشخصيات الدينية مضافاً إليها مقداراً معرفته بأركان الاسلام الصحيح واعطى

درجة واحدة عن كل اسم صحيح ودرجة واحدة من كل ركن من الاركان الصحيحة للاسلام، وحسبت درجته الكلية.

وصمم جدول مزدوج لدرجات الاتجاه الديني والمعرفةالدينية علىهذا النحو وتم ايجاد معامل ارتباط بيرسون ووجد مساوياً (+ ٠,١٧) وهو ارتباط ايجابي وإن كانت له دلالة احصائية عند مستوى ثقة (٩٩٪). إلا أنه أقل من حجم الارتباط بين تأدية الصلاة وبين الاتجاه الديني كذلك يلاحظ أن الارتباط أقوى من تأدية الصلاة والاتجاه الديني منه بين الاتجاه الديني والذهاب للمسجد.

والجدول المزدوج الآتي يحسب هذه العلاقة جدول (رقم ٣٢):

كاي ٢ = ٢٧٩.

المعرفة	قليل المعرفة ١ – ٩		كثير المعرفة ١٠ – ٢٥		المجموع
الاتجاه	ك	٪	ك	٪	
ضعيف الاتجاه ١ – ١٦	٢٦	٣٤	٥١	٦٦	٧٧
قوي الاتجاه ١٧ – ٢٢	١١٤	٣٥	٣٥٠	٧٥	٤٦٤
المجموع	١٤٠		٤٠١		٥٤١

أولاً: صورة الشخصية الالهية:

تناول الاستخبار سؤالاً مفتوح النهاية عن تصور الطفل لله تعالى، كيف تتصور الله تعالى صف كيف تتخيّله، وماذا يعمل، واين يوجد.

ورد وصف الله تعالى على لسان عدد كبير من أفراد العينة على أنه تعالى نور أو انه تعالى من نور، وأنه يسير أمور الدنيا. وهذه احدى الوظائف الإلهية التي يدركها عدد كبير من أفراد العينة. فالله في نظرهم، نور السموات والأرض.

وبالنسبة لمكان وجوده تعالى يقرر نسبة كبيرة أنه لا يوجد في مكان معين أمّا استجابات صغار السن. كما يقول طفل (١١) سنة، أنه تعالى لا يعمل، وأنه يوجد في السماء. فأما عجز الطفل عن تصور الشخصية الإلهية فيعبر عنه بقوله «لا أعرف» أو يصوره تعالى في صورة حية.

ويكرر افراد العينة أنَّ الله تعالى يوجد في «كل مكان» كما يقول (طفل ١٣ سنة)، اتخيله أنه يوجد في كل مكان، وأنه مثل الهواء، ويوجد في السماء ولا يعمل «وهنا نفى العمل على أساس أن العمل من الوظائف الحسية للبشر. أما العمل في شكل عقلاني كالهيمنة على العالم أو السيطرة في العالم وخلقه، فترد على لسان كثير من كبار السن في العينة.

ويصف بعض أفراد العينة الشخصية الإلهية كالأثير أو الروح التي لا ترى ولا تدرك بالحواس. وأنه تعالى يرقب العالم ويشرف عليه، وعلى إدارته.

أما طلاب الجامعة فكانت استجاباتهم تتصف بالتجريد«أنه تعالى شيء مجرد ويعمل لصالح الكون وليس له مكانٌ محددٌ «أو يقولون إنّه تعالى» «ليس كمثله شيء» ويبدو في هذه الاستفاده من الثقافة الدينية أو الآيات التي تصف الشخصية الإلهية مثلاً يقول أحد أفراد العينة (١٧ سنة) «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير... وهو الذي يخلق كل شيء وليس له مكان».

يقول طالب ثانوي «أتصوره سبحانه وتعالى أنه شيء عظيم... ولكني لم ولن أعرف أين يوجد، ويقول آخر (سن ٢٠ سنة) «ليس له تعالى هيكل محدد ويعمل في تسيير الكون، ويوجد في كل مكان، ويقول ثالث (سن ١٨ سنة) «اتخيله كنور يضيء الدنيا بأسرها ويحيي الموتى، وهو قادر على كل شيء، ويوجد في كل مكان، ويعبر البعض عن حقيقة أن الله – مصدر الخير والبركة في هذ الكون وفي الإنسان.

وفي وصف وظيفة الألوهية يقول بعض أفراد العينة أنه تعالى يعمل ليلاً نهاراً

ولا ينام... وأتخيله في الصلاة وفي مخلوقاته، وهذه فكرة فلسفية تدعو لمعرفة الله تعالى عن طريق التأمل في مخلوقاته العظيمة وعن فكرة وجود الله يقرر بعض الطلاب أنه تعالى قادر على كل شيء يعز من يشاء ويذل من يشاء وهو على كل شيء قدير وأنه يوجد في كل زمان ومكان، وهنا اضافة فكرة ديمومة الزمان بالنسبة للوجود الإلهي.

ويصف البعض الشخصية الإلهية بالكمال والنزاهة «وأتصوره تعالى على أنه كامل منزه الكمال، ويوجد في كل شيء، كأنه نور يضيء الطريق إلى جميع الأشياء». ويتضح من ذلك ادراك – فكرة الكمال الإلهي في أذهان أفراد العينة وأحدى الوظائف الخلقية حيث يضيء الله الطريق أمام البشر.

ويشير بعض أفراد العينة إلى عجز العقل البشري عن تصور الله تصوراً دقيقاً فيقول أحد أفراد العينة «وأنه تعالى أكبر من أن يتصوره العقل البشري وهو موجود في كل شيء، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد». ويقول أحد أفراد العينة المتقدمين في السن نسبياً (٢٨ سنة) «أن الله تعالى لم يلد ولم يولد، وهو واحد أحد لا شريك له، وليس كمثله شيء، وهو الذي خلق الإنسان».

ويؤكد بعض أفراد العينة أن الله خالق كل شيء وخالق السموات والأرض وما بينهما. ويشير صغار التلاميذ إلى قدرة الله تعالى على حساب الناس يوم القيامة، «قادر على أن يحي الموتى. وعلى أن يطبق الأرض على السماء» أنه يحاسب الناس على أعمالهم.

يقول أحد أفراد العينة «لا يمكن تصور الله تعالى لأنّه موجود في كل مكان. يمكننا أن نتخيل الكون، ومخلوقات الله العجيبة فقط». ومن وظائف الله تعالى ما يقرره صغار الأطفال أنه – يحتفظ بسجل كبير يكتب فيه أعمالنا الصالحة وأعمالنا السيئة». ويقول أحد طلاب كلية الزراعة «ليس الله تعالى شيءٌ من صفات الكائن الحي. ومن صفات التجريد القول «بأن الله قوة جبارة مهيمنة على كل شيء.

وأجاب بعض أفراد العينة على التساؤل كيف تتصور الله. بالإشارة إلى الوسيلة التي يتم بها تصورهم أو تذكرهم لله تعالى فيقول أحد طلاب الجامعة «أتصوره تعالى عندما أرى الدنيا والطبيعة والخلق جميعاً يجلس على عرش الألوهية يسير

الكون» وأنه يدرك كل تفاصيل الكون ولا يخفي عليه شيء ما وهو الذي يراقب الناس. على حين هناك أفراد يرفضون تشبيه الله بأي من التشبيهات الحسية أو غير الحسية ويقولون ليس له شبيه. ولا يمكن وصف جلالته سبحانه وتعالى.

وعبر قلة صغيرة عن حيرتهم في مشكلة وصف الله تعالى وقالوا أنها «مشكلتهم» والمعروف أن الفرد يتخطى مرحلة المراهقة يصل إلى بر الأمان فيما يختص بالمشكلة الدينية ويقرر قبول الإيمان أو رفضه، لقد وجد كثير من أفراد العينة، وخاصة صغار السن صعوبة في تقرير وظائف الألوهية، ولكنهم أدركوا بسهولة أن الله تعالى يوجد في كل مكان في هذا الكون. ويصف طفل في المرحلة الابتدائية الوظيفة الإلهية بشيء من التفصيل فيقول أنه المنعم القادر على كل شيء. يحاسب الكافرين والمؤمنين، وأنه نور من نور.

«إنه يراقبنا في السر والعلانية» ويتوقف الشعور الديني على النضج العقلي فيقول طفل (١٢ سنة) «أتخيله أنه نبي ولا يشتغل في الليل والنهار... ويوجد في كل مكان» ويقول آخر (١٢ سنة) «أتخيله أنه أبيض جميل ويظل يشتغل في الليل والنهار أنه يراني في كل مكان ويكتب الحسنات والسيئات ليحاسبني يوم القيامة أتخيل أنه عادل... وأنه عظيم كالذهب وأنه نعمة... أنه رب العالمين». ويصفه طفل (١٢ سنة) بالتجسيم الصريح أنه «رجل طويل» ويشير طفل صغير أنه الوحي الإلهي للأنبياء «أنه يوحي الأنبياء إلى ارشاد الناس»... أنه يوجد في كل الدنيا وفي الآخرة». ويذهب آخر إلى مزيد من التشبيه بالانسان فيقول:«إنه على شكل انسان ويرعى الغنم». ويحدد طفل (١٣ سنة) مكان الله «يوجد في السماء السابعة ويشتغل في انزال الدين». ويقول آخر اتخيل الله تعالى على أنه هو الذي خلقنا. الله يحاسبنا وجعل لنا الحياة الحاضرة ليحاسبنا «ويقول شاب (١٨ سنة) اتخيل أنه الرحمن الرحيم خالق الوجود، بينما يقول طفل صغير أنه هو الذي خلق السماء، وأنه هو الذي يرزق الناس».

ويدرك طفل صغير (١٢ سنة) قدرة الله على ادراك الظاهر والباطن فيقول أنه تعالى – يحاسب الناس على عملهم الظاهر والباطن. ويقول شاب (٢٠ سنة) كيف تتصور المخلوق – الخالق... ولكنه يشبه بالرحمة والرأفة والعظمة...».

وتتسمر استجابات الأطفال الصغار بالأفكار الحسية فيصفون الله بأنه انسان أو رجل يشتغل برعي الغنم، ويوجد في السماء السابعة وهو يعرف ما في قلب الإنسان من خير وشر.

أما الشباب الأكثر تعليماً فيشيرون إلى فكرة تخيله تعالى فيما نقوم به من أعمال، وأنه حسبنا ونعم الوكيل. ويعبر البعض الآخر أنه حساس (٢٢ سنة) جميل حلو يحس به الإنسان ويصدقه عقله، ويؤمن به قلبه. تربطنا به صلة المحبة. وهو يعمل كل شيء.إنه نور السموات والأرض. لم يره أحد ولكنه تعالى يرى الناس ويرى كل شيء. وهو الذي يخلق كل شيء وينظم الكون، أنه صاحب الملك ومالك الملك. ويقول رجل كبير من أفراد العينة من ذوي الشهادات الجامعية «ليس كمثله شيء في الأرض ولا في السماء بل هو نور ليس كأي نور ورحمة يستشعرها ولا يستطيع تحديدها ويقول تلميذ في المرحلة الابتدائية أنه مثلنا له عينان ورجلان، وهو الذي يكتب ما نفعله من خير وشر «ويقول آخر أنه تعالى خالق الموت والحياة ويقول ثالث - (اتخيل أن له جسماً كجسم الإنسان) (أتخيل أنه رجل مثل الرجال وهو الذي يراقبنا في كل الأوقات) ويعجز البعض من صغار العينة عن تحديد خيال للصورة الإلهية فيقولون أنه (مختلف الأشكال وهو الذي يكتب الحسنات والسيئات ويجازي الناس عليها).

ويقول تلميذ صغير أنه مالك السموات والأرض وأنا لا أرى الله تعالى. ولكني أسمع أنه في السماء ويتضح من ذلك انتقال أثر الثقافة الدينية إلى ذهن التلميذ.

أما أفراد العينة من أرباب التعليم الجامعي فأعطوا استجابات (مستطهرة) كما يقول طالب (٢٠ سنة) (أن الله سبحانه وتعالى جل أن يوصف فليس كمثله شيء فهو الأول والآخر والظاهر والباطن والخالق، ولا يستطيع الانسان الصغير الضعيف المخلوق أن يصل في التفكير إلى صورة خالقه. وهو المدبر الأعظم ومسير الأشياء، ويوجد في كل مكان وآن.

يقول تلميذ بالاعدادي (أن الله تعالى يهدينا إلى طريق الخير، وهو لا يرى بالعين المجردة. أنه يحاسب الناس على عمل الخير والشر. ويوجد في سابع سماء.

وبقول زميل له (خلق الله السموات والأرض بغير أعمدة وخلق الانسان من

طين، كما خلق النبات والحيوان والجماد) (وتتكرر فكرة السموات السبع حتى على لسان طالب بالثانوية الزراعية «أن الله ليس له شريك في الملك ولا يراه أحد، وأتخيل أنه تعالى أعظم العظماء وخالق كل شيء ويوجد في السموات السبع...»).

ويربط طالب (٢١ سنة) بين فكرة لا متناهية العالم بعدم إمكان تخيل الشخصية الإلهية: —

(إذا استطاع إنسان أن يصل إلى نهاية السموات والأرض فسوف يستطيع أن يتخيل الله تعالى، كفى أنه قادر وعالم بكل شيء...).

وينفي طالب جامعي إمكان وصف الشخصية الإلهية بقوله (أنه تعالى بعيد عن الكيفية) أي لا تنطبق عليه صفات الكيف.

ويوجد بعض التناقض في استجابات صغار التلاميذ فعلى حين يقرر الطالب. أن الله تعالى يوجد في كل مكان يقول (أنه انسان كمثلنا) ويتضح من ذلك أن الأطفال الصغار يأخذون المبادىء الدينية ويحفظونها صيغاً جامدة ويستظهرونها استظهاراً أصمَّ آلياً دون تفهم معناها الحقيقي. ويدرك الناضجون من أفراد العينة، كما يقول أحد الأطباء البيطرين:—

(يوجد الله تعالى في كل شيء ولذلك إذا تأملت نفسك أولا فستجد الله تعالى يتجلى في خلقك بأسمى معانيه، ثم أنظر حولك لترى الله في كل شيء...).

أما الأطفال الصغار فتغلب على أوصافهم صفات الإنسان يقول تلميذ ابتدائي (اتخيل أنه رجل جسمه كبير جداً وضخم ويعمل في حساب الناس).

وتستمر فكرة التجسيد هذه حتى في فكر الكبار من أفراد العينة حيث يقول موظف (٢٨ سنة) (يهيأ لي أنه تعالى فوق السموات وأنه لا يغفل ولا ينام). فيحدد مكاناً لله ، ولكنه ليس في السماء السابعة كما يردد صغار الأطفال، ولكنه يتخيل أنه فوق أو فيما وراء السموات.

ووظائف الله في نظر الأطفال الصغار أكثر تحديداً حيث يقول أحدهما أنه يعمل في تعذيب الكفار، ويدخل المؤمنين الجنة. ويقول آخر (إنه تعالى المنعم القادر على كل شيء وهو الذي يعلم السر والجهر وهو الذي خلق الحياة والموت والسماء،

وهو الذي يعذب الكافرين ويعطي المؤمنين الثواب العظيم (وهو الذي يفضل المؤمنين على الكافرين وهو الذي يغفر الذنوب للتائبين، وهو الذي ينزل على الأنبياء) وهنا تعبير سطحي عن فكرة الوحي الإلهي.

ويتكرر تصور الله على «أنه نور في نور» في استجابات الأطفال الصغار وهناك نسبة - كبيرة من الأطفال قرروا أنهم لا يعرفون كيف يتصورون الله ولا ماذا يعمل ولكنهم يدركون أنه تعالى يوجد في كل مكان. ومن الوظائف المنسوبة لله تعالى أنه يعمل على ارسال الرسل الينا ليهدينا إلى الإيمان.

يقول شاب (٢٧ سنة) «أنه موجود في كل شيء. وهو عليم خبير بكل شيء حتى ما يجري في القلوب والصدور. ومن الاستجابات النادرة ما جاء على لسان طفل تسع سنوات «لا أعرف لله وصفاً ومكان وجوده أنه قاعد في الجبل» «ويعتبر بعض أفراد العينة أن تخيل الله نوع من الشرك به وإنما يجب أن نتخيل فقط ونتأمل في مخلوقاته لأنه تعالىخلقنا فقط لكي نعبده» ويقول آخر أنه تعالى لا تدركه الابصار.

واعتمد بعض أفراد العينة في الاستجابة على بعض الآيات القرآنية التي تصف الله مثل: -

«قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد...».

صدق الله العظيم الله تعالى يرفع أقواماً ويخفض أقواماً وهو المعز المذل ويقول طالب الثانوية العامة «لا أستطيع أن أتصوره بعقلي لأنه أعظم من أن يدركه العقل البشري وهو أقرب إلينا من حبل الوريد.

وفي الوقت الذي ينفي فيه البعض امكانية تصور الله يقول آخرون أنهم يتصورون الله بعقلهم في كل لحظة. والتصور هنا كنوع من ذكر الله كضرب من ضروب العبادة والغبطة ويقول طفل (١٢ سنة) أنه يوجد في كل مكان... في بيتك وفي مدرستك... يوجد معك».

يقول طالب جامعي في وصف الذات الإلهية «الله تعالى لا يمكن وصفه إلا بهالة من النور والبهاء والله موجود في كل مكان من هذا الكون العظيم». ومن الصفات

المجردة ما يقوله طالب (٢٣ سنة) «الله قوة جبارة تسيطر على الكون». ومن صفات الله الحسنى التي ترددت «وهو الذي يعلم الغيب وهو قادر وحي وسميع وعليم وحكيم».

ومن مظاهر التأثر بالمصطلحات الدينية ما يلي «الله الواحد الأحد لا اله إلا هو، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير «ومن ذلك أيضاً سبحانه الخلاق العظيم، نوره يهدي القلوب، ويدبر كل شيء، وموجود في كل زمان ومكان». ومن ذلك أيضاً «أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك».

وهنا من ينكر فكرة التفكير في صفات الله. الله شيء عظيم لا تستطيع تخيله أو وصفه.

لأنه أعظم من أن نتكلم عنه، وإذا فكرنا فإننا سوف نكفر ولا نجد الحل.

«الله لا يستطيع أن يتصوره البشر».

ومن الحالات من استعان بالآيات القرآنية في وصف الشخصية الإلهية. الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح والمصباح في زجاجة والزجاجة كأنها كوكب دري..«وهناك حالات أدركت أن إدراك الله يتم عن طريق النظر والتأمل فيما حولنا من مخلوقات العالم. ويربط بعض الحالات بين سلوكهم ومصائرهم وقدرة الله وإدراكهم إياه «اتصور الله تعالى في كل شيء يحيط بنا وأتخيله عندما أنجح في شيء ما بأنه سبحانه وتعالى سبب نجاحي. وهو يتصف بالعدل. ومن التأثر بالآيات أيضاً «الله لا اله إلا هو الحي القيوم... القدوس – السلام المؤمن المهيمن». وهناك من قرر أن الله تعالى يوجد في كل ذرة من ذرات البيئة وهناك من فهم من هذا السؤال كيفية تصور الله فيقول أتخيله أمامي في كل عمل، وأتصوره كقائد كبير، من الاشارات إلى عجز الإنسان عن إدراك الله ما يقوله طالب (٢٦ سنة): –

«إنه تعالى شيء عظيم جداً. يحرك الكون ولا يمكن تخيله لأن عقل الإنسان المحدود لهو أصغر من أن يتخيله. والله هو القوة الخارقة والجبروت الأعظم المسيطر على هذا الكون والمحرك له بقوانين وحقائق لا يعلمها إلا هو ولا يعرف أسرارها وحكمتها إلا هو «ويعبر البعض عن حقيقة وصف الله تعالى لنفسه في القرآن الكريم والصفات التي يتصف بها لا يشاركه فيها أي مخلوق في هذا الكون.

ويصف طالبٌ (٢٢ سنة) الله بأنه روح تجوب كل أنحاء الكون.

وتقول سيدة (٣١ سنة) اتصوره سبحانه وتعالى في أجمل صورة «ولا أستطيع وصفها أو تعريفها، وأنه أنزل الكتاب ليعمل به الناس وليؤمنوا به ورسله). ويظل الفكر المادي حتى في استجابات متقدمي السن يقول طالب (٢٢ سنة) «الله سبحانه وتعالى نور شديد لا يستطيع الإنسان أن يراه من شدته» أما استجابات طلاب قسم الفلسفة فكانت متأثرة بما يدرسونه يقول أحدهم «أتخيله كائناً غير محدود لا يحده مكان أو زمان ومن صفاته أنه خير محض، مجرد عن المادة، وروح خالصة، يدبر شؤون الخلق في الدنيا والآخرة، ويهيمن على كل ما نعلم وكل ما لا نعلم...».

ويقول آخر «ليس له سبحانه وتعالى صورة محدودة، واتخيله سبحانه قدرة وقوة وسلطاناً الرحمن على العرش استوى، وهو القادر فوق عباده.

ويجمع هذا الطالب (٢١ سنة) بين تصور الله ووظائفه كالآتي: -

اتصور الله كهالة من نور - يراقب العباد، ويقرر لكل إنسان حريته في الحياة الدنيا وأرسل له الرسل ثم ترك له حرية التصرف ووعده بالجنة إذا أطاع الله ورسله بالنار إذا عصى...».

ويقول طالب بالدراسات العليا «الله ليس له بداية ولا نهاية، قوة خارقة غير مرئية منظم الكون بحكمة. يتمتع بصفات تفوق الخيال. يسير الإنسان في بعض الأشياء ويخيره في أشياء أخرى. قادر على فناء هذا الكون. ولكن يؤجل ذلك حتى لا يوجد شخص يسبح له. الله لا يعمل ولكن الملائكة تعمل بأمره وتراقب الناس. لا يوجد في مكان معين. وسع كرسيه السموات والأرض».

يقول طالب جامعي يتنزه الله تعالى عن الوصف والتشبيه «الله سبحانه وتعالى يجل عن الوصف ينزه عن التشبيه».

ومعظم أفراد العينة يتصورون عمل الله في هدى العباد إلى الطريق الصالح، ويدير الخلق ويدبر الكون.

ويقول طالب جامعي آخر، «انني اتصور الله تعالى كما صور هو تعالى لنا ذاته فيذكر (٩) اسماء منها الرحمن الرحيم الغفور». ويقول آخر «لا استطيع أن أتصور

الله إلا بقلب طاهر لا تشوبه الشوائب، وعندها يتجسد الله نوراً ساطعاً متمثلاً في إيمان الانسان وحبه لكل من حوله وما حوله.

ويقول ثالث (٢٣ سنة) «ليس له تعالى وصف لأنه فوق جميع الأوصاف. ويحدد طالب جامعي آخر (١٩ سنة) الرؤية بأنها رؤية قلبية، وليست رؤية حسية.إن الله تعالى لا يرى بالعين المجردة، ولكنه يرى بالقلوب الطاهرة. وله الأمر والنهي ومن صفات الله الحسنى ما ورد على لسان طالب (٢٠ سنة) اتصوره تعالى بأنه الخالق العليم القدير الوهاب الغفور المهيمن الستار الذي يعلم الخفايا وهو الحكيم العظيم» ومن صفات التجريد «الله تعالى طاقة عظيمة لا حدود لها». ويربط طالب جامعي بين القدرة على رؤية الله وبين إيمان الفرد، الله تعالى نور في القلب لا يحس به إلا كل ذي إيمان عميق راسخ، لا يصل إليه الإنسان إلا عن طريق الإيمان.

تكشف استجابات صغار الشباب عن وظائف محدودة للذات الإلهية يقول طالب ثانوي (١٦ سنة) «الله هو الذي يعلمنا الحلال من الحرام، وهناك حالات ترى الله من خلال نعمائه التي انعم بها على الانسان. ومنهم من يراه كقوة نورانية تسيطر على الكون، وأنه على كل شيء قدير أنه نور يملأ ارجاء الكون، العزيز الجبار الأكبر الملك القدوس. وهو اللطيف الخبير».

والغريب أن تظل فكرة وجود الله في السماء حتى المرحلة الاعدادية حيث يقول طالب اعدادي، يوجد الله في السماء، ويقول آخر يوجد الله فوق السماوات».

ومن الصور الواردة على لسان طفل (١٥ سنة) «أنه تعالى ملك عظيم يتربع على عرش الكون الذي خلقه» جل جلاله. هو الظاهر والباطن. مدبر الأمر ومفصل الايات له الأسماء الحسنى. (موظفة سن ٤٣ سنة)».

ومن علامات التجريد في فكر طالب دراسات عليا «أنه تعالى قوة غير منظورة. أنه يراني في كل زمان ومكان.». كما تقول انثى (٣٣ سنة) الله قوة نشعر بها ولا نراها – وهو قوة خارقة.

ويقول طالب ثانوي (١٧ سنة) «أتصوره تعالى في الكون وفي نفسي وكيف وجدت أو كيف خلقت» يقول آخر «أتخيله ملء السموات والأرض إذ قال لشيء كن فيكون» «ويربط طالب بمعهد السكرتارية بين ادراكه لله وبين حالات الشدة»

أتخيل الله تعالى عند الشدة أو في الصعاب والمحن والكوارث فأقول يا رب. ويتفق هذا مع الرأي القائل بأن الخبرة الدينية تزداد في أوقات الشدة كما تتفق مع نظرية فرويد القائل باللجوء إلى الدين نتيجة للشعور بالاحباط استجابات الدراسات العليا والفلسفية إن الله تعالى هو الحقيقة الكبرى يقول طالب بالتعليم التجاري «أتخيل الله تعالى في رحمته وعظمته وبره بعباده. لا يمر عليه الزمان هو رب الكون وخالقه ومنظمه ومدبر أمره».

تقول تلميذة بالثانوي (١٥ سنة) أنه تعالى نور يضيء من مصباح موجود في مكان عال لا يصل إليه أي انسان إنما يراه فقط، وأتصور أن هذا النور هو الذي سيتكلم في يوم القيامة ويحاسبنا. من استجابات صغار التلاميذ ما يشير إلى الحساب تقول تلميذة بالسنة الثانية ابتدائي (٦ سنوات) «يوجد في السماء ولا يستطيع احد يراه. يساعد الناس الطيّبين ويحاسب الناس الوحشيين» «ومن الصفات الحية ما ورد على لسان تلميذ (١٢ سنة) «هو انسان له رجلان ويدان ووجه وشعر وهو يحكم كل شيء ويعلم ما في الصدور ويوجد في السماء الواسعة ويقول طالب (٢٣ سنة) «أتصوره في قمة الجمال لا يغفل عن الكون» ويقول طالب بكلية التربية «إن الله تعالى موجود في كياننا وعقولنا وافكارنا وقلوبنا. يتسامح ويغفر لعباده».

ويقول خريج جامعي «إنه تعالى على كل شيء قدير، يعلم ما بين ايدينا وما خلفنا».

والغريب أن تظل فكرة وجود الله في السماء السابعة حتى في ذهن خريجي كليات الآداب «أنه يخلق كل شيء. ويوجد في السماء السابعة».

وخلاصة تحليل هذه الاستجابات أن استجابات صغار الاطفال تميل إلى الوصف الجسدي المحسوس للذات الالهية وتحديد وظائفه في معاقبة الكفار ومجازاة المؤمنين جزاء حسناً وخلق العالم وادارته وتدبير شؤونه وكانت الغالبية العظمى الساحقة تقرر الله يوجد في كل مكان، وكلما تقدم في السن أو بالاحرى كلما زاد نضوجه العقلي كلما اتسمت اجاباته ومفاهيمه بالتجريد كالقوة الجبارة أو الطاقة أو الخير المحض وكلما كانت الوظائف أكثر عمومية كالهيمنة على العالم وخلق الحياة والموت..

وتغلب الالفاظ المتعلمة كالآيات القرآنية على كبار العينة وان كان هناك من بين هؤلاء الكبار من تظل الأفكار المادية الحسية في ذهنه.

ويكشف هذا الغموض في اذهان الشباب عن ضرورة توجيه العناية الفائقة بالتربية الدينية أو الروحية وتوضيح المفاهيم الدينية السليمة، واعطاء صورة عقلانية عن الشخصية الالهية وتصحيح مفهوم التلاميذ عن اساسيات الدين.

ولكن تعكس اتجاهات أفراد العينة عن ايمان عميق بالدين والقيم الدينية لديهم فرغم ما يقال عن استهتار الشباب الا انهم يؤمنون بالقيم الدينية.

تصوّر الشباب للدّين ووظيفته النفسيّة والاجتماعية

لقد تم تحليل السؤال مفتوح النهاية «أن الدين في نظري....» في استجابات أفراد العينة كلها ويمكن عرض الملخص الآتي لهذه الاستجابات:

من الاستجابات التي توضح دور الدين في إرشاد الإنسان وتوجيهه قول طالب من كلية الزراعة «الدين هو عماد البشرية، وبدونه يصبح الإنسان تائه في ظلمات الكون».

ومن التعريفات الواردة للدين ما يشير إلى وظائفه الخلقية وتنمية ضمائر الناس «أن الدين هو المعاملة، والضمير الحي». وهناك بعض الاستجابات التي أعطت وصفاً مختصراً للدين كالقول بأن الدين في نظري يسر وليس عسراً وفي هذا المجال يقول تلميذ ابتدائي «الدين هو عمل الخير وقول الحق والصدق والأخلاق» وتشير غالبية العينة الراشدة إلى أن الدين المعاملة، يقول طالب ثانوي «الدين هو المعاملة الطيبة والأخلاق الحسنة». ومن التعريفات العامة يقول طالب آخر «الدين هو أساس البشرية وقوامها» ومن هذا القبيل أيضاً «الدين هو أساس إصلاح المجتمع، وبدونه يحل الفساد، وهو وسيلة الهداية والإرشاد والصلاح الدنيوي والعلوي» «ومن الوظائف النفسية أنه الوسيلة إلى معرفة الله، وطاعته وهو الذي يصفي النفوس للعباد ويطهرهم، وينشر الأخاء بينهم». ويقول طالب إعدادي «الدين جميل لأنه يهدي الناس لطريق الخير والعمل الصالح».

ومن التعريفات الغامضة «الدين هو الحق والإنسانية والتأمل».

وفي نظر الأطفال الصغار الدين هو الذي ينهي عن السرقة، يقول تلميذ (١٣ سنة) «الدين هو الذي يرشد الناس لطريق الخير والسعادة ويعرفهم الشر أيضاً وهو الذي يمنع الناس من الكذب والسرقة».

* يقول المصباح المنير «وإن بالاسلام ديناً (بالكسر) تعبد به وتدين به فهو دين».

ويقول المختار من صحاح اللغة الدين - بالكسر - العادة والشأن والدين أيضاً الطاعة والجمع الأديان وتدين. ومن التعاريف الأوربية أن الدين اعتقاد في الله (أو في آلهة) - وعبادة الله أو نظام ديني يشمل الطقوس والاخلاقيات المؤسسة على الاعتقاد في الله أو أنه نظرة للحياة واسلوب للحياة.

الدين الصحيح هو الديـن الإسلامي:

كثير من أفراد العينة عبروا عن رأيهم بالقول بأن الدين الصحيح هو الإسلام ومنهم من أعطى تعريفاً علمياً للدين بالقول «إنه القانون أو الدستور الذي ترجع إليه الامم» وفي هذا إشارة إلى تطبيق المبادىء الدينية على الأمور الدنيوية كما هو حادث في بعض المجتمعات الإسلامية المعاصرة كالمملكة العربية السعودية. ومن أمثلة هذه الاستجابات أيضاً القول بأن «الدين عند الله الإسلام» أو القول بأن «الدين هو الإيمان بالله والرسل» هذه بعض استجابات الراشدين، أما صغار الأطفال فكانت استجاباتهم تدور حول الوظائف المدروسة للدين «الدين يعلم الناس الخير ويبعدهم عن الشر ومن قبيل هذا الاتجاه أيضاً قول تلميذ (١٥ سنة)» «الدين هو الذي يعلم الناس الصلاة والصوم والحج ويعلمهم أن يحترم الأصغر الأكبر». ويقول طالب ثانوي هو الذي يعلمنا الكف عن الأذى وهو الذي يشفي القلوب وهو الطريق إلى الصراط المستقيم.

وهناك حالات قليلة تقول إنّ الدين هو السهولة والوضوح. وفي نظر صغار التلاميذ الدين هو الذي يوضح الحلال من الحرام للعباد. أما إجابات الأطفال الصغار جداً فكانت بسيطة ومختصرة كأن يقول الطفل إن الدين في نظري «قوى» أو «الدين (جميل) ويجب أن يؤمن به كل مسلم».

أما استجابات أرباب الدراسات العليا فكان يغلب عليها الطابع الفلسفي حيث يقول أحدهم: «هو خير من يَعْصِمُ الإنسان من الزلل وهو شفاء للنفوس وآداء للضبط الاجتماعي والتماسك الأخوي وبث روح الإنسانية في العلاقات بين الناس».

ومن الاستجابات الإجمالية ما يقره طبيب بيطري «الدين هو كل شيء في هذه الدنيا في هذه الحياة» ومن بين استجابات طلاب قسم الفلسفة «الدين هو مبادىء يضعها الأنبياء - لهداية الخلق» وقول آخر «ان الدين هو الإيمان بالله واليوم الآخر»

ويصف طالب بالثانوي الدين «بأنه العقيدة السليمة التي يمشي على أساسها كل إنسان عاقل يفكر في مخلوقات الله».

ويعبر طالب جامعي عن رأيه في الدين بقوله «هو طريق الرشد والسعادة والنجاح والجنة». ويشير طالب جامعي إلى الصلة بين العبد والرب فيقول «الدين هو ما للانسان في هذه الدنيا فهو المنظم لسلوكه ومعاملاته مع الآخرين وهو وسيلة تقريب للانسان إلى رب العالمين».

ومن أفراد العينة من رأى «أن الدين صالح في جميع العصور التاريخية» وهو دين المحبة والآخاء والعدل والمساواة والتسامح وهو دين القيم والأخلاق وهناك من يرى أن الدين الحقيقي هو عمل الخير «أو هو السعادة العظمى».

ويعبر طالب دراسات عليا أن أصل الدين هو التعامل فيقول «منهاج قويم للتعامل بين الفرد ونفسه وغيره من الناس، ثم بين الفرد وخالقه». أما الأطفال الصغار فكانت تغلب على استجاباتهم الوظائف العملية المحددة «أنه الخلاص من النزاع والشر والجريمة... طفل (١٢ سنة). يقول طفل ١٢ سنة: «الدين يعرفنا أصول العبادة ويعرفنا الحساب يوم القيامة والطريق إلى الخير وإلى الشر ويدعونا إلى عمل الخير». ويشير شاب (١٩ سنة) إلى «أن الدين يبعدنا عن الحقد وإلى السير في الطريق المستقيم ويرشدنا إلى الحق ويبعدنا عن الظلم ويدعو إلى السلام». وتقول طفلة (٩ سنوات) «إنّ الدين هو القرآن والإسلام، ويقول شاب (٣٧ سنة) «الدين هو عماد الحياة وأساس كل شيء، وهو عظيم وقيم في الحياة وأساس سعادة الفرد والمجموع». ويقصر طفل (١١ سنة) الدين في وظيفة العبادة فقط. ويعبر طفل (١٢ سنة) عن أن «الدين هو بناء المجتمع».

ويقول ثان (١١ سنة) «الدين يكون مجتمعاً سليماً قوياً ويخلص الناس عن النزاع والشر والجريمة» ويرى ثالث «أنه يعلمنا الأخلاق الكريمة والحلال والحرام». ويرى طفل آخر (١٢ سنة) أن: «الدين حق وعدل وحماية الأسرة». ويعبر طفل (١٤ سنة) «أن الدين نور وعلم».

بينما يقول زميل له إنّ «الدين هو الذي يجيء به الرسل» على حين يرى ثالث أن «الدين في نظره هو الدين الإسلامي والدين المسيحي اليهودي». ويكشف هذا عن فكرة التسامح الديني.

ومن الاستجابات الغامضة قول طفل (١٣ سنة) «أن الدين يعرف الناس الأنبياء».

ويعبر تلميذ ابتدائي عن رأيه بأن «الدين يعلم الناس الصبر والتحمل» وتعبر غالبية العينة الصغيرة السن عن رأي مؤداه أن الدين هو الذي يخلص الناس من الشر والجرائم ويشيع المحبة بينهم. ويشير طفل (١٣ سنة) الى ان الدين عبادة واتقان للعمل. ويقول آخر «إنّه يعلم الناس الاخلاص والتراجم والنفس الطيبة». ويدعوهم إلى الإحسان. ويرى شاب (١٦ سنة) أن الدين يتلخص في:-

١) العمل الصالح. ٢) الإيمان. ٣) عمل الخير.

ويرى طبيب بيطري «أن الدين تنظيم للمجتمع وحفاظٌ على الاخلاق والقيم ويرى طالب جامعي أن الدين هو الأخاء والمساواة والعطف ومعرفة الحقوق والواجبات. ويؤكد طالب بكلية التربية ان الدين هو طريق الهداية، والسراط المستقيم، وهو مفتاح السعادة في الدنيا والآخرة». ويقول طالب فلسفة «إنّ الدين أساس الحياة فهو الذي ينظم حياة الناس ومعاملاتهم من أجل إيجاد مجتمع مسلم يعمل فيه الجميع من أجل دينهم ودنياهم».

ومن الوظائف المحددة للدين ما يعبر عنه طفل (١٢ سنة) بقوله «ان الدين يعلمني الصبر والعطف على المساكين، ويعلمني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويقول موظف جامعي (٤٦ سنة) الدين هو السلوك الباطني والظاهري السري والعلني المنكر». ويقول شاب (٣٥ سنة) «الدين دستور الحياة ومرجع في كل الأمور». ويرى طفل (١٢ سنة) أن الدين هو السبيل إلى الله. ويدرك شاب (١٨ سنة) أن للدين أهمية كبرى في راحة النفس. ويقول آخر أنه ينشر المحبة ويساوي بين الغني والفقير. ويقول طفل آخر الدين هو القرآن الذي نزله الله على المسلمين. ويفضل القول في القول في اللين شاب (١٢ سنة):-

(الدين هو المعاملة والاخلاص في العمل وتأدية الصلاة ومراعاة حقوق الله وتقواه).

ويقول رجل (٤٢ سنة) من أفراد العينة (الدين الصحيح هو الرجوع إلى عهد الخلفاء).

ويقول آخر (٥٣ سنة) أن نتبع ما أمرنا به الله، وننهي عما نهانا عنه). ويقول

شاب صغير (١٥ سنة) عن الدين (أنه دين العلم والأخلاق. ويعبر آخر عن أن الدين رحمة للبشر أجمعين. ويعرف شاب (٢٤ سنة) الدين تعريفاً جامعاً (الايمان بالله وملائكته وكتب والرسل والأنبياء وإقامة العبادات على خير وجه ومعاملة الناس معاملة حسنة). ويرى آخر أن الدين (هو الاستقامة، وهو تسامح وتكامل وتعارف وأمانة والإيمان باليوم الآخر). ويقول شاب (٢٨ سنة) (الدين عند الله الإسلام). ويعبر شاب (٢٦ سنة) عن رأيه بالقول (الدين هو المعلم الوحيد للانسان وهو الذي يهدينا إلى وجود الله). ويقول طالب جامعي عن دور الدين في علاج الأمراض الإجتماعية (الدين خير طريق لعلاج الأمراض الاجتماعية والنفسية اليوم، وهو الطريق إلى معرفة الله والوصول إلى اليقين المطلق والوصول إلى الجنة) ويرى آخران الدين (هو الإيمان الراسخ بوحدانية الله تعالى) وبالمثل يرى ثان (أنه القانون السماوي الذي يجعل السلام في كل البشر وهو مراعاة الله في كل أعمالنا). ومن التعاريف للعامة (أنه عقيدة يسلم بها العقل). ويرى شاب (١٩ سنة) أن الدين مدرسة يتعلم منها الإنسان الأشياء التي تجعله محبوباً في الدنيا والآخرة). ويلاحظ طفل (١٥ سنة ضعف أثر الدين في حياة بعض الناس في ايامنا هذه فيقول (الدين عقيدة قيمة ولكنه للاسف الشديد لا قيمة له عند بعض الناس اليوم). ويقول شاب آخر (لا حياة بدون دين ولا دين بدون حياة). ويدعو شاب ٢١ سنة إلى التمسك بالدين فيقول (هو مبادىء وقوانين تنظم المجتمع وتعمل لصالحه لذلك يجب التمسك بالدين، فهو خير مرشد لنا في حياتنا). ويرى شاب (٢١ سنة) (انه الغذاء الروحي لكل انسان). ويرى آخر (٢٤ سنة) (أنه الاداة التي تخلق الطبيعة الانسانية). وهنا اشارة إلى دور الدين في التنشئة الاجتماعية. ويرى ثالث أن الدين هو دين الفطرة السليمة الخيرة. ويرى شاب (٢٢ سنة) (أن الدين هو عماد الحياة وعمودها الفقري وهو الضمير الانساني المحرك الهادي إلى طريق الحق وهو الذي يعرفنا ويمنعنا عن سلوك الشر).

يسهم الدين في بناء الإنسان وأخلاقياته وفي بناء الدولة، ومن الناحية الروحية هو طريق النور والهدى والايمان بالله تعالى، والدين في غالبية الآراء هو المعاملة بل أنه كل شيء من علم وتكنولوجيا وفلك وقيم ومبادىء وفي ذلك اشارة إلى التأمل والنظر في مخلوقات الله والبحث في العلم والفكر والتبصر.

وللدين أكثر من وظيفة فهو طريق الحلال والنور والمساواة بين العبد الفقير والغني، وهو الذي يجعل الانسان يحب اخاه الانسان ويجعله يكره الظلم والطغيان ومن افراد العينة من يقصر الدين على الضمير فيقول أحدهم (الدين هو الضمير ويقول البعض إنه دستور للحياة الدنيا والآخرة)، ويعبر آخر بأنه (رحمة للعالمين ويقود إلى بر الأمان، ويعين المحتاج ويساعد على الصلاح). ومعظمها وظائف نفسية ويقول آخر (أنه يهذب اخلاق الناس ويحكمهم ويحميهم من ارتكاب المعاصي) ومنهم من يقول أن الدين جوهرة ثمينة لا يعرف الانسان قيمتها ومنهم من يقول أنه خير مدرسة تعلم الانسان). وفي الدين حماية من الأمراض النفسية، وصراعات المجتمع المادية الحديثة وهو الذي يرشد الناس ويهذب نفوسهم ويمنحهم الطمأنينة. كانت اجابات الكبار من أفراد العينة تتسم بالعمومية والشمول وسرد المبادىء الفلسفية العامة، أما صغارهم فكانت محدودة كالقول (طفل ١٢ سنة) الدين يعلمنا الصوم والصلاة أو إنّه (طريق الخير يعرفنا طريق الخير من الشر).

وإنّه يخلص الناس من الخطايا ويقول طفل آخر (١٣ سنة) (إنه يعرفنا يوم القيامة) ويقول ثالث (إنّه يمنع الناس من السرقة). أو إن الدين هو العبادة. وتتردد كثيراً فكرة الخلاص من الشر وعمل الخير، وفكرة الحلال والحرام في استجابات صغار الأطفال أو الفضيلة والبعد عن الرذيلة والاستجابات التي تشير الى الوظائف النفسية المباشرة (إن الدين يريح الاعصاب والخلاصة من سرد نماذج من هذه الاستجابات إن استجابات صغار الأطفال تنحصر في تحديد وظائف محددة للدين كالصوم والصلاة والزكاة والاهتداء إلى طريق الخير والابتعاد عن طريق الشر، أما استجابات الكبار فانها تتصف بالعمق والتفلسف وسرد المبادىء التي ينادي بها الدين كالمساواة والعدل والأخاء وتنظيم حياة الفرد والمجتمع والارشاد إلى التمسك بالمثل العليا والقيم الخلقية وتكشف الإستجابات في جملتها عن اتجاهات إيجابية وصحية عن الدين في عقول الشباب).

الاستجابات الحرة في تقويم الأخلاق

تضمّن الاستخبار المستخدم في هذا البحث سؤالا مفتوح النهاية عن رأي الشباب في الأخلاق في عصرنا هذا.

ولقد تم تحليل الاستجابات الحرة ووجد أن هناك (٣٤٩) طالباً وطالبة منهم (٢٠٩) من الذكور و(١٤٠) من الإناث أعطوا تقويماً للاخلاق المعاصرة في نظرهم أمكن تصنيف هذه الاستجابات على مقياس مكون من خمس نقاط هي:

١ – أخلاق سيئة جداً: وتتضمن اتجاهات مثل القول بأنها «زفت أو متعددة أو منهارة أو متدهورة تدهوراً مستمراً أو منحطة جداً في الحضيض في إنحدار مستمر.

٢ – أخلاق سيئة: وتتضمن اتجاهات مثل «منحلة، منحدرة، مش قوي مش كويسة، ضعيفة، هزيلة، لا توجد أخلاق، مادية وليست روحية».

٣ – أخلاق متوسطة: وتتضمن اتجاهات مثل «البعض لديه أخلاق والبعض مجرد منها أو أنها أخلاق مقلدة مستوردة من الخارج أو أن فيه ناس كويسين وناس وحشين...» الخ.

٤ – أخلاق جيدة: وتتضمن وصفاً لفرد بأنها «حسنة أو جميلة أو كويسة أو حلوة».

٥ – أخلاق ممتازة: وتعرف بأنها أخلاق مثالية فاضلة وعظيمة وطيبة جداً.

وبناء على هذه الاتجاهات أمكن تصنيف (٣٤٩) استخباراً وكانت النتائج كما يوضحها الجدول الآتي:

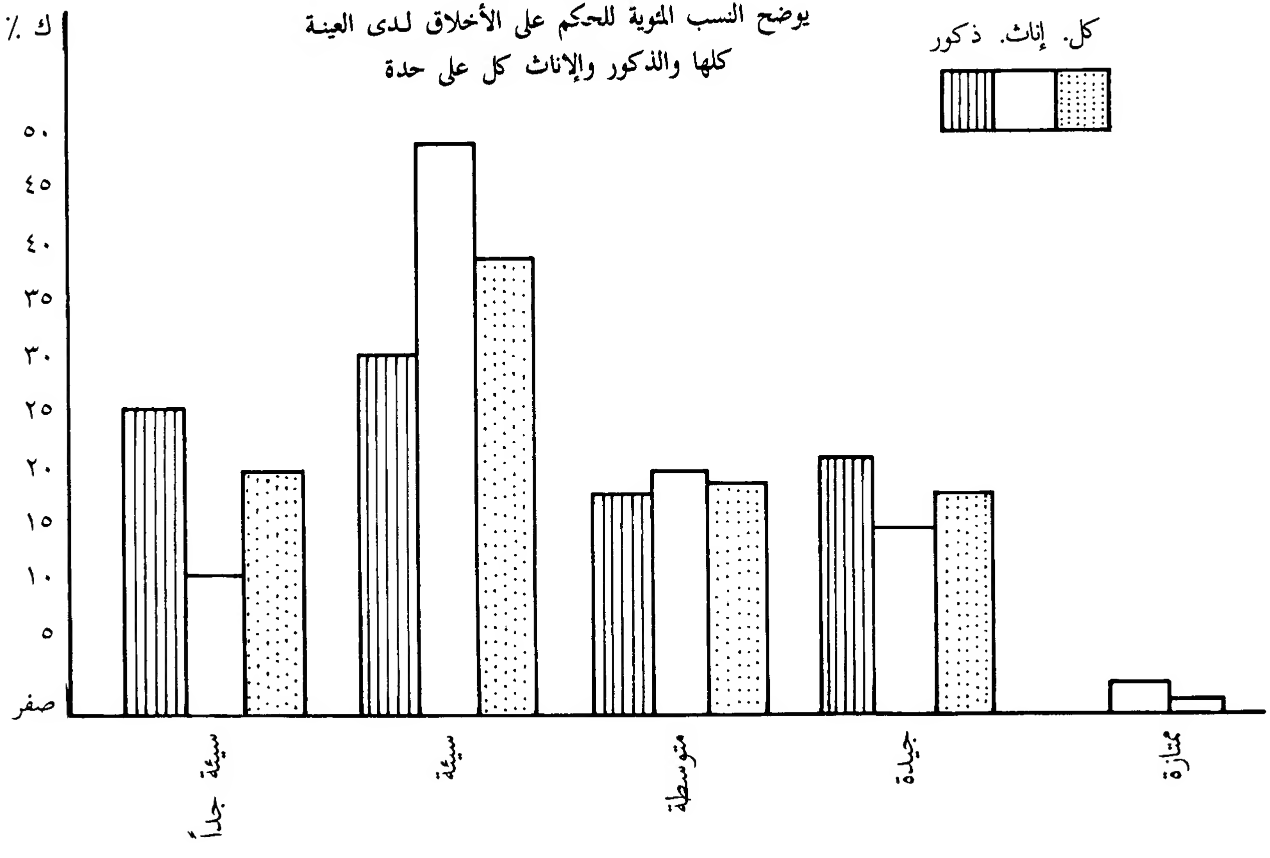
جدول رقم ٣٣

العينة	ذكور		إناث		الفرق	العينة كلها	
	ك	٪	ك	٪		ك	٪
١ - سيئة جداً	٥٧	٢٧	١٥	١١	١٦	٧٢	٢١
٢ - سيئة	٦٦	٣١	٦٩	٤٩	٨	١٣٥	٣٩
٣ - متوسطة	٤٠	١٩	٣٠	٢١	٢	٧٠	٢٠
٤ - جيدة	٤٦	٢٢	٢٢	١٦	٦	٦٨	١٩
٥ - ممتاز	-	-	٤	٣	٣	٤	١

يتضح من هذا الجدول بالنسبة للعينة كلها أن هناك (٢١٪) يعتبرون الأخلاق المعاصرة سيئة جداً و(٣٩٪) يعتبرونها «سيئة» ومعنى ذلك أن هناك (٦٠٪) يعتبرونها سيئة جداً وسيئة وهي أغلبية ساحقة (٢٠٪) فقط يعتبرونها متوسطة و(١٩٪) يحكمون عليها بأنها جيدة و(١٪) فقط يحكم بها ممتازة.

ويكشف هذا الجدول أن غالبية أفراد العينة يعتبرون الأخلاق في عصرنا هذا سيئة جداً وسيئة ((٥٨٪) بالنسبة للذكور و (٦٠٪) بالنسبة للاناث) ويدل هذا على عدم رضا الشباب على مستوى الأخلاق المعاصرة ورغبتهم في تنمية الشعور الخلقي وتقويته فلا يوجد من يعتبر الأخلاق ممتازة إطلاقاً من بين الذكور وهناك (٣٪) فقط من بين الإناث يعتبرونها ممتازة. أما الأخلاق الجيدة فليس هناك سوى (٢٢٪) من الذكور (١٦٪) من الإناث يحكمون على الأخلاق بأنها «جيدة» وتؤكد هذه النتيجة ضرورة الاهتمام التربوي والاجتماعي والروحي بالجوانب الخلقية في حياة الشباب إبتداء من المنزل حتى التعليم الجامعي وما بعده من المجالات العملية حيث ينبغي ضرورة أخذ السلوك الخلقي للمواطن في الاعتبار عند تقويم عمله حتى يعود أفراد المجتمع إلى حظيرة الأخلاق ويتحقق نوع من الشعور بالرضا عن المستوى الخلقي. فالشباب نفسه غير راض على مستوى أخلاقه.

شكل رقم - ٢٠ -
يوضح النسب المئوية للحكم على الأخلاق لدى العينة
كلها والذكور والإناث كل على حدة



وبالنسبة للفرق الجنسي يلاحظ أن الذكور يعتبرون الأخلاق أسوأ مما تعتبرها الإناث وللتحقق من هذه الملاحظة إحصائياً تم تحويل نقاط المقياس الوصفية إلى قيم عددية على النحو الآتي:

الوصف	القيمة العددية
سيئة جداً	١
سيئة	٢
متوسطة	٣
جيدة	٤
ممتازة	٥

وتم بناء على ذلك حساب المتوسط الحسابي لكل من الذكور والإناث كل على حدة ووجد الآتي:

	م	ن
متوسط تقويم الذكور للاخلاق =	٢,٣٦	٢٠٩
متوسط تقويم الإناث للاخلاق =	٢,٥١	١٤٠
الفرق الجنسي =	٠,٥١	

وتعني الدرجة هنا أنه كلما زادت الدرجة كلما زاد تقدير الأخلاق سمواً ومعنى ذلك أن الإناث يعتبرن الأخلاق أحسن مستوى عن الذكور وإن كان الفرق ضئيلاً (١٥ ,) وفي ضوء النسب المئوية هناك (٥٨٪) من الذكور يعتبرونها سيئة جداً وسيئة في مقابل (٦٠٪) من الإناث ويمكن افتراض التساوي في اتجاهات الإناث والذكور نحو الأخلاق.

إلى جانب هذا التحليل الإجمالي للاستجابات الحرة كان هناك كثير من الأفراد الذين لم يعطوا تقويماً معيناً ولكنهم كتبوا عن ملاحظاتهم عن الأخلاق وتطلعاتهم وفيما يلي ملخص لأهم الاتجاهات التي ظهرت في جميع الاستجابات.

أولاً: استجابات الكبار الذين يزيد سنهم عن ٢٠ سنة:

يقول شاب (٢٣ سنة): أنها ضاعت وليس لها وجود. وهناك نسبة كبيرة جداً

تنادي بعودة الأخلاق إلى حظيرة الدين وأنها تحتاج إلى العودة أو التبصير بأمور الدين... وهناك من يرى أنها في حسن المعاملة وفي التربية الحسنة والحميدة ومن الانتقادات: ليس لها وجود.

ومن الآراء التي توضح أهميتها «أنها المحرك الأساسي للبشرية» ولاحظ عدد كبير من أفراد العينة وجود هوة ساحقة بين الأخلاق المعاصرة والقيم الدينية الأصيلة «أنها لا توافق عادات وتقاليد الدين الإسلامي» أو أنها ذهبت بما يتميز به الشخص المعاصر. ومن الآراء السلبية، «هناك الآن أزمة أخلاق» أو «أخلاق للاسف غير سليمة في الغالب» أو أنها في تدهور مستمر والقول «لقد ابتعد الشباب عن الدين وبذلك بعدوا عن الأخلاق الحميدة» «ومن الإشارات إلى التصارع والمنافسة على رأي المثل»:-

«الناس بتاكل في بعضها يا جدع».

وكان هناك اجماع على أن الاخلاق في الماضي كانت أفضل منها في الوقت الحاضر «الأخلاق سيئة للغاية وشبابنا فاسد وبدون قيم أو أخلاق وعليه العوض في الشباب وكذلك في الأخلاق وأدعوا الله أن تعود الأخلاق لمجتمعنا مثل زمان» وهناك من ينسب سوء الأخلاق إلى التقاليد المستوردة شبه منعدمة لسوء الحظ نظراً للتقاليد الجديدة ولكن إن شاء الله سوف يعم الخير في نفوسنا وتعم الأخلاق.

ومن الأوصاف الموجزة القول «إنها منحلة» أو في تدهور بطيء ومستمر... ومن الاستجابات المسرفة في النقد «لا أخلاق في هذا العصر وكلها تسير تبعاً لهوى المصالح الشخصية» ومن وجوه النقد أيضاً الإشارة إلى بعض مظاهر الانحراف المعينة الأخلاق مجرد عبارات يطلقها الناس، فالأخلاق في عصرنا هذا ليست معممة أو منتشرة بين الناس فالانحراف تجده في كل مكان وأفلام السكس تمتلك السينما. وشارع الهرم يسهر حتى الفجر فالأخلاق تتلاشى يوماً بعد يوم ولكن هناك صفوة من الناس تتمسك بها.

وقول آخر «في طريقها للانحدار والتدهور والتخلي عن أسمى معانيها وابتكار أخلاقيات جديدة نعيش فيها وتحت ظلها مهما كانت متعارضة مع صميم الدين» ومن أمثلة ذلك ايضاً لا يوجد أخلاق فالقوي يأكل الضعيف والمادة هي كل شيء

في هذا المجتمع، ومن ذلك أيضاً، قد نبهنا رسول البشرية محمدﷺ في حديث قال فيه ما معناه، سيجيء يوم على أمتي يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين إلى آخر الحديث، فلم يعد في العصر حياء ولا أخلاق واللّهمّ قنا من هذا.

ومن الاستجابات التي تشير إلى سيطرة المودات والبدع، الأخلاق فيها خلاعة وخنفسة، والقول بأن هناك أزمة اخلاق.

ومن الاشارات إلى التفاؤل في حدوث نمو خلقي وعودة إلى العلم والايمان قد اقتربت أن تنعدم عند كثير من الناس إلا أن في دولتنا قد بدأت الأخلاق الإسلامية تعود الينا بعودة دولة العلم والإيمان، ومن الدعوة للاهتمام التربوي والأسري ما يلي:-

نحتاج إلى تقويم شديد من جانب الأسرة والمربين والمدرسة بل في بعض الأحيان يجب تدخل القانون في بعض الحريات التي تعتبر عامة كالمظهر والملبس.

ومن الترحم على اخلاقيات الماضي، لم تعد كما كانت سابقاً، ومن الاتجاهات العامة في العينة أنها تميل إلى الانحراف وأن النفاق والرياء والمداهنة تسودها الآن.

ومن الآراء التي تؤكد أهمية الأخلاق: إذا لم يكن هناك فالدنيا عبارة عن غابة من الوحوش يأكل بعضها بعضاً، ومن وجوه النقد أيضاً أنها أخلاق مادية بحتة، ومن الآراء الايجابية؛ أنها ما زالت تحتفظ بأصالتها، ومن الاستجابات التي تربط الأخلاق بالتطور المادي، أنه أخذت في الانحلال بسبب التقدم السريع والعقد النفسية ومشاكل الحياة ولكن ما زال يوجد أناس كثيرون يتمتعون بأخلاق طيبة وحميدة والاخلاق تعتمد على البيئة التي ينشأ فيها الشخص وعلى مدى (تمسكه بدينه) واستجابات طغيان المادية أنها مادية مجردة من الروحانيات.

لقد انحطت الاخلاق بين كثير من الشباب والناس وذلك لمسايرة المدنية الحديثة وهذا لا يرضاه رب السموات والأرض ومن مظاهر النقد أيضاً، أنها يغلب عليها المصلحة الشخصية، وأنها أخلاق غير صالحة لأنها تأثرت بتيارات غربية بعيدة عن واقع حياتنا العربية والاجتماعية. ومن أمثلة ذلك ايضاً، انها تسير في طريق التقهقر والانحطاط وتسيطر عليها المادية واللادينية، أي العلمانية، وصار العداء بين الانسان

وأخيه الإنسان أكثر مما هو بين الانسان وعدوه، ومن مظاهر عدم رضا الشباب أيضاً عن المستوى الخلقي، انها ليست مرضية لي لأنها تعتمد على المظهرية دون الجوهر، وأنها يؤسف لها، ويرجع البعض الانحلال الخلقي إلى المدنية، ما زالت الدنيا بخير ويوجد أفراد ذوو أخلاق حسنة وصحيح أن ما نراه يختلف عن القديم، ولكن المدنية هي وراء كل منكر.

ومن الآراء التي تبالغ في التشاؤم، انها مأساة كبرى تزداد استفحالا يوماً بعد يوم وهناك من يرجع الوضع الخلقي إلى وظائف الأسرة، في تدهور ملحوظ والسبب في ذلك البعد عن الدين وعدم ترابط الأسرة، ويلقى البعض بالمسؤولية على المدارس والجامعات، للأسف متدهورة ومنحلة وتحتاج إلى مدارس وجامعات لغرس الروح الدينية قبل القاء عمليات الحساب والهندسة والعلوم.

ومن الاتجاهات الايجابية، ما زالت بخير ويوجد نسبة ليست قليلة تتمتع بالأخلاق الكريمة وسوء أخلاق بعض الناس راجع إلى ظروف التقدم العصري وانحراف بعض الناس والمرشدين.

ومعظم الآراء تشير إلى بعد الأخلاق المعاصرة عن روح الدين قد أصبحت لا تتفق مع الشريعة الإسلامية ولما يجب أن يتحلى به المسلم والمسلمة، وهناك من يرجع الوضع الخلقي إلى قلة الوعظ والإرشاد في انحدار مستمر لاختفاء الوعظ والارشاد الديني الصحيح القائم على البرهان والاقناع والاقتناع، ومن الآراء التي تركز على أهمية الأخلاق.... إذا لم يكن هناك أخلاق فالدنيا عبارة عن غابة من الوحوش. كل يأكل الآخر، ومن وجوه الانتقاد أنها عبارة «عن نفاق ورياء» ومن الأحكام الصادرة عن المجموعة انها في نظري عبارة عن الاحتشام والأدب والتمسك بالدين ومن القيم المعطاة للاخلاق.... (هي محرك البشرية) أو (أنها ليست على ما يرام ولكنها في مضمونها اسلامية) وأنها تحتاج إلى كثير من التعاليم. وهناك من يرجعها إلى كثرة مشاكل العصر (تقل بدرجة كبيرة جداً بازدياد مشاكل العصر، حيث تسود اللاأخلاقيات، أو القول بأنها منعدمة في عصرنا هذا). ومن الأحكام القيمية أنها عمل للخير. ومن الآراء المعتدلة القول بأن هناك من نسوا الله فأنساهم أنفسهم (ونطلب من الله لنا ولهم الهداية، وهناك من هم على الطريق المستقيم وسيزيدهم الله هدى).....

ومن الآراء التي تقارن بين الأخلاق في الماضي والأخلاق المعاصرة (انها ليست مثل أيام زمان في الأدب والاحترام والخوف من عقاب الله والآن كلها تساهل وضعف) والقول بأنها تحتاج إلى نمو وتنمية وهناك دعوة إلى التمسك بالتقاليد وبالدين وهنا اشارة إلى نظرية الامتثال في الاتجاهات والاحكام الخلقية.

ومن الاتجاهات الايجابية القول بأنه يمكن القول بأن الأخلاق تختلف من مكان إلى آخر ولكن في تلك الأيام الأغلبية الكبرى جيدة الأخلاق، وعلى العكس من ذلك الآراء السلبية تعبر عن أنها، فاسدة عند الشباب، ومن الآراء المعتدلة أنها خليط من الخير والشر فهناك من هو ذو أخلاق سليمة ينفذ تعاليم الدين ومنهم من لا يهتم بأي شيء سوى تحقيق أهدافه الشخصية.

ومن الآراء التي تشير إلى مساعدة الفقراء «احترام الآخرين ومساعدة المحتاجين والفقراء، وعدم التكبر والرضا بما قسمه الله لنا» ومن الآراء التي تعبر عن التشاؤم «في اضمحلال مستمر ولا تبشر بشيء على الاطلاق في عصرنا الحالي».

ومن الآراء التي تشير إلى وجود أزمة أخلاق، اننا نعاني من أزمة أخلاق حادة، وهنا أذكر الآية الكريمة «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» وهنا أثر للثقافة والتعاليم الدينية على المطالب الخلقية والاخلاق ليست متمشية مع روح الإسلام. ومن هذا – القبيل «انها سيئة للغاية، لعدم اتباع الشباب هدى القرآن الكريم والسنة المحمدية» ويعبر الغالبية الساحقة ان البعد عن الدين وعدم التمسك بتعاليمه وترك التكاليف كالصوم والصلاة أدى إلى فساد الاخلاق. وكذلك «اصابها الانحلال بسبب دعوى المدينة والتحرر ولو رجع الناس إلى دينهم لتقدموا ونجحوا في جميع مجالات حياتهم» وهناك من يرجع الوضع الخلقي إلى المؤثرات الاجتماعية» منخفضة لأن كل شيء في كل مكان يقول: «للشباب انحراف» وقول آخر: «فيها الخلاعة وانعدام الذوق».

ومن ذلك أيضاً «ليست أخلاق حميدة ولكنها أخلاق مستوردة وهي غير مناسبة».

ومن آراء الدعوة للاصلاح الخلقي «في حاجة إلى اصلاح سريع بنشر الوعي الديني في المدارس بزيادة حصص التربية الدينية واضافته إلى المجموع وجعله مادة

أساسية وهناك من يربط بين المستوى الاقتصادي والاجتماعي والمستوى الخلقي» تحطمت الأخلاق في عصرنا الحاضر ولكن يوجد بعض الناس الذين يتمسكون بالأخلاق وهي الأسر المتوسطة ومن آراء المتقدمين في السن (٤٠ سنة) انها تنحدر انحداراً رهيباً وان المدنية الزائدة تؤدي إلى التحرر «وهناك من يتأثر بدعوة تكوين دولة العلم والايمان» يسودها العلم والايمان والاتجاه إلى النشاط الديني ومن التأثر بهذه الدعوى أيضاً «انها أخلاق مادية نزعت أخيراً إلى الروحانية لانقاذها من براثن المادية».

ومن مظاهر الاشارة إلى تأثير الغرب «انها غير صالحة لحياة الآخرة فتلك تيارات تهب علينا من الغرب تفسد أخلاقنا نحن الشرقيين وتغير من سلوكنا كأصل موطن الأديان السماوية الثلاثة جميعا».

ومن الآراء المبالغة «الأخلاق في هذا العصر في أجازة وضعفت القلوب وأصبح القوي ينهش في الضعيف» ولكن يوجد رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أي أن هناك الخير إلى حد ما.

ومن الدعوات إلى الاصلاح الخلقي «سيئة للغاية واقترح عقد ندوات دينية وحث أولياء الأمور على توجيه أبنائهم نحو الأخلاق الحسنة وعدم خروج الفتيات كاسيات عاريات في الشوارع والمجتمعات العامة» ومن الآراء التي توضح اهمية الأخلاق «انما الأمم الأخلاق ما بقيت - فان ذهبت أخلاقهم ذهبوا».

والخلاصة التي يمكن استخلاصها من هذه الاتجاهات الحرة الربط الوثيق بين الدين والقيم الخلقية والسلوك الخلقي وعدم رضا الشباب عن مستوى الأخلاق - المعاصرة والدعوة للاصلاح الخلقي والاجتماعي وتنمية المشاعر الدينية والاهتمام بالحياة الدينية عند الشباب.

وتوكيد أهمية التربية الدينية في تنمية الشعور الخلقي وتهذيب السلوك.

أما استجابات الأطفال والمراهقين الصغار الذين تتراوح أعمارهم من (٦ سنوات) إلى (١٩ سنة) فيما يلي نعرض لنماذج منها «أن الأخلاق عند من عنده ذوق وتربية» والقول بأن الأخلاق في الاخلاص وفي العبادة وهن ارتباط بين القيم الدينية والخلقية أو أن الأخلاق «هي الأدب» ومن الاتجاهات العملية ان الاخلاق هي (حسن

العمل) وهنا اشارة إلى السلوك الفعلي للافراد. أو انها (الطيبة) ومن الربط بين الأخلاق والتفكير (انها هي كل عقل يفكر أو هي طيبة الروح).

ومن الأحكام الخلقية ان الأخلاق المعاصرة منها أخلاق مهذبة وأخرى ذميمة ومن الخلط بين السلوك الخلقي والديني أو التوحيد بينهما ان الأخلاق هي عبادة الله.

ومن الاتجاهات المتوسطة (انه يوجد في عصرنا هذا اخلاق بس مش كتير) وكذلك القول ان هناك بعض الناس يحبون أصدقاءهم وآخرون لا يحبون أصدقاءهم ومن أمثلة ذلك أيضاً (الأخلاق في الأدب والذوق والمحبة والاحترام بين الناس أو أن الأخلاق في الأدب وحسن الذوق).

ومن الآراء التي تمثل نظرية الامتثال (تقييم المجتمع ومعايير سلوكه قول طفل صغير (١٢ سنة) التمسك بما يعمله المجتمع) ومن الاتجاهات التي تعكس الرضا (انها جميلة طيبة، كويسة) ويشير بعض الصغار إلى آثار التقدم العلمي على الأخلاق أن الأخلاق الآن مؤذية، أن هذا العصر الجديد أصبح في التقدم العلمي (ويدرك الصغار أيضاً أهمية الأخلاق) الأخلاق أهم شيء يتباهى به الإنسان.

ويلاحظ أن الغالبية العظمى من صغار الأطفال؛ على العكس من المتقدم في السن في هذه العينة يحكمون على الأخلاق أحكاماً إيجابية بمعنى أنها أخلاق طيبة أو جميلة أو حسنة أو لطيفة ويلاحظ أنه كلما تقدم الفرد في السن كلما زاد عدم رضاه عن المستوى الخلقي السائد أو ربما زاد طموحه في طلب الأخلاق المثالية. وهكذا يقول شاب (١٩ سنة) (توجد بنسب بسيطة في هذا المجتمع) ويلاحظ أن صغار العينة يقصرون تعريف الأخلاق على انها تكمن في الأدب بالمعنى السلوكي. أما الأطفال الأكثر نضوجاً فيقرون انها سيئة في أغلبها (شأنهم في ذلك شأن كبار الشبان. ومن الأقوال الشائعة في العينة انها تكمن في الانسانية. والمعروف والأدب واحترام الزوجة) والقول بأن الأخلاق (ان اكون مهذباً لا أعيب في أحد).

ومن الانتقادات المريرة (أصبحت عند البعض كأخلاق الحيوانات الضالة والبعض الآخر كما هو أخلاقه أصيلة) أو أنها منحلة ومنحطة ومنحدرة وخاصة في الشباب. وهناك من يرجع الوضع الخلقي إلى التغير السريع الذي يتسم به العصر. واخلاق

هذا الجيل ضعيفة أو أن الأخلاق من ناحية الملابس فيها خروج على الدين وعلى طاعة الله ومن التعاريف المفيدة انها المحافظة على كرامة الآخرين وعدم جرح شعورهم واحساسهم والعمل على اسعاد الآخرين.

وفي ذلك تركيز على الجانب السلوكي في الاحسان والايثار واحترام الغير.

ومن الآراء الهامة ان انعدام الأخلاق تؤدي إلى خراب العالم. وهناك دعوة إلى المزيد من الاهتمام بالبرامج الدينية الاذاعية والتليفزيونية.

يعبر طفل صغير عن قلة انتشار الاخلاق «كل الناس ليس عندها إلا قلة من الناس الذين يؤمنون بالله» ويقول آخر «أنها في الأدب والنظام والاخلاص والتعاطف أو هي في حسن المعاملة» أو هي في ضمير الانسان «أو أنها منهج للحياة» ويقول طفل (١٣ سنة) «إنها في عدم الخروج عن طاعة المجتمع مشيراً بذلك إلى فكرة الامتثال أو في عدم الخروج عن تعاليم المجتمع ومن الاستجابات النادرة ما يتناول الأشارة إلى الاتقان في العمل والتفاني فيه». ويقول أحد الشبان «الأخلاق فاسدة ويجب أن نهتدي بالقرآن الكريم والسنة كي تصبح اخلاقنا حميدة ويتعلم الاخلاق من مولانا محمدﷺ إن الاخلاق الحالية قائمة على الرياء.

والأخلاق تكمن في التواضع والتعاون والتعاطف مع الناس وهنا إشارة إلى التعاطف الوجداني أو المشاركة الوجدانية ويقول شاب (١٩ سنة) ليست هي الاخلاق التي يدعو إليها الاسلام ولكنها بعدت كل البعد وذلك لعدم وجود الوعي الديني (كما أن الاخلاق هي الطريق القويم الى سعادة المجتمع ويقول آخر مشيراً إلى ضعف السلطة المنزلية على النشء) ليس لها وجود أطلاقاً لأن البيت أصبح ليس له التأثير الذي يجب أن يكون، وعدم اهتمام السلطات بتطبيق الشريعة الاسلامية.

وعلى حين نجد أن الأغلبية من أفراد العينة تؤكد ضعف الاخلاق عند الكثرة الغالبة ولا توجد إلا عند القلة هناك حالات قليلة تقرر العكس أنها أن الاخلاق الكريمة موجودة عند الكثرة والقلة منحرفة.

وعلى الجملة تعبر الغالبية الساحقة عن عدم رضاها عن المستوى الخلقي لدى الشباب وتدعو إلى الاهتمام بالتربية الخلقية والسلوكية.

تحليل مقياس القيم الخلقية ككل

كانت المناقشة السابقة منصبة على مفردات هذا المقياس وفيما يلي نورد تحليل المعطيات للاختبار ككل حيث حسبت درجة لكل فرد من افراد العينة باحتساب درجة واحدة عن كل سؤال يجيب عليه بالمعنى الايجابي للعبارات ودرجة واحدة لكل إجابة بالنفي لكل عبارة سالبة، وكانت الدرجة النهائية في المقياس تساوي (١١) ولقد أدى هذا المقياس (٤٢٧) طالباً وطالبة منهم (١٣٦) أناث و (٢٠١) من الذكور وكان المتوسط الحسابي للعينة ككل هو (٨,١١) وهي درجة عالية في ضوء النهاية العظمى للمقياس (١١ درجة) مما يعطي دلالة على تمسك أفراد العينة بالقيم الخلقية.

أما الفرق الجنسي فلقد كان متوسط الذكور ٨,٧٢ ومتوسط الاناث ٨,٦٣ بفرق قدره (٩) ولصالح الذكور وحسب قيمة (ت) للفرق بين هذين المتوسطين طبقاً للقانون الآتي:

$$\text{ت} = \frac{\text{م}_1 - \text{م}_2}{\sqrt{\dfrac{\text{ن}_1\,\text{ع}_1^2 + \text{ن}_2\,\text{ع}_2^2}{\text{ن}_1 + \text{ن}_2 - 2} \times \left(\dfrac{1}{\text{ن}_1} + \dfrac{1}{\text{ن}_2}\right)}}$$

ووجدت تساوي ٠,٥٣ ومع درجات حرية (٤٢٥) فان هذا الفرق لا يصل الى حد الدلالة الاحصائية.

تحليل التباين والتصميم التجريبي العاملي:

يتضح من مصفوفة المتوسطات أن أعلى قيم حصلت عليها الإناث من أبناء الطبقة الاجتماعية الوسطى (ومتوسط ١٠,٥) وأن أقل الجماعات كانت أيضاً من

الاناث من أبناء الطبقة الاجتماعية الدنيا وممن هن دون المستوى الجامعي ثقافياً.

ويكشف جدول رقم (٣٤) أن الإناث تتفوق في القيم الخلقية عن الذكور في معظم الجماعات الفرعية ولم يتفوق الذكور إلا من أبناء الطبقات الاجتماعية الدنيا من ارباب المستوى الجامعي من مختلف الأعمار. وفي هذا يتفق البحث الحالي مع كثير من البحوث التي تؤكد تمسك الأنثى بالقيم الخلقية أكثر من الذكر.

وإذا ما تساءلنا أيهما أكثر تمسكاً بالقيم الخلقية أبناء الطبقات الاجتماعية الدنيا أو الوسطى؟ لوجدنا أن الجدول رقم (٣٦) يكشف عن تفوق أبناء الطبقة الاجتماعية الوسطى وأن كان هذا الفرق أكثر ظهوراً بين الاناث عنه بين الذكور.

وبالنسبة لأثر المستوى التعليمي الجامعي فان الجدول يكشف عن تفوق أرباب المستوى التعليمي الجامعي في القيم الخلقية عن المستويات الأقل من المستوى الجامعي وقد يعزى هذا إلى المستوى التعليمي بالجامعة. فالتعليم الجامعي يساعد على النمو الخلقي.

أيهما أكثر تمسكاً بالقيم الخلقية كبار السن أم صغار السن؟ أم المتوسطين في السن؟. هل يسير النمو الخلقي من حسن إلى أحسن أم إلى أسوأ؟ من الجدول رقم (٣٤) يتضح أنه بمقارنة كبار السن يتضح أن صغار السن أكثر تمسكاً بالقيم الخلقية عن كبار السن. ويبدو أن تأثير السن تأثيراً سلبياً على النحو الخلقي أو ربما يرجع إلى ذلك إلى انتقال الطفل من الاخلاق الموضوعية التي يتمسك فيها بحرفية القاعدة الخلقية إلى الأخلاق النسبة التي يأخذ في الاعتبار فيها عند اصدار الحكم الخلقي الدوافع والنوايا والارادة وما إلى ذلك.

ولقد حسب المتوسط العام لدرجة الأخلاق من الدرجات الخام ذاتها ووجد

بالنسبة للعينة كلها.	٨,٨٠
والمتوسط العام بالنسبة للذكور يساوي أيضاً	٨,٨٠
وبالنسبة للاناث كان المتوسط العام	٨,٧٠
والفرق الجنسي	٠,١٠

مشيراً إلى تفوق الذكور في الاخلاق عن الاناث.

جدول رقم (٣٤)

يوضح مصفوفة المتوسطات الحسابية لدرجات أفراد العينة في القيم الخلقية في التصميم التجريبي العاملي

ذكور											
طبقة دنيا						طبقة وسطى					
جامعي			دون			جامعي			دون		
ص	م	ك	ص	م	ك	ص	م	ك	ص	م	ك
٩,٥	٩,٥٤	٩,٥٠	٨,٣٢	٩,١٠	١٠,٢	٩,٥٠	٩,٢٦	٩	٨,٤٦	٩,١	٩
٢	٣٥	٢	١١٥	٣٧	٥	٢	٧٢	٢	٢٦	٢٨	٢

«تابع» جدول رقم (٣٤)

إناث											
طبقة دنيا						طبقة وسطى					
جامعي			دون			جامعي			دون		
ص	م	ك	ص	م	ك	ص	م	ك	ص	م	ك
٨,٥٠	٨,٧٨	٩	٨,١٥	٨,٤٢	٨	١٠	٩,٣٥	١٠,٥	٨,٧٧	٩,٣١	١٠,٥
٢	٩	٢	٦١	١٢	٣	٢	٢٣	٣	٢٢	١٣	٢ ن

ن = عدد الحالات

جدول رقم (٣٥)

يوضح الفروق الحماسية في المتوسطات الحسابية لدرجة الأخلاق

طبقة دنيا						ص م ك	طبقة وسطى						
جامعي			دون				جامعي			دون			
ص	م	ك	ص	م	ك		ص	م	ك	ص	م	ك	
٩,٥	٩,٥٤	٩,٥٠	٨,٣٢	٩,١٠	١٠,٢		٩,٥٠	٩,٢٦	٩	٨,٤٦	٩,١١	٩	ذكور
٨,٥	٨,٧٨	٩	٨,١٥	٨,٤٢	٨		١٠	٩,٣٥	١٠,٥	٨,٧٧	٩,٣١	١٠,٥	إناث
١	٠,٧٦	٠,٥٠	٠,١٧	٠,٦٨	٢٢		٠,٥٠	٠,٠٩	١,٥	٠,٣١	٠,٢٠	١,٥	الفرق

جدول رقم (٣٦)

يوضح المتوسطات الحسابية والفروق الطبقية في درجة الأخلاق

	ذكور						اناث					
	جامعي			دون			جامعي			دون		
	ص	م	ك	ص	م	ك	ص	م	ك	ص	م	ك
دنيا	٩,٥	٩,٥٤	٩,٥	٨,٣٢	٩,١٠	١٠,٢	٨,٥٠	٨,٧٨	٩	٨,١٥	٨,٤٢	٨,٠
وسطى	٩,٥٠	٩,٢٦	٩	٨,٤٦	٩,١١	٩,٠	١٠,٠	٩,٣٥	١٠,٥	٨,٧٧	٩,٣١	١٠,٥
فروق	–	, ٢٨	, ٥	, ٠٦	, ٠١	١,٢	١,٥	٠,٥٧	١,٥	٠,٦٢	, ٨٩	٢,٥

جدول رقم (٣٧)

يوضح المتوسطات الحسابية والفروق التي ترجع الى المستوى التعليمي

	ذكور						إناث					
	دنيا			وسطى			دنيا			وسطى		
	ص	م	ك	ص	م	ك	ص	م	ك	ص	م	ك
جامعي	٩,٥	٩,٥٤	٩,٥٠	٩,٥٠	٩,٢٦	٩	٨,٥٠	٨,٧	٩	١٠	٩,٣٥	١٠,٥
دون	٨,٣٢	٩,١٠	١٠,٢	٨,١٦	٩,١١	٩	٨,١٥	٨,٤٢	٨	٨,٧٧	٩,٣١	١٠,٥
الفرق	١,١٨	, ٤٤	٠,٧	١,٠٤	, ١٥	—	, ٣٥	, ٣٦	١	١,٢٣	, ٠٤	—

جدول رقم (٣٨)

يوضح المتوسطات الحسابية والفروق التي ترجع الى عامل السن

	ذكور				اناث			
	دنيا		وسطى		دنيا		وسطى	
	جامعي	دون	جامعي	دون	جامعي	دون	جامعي	دون
صغير	٩,٥٠	٨,٣٢	٩,٥٠	٨,٤٦	٨,٥٠	٨,١٥	١٠	٨,٧٧
متوسط	٩,٥٤	٩,١٠	٩,٦	٩,١١	٨,٧٨	٨,٢	٩,٣٥	٩,٣١
كبير	٩,٥٠	١٠,٢	٩	٩, –	٩, –	٨	١٠,٥	١٠,٥

تحليل تباين درجات اختبار الاخلاق:-

التباين بين المجموعات التجريبية اي تباين عوامل الجنس والسن والطبقة الاجتماعية والمستوى التعليمي.

$$\text{مجـ ق}_{٢} - \frac{(\text{مجـ ق})^{٢}}{\text{ن}}$$

$$٢٠٢٣ - \frac{(٢١٩,٧٧)^{٢}}{٢٤} = ١٠,٥$$

وحسب تباين الجنس

$$\frac{(\text{مجـ ق}_{١})^{٢}}{\text{ن}_{١}} + \frac{(\text{مجـ ق}_{٢})^{٢}}{\text{ن}_{٢}} - \frac{(\text{مجـ ق}_{١} + \text{مجـ ق}_{٢})^{٢}}{\text{ن}_{١} + \text{ن}_{٢}} = ٥ , -$$

وحسب تباين الطبقة الاجتماعية وجد مساوياً = ١,٤٠

وحسب تباين المستوى التعليمي وجد مساوياً = ٢,٧٠

وحسب تباين السن وجد يساوي = ١,٢٠

ونظراً لعدم تساوي احجام الجماعات الفرعية فقد تم حساب معادلة التصحيح طبقاً للقانون الآتي:-

$$\frac{١}{\text{ن}}\left(\frac{١}{\text{ن}_{١}} + \frac{١}{\text{ن}_{٢}} + \frac{١}{\text{ن}_{٣}} \text{ .... الـخ}\right)$$

حيث (ن) = عدد الخانات في التصميم التجريبي العاملي

$(\text{ن}_{١})$.... $(\text{ن}_{س})$ عدد الحالات في كل فئة أو خانة.

وكذلك تم حساب التباين داخل المجموعات طبقاً للطرق المنوه عنها آنفاً ووجد مساوياً

= ١١٨٣,٧٨

وحسبت قيمة معادلة التصحيح ووجدت ٠,٢٤ وبضرب هذه القيمة في متوسط

التباين داخل المجموعات وهو ٢,٥٠ نحصل على قيمة الخطأ الذي يستخدم (كحل) لايجاد قيمة (ف) وهو ٢,٥٠ × ٠,٢٤ = ٠,٦

جدول رقم ٣٩: يلخص نتائج عمليات تحليل التباين في التصميم التجريبي العاملي لدرجات الاخلاق.

مصدر التباين	حجم التباين	د. ح	م	ف
بين المجموعات	١٠,٥٠	٢٣	٠,٤٦	٠,٧٧
بين الجنس	٠,٥٠	١	٠,٥٠	٠,٨٠
الطبقة الاجتماعية	١,٤٠	١	١,٤٠	٣,٣٠
المستوى التعليمي	٢,٧٠	١	١,٢٠	٤,٥٠ *
السن	١,٢٠	١	٢,٢٠	٢,٠٠
التباين داخل المجموعات	١٨٣,٧٨	٤٨٠	٢,٥٠	
الخطأ	٠,٦٠		, ٦٠	

وتفشل العوامل التجريبية في الوصول إلى حد الدلالة الاحصائية فيما عدا عامل المستوى التعليمي حيث تصل قيمة (ف) إلى حد الدلالة عند مستوى ثقة (٩٥٪). مؤكدة أن المستوى التعليمي يؤثر في اخلاقيات الفرد أو في نموه الخلقي. وبالرجوع إلى جدول مصفوفة المتوسطات يستبان منه أن هذه الفروق في صالح أرباب المستوى التعليمي الجامعي.

جدول رقم ٤٠: يوضح احكام أفراد العينة على مستوى الاخلاق في هذا العصر.

الحكم على الأخلاق	الكل		ذكور		إناث		الفرق الجنسي	ن. ح
المستوى	ك ٣٤٩	٪	ك ٢٠٩	٪	ك ١٤٠	٪	٪	
رديئة جداً	٧٢	٢١	٥٧	٢٧	١٥	١١	١٦	٤ * *
رديئة	١٣٥	٣٩	٦٦	٣١	٦٩	٤٩	١٨	٣٦**
متوسطة	٧٠	٢٠	٤٠	٢٠	٣٠	٢١	١	
جيدة	٦٨	١٩	٦	٢٢	٢٢	١٦	٦	١,٥
ممتازة	٤	١	صفر	–	٤	٣	٣	

في سؤال مفتوح النهاية طلب من أفراد العينة أن يصفوا مستوى الاخلاق في نظرهم وتم تحليل هذه الاستجابات وأمكن تصنيفها في الجدول أعلاه في خمس مستويات، الأولى تضمنت أوصاف مثل رديئة جداً، منهارة، متدهورة، منحطة، «زي الزفت» والثانية تضمنت أوصاف مثل رديئة أو منحلة أو منحدرة أو «مش كويسة» ومش قوي ومستوردة، موجودة عند البعض ومنعدمة من عند البعض الآخر. وتضمنت الفئة الرابعة جيدة وطيبة، حسنة وجميلة، عظيمة، وتضمنت الفئة الخامسة «ممتازة».

ويتضح من الجدول أن هناك نحو خمس العينة تحكم على الاخلاق في عصرنا بأنها رديئة، جداً وحوالي أقل من النصف يعتبرونها رديئة ومعنى ذلك أن هناك نحو (٦٠٪) – يعتبرونها رديئة ورديئة جداً.

الحكم على الأخلاق

ويعكس هذا عدم رضا الشباب عن الاخلاق في عصرنا هذا ويمثل نزعة نقدية للحياة الخلقية في نظر الشباب وتعبر عن طموح الشباب في الارتفاع بالمستوى الخلقي للناس وتنمية ضمائرهم وتربية النشىء على اسس خلقية رفيعة. هذا وهناك نحو خمس المجموعة قررت أنها جيدة (١٩٪) وتعبر هذه النتيجة عن وعي الشباب بأزمة الأخلاق التي يعيشها المجتمع، والتي أصبحت في حاجة إلى صيحة مدوية لايقاظ ضمائر الناس واحساسهم بالواجب وبالقانون وبالمصلحة العامة والتمسك باهداب الدين الاسلامي الحنيف.

هل يختلف الجنسان في الحكم على المستوى الخلقي أو بعبارة أخرى أيهما اكثر نقداً أو اكثر رضا عن الاخلاق؟ لقد وجد أن الذكور أكثر تطرفاً في نقدهم للاخلاق وفي وصفها بأنها رديئة جداً (فرق قدره ١٦٪) أما الإناث فهن أقل تطرفاً حيث تصف نسبة اكبر منهن الاخلاق بأنها – رديئة (٣٤٪) بفرق قدره (١٨).

حكم خلقي:

وإذا اجمعنا نسب المستويين لوجدنا انها كالآتي:–

رديئة ورديئة جداً	ذكور	اناث		الفرق
	٥٨	٦٠	=	٢

وهنا نلمس اتفاق الجنسين في الحكم على رداءة المستوى الخلقي. وتقترب نسبتها في «متوسطة» و «جيدة» و «ممتازة».

ولاعطاء صورة رقمية عن الصورة العامة للفرق الجنسي فقد تم الاستعاضة عن المستويات اللفظية بقيم رقمية لامكان إيجاد المتوسط الحسابي لكل جنس وتم ذلك على النحو الآتي:–

المستوى الخلقي	الدرجة المقابلة
رديئةجداً	١
رديئة	٢
متوسطة	٣
جيدة	٤
ممتازة	٥

ومعنى ذلك أنه كلما ارتفعت الدرجة كلما زاد رضا الفرد عن الاخلاق وتم طبقاً لهذا التحديد إيجاد المتوسط الحسابي للعينة ككل ولكل جنس على حدة وكذلك الانحراف المعياري وحسب قيمة (ت).

الكل	ن	م	ع	ت
الكل	٣٤٩	٢,٤٢		
ذكور	٢٠٩	٢,٣٦	١,٣٠	
اناث	١٤٠	٢,٥١	٠,٩٧	
الفرق		٠,١٥		١,١٦

وتدل هذه المتوسطات على زيادة رضا الإناث عن الذكور أو قلة نقدهن للمستوى الخلقي وان كان الفرق ضئيلاً.

ولقد حسبت قيمة (ت) طبقاً للقانون السابق بيانه ووجدت ١,١٦ ومع (٣٤٨) درجة حرية،- ليس لها دلالة احصائية مما يمكن معه افتراض تساوي الجنسين في حكمهما على المستوى الاخلاقي في وقتنا الحاضر.

العلاقة بين الاخلاق والدين

من بين اهداف هذه الدراسة التحقق من كم وكيف العلاقة بين القيم الدينية

والخلقية، بمعنى هل تزيد أم تقل اخلاق الشخص المتدين؟ وهل يرتبط الدين والاخلاق كما يقيسها المقياسان الحاليان ام انهما عاملان مستقلان:؟.

للتحقق من صحة هذا الفرض الاخير وهو الفرض الصفري تم تصميم جدول تكراري مزدوج – للتكرارات أفراد العينة في الدين وفي الاخلاق على النحو الآتي:–

التدين	قليل التدين		كثير التدين		المجموع	الفرق
الأخلاق	ك	٪	ك	٪	ك	٪
قليل الأخلاق	٣٤	٧٤	١٤٨	٣١	١٨٢	٤٣
كثير الأخلاق	١٢	٢٦	٣٢٧	٦١	٣٣٩	٤٣
المجموع	٤٦		٤٧٥		٥٢١	
الفرق ٪		٥٢		٣٨		

وقد حسبت قيمة كاي ٢ طبقاً للقانون الآتي:–

كاي ٢ = (ك – ك –)^{٢} = ٧٧,٩٦ * *

ك –

ك = التكرار التجريبي في كل خانة من خانات الجدول ٢ × ٢.

ك = التكراري النظري أو الفرضي القائم على اساس الفرض الصفري أي استقلال الدين عن الاخلاق.

(ولكاي ٢) درجة واحدة من درجات الحرية دلالة احصائية عالية تفوق مستوى ثقة (٩٩٪) ومؤدى ذلك أن هناك ارتباطاً قوياً بين الدين والاخلاق. وبالنظر للنسب المئوية في الجدول – المزدوج تتكشف هذه العلاقة اذ يميل الفرد كثير التدين أن يكون كثير التمسك بالقيم الخلقية ولهذه النتيجة قيمة تطبيقية كبرى اذ يستبان منها قيمة الدين في سمو الاخلاق والارتفاع – بالمستوى الخلقي والسلوكي للناس. فللدين اهمية تربوية في خلق وتنمية ضمائرهم ولذلك فأننا ندعو الى الاهتمام بالتربية الدينية قولا وفعلا وسلوكاً وندعو إلى تطوير مناهج التربية الدينية بحيث

تتناسب كماً وكيفاً مع مستوى ذكاء الطفل وقدرته على الاستيعاب وان يبدأ المنهج بالأمور المحسوسة المستمدة من واقع حياة الطفل والبعد عن الأمور المجردة أو – المعنوية أو الغامضة.

ولبحث العلاقة بين التدين والتمسك بالقيم الخلقية تم إيجاد معامل ارتباط بيرسون.

من المعطيات المجدولة

وذلك بتطبيق القانون الآتي:–

من المعطيات المجدولة

$$\left(\frac{\text{مجـ ك}_١\text{ ح}_١\text{ ح}_٢}{\text{ن}}\right) - \left(\frac{\text{مجـ ك}_١\text{ ح}_١}{\text{ن}}\right)\left(\frac{\text{مجـ ك}_٢\text{ ح}_٢}{\text{ن}}\right)$$ [1]

معامل الارتباط

$$\sqrt{\frac{\text{(مجـ ك}_١\text{ ح}_١^٢)}{\text{ن}} - \frac{\text{(مجـ ك}_١\text{ ح}_١)^٢}{\text{ن}} \times \frac{\text{(مجـ ك}_١\text{ ح}_٢^٢)}{\text{ن}} \quad \frac{\text{(مجـ ك}_٢\text{ ح}_٢)^٢}{\text{ن}}}$$

حيث مجـ ك١ مجموع التكرارات في المتغير الأول «التدين».

ح١ = انحرافات المتغير الأول «التدين»

ح٢ = انحرافات المتغير الثاني «الاخلاق».

ك٢ = تكرارات المتغير الثاني «التدين».

ن = عدد الحالات.

ووجد معامل الارتباط = ٠,١٦ وبالرجوع لجدول جاريت Garret يتبين أن لهذا المعامل دلالة إحصائية مع درجات الحرية (٥٢٠) عند مستوى ثقة (٩٥٪)[1]. مما يؤكد الفرض الذي استهدف هذا البحث التحقق من صحته أو بطلانه أي ارتباط القيم الدينية بالقيم الخلقية.

---

(١) Thorndide, S.L. Measurement and Evaluation in Psychology and Education, John Wiley and Sons, N. Yood, 1969, P. 663.

مقارنة بين استجابات العينة المصرية والعينة الانجليزية

كان الباحث قد أجرى دراسة حول العلاقة بين الاتجاهات الخلقية والدينية من ناحية والتكيف النفسي والعائلي من ناحية أخرى على عينة من الانجليز[1] تتراوح أعمارها ما بين (١١ سنة) و(١٨ سنة) بلغ عددها (٤٣٨) طالباً وطالبة من طلاب المدارس الثانوية ولقد رؤى التعرف على أوجه الشبه والاختلاف بين الشباب الانجليزي والشباب المصري في النواحي الخلقية والدينية كما تقيسها المقاييس الحالية[2]. وتناولت الدراسة الانجليزية ارتياد أماكن العبادة وباستخدام أحد مقاييس التقدير الذاتي Self - cating:

	العينة كلها		ذكور	إناث
	ك	٪		
موال جداً	٤٩	١١	٩	١٣
موال	١٥٢	٣٥	٢٧	٤٣
محايد	١٨٤	٤٢	٤٥	٣٨
معارض ومعارض جداً	٥٣	١٢	١٩	٦
المجموع	٤٣٨	١٠٠		

(١) السيد محمد خيري، الإحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية دار الفكر العربي، ١٩٥٧ ص ٣٦٥.

(٢) السيد محمد خيري، الإحصاء في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية دار الفكر العربي، ١٩٥٧ ص ٢٦٥.

من هذه النتائج يتضح أن (١١٪) من مجموع أفراد العينة موالية جداً للقيم الدينية أو موالية بقوة وأن (٣٥٪) منهم موالين وأن (٤٢٪) محايدة أو ليس لها اتجاه معارض أو مؤيد للقيم الدينية وأن قلة تبلغ (١٢٪) من مجموع العينة لديها اتجاه معارض جداً ومعارض للقيم الدينية. أي أن هناك نحو (٤١٪) لديها اتجاهات موالية للدين.

ويتضح من الجدول أن الإناث الانجليز أكثر تديناً من الذكور منهم على العكس مما هو الحال في العينة المصرية. وفيما يتعلق بارتياد أماكن العبادة فقد وجد أن الاناث في العينة الإنجليزية أكثر ارتياداً عن الذكور ويمكن تلخيص النتائج في الجدول الآتي:

ارتياد الكنيسة	العينة كلها	ذكور	إناث	الفرق
بانتظام	١٩,٢	١٤,١	٢٤,٦	١٠,٥
بانتظام نسبياً	٨,٩	٧,٥	١٠,٤	٢,٩
في المناسبات	١٦,٢	١٣,٧	١٨,٩	٥,٢
نادراً	٢٤	٢٢,٩	٢٥,٢	٢,٣
ابداً	٣١,٧	٤١,٧	٢٠,٩	٢٠,٩

من هذا الجدول يتضح أن هناك (٤٤,٣٪) من مجموع العينة يمكن وصفهم بأنهم يرتادون الكنيسة وأن هناك (٥٥,٧٪) لا يرتادون الكنيسة. وفيما يتعلق بالفرق الجنسي فإن الإناث أكثر ارتياداً عن الذكور. وإذا اعتبرنا أن الذهاب يومياً وأسبوعياً وشهرياً يعادل فئات الذهاب الثلاثة في الجدول أعلاه في العينة الانجليزية لوجدنا أن جملة من يمكن وصفهم بأنهم يرتادون أماكن العبادة في العينة المصرية هي (٦٩٪) ومعنى ذلك أن العينة المصرية أكثر ارتياداً لأماكن العبادة عن العينة الإنجليزية ولإحكام عملية المقارنة بصورة رقمية يمكن التعويض عن فئات الإرتياد بمقياس رقمي مكون من خمس نقاط تبدأ من (٥ – ١) وإيجاد المتوسط الحسابي

لكل من أفراد العينة الانجليزية والمصرية ومقارنة المتوسطين. ولقد تم حساب المتوسط الحسابي ووجد عند الانجليز عبارة ٢,٦ وعند المصريين ٣,٥٠ مؤكداً أن المصريين أكثر ارتياداًلأماكن العبادة عن الانجليز.

مقارنة بين الانجليز والمصريين في ارتياد أماكن العبادة

الفئة	العينة الانجليزية			العينة المصرية		
الدرجة المقابلة	ك	٪	ك س	ك	٪	ك س
يومياً ٥	٨٤	١٩	٤٢٠	١٦٥	٢٢	٨٢٥
اسبوعياً ٤	٣٩	٩	١٥٦	٩٠	٢٣	٣٦٠
شهرياً ٣	٧١	١٦	٢١٣	١٦	٤	٤٨
سنوياً ٢	١٠٥	٣٤	٢١٠	١٦	٤	٣٢
لا يذهب ١	١٣٩	٣٢	١٣٩	١١٠	٢٨	١١٠
مج	٤٣٨	—	١١٣٨	٣٩٧	—	١٣٧٥
م			٢,٦			٣,٥

ولقد دلت الدراسة الانجليزية أن أطفال الطبقة الاجتماعية العمالية أكثر تديناً من اطفال الطبقة الاجتماعية الوسطى.

وفيما يتعلق بالفرق الثقافي كما يتمثل في قبول القيم الخلقية فلقد وجد أن هناك نحو ٨٩,٩٪ من أفراد العينة الانجليزية يمكن وصفهم بأن لديهم اتجاهاً ايجابياً موالياً للاخلاق وتمثل هذه النسبة اغلبية احصائية عالية وفي هذه الناحية يتفق أفراد العينة الانجليزية والمصرية. ولقد وجد أن الأناث الانجليز اكثر تمسكاً بالاخلاق عن الذكور ولم تصل الفروق الملاحظة في الدراسة الانجليزية لمستوى الدلالة في عوامل السن أو الطبقة الاجتماعية أو أنواع المدارس وذلك في اختبار الاخلاق(١).

(١) Essawi, A C.M. Ethico - religious Attitude and Emotional adjustment in children Aged 11-18 years. Ph D. Thesis Nottingham. University May 1968.

شكل رقم - ٢١ -
يوضح المقارنة بين العينة المصرية والإنجليزية
في إرتياد أماكن العبادة. كل على حدة



الخلاصة وآفاق البحث المقبلة

ألقت هذه الدراسة بعض الضوء على الشعور الديني أو الاتجاه الديني ولدى عينة من الشباب كما ألقت بعض الضوء على مقدار إيمان الشباب بالقيم الخلقية. وتناولت بعض الفروض العلمية المستمدة من التراث السيكولوجي في مجال الأخلاق والدين. ومن أبرز نتائج هذا البحث أن الغالبية الساحقة من أفراد العينة يؤمنون بالقيم الخلقية كالإيثار والحق والخير والصدق والأمانة. وتضيف هذه الدراسة بعض التأييد إلى فكرة نوعية القيم الخلقية التي قال بها هارتشورن وماي ومؤداها أن الطفل قد يكون أميناً في موقف وغشاشاً في موقف آخر حسب شدة الدافعية عنده كما تؤيد هذه الدراسة الحالية فكرة تعدد مفهوم الأخلاق وتنوعه فهو يشتمل على العديد من العناصر كالأمانة والصدق والوفاء والولاء والتضحية والايثار، وليس بحال من الأحوال مفهوماً بسيطاً فهو مفهوم متشعب.

ودل تحليل مفردات مقياس الدين أن الغالبية العظمى تؤمن بالقيم الدينية كوجود الجنة والنار مما يؤكد الاتجاه القائل بأن مرحلة المراهقة والزهد والتصوف والتدين واتضح أن أفراد العينة لديهم شعور بالتسامح الديني وقبول ارباب الديانات الأخرى، كما دل البحث على أن الأغلبية الاحصائية تذهب إلى المسجد يومياً وأسبوعياً (٧٤٪) وأن الذكور أكثر تديناً من الإناث سواء على صعيد العقائد والقيم أو على صعيد السلوك الديني كما يتمثل في أداء الصلاة وارتياد أماكن العبادة (٦٥٪) وكشفت الدراسة عن وجود فروق اقليمية إذ تفوق العينة السكندرية على عينة المحلة الكبرى في تأدية الصلاة وفي ذلك دحض للفرض الذي يقول أن أهل الريف أكثر تديناً من أهل المدينة.

وكشفت الدراسة عن المام الغالبية الاحصائية الساحقة (من ٩٠ إلى ٨٩٪) بأركان الاسلام الخمسة وان الذكور أكثر الماما بالمعرفة الدينية عن الإناث.

وكشف تحليل التباين والتصميم التجريبي العاملي (٢ × ٢ × ٢ × ٣) أن التباين الذي يرجع إلى عوامل الجنس والطبقة الاجتماعية والمستوى التعليمي والسن.

يصل في جملته إلى حد الدلالة الاحصائية وان كانت العوامل الفرعية تفشل في الوصول إلى حد الدلالة ويرجع ذلك إلى التداخل بين عوامل السن والجنس والطبقة الاجتماعية وما إلى ذلك. ولقد تأيدت هذه الملاحظة الأخيرة من تطبيق مقياس (كاي) إذ دل علىٰ رفض الفرض الصفري حيث وجدت (كاي ٢) ذات دلالات احصائية عالية وان كانت العلاقة لا تتخذ خطأ مستقيماً مما يؤكد التداخل. ويكشف جدول التكرارات المزدوجة لعاملي السن والتدين، أن التدين يقل كلما تقدم الفرد في العمر. ولا يأخذ الفرق الذي يرجع إلى المستوى التعليمي خطأ مستقيماً وبالمثل عامل الطبقة الاجتماعية.

وتؤكد الدراسة الحالية تجريبياً الفرض القائل بوجود علاقة إيجابية بين الاتجاه الديني والنشاط أو السلوك الديني فكلما زاد ايمان الفرد بالقيم الدينية كلما زاد سلوكه الديني قوة فقد وجدت معاملات ارتباط دالة بين أداء الصلاة وارتياد أماكن العبادة من ناحية بين الإتجاه الديني وفي ذلك يرد البحث الحالي على الادعاء القائل بأن سلوك الفرد في ناحية وشعوره أو اتجاهه العقلي في ناحية أخرى أو أن السلوك والاتجاه عاملان مستقلان.

كذلك تقدم الدراسة الحالية تأييداً لوجود رابطة قوية بين المعرفة بالأمور الدينية وبين اتجاه الفرد الديني أو شعوره الديني بالمعرفة والاتجاه ليس عاملان مستقلين.

وفيما يتعلق بدرجات مقياس الاخلاق فقد حللت طبقاً لعوامل السن والجنس والطبقة الاجتماعية والمستوى التعليمي ولم تصل الفروق الملاحظة الى مستوى الدلالة الاحصائية إلا فيما يتعلق بعامل المستوى التعليمي على أن أرباب المستوى التعليمي الجامعي أكثر تمسكاً بالقيم الخلقية عن من هم دون المستوى التعليمي الجامعي.

ودل تقييم أفراد العينة أنفسهم لمستوى الاخلاق في عصرنا الحالي على أن الغالبية الاحصائية العظمى تصف أخلاق اليوم بأنها رديئة جداً ورديئة (٦٠٪) ولا يوجد سوى (٢٠٪) منهم يصفونها بأنها جيدة ولا يختلف الجنسان في وصفهم بأنها في جملتها رديئة.

ودل بحث العلاقة بين الدين والأخلاق سواء باستخدام (الكاي ٢) أو استخدام معامل الارتباط أن هناك ارتباطاً ايجابياً بين الاخلاق والدين.

بمعنى أنه كلما تدين الفرد كلما زاد تمسكه بالقيم الخلقية والعكس صحيح. وتؤكد مثل هذه النتيجة أهمية الدين والوعظ الديني والتربية الدينية في تنمية السلوك الخلقي وتقوية الضمير، فللدين أهمية في حياتنا في الارتقاء بالمستوى الخلقي وضبط سلوك الأفراد ويجعلنا هذا ندعوا إلى ضرورة الاهتمام بالتربية الدينية والتربية الخلقية في جميع مراحل حياة الفرد وفي مختلف المجالات العملية والتعليمية.

وكشفت المقارنة بين الشباب المصري والانجليزي ان الشباب المصري أكثر تأييداً للدين وأكثر قبولاً للقيم والعقائد الدينية وأنهم أيضاً أكثر ارتياداً لأماكن العبادة عن أفراد العينة الانجليزية.

آفاق البحث المقبلة:

تثير هذه الدراسة كثيراً من المشكلات التي يمكن أن يوجه إليها اهتمام البحث المقبل من ذلك. دراسة الأسباب التي أدت إلى تدهور المستوى الخلقي بين الناس في وقتنا الحاضر والعمل على اقتراح الوسائل التي تؤدي الى الارتفاع بالمستوى الخلقي لهم.

دراسة أثر الحياة الدينية على جوانب الحياة الأخرى كالحياة الاقتصادية والحياة العائلية والحياة المهنية للفرد وأثره في الحياة النفسية للفرد كما ينبغي دراسة أثر عوامل السن والجنس والمستوى التعليمي ونوع التخصص الاكاديمي في كلا من الأخلاق والدين وكذلك الدراسة الدينية والخلقية لدى بعض الطوائف الشاذة كالذهانيين والعصابيين وجناح الأحداث.

كما ينبغي دراسة علاقة كل من الدين والاخلاق بعوامل شخصية كالذكاء والطموح والعدوان والتسلط والأنطواء والانسحاب والاهتمام بأجراء الدراسات المقارنة بين أرباب الثقافات المختلفة.

والله ولي السداد والتوفيق.

النوع: ذكر – أنثى　　　　　　　　اختيار أ.د

الفرقة الدراسية:　　　　　　السنة الآن:　　　سنة

نوع عمل الوالد:

شهر:　　　　　　　　　عدد الأخوة:

والأخوات:

عدد الحجرات:

إعداد: دكتور عبد الرحمن عيسوى.

هذه الأسئلة ليست امتحاناً.وليس هناك اجابة صحيحة وأخرى خطأ، وإنما المسألة مسألة رأى. والمطلوب منك أن تجيب بكل صدق وأمانة وصراحة ولن يعرف أحد أسمك.

	نعم	لا
١ – أنا أحب لاصدقائي ما أحبه لنفسي	[ ]	[ ]
٢ – أنا أقول الحق ولو على نفسي	[ ]	[ ]
٣ – أنا لا أشعر بالندم عندما أتسبب في إيذاء شخص بريء	[ ]	[ ]
٤ – أفضل العقاب عن الهروب من المسؤولية عن طريق الكذب	[ ]	[ ]
٥ – عندما أعمل خيراً في شخص ما فأنا لا أنتظر منه أي شيء	[ ]	[ ]
٦ – أغش في الامتحان إذا سمحت لي الظروف بذلك	[ ]	[ ]
٧ – أنا أكره الشخص الذي يسيء إلى الناس في غيابهم	[ ]	[ ]
٨ – إذا وجدت شيئاً ثميناً في الطريق فإني لا أهتم بإعادته لصاحبه	[ ]	[ ]
٩ – أنا أشعر بالسعادة عندما أرى الناس الآخرين سعداء	[ ]	[ ]
١٠ – أنا أحب دائماً أن أساعد الفقراء	[ ]	[ ]
١١ – أتمنى أن يرسب جميع الأولاد الذين أكرههم في امتحاناتهم	[ ]	[ ]
١٢ – أنا اعتقد في وجود الله	[ ]	[ ]

	نعم	لا
١٣ – أنا أعتقد في وجود الجنة والنار	[ ]	[ ]
١٤ – أنا اعتقد في وجود الأنبياء	[ ]	[ ]
١٥ – خلق الله كل شيء من لا شيء	[ ]	[ ]
١٦ – الله يعلم بكل شيء يحدث في هذه الدنيا	[ ]	[ ]
١٧ – يعلم الله ما يجري حتى في داخل أفكارنا	[ ]	[ ]
١٨ – أنا أصوم شهر رمضان	[ ]	[ ]
١٩ – أن الدين يفيد جميع الناس	[ ]	[ ]
٢٠ – اعتقد أن هناك حتماً يوماً للحساب (يوم القيامة)	[ ]	[ ]
٢١ – خلق الله الانسان من طين	[ ]	[ ]
٢٢ – في يوم القيامة يخلق الله الانسان ثانية	[ ]	[ ]
٢٣ – الدين يمنع الناس من السرقة والكذب والقتل	[ ]	[ ]
٢٤ – الدين هو الذي يعلمنا الحلال والحرام	[ ]	[ ]
٢٥ – العمل الصالح يقود صاحبه إلى الجنة	[ ]	[ ]
٢٦ – الصلاة تسبب طهارة النفس والبدن	[ ]	[ ]
٢٧ – أنا لا أمانع في الزواج من فتاة من دين آخر	[ ]	[ ]
٢٨ – يحتفظ الله بسجل كبير يكتب فيه أعمالنا الخيرة والشريرة	[ ]	[ ]
٢٩ – ليس من الضروري أن تذهب إلى المسجد لكي تكون رجلا طيباً	[ ]	[ ]
٣٠ – المسلمون والمسيحيون واليهود كلهم متساوون في الطيبة	[ ]	[ ]
٣١ – أنا أؤمن بقيمة الزكاة في حياة المجتمع	[ ]	[ ]
٣٢ – أنا لا أحب الغرور	[ ]	[ ]
٣٣ – هل تصوم شهر رمضان	[ ]	[ ]
٣٤ – هل تؤدي الصلاة يومياً أسبوعياً شهرياً سنوياً لا تؤديها	[ ]	[ ]
٣٥ – أذهب إلى المسجد	[ ]	[ ]

٣٦ – أركان الاسلام الاساسية الخمسة هي:

١ –

٢ –

٣ –

٤ –

٥ –

٣٧ – أذكر أسماء بعض الأنبياء الذين سمعت عنهم

١ –

٢ –

٣ –

٤ –

٥ –

٣٨ – كيف تتصور الله تعالى: «صف كيف تتخيله، وماذا يعمل، وأين يوجد؟

٣٩ – أن الدين في نظري:

٤٠ – الأخلاق في عصرنا هذا:

المحتويات

الموضوع	الصفحة